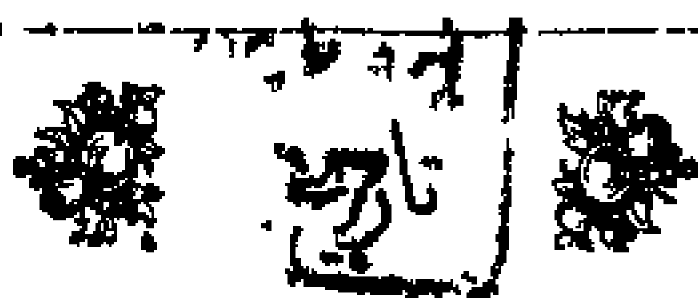



# هيرودوتس الشهير

## المجلد الاول

ترجم من الفرنسوية بقلم الشهم الغيور

حبيب افندي

بشلاني

ليس بانسان ولا عاقلٍ  من لا يعي التاريخ في صدرهِ
ومن درى اخبار من قبلهُ  اضاف اعمارًا الى عمرهِ

طُبع في بيروت بمطبعة القديس جاورجيوس سنة ١٨٨٦ — ١٨٨٧




حمداً لمن جعل من سير العابرين هداية في سبل الحياة للغابرين . ورفع لنا من علم التاريخ مناراً تستضيء بهِ العقول . فتميز من حوادث الدهر العلة من المعلول .

اما بعد فلا ينكر ان تاريخ هيرودوتس اليوناني الملقب بابي التاريخ هو من اجلّ تواريخ الاقدمين وانهُ على غاية من التدقيق والتحقيق لم يبلغها احد قبلهُ من المؤرخين ولا بعدهُ الى زمان طويل وقد عني العلماء باعتبار هذا التاريخ فوجدوهُ كنزاً لا تعرف لهُ قيمة قد أُذخرت فيهِ فوائد جمة لا وجود لها في غيرهِ ولذلك اشتدت رغبة الناس فيهِ وبالغ المؤرخون في مطالعتهِ وتحقيقهِ فكان لهم بهِ هداية عظمى الى اخبار الامم السالفة ولاسيما المشرقية فعكفوا على حفظهِ واكثروا من طبعهِ فاشتهر اشتهار نار على علم وترجمهُ اشدهم اهتماماً بهِ الى لغات مختلفة . ومن جملتهم العلاّمة المؤرخ المحقق لرشي الفرنسوي فانهُ بعد ان ترجمهُ الى لغتهِ وطُبع نال شهرة شاسعة وراج رواجاً عظيماً وتهافت عليهِ الطلبة من كل فجّ حتى عدَّ من الكتب القانونية في المدارس والآثار النفيسة بين ايدي الخاصة والعامة لانهم علموا ما لمؤلفهِ هيرودوتس من الفضل في تحقيق الوقائع وصحة الاخبار وانهُ استغرق اكثر حياتهِ حتى جاء طبق ما كان يروم فاجمعوا على انهُ المؤرخ الثقة في الاعصر الاولى

وكان لرشي لما ترجمهُ قد علّق عليهِ حواشي كثيرة لزيادة الايضاح والتحقيق فطبعهُ في اربعة مجلدات ثم اراد طبعهُ ثانيةً فزاد على تلك الحواشي كثيراً من الشروح والفوائد حتى جاء في ستة مجلدات وعزم اخيراً ان يطبعهُ ثالثة بزيادة فوائد وشروح اخرى كثيرة ووقعت النسخة المذكورة بخطهِ في يد العلامة اثني مرتين وكان العلاّمة الشهير فولني المعروف بسلامة الذوق قد استكثر منهُ الزيادة

وارتأى ان فروع الشجرة لا يحسن ان تربي عليها فقطعها ولذلك اختصر اليمي وترنبع تلك الزيادات واقتصر على ما قل منها وجل وطبعه في مجلدين فاستحسن العلماء صنيعه جداً

وهذه النسخة عينها هي التي وقعت في يدي واخترت ترجمتها الى لغتنا العربية لعلمي شدة احتياج بلادنا الى مطالعة هذا التاريخ الجليل وان كانت العلوم قد نشرت راياتها ومنار المعارف قد ارتفع وبزغت شموس التمدن في عصرنا هذا الجميل بطالع انوار دولتنا العلية الشان المؤيدة بقدرة الرحمان لكن هذا الكتاب لم يترجم الى الان غير اني رأيت من وجه أولى ان ازيد على حواشيه المختصرة فوائد اخرى ضرورية لاهل بلادنا فكل حاشية تحتها * ل * هي للمترجم لرشي والتي يليها * ج * هي من زياداتي على هذه النسخة

ثم اني قد جريت في تقسيم الكتاب وترتيب فقراته على ما جرى عليه لرشي نفسه وغيره ممن ترجمه الى لغات اخر متبعين اسلوب مؤلفه هيرودوتس وذلك ان هذا التاريخ مقسوم في الاصل الى تسعة كتب كل كتاب مؤلف من عدة فقرات لا يتخللها فصول ولكل فقرة عدد الى آخر الكتاب كما سترى

وهذه الكتب التسعة كان اليونان لما تلاها عليهم هيرودوتس قد ابتهجوا بها واكبروا امرها واجلّوا فوائدها ولذتها وطلاوة عبارتها حتى كانها مسبوكة في قوالب شعرية غاية في اللطف فلذلك نسبوها بجماستهم الى معبودات الموسيقى المسماة عندهم موسس فسمى المتأخرون كل كتاب باسم واحدة منهنّ فاتبعنا هذه الطريقة حتى لا نخالف الاصل بشيء . ونسأل الله ان ينفع به مطالعيه ويجعله اثراً مباركاً في هذه البلاد وعملاً صالحاً بين العباد

# ترجمة حياة هيرودوتس

## ملخصة مما كتبهُ لرشي وبولي

ولد هذا المورخ الشهير في بلد هاليكرناس من اعمال كاريا في بلاد الدوريذ (ونسمى الآن بدرون) سنة ٤٨٤ ق. م. وكان دوريّ الاصل وعائلتهُ مشهورة. ابوهُ ليزيس وامهُ دريوكانا من المتمازين بين اشراف البلاد. ومن انسبائهِ الادنين الشاعر المشهور بانياسيس الذي عدّ في الطبقة الاولى بعد اوميروس. ولا يعرف بالحقيقة أعمهُ كان ام خالهُ لكنّ لا ابعد من ذلك بالتحقيق. وتربي هيرودتس تربية حسنة رشحتهُ لاكتساب المعارف والمعالي وولع بالاسفار بعد ان اطلع على اوصاف اسيلوفاريخ ليديا وفارس المشهورة في تلك الايام. فتاقت نفسهُ الى السياحة في تلك البلاد التي طرب اشد الطرب من وصفها لا ليتفرج عليها فقط بل ليكتب لها تاريخًا مدققًا والذي اضرم غيرتهُ خصوصًا ما اطلع عليهِ من تواريخ من تقدمهُ فعزم ان يفوق عليهم بتحقيقاتهِ

فتجول في كل بلاد اغريقية وايرة وثراقة ثم بلاد سكيثيا وكان يبالغ في الاستقراء والاستقصاء وتدقيق البحث عن مراكز البلدان ونسبة الابعاد ومقادير المحصولات واصنافها وحالة العادات والاخلاق والمذاهب واطلع على سجلات الامم ومحفوراتهم فعرف عن يقين الحوادث المهمة وسلسلة الدول وانساب المشاهير وكان يتداخل مع اصحاب المعارف والفنون ويستشيرهم في امور كثيرة واحوال مختلفة

وربما كان اول تجولهِ في اغريقية ثم منها دخل بلاد مصر ثم اسيا ثم كلخيدة وسكيثيا وثراقة ومكدونية وعاد الى اغريقية بطريق ايرة. وقد ذكرنا في ديباجة

الكتاب الآتية انهُ اطال البحث المدقق عن تاريخ مصر واحوالها واوصافها ولم يكن يكتفي بما كان يسمع من السنة الناس واقاويل العامة بل لكي لا يذكر الاَّ الحقائق عاشر الكهنة كثيراً وكان يسالهم عن كل ما يلوح بخاطرهِ ولكي يزداد ثقة بما اخبره اولاً كهنة منف رحل الى هليوبوليس وطيوة وتحقق من كهنة هاتين المدينتين العظيمتين ما سمعهُ في منف فقرر نتائج مباحثهِ معهم مع ما شاهده عياناً واختبرهُ بنفسهِ . وفي رحلتهِ الى صور دقق في ابحاثهِ نفس التدقيق وكان جل قصده من دخول صور تحقيق الخبر عن معبود يقال لهُ هرقل ذكر لهُ كهنة مصر انهُ احد الالهة الاثني عشر المولودين من ثمانية آلهة اقدم منهم وان هولاء الاثني عشر حكموا مصر قبل الملك اماسيس بسبعة عشر الف سنة . ومن المعلوم ان اليونان لم يكونوا يعرفون باسم هرقل الا بطلهم المشهور ابن امفتريون . فوجد هيرودتس في صور هيكلاً قديماً لهرقل الذي ذكره كهنة مصر وقال لهُ اهل صور انهُ بني منذ نحو ٢٣٠٠ سنة . وراى ايضاً هيكلاً لالهٍ اسمهُ هرقل التاسوسي فمضى الى تاسوس وراى هناك هيكلاً نظيرهُ علم انهُ مختص بالمعبود هرقل وان الفينيقيين كانوا قد بنوه في تلك الجزيرة اثناء تجولهم في البحار . وراى ايضاً بعض اليونان يقدمون ضحايا لمعبود اسمهُ هرقل الاولمبي ويقدمون قرابين للبطل هرقل المشهور عندهم فتحقق من كل ذلك ان هرقل المعبود المصري غير هرقل البطل اليوناني

وكان قد دخل ليبيا والقيروان قبل دخولهِ مدينة صور فوصف ليبيا وصفاً مدققاً من اول حدودها من جهة مصر الى راس سوليس المعروف الآن باسم سبرطل وطابق وصفهُ وصف السياح المتاخرين كل المطابقة . وقيل ايضاً انهُ دخل قرطاجنة بدليل انهُ ذكر كثيراً مما تحدث بهِ مع جماعة من القرطاجنيين . ومن قرطاجنة عاد الى مصر ومنها قدم صور

وبعد ان اقام مدة في صور دخل فلسطين فراى فيها اساطين اقامها هناك سيسوستريس ملك مصر وعليها كتابات تدل على خساسة اهلها . ومن هناك سار الى بابل على ترجيح الآراء فنقر ونقب وامعن في البحث ووقف على كثير من مآثرها وكشف من اسرارها ما لم يكشفهُ احد قبلهُ . وكانت حينئذ اعظم مدن

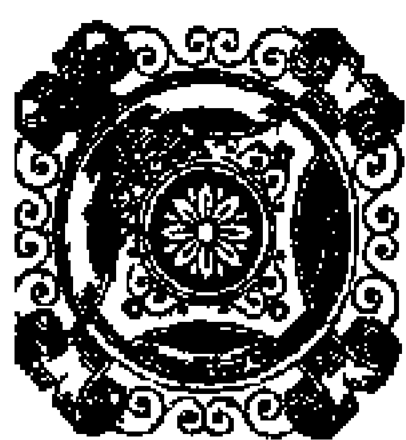
العالم زهوًا ورونقًا ووصف عجائبها واحوال اهلها وصفًا صحيحًا ووصف تمثالاً للالهة بعل مسبوكًا من ذهب ارتفاعه ١٢ ذراعًا وذكر انهُ لم يره لان الملك زارش الفارسي اخذه من الهيكل غنيمة

ووصل في آخر تطوافهِ بآسيا الى بلاد كلخيدة لكي يحقق صحيح ما قالهُ لهُ المصريون من ان اهل كلخيدة اصلهم من بقية عسكر سيسوستريس التي اقامت هناك. ومن هناك انتقل الى بلاد السكيثة والجيتة ثم ثراقة فمكدونية فايبرة كي سبقت الاشارة. وبعد ان رجع الى وطنهِ لم يطل الاقامة لان الملك لغداميس كان ظالمًا وقتل بانياسيس عم (او خال) هيرودوتس فخاف هيرودوتس على نفسهِ من غائلتهِ فرحل الى ساموس وفي تلك العزلة الصافية رتب المواد التاريخية التي جمعها في رحلتهِ وصنف الكتب الاولى من تاريخهِ. ثم اتخذ لهُ حزبًا من اصحاب الحرية واعداء لغداميس ودخل بهم هاليكرناس وخلع الطاغية المذكور لكنهُ لقي من الاهالي سوء المكافاة لكثرة الانشقاق الذي حدث بينهم على الملك فرحل من وطنهِ ولم يرجع اليهِ بعد ذلك وقدم اغريقية في زمان احتفال الموسم المختص بالاولمبياذة الحادية والثمانين فشهد الالعاب الاولمبية واراد ان يخلد ذكره ويري اهل وطنهِ فضلهُ وخطأهم في اهانتهِ فتلا على رؤوس الاشهاد احسن قسم من تاريخهِ الذي بهِ يلقي الحماسة في نفوس اليونان ويبين فضلهم ومجدهم فطربوا اشد الطرب وصفقوا لهُ تكرارًا فطابت نفسهُ بهذا الفوز الجليل وقضى الاثنتي عشرة سنة التالية من عمره في تتميم تاريخهِ وضبطهِ وتهذيبهِ. وفي ذلك الزمان ساح في اقطار اغريقية فاحصًا بتدقيق عن انساب العيال الشهيرة وتواريخ الشعوب الصحيحة وذلك بوقوفهِ على الكتابات والمحفورات التي تتضمن اهم الحوادث في كل عصر وكانوا يحافظون عليها محافظة تامة وفي اثناء سياحتهِ هذه دخل قرنثية وتلا فيها وصف معركة سلامين واظهر في ذلك قلة نخوة القرنثيين فاتهمهُ البعض انهُ فعل ذلك لاغراض نفسانية غير ان الدلائل اظهرت انهُ كان صادقًا في كلامهِ •

وسنة ٤٤٤ ق. م. تلا على اهل اثينا قسمًا آخر من تاريخهِ فاستحسنوه جدًا واجازوه بعشر وزنات عبارة عن ٥٠٠٠٠ فرنك وبعد مدة صحب المستعمرة التي

ارسلتها اثينا الى ثوريوم من ايطاليا وكان من جملتها جماعة وافرة من اعيان الاثينيين وكان عمر هيرودوتس اربعين سنة فاستوطن ثوريوم ولم يكن يخرج منها الا قليلاً ولذلك نسبهُ بعض المورخين الى هذه المدينة . وكان هناك مطمئناً رخيّ البال فاعاد نظرهُ في تاريخهِ وزاد عليه عدة فوائد وحوادث تاريخية . والمرجح انهُ توفي في ثوريوم وقد اناف على السبعين من سنيهِ

واتهم هيرودوتس بميلهِ الى تصديق الخرافات ووصف الغرائب والصحيح ان الذي كان يذكره من هذه الامور كان يذكره على سبيل النقل والتقليد لان اجماع العلماء على انهُ صادق مدقق في كل ما كتبهُ . والله اعلم بمكنونات الصدور



# ديباجة الكتاب

## للعلاَّمة لرشي

كان قصد هيرودتس من هذا التاريخ على ما ذكره هو نفسهُ في اول الكتاب ان يشهر مآثر اليونان والفرس ويبسط الاسباب التي دعت الى اثارة الحرب بينهم ومن تلك الاسباب ما هو بعيد ومنها ما هو قريب فالاسباب البعيدة هي سبي كلٍّ من الامتين بعض نساء من الامة الاخرى فنشات من ذلك حرب تروادة التي اوغرت صدور الفرس على اليونان · والاسباب القريبة هي النجدات التي قدمها اهل آثينا لاهل ايونيا وقت ثورتهم ثم اكتساح الاثينيين بلاد ايونيا واحراقهم سرديس . فحركت هذه الخصومات ضغائن الفرس وعزموا ان يعلنوا انتقامهم ولم يكن اليونان حينئذ يعرفون من احوال الفرس الاَّ القليل فكان من الضرورة ان يعرفوهم معرفة تامة بعد تلك الحروب الشهيرة فلكي يحصل هيرودوتس على هذه الغاية ذكر اولية تاريخ الفرس والوسائط التي بها خلعوا طاعة الماديين واذ كان ذلك لا يكفي لمطالع تاريخهِ بحيث تنجلي لهُ الامور لزمهُ ان ياتي على طرف من تاريخ الماديين . وهذا التاريخ له طبعًا اتصالية بتاريخ الاشوريين لان الماديين كانوا خاضعين لهم خضوع الرقيق فاضطر ان يبين كيف اتصل الاشوريون الى استعبادهم فاتى على لمحة من تاريخهم ايضًا . فهذه تواريخ ثلثة ليست خارجة عن مقصد تاريخهِ الاصلي لان اهمال واحد منها يخلُّ بوضوح الآخرين وبحذف الثلاثة معًا يصعب جدًا ان يُعرف تمامًا ما لاقت اليونان من الصعوبات في تلك الحروب فاستسهلتها

فذكر ان قورش لما تغلب على بلاد مادي اخذ يتقدم في فتوحاتهِ فراعت

قوتهُ الهائلة قلب الملك كريسوس واراد ان يضعفها فجر على نفسهِ جيوش قورش وانكسر وفتحت بلاده . فسنحت بذلك فرصة لهيرودوتس أن يذكر تاريخ الليديين لكنهُ لم يفعل كما يقتضي المقام فكان يجب ان يذكر لمحة على الاقل من تاريخ اولئك الملوك الذين تغلبوا على اكثر يونان اسيا ومع ذلك انبأ عا المقصد في اسلوب تاريخهِ ذكر شيئاً قليلاً عن اولية مملكة مادي ونجاحها وانقراضها

وكان قورش بعد ذلك الفتح قد اوعز الى قواده ان يتغلبوا على يونان اسيا ومضى بنفسهِ غازياً اهل بابل ومن اتصل بهم من الشعوب فاخضعهم . فهنا لم يذكر هيرودتس الا الامور المهمة ضارباً صفحاً عن ذكر تاريخ امتين غلبهما قورش وهما البقطرية والساقة وانما اسهب قليلاً في الكلام عن المساجيتة لان محاربة قورش اياهم كانت شوماً عليهِ وهلك في احدى المعارك التي كانت بينهُ وبينهم

وخلف قورش ابنه قمبيس وكان معجباً بقوتهِ فتقدم الى الديار المصرية غازياً وكانت في تلك الايام اشهر بلاد الدنيا واخذ اليونان يسافرون اليها لمصالحهم التجارية على الاكثر وقليلاً للتفرج والتعلم فكان من اللزوم الشديد ان يعرفوا حقيقة احوالها ومحاصيلها وعاداتها ودياناتها وتاريخ ملوكها فخص بذلك هيرودتس الكتاب الثاني من تاريخهِ . كما ستعلم

وبعد ما تغلب عليها قمبيس عاد لخلع سمرديس المجوسي المختلس فعرض لهُ عارض هلك بهِ وبعد موتهِ بقليل اكتشفت خيانة سمرديس هذا فقتل وانتخب للملك دارا الاكبر ( داريوس الاول ) وكان البابليون قد خلعوا الطاعة فغزاهم وتغلب عليهم وكان طامعاً فاراد ان يخضع السكيثيين وكانوا مجهولي الاحوال عند غير الامم المجاورة لهم وكان اليونان يرغبون في الوقوف على احوالهم فانشاوا في مجاورتهم مستعمرات كثيرة في ثراقة والبنطس ( سواحل البحر الاحمر ) وغير اماكن . فلم يسهب هيرودوتس في الكلام عنهم كما اسهب في تاريخ المصريين على انهُ لم يقصر في الافادات اللازمة لليونان من هيئة حكومتهم وعاداتهم ووصف بلادهم . والذين سافروا من المتاخرين الى بلغاريا والبغدان وبسرابيا ونسرنبغوف واكرانيا والقريم وقزق الدون وجدوا ان وصفه كان مدققاً جداً

غير ان داريوس رجع مفشولاً لثورة اهل ايونيا الذين لم يكونوا يعرفون حقوق الحرية ولا يذعنون لحقوق الاسترقاق وكانوا قد تحققوا ان الاثينيين يمدونهم بالنجدات ففعلوا لكن لا كما أمل الايونيون على ان النجدة التي وصلتهم كانت سبباً لاحراق سرديس فاهتم دارا لينتقم من الاثينيين فاخضع اولاً الايونيين ثم ارسل جيشاً كثيفاً الى الاثينيين فانكسر في معركة ماراثون وبلغ الخبر دارا فغضب جداً واخذ يجهز جيشاً اعظم وفي اثناء ذلك خلعت مصر طاعته فاضطر ان يعود ويخمد فتنتها ويرجعها الى ربقة الطاعة ثم عاد يتاهب للقاء الاثينيين لكنه توفي بعد وقت قصير فتوقف العمل فخلفه ابنه زارش (كزرسيس) وكان طماعاً فتاكاً كابيه فلم يكتف باخذ الثار من الاثينيين بل عزم على اكتساح كل اغريقية فجمع من الجيوش عدداً لم يسمع بمثله في ذلك الزمان وجهز اسطولاً عظيماً واقام سنوات عديدة يرسل بالمؤن الى المدن المتاخمة لليونان لتكفي تلك الجيوش الجرارة فصادف اولاً فشلاً في ترموبيلة ثم انهزم اسطوله في سلامين فرجع الى بلاده خاسئاً وقد ابقى في اغريقية قائده الاكبر مردونيوس مع نخبة الجيوش فانكسر مردونيوس في بلاتية وهلك هو واكثر الجيش . وفي نفس يوم بلاتية جرت معركة شديدة في ميكالة من كاريا استظهر فيها الاغريقيون وفازوا بنصر جليل

وهنا ينتهي تاريخ هيرودوتس فقد ظهر من هذه الديباجة ان العلاقة شديدة بين كل اقسام هذا التاريخ الجليل وانه لا يمكن حذف قسم من اقسامه ما لم تقع عربسة في حوادث الاقسام الاخرى وان المورخ سلك فيه منهج الاختصار واذا اسهب في بعض الاماكن فذلك لكي ينبه بزيادة افكار المطالعين فينالوا بذلك الفوائد التي يلتذون بها ويحتاجون اليها

# الكتاب الاول

## من تاريخ

## هيرودوتس الشهير

## عنوانهُ كليو (١)

قال هيرودوتس الهاليكرناسي ان الغرض من ابحاثهِ الدقيقة هو ان يحفظ من النسيان ذكر وقائع الاجيال الماضية والحاضرة وعظائم الاغريقيين والبربر «٢» واعمالهم العجيبة ويوضح الاسباب التي اوجبت انتشاب الفتن والحروب بينهم ٠

---

١ هذه الاولى من المعبودات المسماة موسس ونسبتهنَّ الى الموسيقى على طريق التغليب لان كل واحدة منهنَّ موكلة على زعم الخرافة بفن من الفنون وهنَّ تسع كما اشرنا في المقدمة. اولهنَّ كليو وهي موكلة بفن التاريخ والثانية اوترپي وهي موكلة بالموسيقى والثالثة ثاليا وهي موكلة بالروايات الهزلية والرابعة ملپوميني وهي موكلة بالروايات الحزنية والخامسة ترپسيخوري وهي موكلة بفن الرقص والسادسة اراتو وهي موكلة بالشعر والسابعة بوليمنية وهي موكلة بالفصاحة والاغاني والثامنة اورانية وهي موكلة بعلم الافلاك والتاسعة كليوپي وهي موكلة باشعار الحماسة كالملاحم ونحوها٠ ذكر في الخرافة انهنَّ ولدن من جوبيتر ومنيموسينَ معبودة الذاكرة وكنَّ عذارى عفيفات مسكنهنَّ مع جوبيتر في واحد من جبال اربعة اشهرها برناسوس ومما خصص لهنَّ الحصان العجيب المسمى بيغاسوس* ح * ٢ سنجري في تعريب بعض الاعلام على اصطلاح العرب ونخصص بالاسم الاصلي كل امة فالاغريقيون مثلاً يراد بهم كل الامة المسماة الان باليونان على ان اليونان في الاصل يراد بهم الامة التي كانت مواطنها بلاد ايونيا والبعض يقول في تعريبهم ايونيون تقربا للاصل وهم نفس اليونان الذين تغلب اسمهم على سائر اهالي اغريقية٠ واما لفظة البربر هنا فيراد بها كل امة سوى الاغارقة كما ان العرب يسمون اعاجم

✻ ١ ✻ ان الفرس البارعين في معرفة تاريخ بلادهم ينسبون الى الفينيقيين المبادأة في العدوان بدعواهم ان هؤلاء يوم جاؤوا من سواحل بحر اريثرية (البحر الاحمر) «١» الى شاطىء بحرنا سافروا في البحر مسافة طويلة حالما استقروا في البلاد التي اتخذوها موطناً لهم الى الان وطفقوا يتاجرون بالبضائع المصرية والاشورية بان ينقلوها الى عدة اماكن منها بلدة ارغوس وهي التي كانت يومئذٍ اعظم مدن تلك البلاد المعروفة الان باسم اغريقية . وكانوا بحال وصولهم قد باشروا بيع بضائعهم وفي خمسة او ستة ايام نفدت بجملتها وكانت جماعة من النساء وفي جملتهن ابنة الملك ايناخوس المدعوة «يو» وبهذا الاسم كان يدعوها الاغارقة ايضاً قد اتين للابتياع . قال مؤرخو الفرس وبينما اولئك النساء يبتعن من البضائع ما يروق لهن هاج الفينيقيون عليهن بعضهم بعضاً فتواثبوا وسبوا «يو» وبعض النساء معها وفرّ منهن الاخر ثم انزلوا المسبيات الى المراكب واقلعوا بهن قاصدين نواحي مصر

✻ ٢ ✻ ذهب مؤرخو الفرس الى ان «يو» أُحضرت الى مصر على هذه الصفة وخالفهم في ذلك مؤرخو الفينيقيين . اما بدء الخصومة بينهم وبين الاغارقة فكان على الوجه المذكور انفاً . وزعموا ايضاً انه بعد ذلك توجه قوم من الاغارقة بسفائنهم (لم يذكروا اسماءهم ولعلهم كانوا من اهل اكريت) الى مدينة صور من اعمال فينيقية وارسوا في مينائها ثم اختطفوا اوروبة ابنة الملك ولا جرم ان عملهم هذا كان من قبيل اخذ الثار الا انه على راي المؤرخين الفرس المار ذكرهم كان فتنة ثانية موجبة طائلة اللوم على الاغارقة وحدهم بسبب اتيانهم بمراكب مستطيلة «٢» الى آيا من

---

الامم التي ليست بعربية لا الفرس فقط . وان كانوا يسمون كل امة باسمها الحقيقي ✻ ح ✻

١ كان من عادة هيرودوتس في الغالب انه اذا اراد التكلم عن شعب اول ما يتقصى البحث عن حقيقة اصله فمن ذلك انباؤه ايانا هنا بان الفينيقيين كانوا قاطنين شواطئ البحر الاحمر قبل ترحلهم الى بلاد فينيقيه المدعوة باسمهم وفي الواقع انك ترى هناك بقرب هيبوس وهي فرضة على جون ايلة مدينة كان اسمها في القدم فينيكوم او بيدوم اي مدينة الفينيقيين وهي تبعد عن شواطئ فينيقية من مائتين الى ثلاثة فرسخ ✻ ل ✻

٢ ان المراكب المستطيلة كانت معدة للحرب والمستديرة كانت للتجارة واول من انشأ

بلاد كلخيدة الواقعة على جانب نهر فاسس وبعد اتمامهم ما اتوا لاجلهِ من الشغل اختطفوا ميديا ابنة الملك فارسل ابوها الى الاغارقة سفيرًا في طلب ابنتهِ واقتراح ترضية لهُ في مقابلة هذه الاهانة وكان مما اجاب بهِ الاغارقة ان اهل كلخيدة «١» من حيث انهم لم يبدوا ترضية عن اختطاف الفينيقيين الفتاة «يو» لم يكن عليهم ايضًا ان يبدوا ترضية عن اختطاف ميديا

﴿٣﴾ قال المؤرخون انفسهم ان في الجيل التالي عقيب هذه الاختطافات حدث ان اسكندر (باريس) بن برياموس «٢» سمع بذلك فسولت لهُ نفسهُ ان يتخذ لهُ امرأَة اغريقية سبيًا لاعتقاده النجاة من القصاص كما جرى لمن سبقوهُ فاختطف هيلانة ثم علم الاغارقة بامرهِ واجتمعوا وقر رايهم على انهم يرسلون اولًا سفراء في استرجاع هذه السيدة وطلب الترضية عن هذه الاهانة فتصدى لهم التروادبون وابوا ان يؤدوا لهم ترضية بدعواهم انهُ لا يسوغ لهم طلب الترضية اذ انهم لم يصنعوا ذلك بعد ان اختطفوا السيدة ميديا وطلبت منهم

﴿٤﴾ وذكروا ايضًا انهُ حتى ذاك الحين لم يكن الَّا اختطافات من كلتا الجهتين وبعد ذلك اساء الاغارقة بِبادأتهم اهل اسيا بالحرب قبل ان يشهر اهل اسيا حربًا فاذا حسب اختطاف النساء ضربًا من الاعتداء فالانتقام بسببهِ يحسب ضربًا من الجنون واحرى بالحكيم العاقل ان لا يتأَثر منهُ اذ بالطبع لا يمكن حصول هذا الامر الا بموافقة الفريقين وهما الخاطف والمخطوف واكد الفرس بقولهم مع كوننا نحن من سكان اسيا لم يعد يخطر ببالنا امر اختطاف النساء الذي حصل في جهتنا اما الاغارقة فانهم لاجل امرأَة لقدمونية جهزوا الاساطيل وسير وها نحو



سفينة مستطيلة الارغونوت وفي اول اصطناعها لم يكن قصدهم بها الحرب ولكن بعد ذلك خصصوها القتال *ل* ١ بلاد كلخيدة موقعها في الجنوب الشرقي من البحر الاسود في اسفل جبل قوقاس في نواحي طرابزون ونهر فاسس هو المسمى الان فزل ارمق واما الارغونوت فهم جماعة من ابطال الاغارقة ذهبوا مع ياسون لاخذ الجزة الذهبية من كلخيدة وكانت سفينتهم تسمى ارغو فسموا اليها وكان ذلك سنة ١٢٣٠ ق ٠ م٠ فنالوا مرامهم بمساعدة ميديا ابنة الملك لانها احبت ياسون *ح* ٢ برياموس هو ملك تروادة المشهور

اسيا قد مروا بها لملكة بريا موس ومذ ذاك حمل الفرس على الاغارقة ضغنًا وصاروا اعداء الدّاء لهم لادعائهم المطلقة على اسيا « ١ » وعلى سائر قبائل البربر القاطنين فيها وكانوا ينظرون الى اوروبا واغريقية كانها بلاد داخلية منفصلة

﴿ ٠٥ ﴾ وهكذا نقل الفرس اخبار تلك الحوادث فقالوا ان علة معاداتهم الاغارقة انما كانت ناشئة عن اخذ ايليون « ٢ » اما ما كان من امر « يو » فان الفينيقيين على خلاف بصددها مع الفرس فيقولون انهم لم ياتوا بها الى مصر سبيًا بل بسبب مباشرتها في ارغوس لرئيس المركب وشعورها بالحبل فخافت من اقاربها فلجأت الى سفينة الفينيقيين طمعًا باخفاء عارها. قال المؤرخ هذا ما رواه الفرس والاغارقة اما انا فلا احكم بترجيح قول احد الفريقين في هذا الشان على اني بعد ايراد مما اعرفه من السبب الاول في اهانة الاغارقة لا بد لي ان اعود الى استيفاء ما انا بصدده من الكلام الشامل الممالك الكبيرة والصغيرة فاقول ان من كانوا في بسطة من العز والقوة قد اضحوا في حالة الذل والهوان وان من هم في ايامنا اعزاء لم يكونوا فيما سلف من العز في شيء ومن اليقين ان حالة المرء غير ثابتة فلذلك ينبغي ان انهج في كلامي عن الجميع منهجًا واحدًا كما ترى

﴿ ٠٦ ﴾ اعلم ان كريسوس بن الياطس مولده ليديا وهو طاغية الشعوب القاطنة داخل مجرى نهر هاليس الذي يمر جنوبًا في بلاد السريان (كبادوكية) وبفلاغونية ويصب شمالاً في بحر بنطس (البحر الاسود) وفيما اعلم ان هذا الملك هو اول ملوك البربر الذي ضرب جزية على مصر والاغارقة واتحد مع البعض الاخر منهم فخضع له اليونانيون والايوليون والدوريون المستوطنون في اسيا وعقد محالفة بقصد التعاضد مع اللقدمونيين وقبل تملكه كان الاغارقة كافة في حال الحرية اما حملة القمريين على اليونان السابقة عهد كريسوس فانها لم تكن

١ دعوى الفرس ان اسيا كانت في حوزتهم كما يستفاد من الفقرة المائة والخامسة عشرة من الكتاب التاسع فيحسبون كل اهانة المت باحد شعوب اسيا واقعة عليهم *ل* ٢ اسم قديم لمدينة تروادة سميت باسم ايلوس بن تروس احد ملوكها القدماء . وسميت بهذا الاسم ايضًا مدينة اخرى صغيرة مجاورة لترواده *ح*

# الكتاب الاول

الا غارة انتهت ببعض اسلاب وغنائم ولم يصر امرها الى دمارمملك «١» .

٧٠ وعلى الكيفية الاتية انتقلت السلطة التي كانت مختصة بالهرقليين الى عائلة مرمناد التي منها كريسوس وذلك ان قندول الذي يسميه الاغارقة ميرسيل كان طاغية سرديس وهو من سلالة الكيوس بن البطل هرقل لان اغرون بن نينوس حفيد بعلوس ابن حفيد الكيوس هو اول من تملك من الهرقليين على سرديس وكان قندول بن ميرسوس آخر المالكين عليها. اما ملوك هذه الديار الذين سبقوا اغرون فانهم متسلسلون من ليدوس بن آتيس الذي نسب اليه اهل تلك البلاد فدعوا ليديين وكانوا يدعون قبل ذلك ميونيين وغاية ما يقال ان الهرقليين الذين قلدهم اولئك الملوك ادارة الحكومة وهم من نسل هرقل مولودون من جارية كانت عند يردانوس وقد اوتوا الملك بواسطة وحي فتوارثوه ابنا عن اب مدة خمسمائة وخمس سنين في خمسة عشر جيلاً حتى انتهى الملك الى قندول بن ميرسوس

٨٠ وكان هذا الملك هائماً بحب امرأته ويراها اجمل النساء ولشدة شغفه بها لم يكن يفتر عن المبالغة في الحديث عن جمالها مع جيجيس بن دسكيلوس احد حجابه وكان مقربًا اليه جدًا حتى انه كان يطلعه على مهام اشغاله ودخائل اموره ولما كان ما قدر على قندول محتومًا ما لبث ان خاطب جيجيس بهذا الكلام وهو « اني اخالك لا تثق بقولي عند اطرائي لك بمحاسن امرأتي اذ ليس السمع كالبصر



١ كريسوس هو المشهور بكثرة المال وقيل هو المتمول الذي تسميه العرب باسم قارون والطاغية يراد به كل ملك يغلب هيئة مملكة ويستبد بها ظلمًا او عدلاً

وهاليس هو نفس نهر قزل ارمق اكبر انهار اسيا الصغرى عليه جرت الموقعة العظمى بين الياطس وكيازارش سنة ٥٩٢ ق ٠ م ٠ وكسفت الشمس فتوقفت الجيوش عن القتال جزعًا

واليونان يراد بهم هنا سكان ايونيا كما سبقت الاشارة

والدوريون امة عظيمة من الاغارقة اعظم مواطنهم كانت بنواحي فوقيدة وشماليها وسياتي لهم ذكر

والقمريون بتشديد الميم امة كانت مواطنها سواحل بحر ازوف وانتقلوا بالحروب الى جهات البنطس وافتتحوا ليديا واخذوا سرديس فاوقع بهم الياطس وطردهم سنة ٦١٠ ق ٠ م ٠ *ح*

«تفيدولي ان اريكها مرةً عريانةً فاجهد معي لابلغ بك هذا المرام» فصاح جيجيس قائلاً « مولاي ما هذا الكلام فاني انكرهُ الأَ على المجانين هلا ترويت به كيف
« تبيح لنفسك ان يرى الملكة عريانة او ما تعلم ان حرمة الامرأة ممنعة بثيابها وان لابد
« لنا من مراعاة الاداب المقررة منذ ما لا زل واتخاذها لنا دستورًا في اعمالنا فان
«جل مقتضياتها يوجب على كل احد منا ان يقتصر في النظر على ما يخصهُ
«وانا موقن بان امراتك تفوق نساء العالم جمالاً . ناشدتك الله ان لا تسومني فعلاً
مخلاً باصول الاداب »

۹ ٠ فلحظ الملك ان امتناع جيجيس عن قبوله ما عرضهُ عليه كان مخافةً على نفسه من سوء العواقب فقال له «لا تخف مني يا جيجيس لاني لم اقصد في كلامي ان
«انصب لك مكيدةً امتحنك بها ولا من الملكة اذ لا يلحقك من قبلها مضرة البتة فاني
«اجعل لك طريقة بحيث يمكن لك النظر اليها وهي لا تدري بك وذلك باني اجعلك
«في حجرة منامتنا وراء الباب واغادره مفتوحًا حتى اذا جئت انا والملكة ودخلنا
الموضع تتجرد من ثيابها وتضعها على كرسي فيتيسر لك في خلال ذلك ان تراها
« عريانة فاذا ادارت ظهرها لتصعد السرير فبادر الى الخروج متسللاً قبل ان
« تنتبه اليك »

١٠ فراى جيجيس ان لا بد له من امتثال امر الملك فاستعد لاتمامه ولما كان وقت الرقاد ادخله الملك الحجرة وما لبث ان دخل والملكة تتبعهُ فخلعت عنها ثيابها فرآها جيجيس ولما عمدت الى الفراش انساب جيجيس خفيةً ومضى لكنها لحظتهُ خارجًا وايقنت ان زوجها سامه ذلك ومنعها الحياء ان تصرخ او تبدي به علمًا فكتمت غيظها على قندول بسبب هذه الفضيحة . وكان من عادة الليديين واكثر قبائل البربر ان يحسبوا عارًا على المرأة بل على الرجل ايضًا ان يرى عريانًا

١١ ولبثت الملكة مستكينة «١» ولم تبح بما في نفسها حتى تبلج الصباح ورات

١ حكي ان امرأة قندول التي اغفل هيرودوتس ذكر اسمها كانت تدعى نيسيا وان انسان عينيها كان مضاعفًا وكانت تمر عليه حجرًا يسمى حجر التنين فيصير بصرها حادًا جدًا وهكذا رأت جيجيس خارجًا من الحجرة وبعضهم يدعوها تودوس وآخرون كليتا

من الضباط من تثق به فامرته باحضار جيجيس وهو لم يكن يحسب انها شعرت به وحين مثل بين يديها قالت له « يا جيجيس اني جاعلة لك طريقتين تختار احداهما «على الفور وهما اما انك تقتل قندول وتكون لي عوضه وتستبد بتخت الملك في «ليديا او ان تمات في الحال فان اخترت الاولى يعود ما اتمت به مهابة لقندول «غير منكر عليك فيما ياتي والخلاصة انه لابد من هلاك احدكما اما انت فلأنك انتهكت «حرمتي بنظرك الي وانا عريانة واما ذاك فلأنه سبب هذا الانتهاك المستفظع» فاطرق جيجيس ثم استغاث بالملكة لانه ثقيلة من اختيار احد هذين الوجهين ولما رآها مصرة على طلبها واعية الحيلة في اقناعها وصار من المستلزم هلاكه او هلاك مولاه آثر البقاء لنفسه فقال لها « حيث لم ترثي لحالتي وابيت اجابة سؤلي « واكرهتني على قتل مولاي فامهليني ريثما اتخذ من الوسائل ما اتم به مرادك» فقالت له « ينبغي لك ان تعلم ان العمل لابد ان يكون في نفس المحل الذي كمنت « لي به وانا عريانة وان ذلك يكون في حال رقاده»

⁂ ١٢ ⁂ وبعد ان استقر الراي على هذا الوجه امسكته عندها ولم يبق له منها مناص فتعين عليه اذ ذاك اما هلاكه او هلاك قندول ولما كان الليل ادخلته الحجرة وقلدته من السلاح خنجرًا وو ارته خلف الباب فلبث هناك حتى دخل قندول ونام فوثب عليه وضربه بالخنجر ضربة قاضية «١» وتبوأ تخت ملكه واتخذ

---

ومذهب اباس لو اسمها ابرو ومن تأويلاتهم ان هيرودوتس لم يسمها لانه كان له صديق يدعى بلازيروس وكان مغرمًا بحب معشوقة من هاليكرناس تدعى باسم الملكة نفسه فلما خابت آماله من وصالها خنق ذاته فتشاءم هيرودوتس من ذكر هذا الاسم *ل*

١ وفي ذكر هذه الحادثة اقوال . قال افلاطون ان جيجس كان يرعى مواشي ملك ليديا فوجد خاتمًا بيد رجل ميت داخل تمثال حصان من نحاس وعلم ان فيه سرًّا وهو اذا ادخلت فيه احدى الاصابع اختفى لابسه عن العيان فراسل الملكة بواسطة احد الرعاة واغراها على قتل قندول . وقال زينيفون ان جيجس كان اسيرًا وهذا لا ينافي ما قاله افلاطون لان الخدم حينئذٍ كانوا اسراء مواليهم . وزعم بلوترخوس ان جيجس حارب قندول وعاونه عليه من جاءهم ارساليس لنجدته وكان من الميليسيين فاستظهر عليه وجند له في حومة القتال . ويظهر ان الاقرب الى الصواب ما قاله هيرودوتس لكونه مرارًا في ليديا فهو

امراته. وقد جاء بذكر هذا الملك خيلوكوس الباروسي «١» في بعض قصائده وهذا كان من اهل ذاك العصر

﴿ ١٣ ﴾ وهكذا تبوأ جيجيس عرش الملك واقره عليه ما ألقي من الوحي على كاهنة دلفي «٢» ولما علم الليديون بقتل قندول كبر عليهم الامر فتقلدوا السلاح وثاروا على جيجيس وحزبه ثم اتفقوا في الراي على ان يطلبوا من كاهنة دلفي ان تستشير الاله في ذلك فاما ان يوحي اليها بابقائه ملكاً على الليديين فيبقى والّا فيخلع ويرجع الملك الى الهرقليين فجاء الوحي بتقريره في الملك وهكذا استتب له الامر لكن الكاهنة انبأت بان الهرقليين سينتقمون من سلالة هذا الملك في الجيل الخامس الّا ان هذه النبوة لم يأبه لها الليديون وملكهم ولم تخطر ببال احد قبل ان حان زمانها وعلى هذا الوجه حصل آلى مرمناد على تاج الملك الذي اخذوه من الهرقليين

﴿ ١٤ ﴾ وبعد ان تملك جيجيس على ليديا قدم عدة تقدمات لدلفي واكثرها كان من الفضة وباقيها انية ذهبية في جملتها ستة جامات ذهبية ثقل الواحد ثلاثون وزنة «٣» وهي حرية بان يخلد ذكرها لا محالة ولا تزال محرزة في خزينة

اخبر من سواه بماجريات تلك المملكة * ل *

١ قال شيشرون عن هذا الشاعر انه كان نابغاً في زمن تملك رومولوس على رومية على ان شعره كان لا يخلو من مظنة الاخلال بالاداب عند اللقدمونيين حتى انهم نفوه من بلدهم وكان ما نظمه من الاشعار على فقده ترسه قد اوجب نفيه من اسبرطة ايضاً * ل *

٢ دلفي بلدة من فوقيدة اسمها اليوم قسطري . قائمة على راس جبل برناسوس سميت اولاً بيثو لان الاله ابلون قتل هناك ثعباناً اسمه بيثون فبنيت المدينة تذكاراً لذلك واعتبرت مقدسة واشتهرت بهيكلها المختص بابلون وبما كانوا يزعمون من نزول وحيه هناك على لسان كاهنة مخصوصة يقال لها بيثيا فكثر توارد الامم اليها و وفرت فيها الذخائر مما كان الملوك والاغنياء يرسلون اليها من الهدايا النفيسة * ح *

٣ بحسب تعديل العالم الشهير الاب برتلي تساوي كل وزنة فضة هذه الايام ٥١٠٠ فرنك فتكون قيمة الهدايا المذكورة وهي ٢٩٠ وزنة ٢١٠٦٠٠٠ فرنك مليونين ومائة وستة الاف فرنك اما مصدر ثروة جيجيس وكريسوس فانه كان من معادن ليديا ما بين عطرنه وبرغاموس حتى ضرب المثل بغنى جيجيس * ل *

## الكتاب الاول

القرنثيين التي لم تكن تختص بجمهورية اهل فرنثية بل بنفس كيبسيلوس «١» بن ايتيون وكان جيجيس بعد ميداس بن كوردبوس ملك فريجية اول من عرف بين ملوك البربر باهداء تقدمة لذلفي اذ ان ميداس كان سبقه واودع في هذه الخزينة عرشه الذي كان يجلس عليه للقضاء وهو بالحقيقة يستدعي النظر اليه وموضعه كان حيث وضعت جامات جيجيس المذكور وقد اتخذ اهالي ذلفي اسما لهذه التقدمات من اسم صائغها فسموها جيفاذاس وحاصل الكلام ان الملك المشار اليه لما راى ان الملك استتب له جهز جيشًا وارسله لفتح مدينتي ملطية وازمير وافتتح مدينة كولون وغير ذلك لم يباشر في مدة تملكه وهي ٣٨ سنة امرًا اخر يستحق الذكر

⁂ ١٥ ⁂ والان نتكلم بشان ابنه اردبس الذي خلفه وادخل في طاعته اهالي بريني ووطيء بجيوشه اراضي ملطية وفي ايامه اتى القمريون الذين طردهم من بلادهم قبائل سكيثيا الرحالة فدخلوا اسيا وتملكوا سرديس ما عدا قلعتها

⁂ ١٦ ⁂ وملك اردبس تسعًا واربعين سنة وخلفه ابنه سدياطس واستمر في الملك اثنتي عشرة سنة وخلفه ابنه الياطس فحارب الماديين وكيازارش حفيد ديوكيس وطرد القمريين من اسيا وافتتح مدينة ازمير مستعمرة كولوفون واثار حربًا على كلازومينس فكانت الدائرة عليه فارتد مخذولاً وقد عمل في ملكه اعمالاً اخر سنذكر الاهم منها

⁂ ١٧ ⁂ وكان ابوه سدياطس قد توفي وهو يحارب اهل ملطية فقام مقامه في محاربتهم فقاتلهم قتالاً طويلاً وكان يسطو عليهم كل سنة في حين جمع حواصل اراضيهم من غلال وثمار ويزحف بجيوشه على صوت المزمار والعود



١ كان في هيكل ذلفي منازل اشبه بالقاعات تختص بكثير من المدن وكان بعض الملوك وبعض الاغنياء اذا قدموا للآلهة تقدمات يودعونها هذه الامكنة فيستفاد من هنا عظم خزينة القرنثيين وكيبسيلوس ولا جرم ان ما قاله بلوترخوس عن البيت الذي بناه هذا الملك في ذلفي انما يراد به القاعة المذكورة هنا • ل •

والناي والشبابة وكان اذا وصل الى ارض تختص بهم لا يأذن بهدم الحوانيت واحراقها وتحطيم ابوابها بل يبقيها على حالها ولكنهُ يبيح النهب والسلب فيها وقطع اشجارها واتلاف مزروعاتها ثم يرجع عنها غير محاصر لها لان البحر كان تحت سيادة الملطيين فلم يكن الحصار يجديهِ نفعاً ولم يكن يامر بهدم ابنيتها حتى اذا بقي لهم مساكن يرجعون اليها ويزرعون الاراضي على جاري عادتهم فيحصل لهُ من ذلك ما يمكنهُ من ايقاع المضرة بهم مرة بعد اخرى

* ١٨ * وهكذا دامت الحرب مدة احدى عشرة سنة في خلالها انكسر الملطيون مرتين وكانت خسائرهم جسيمة احداها في موقعة ليمايون والاخرى في موقعة جرت في سهول ميندرة . ومن مدة الاحدى عشرة سنة المذكورة ست كانت في ايام سدياطس بن ارديس ملك ليديا وهو الذي شب نيرانها ودخل بعساكره ملطية وخمس سنين اخر في ايام ابنهِ الياطس الذي واصل الحرب فيها بعد ابيهِ كما ذكرنا وفي كل هذه الحروب لم يكن من اليونانيين نصير لاهالي ملطية الا اهل سافص مقابلة لمساعدتهم لهم عندما حاربهم الاريثريون «١»

* ١٩ * وفي السنة الثانية عشرة بينما كانت عساكر الياطس تحرق الزروع اذ هبت ريح عاصفة فاضرمت النار واتصلت الى هيكل مينرفة المعروفة بالاسيسية وجعلتهُ رماداً واذ ذاك لم يحصل انتباه الى ما جرى ولكن بعد رجوع الياطس بجيوشه الى سرديس اعتراه مرض طال امره فارسل من قبله الى ذلفي من يسال الكاهنة عن علة مرضهِ ولم يعلم هل فعل ذلك برايهِ الخصوصي او بمشورة غيره ومهما يكن من الامر فانهُ بحال وصول رسله الى ذلفي قالت لهم الكاهنة انني لا انبئكم بعلة مرضهِ الا بعد ان يبنى هيكل مينرفة الذي احرقتموه في اسيسوس«٢»

* ٢٠ * هذا ما تلقيتهُ بالسماع عن اهالي ذلفي القائلين بان الامور جرت على هذا المنوال اما الملطيون فانهم يزيدون على ذلك بان برياندروس



١ وهم ينسبون الى اريترية احدى مدن اليونان ٠ ل ٠

٢ اسيسوس بلدة صغيرة من اعمال ملطية فيها هيكل لمينرفة نسبت بسببهِ اليها ٠ ل ٠

ابن كيسيلوس طاغية ملطية حينما بلغهُ خبر ما اوحي بهِ الى الياطس انفذ رسولاً الى تراسيبولس ينبئهُ بما كان من الوحي ليتخذ الوسائل اللازمة لمقتضي الحال

﴿ ٢١ ﴾ فلما علم الياطس بانباء الوحي لم يلبث ان ارسل معتمداً في عقد هدنة بينهُ و بين تراسيبولس والملطيين الى ان يتم تجديد بناء الهيكل و بينما كان المعتمد في الطريق المؤدية الى ملطية علم تراسيبولس بما كان ولم يخف عليهِ مأرب الياطس فتدارك الامر بحيلةٍ وهي انهُ جمع كل ما كان موجوداً من الحنطة عندهُ وعند الاهالي الى ساحة البلد وامر الملطيين بان يكثروا من الولائم والاسراف في المعيشة والملاهي حينما يرون العلم الذي ينصبهُ لهم

﴿ ٢٢ ﴾ وكان مراد تراسيبولس بهذا التدبير ان يري المعتمد القادم وفرة الغلال وسعة عيش الاهالي ورغدهم فيخبر الياطس بما راه وكان كذلك لان الرسول شاهد كثرة الخيرات الحاصلة في ملطية و بعد ان ابلغ تراسيبولس ارادة الياطس رجع الى سرديس وفيما علمت ان ذلك سبب المسالمة بين ذينك الملكين وقد استغرب الياطس عند عودة الرسول اليهِ كيف لم تكن مجاعة في ملطية اذ كان في اعتقاده ان الاهالي في عوزٍ وفاقة لمحل مواسمهم ولم يكن لهم ما ياكلون ثم بعد قليلٍ من الزمان اتفق ذانك الملكان على عقد معاهدة صلحٍ وسلام كما ذكرنا فبنى الياطس في اسيسوس هيكلين عوض الهيكل وشفي من مرضه تماماً وهذا ما كان من امر محاربة الياطس لتراسيبولس والملطيين

﴿ ٢٣ ﴾ اما بريانذروس بن كيبسيلوس الذي اخبر تراسيبولس بانباء الوحي فانهُ كان ملك قرنثية واهالي تلك المدينة يخبرون ويوافقهم بذلك اهالي لسبوس انهُ حدث في ايامه اعجوبة شاهدها بنفسهِ وهي ان اريون المثيمني الذي كان ابرع اهل عصره بضرب القيثارة وفي معرفتي انهُ اول من اخترع النوع من الاغاني المسمى «ديثرمب «١» ومارسهُ في قرنثية قد نُقل على ظهر الدلفين

١ ديثرمب كلمة يونانية مفهومها في القديم رقص وترتيل لباخوس معبود الخمر على صوت المعازف . ل .

الى حد راس تينارس .

✻ ٢٤ ✻ ويؤكدون ان اريون المذكور اقام مدة طويلة داخل بلاط برياندروس الملك ثم اراد السفر الى صقلية وايطاليا وهناك جمع مالاً وافراً فقصد الرجوع الى قرنثية فبينما هب للسفر من مدينة تارنتة واستأجر سفينة قرنثية اذ كان له من الثقة بهذه الطائفة ما لم يكن له في غيرها ولما سارت به السفينة تآمر القرنثيون على اهلاكه وصمموا على القائه في البحر طمعاً بالاستيلاء على امواله . فدرى اريون بمكيدتهم واستحلفهم بان ياخذوا ماله ويبقوا عليه حياً لكن لم تاخذهم عليه رافة بل امروه بان يقتل نفسه اذا شاء ان يدفن بعد موته والاّ فانهم يلقونه في البحر بغير ابطاء واذ يئس من الحياة طلب اليهم اذا كان لا بد من اهلاكه ان يمهلوه ريثما يتشح بثيابه الفاخرة ويغني على مؤخر السفينة ثم يقتل نفسه فراق لهم ذلك اذ يكون فيه لذة لهم بسماع نغم اعظم موسيقي على وجه الارض فانحازوا عنه الى وسط المركب فلبس اريون افخر ثيابه وتناول القيثارة وجلس في مؤخر السفينة وعزف بها على النغم الاورثي «١» ولما انتهى رمى بنفسه الى البحر وهو بالحالة التي كان عليها . وبينما كانت السفينة متلعة نحو قرنثية عرض لها دلفين كما قيل واحتمل اريون على ظهره واوصله الى تينارس حيثما دخل البر وذهب الى قرنثية لابساً الثياب نفسها التي كانت عليه وهناك قص ما جرى له فلم يصدقه برياندروس واحتبسه عنده منتظراً حضور الملاحين وحال وصولهم استدعى بهم واستخبرهم عن اريون فاجابوه بانهم غادروه في تارنتة من اعمال ايطاليا على اتم الصحة وسعة العيش وفي خلال ذلك ظهر لهم اريون بالحالة التي رأوه بها عند ما طرح نفسه في البحر فدهشوا ولم يستطيعوا بعد ذلك انكار جريمتهم . كذا نقل القرنثيون واهل لسبوس هذه الرواية ولم يزل حتى اليوم في تينارس تمثال صغير من نحاس بشخص رجلاً على ظهر دلفين وهو تقدمة من اريون

✻ ٢٥ ✻ وتوفي الياطس ملك ليديا بعد حرب ملطية بمدة طويلة

١ نغم يهيج القتال والظاهر انه قصد بذلك ان يهيج نفسه الى الاستهلاك م ل .

# الكتاب الاول

وبعد ان ملك سبعا وخمسين سنة وهو الثاني من ملوك المرمنادة الذي قدم التقدمات لدلفي شكرًا على نواله الصحة وكانت تقدمته جام فضة كبيرًا وصينية فضة مرصعة «١» وهي انفس التقدمات التي قدمت لدلفي وصاغها المعلم غلوكوس من اهالي ساقس وهو المستنبط صناعة الترصيع .

❋ ٢٦ ❋ وخلف الياطس في الملك ابنه كريسوس وكان عمره اذ ذاك خمسًا وثلاثين سنة وهاجم مدينة افسس وكانت اول ما نازل من مدن الاغارقة وفي حالة حصارها جعلها الاهلون على اسم ديانا «٢» ومدوا حبالاً وصلوا بها اسوارها الى هيكل المعبودة وكان يبعد سبع استادات «٣» عن المدينة القديمة التي كان يحاصرها كريسوس المذكور وبعد ذلك سطا على اليونانيين والايوليين محتجًا بما كان يتهيأ له من الاسباب صحيحة كانت او غير صحيحة

❋ ٢٧ ❋ ولما اذعن له اغارقة اسيا والزمهم باداء الجزية بدا له ان ينشئ اسطولاً له يحارب به اغارقة الجزر واذ كان اعدّ ما يلزم لانشاء السفن حضر اليه في مدينة سرديس بياس البرياني «٤» وفي رواية اخرى ان الذي حضر اليه هو بيتاكوس «٥» الميتليني فسأله عن احوال اغريقية فاجابه باجمله يعدل عن تجهيزاته

---

١ المراد بالترصيع هنا حفر الآنية الفضية والادوات الفولاذية كالسيف مثلاً حفرًا يُنزل ربما يقصده الحافر وتنزيل اسلاك من ذهب او نحوه في ما حفر من الخطوط كما يفعلون بما بادوات الخشب وتنزيل عرق اللؤلؤ . والافرنج يسمون هذا الفن دامسكينور نسبة الى دمشق لبراعة اهلها بهذا الفن ❋ ح ❋

٢ وهي على ما في الحكاية ابنة جوبيتر ولها ثلاثة مقامات احدها في الارض تسمى فيه ديانا اي ربة الصيد والعفة والثاني في السماء تسمى فيه فيبي اي ربة القمر كما يقال لابلون رب الشمس والثالث في الجحيم تسمى فيه هيكاتي اي ربة الفرح والغفران وفي الغالب يصورونها بجبة قصيرة ماسكة بيدها قوسًا ومحتذية بخفين ومتبوعة بغزالة او كلب صيد

٣ الاستادة قياس مساحة مقدار ١٨ مترًا ❋ ل ❋

٤ بياس رجل كان افصح اهل زمانه وفصاحته لم تكن في باقي الفصحاء فانه لم يكن يمارس الفصاحة الا عند مناضلته عن المظلومين ❋ ل ❋

٥ بيتاكوس كان فيلسوفًا عالمًا خبيرًا بامور السياسة حتى قيل ان جزيرة لسبوس لم تات بمثله وكان بارعًا في القوانين فانقذ وطنه من ثلاث مصائب وهي الاستيلاء والارتشاء

التي كان مباشراً لها قائلاً ايها الملك ان الاغارقة يشترون خيولاً كثيرة بقصد ان يهاجموا سرديس ويحاربوك فوثق كريسوس بقوله وقال لعل الالهة تلهم اهل الجزائر ان يهجموا بخيولهم على الليذيين فاجاب بياس ايها الملك يظهر لي انك طامع بان تصافهم على ظهور الخيل داخل البلاد وذلك غير بعيد المنال لولا انهم علموا بشروعك في اعداد اسطول لمهاجمتهم فهل بقي لك الان ان تتوهم انهم يتمنون الا ان يفاجئوا الليذيين بحراً وياخذوا منك بثار اغارقة الداخلية الذين استعبدتهم. فسر كريسوس بهذا الجواب واعتقد فيه الصواب فعدل عن مشروعه الاول وعقد محالفة مع يونان الجزائر

❋ ٢٨ ❋ وبعد زمان غير طويل دخل في طاعة كريسوس جميع القبائل الساكنة امام نهر هاليس الا الكيليكيين والليكيين والقبائل المذكورة هي الفريجيون والميسيون والماريندينيون والخاليبة والبفلاغونيون وثراقيو اسيا اي الثينيون والبيثينيون والكاريون واليونان والدوريون والايوليون والبمفيليون

❋ ٢٩ ❋ فلما حصل من تلك الفتوحات العظيمة ما اعظم شان مملكة ليديا صارت مدينة سرديس ذات رونق وفلاح عظيم حتى ان جميع الحكماء الذين كانوا حينئذٍ في اغريقية ذهبوا اليها من تلقاء انفسهم وكان في جملتهم سولون الفيلسوف الذي سنّ قانوناً للشريعة اجابة لسؤال اهل اثينا وطنه وساح مدة عشر سنين متظاهراً بقصد الاستقصاء عن عادات الامم المختلفة ومقصده الحقيقي كان ان لا يضطر احد الى ابطال شيء من الشرائع التي سنها لان اهل اثينا لم يعد في امكانهم ذلك من حيث القسم الذي اقسموه بالمحافظة على قوانينه مدة عشر سنوات

---

والحرب وكان لم يزل حياً في ايام كريسوس ويغلب على الظن ان كريسوس فتح فتوحات اخرى في حياة ابيه لان هيرودوتس ينسب تلك الاراء الى بيتاكوس. وقيل انه توفي قبل ان تولى كريسوس فيستدل من ذلك ان هيرودوتس كان يظن ان بيتاكوس بقي حياً الى ذاك الحين. ل.

﴿ ٢٠ ﴾ . وهكذا خرج سولون من اثينا للبحث في عادات الامم فذهب اولاً الى مصر عند الملك اماسيس ومن هناك توجه الى سرديس ودخل بلاط الملك كريسوس فاحسن استقباله واكرم مثواه وانزله في نفس قصره وبعد ثلاثة او اربعة ايام صدر امر الملك بان يروه محل الجزينة ويطلعوه على جميع الكنوز فبعد ان شاهد سولون ما شاهد وحقق النظر فيه قال له الملك « ان « اخبار حكمتك وسفرك ذاعت حتى بلغت الينا واني لاعلم ان جل مرادك في « تحمل مشاق السفر في البلدان انما هو لاستقراء العادات والشرائع متمماً لمعارفك « على انني اود لو اعلم منك من هو الانسان الذي رأيته اسعد رجل » قلت وقد سأله ذلك لانه كان يعتقد نفسه اسعد البشر في الدنيا . فاجابه سولون من غير موارية ولا تمويه « ان اسعد من رأيت انما هو تلوس الاثيني » فانكر عليه الملك جوابه وقال بحدة « فيمَ تحسب تلوس سعيداً » فاجاب سولون « لانه عاش في « مدينة زاهرة وخلف اولاداً ذوي جمال وفضيلة ورأى لكل منهم بنين لم يفجع « بموت احد منهم في حياته . وبعد ان حصلت له ثروة وافرة بالنسبة الى بلادنا ختم « ايامه بميتة ممجدة مخلداً له ذكراً جميلاً لانه يوم انتشب القتال بين اهل اثينا « وجيرانهم اهل ايلفسيس قام بنصرة ابناء وطنه فخذل العدو وتوفي بمجد عظيم « فبنى له اهل اثينا ضريحاً جليلاً على نفقة الشعب في نفس المحل الذي قتل به « ودفنوه باحتفالات عظيمة »

﴿ ٢١ ﴾ . فحصل من قول سولون في سعادة تلوس ما شوّق كريسوس الى ان يسأله ايضاً عمن يحسبه اسعد البشر بعد هذا فاجاب سولون « يحسب « كليوبيس وبيتون من اهل ارجية فقد حصلا على ثروة عظيمة اكتسباها « بالعدل والكرامة وكان كلاهما قويين ونالا الجائزة على براعتهما في الملاعب « العامة ومما نقل عنهما انه لما كان اهل ارجية يحتفلون بعيد المعبودة يونون وكان لا « بد لامهما لانها كاهنة من أن تذهب الى الهيكل في مركبة يجرها ثوران ولكن حان « وقت الدورة الاحتفالية ولم يبقَ لذينك الشابين من الزمن ما يكفيهما ان

«نهضيا الى الحقل لاحضار البقر وضعا النير على مناكبهما عوض البقر وجرا المركبة التي
«ركبتها امهما مسافة خمس واربعين اسنادة و بعد هذا العمل الذي شاهده الجمهور
«كافةً انتهت ايامهما على غاية ما يرام من السعادة وقد اظهرت العناية الالهية بهذه
«هذه الحادثة ان الموت للانسان افضل من الحياة وذلك ان اهل ارجية اجتمعوا
« حول ذينك الشابين ينشدون الاناشيد والمدائح على حسن سجاياهما مقدمين
« التهاني لامهما بما رزقت من الحظ السعيد بهما فحصل عندها من الطرب بالمديح ما
« جعلها تنتصب تلقاء تمثال المعبودة وتبتهل اليها ان تمنح ولديها شرفًا باذخًا
« ما يمكن ان يناله الانسان الثاني وحين اكملت طلبتها وتقديم الضحايا المعتادة في
« مثل هذه المواسم رقد الشابان المذكوران في الهيكل نفسه ولم يستيقظا بعد ذلك
« وهكذا قضيا عمرهما فعدهما اهل ارجية من افضل الناس فاقاموا لهما تمثالين
« وارسلوهما الى هيكل دلفي «١»

❋ ٣٢ ❋ فنتج من كلام سولون ان لكليوبيس وبيتون المقام الثاني من السعادة فحنط كريسوس الملك وقال « ايها الاثيني ألعلك تعاميت عن سعادتي حتى انك
« لم تحسبني نظير هذين الرجلين وهما من عامة الناس » فاجاب سولون « مولاي
« انت سالتني عمن رايت في هذه الدنيا اوفر سعادة وهل يمكنني ان اخبرك بخلاف
« الواقع بما اعرفه وانا عالم ان الآلهة تغار من توفيق البشر فيسرها نكد معيشتهم
« لانه مهما طالت حيوة الانسان تكثر عليه النكبات فينقلب من حال الى حال

---

١ كان في هيكل ابلون الليكي الكائن في ارغوس تمثال بيتون حاملاً على عاتقه ثورًا وكان فيه ايضاً تمثالا كليوبيس و بيتون من رخام بحجران مركبة فوقها والدتهما ذاهبين بها الى هيكل يونون *ل*

واما يونون هذه او جونون فهي على ما في الحكاية ملكة المعبودات ابوها ساترنوس (زحل) و زوجها جوبيتر (المشتري) وهو اخوها ايضاً ولدت منه ثلاثة معبودات ثم ولدت المريخ بدون مباشرته لانه هو ولد مبذرفة من نفسه . وينسب اليها من الطباع الكبرياء والحسد وسرعة الغضب وشدة الحقد وكانت تشدد في اضطهاد معشوقات بعلها واولاده منهنّ فغضب عليها جوبيتر اخيرًا وعلقها بسلسلة ذهبية بين السماء والارض . وكان لها هياكل في مدن كثيرة يونانية و رومانية *ح*

« وفي كل ذلك يعاني من الجهد والكد ما يعاني فلنفرض لامرء انه يعيش سبعين
« سنة وهي تعادل خمسة وعشرين الف ومائتي يوم هذا اذا لم تحسب ايام الكبيس
« الصلة اضيف اليها شهر في كل ست سنين اجراء للفصول في اوقاتها فانه يحصل
« من سبعين سنة اثنا عشر شهر كبيس الا ثلثي شهر عبارة عن ثلثماية وخمسين يوماً
« فيكون الحاصل خمسة وعشرين الف وخمسماية وخمسين يوماً جملتها سبعون
« سنة . لا يجد في كل هذه المدة سنة حدث فيها مثل ما حدث في غيرها بالتمام
« فيدلنا ذلك ان الانسان لا يزال متقلباً في احواله فانت ايها الملك ذخر غني
« وثروة وسيادة على كثير من الناس ولا يمكنني ان اجيبك على سوالك قبلما تنقضي
« ايامك بسلام لان من كان في ذروة اليسار لا يعد اسعد من الرجل الحائز
« على احتياجاته فقط اللهم اذا لم يواته الدهر دائماً بما ينيله كل راحة ومسرة حتى
« انقضاء ايامه لان الرزايا تكثر غالباً في حالة الرفاهية والسعادة تعظم في حالة
« الخمول واعلم ان الرجل الموسر اذا كان غير موفق لا يفضل على الفقير الموفق
« الا بامرين اما الفقير الموفق فانه يتميز على الغني بامور كثيرة نعم ان صاحب
« الثروة لقادر ان ينال كل ما تتمناه نفسه وان لزمه في ذلك خسائر جسيمة فلا
« يبهظه حملها لكن الفقير وان تعذر عليه ان يفوز بما تشتهيه نفسه اذ لا يقدر على
« تحمل الخسائر فان ما يكون له من التوفيق يغنيه عن كلا الامرين المذكورين
« ويفضل على الغني اولاً بان يتأتى له ان يتصرف باعضاء جسده كلها متمتعاً بصحة
« وافية لا يشعر بالمصائب ويكون سعيداً ومتمتعاً بالبنين خصوصاً اذا اضفنا الى
« هذه النعم موتاً حميداً فحقاً ان هذا هو الرجل الذي انت طالبه وهو الجدير بان
« يسمى سعيداً فلا ينبغي ان يحكم على انسان قبل موته بالسعادة بل يقال عنه انه
« موفق فقط الى ان يقضي اجله اذ لا يمكن لبشر ان تجتمع له كل هذه المواهب كما
« انه لا يوجد بلاد مكتفية في ذاتها وجامعة كل خير لانها اذا حصلت على بعض
« الخيرات فلا بد ان تخلو من بعضها فعندي ان احسن الناس حالاً انما هو
« الفائز باكثرية النعم آمناً عليها حتى اخر حيوته فيبارح هذه الدنيا بالسلام
« والراحة فالذي اراه ايها الملك ان من ذكرت هو الخليق بان يدعى سعيداً فبقي

« ان ننظر الى مصير كل شيء ونتبصر في العواقب فقد طالما ينال بعض الناس « سعادة ثم يسلبها »

❊ ٣٣ ❊ اورد سولون كل هذا المقال ولم يكن في قوله شيء يجبر كريسوس او يدي له الاحترام فطرد من البلاط وحسب جافي الطباع اذ لم يكن يراعي قرائن الاحوال بل اراد ان يحصر قيمة كل شيء في اخرته

❊ ٣٤ ❊ وبعد ان سافر سولون حلت نقمة الالهة على كريسوس حلولاً هائلاً وكان ذلك قصاصاً له لاحتسابه نفسهُ اسعد البشر وبعد قليل راى في الحلم مصيبةً عظيمة تهدد احد ولديهِ لان احدهما كان تعيساً طبعاً اذ انهُ كان اخرس والاخر كان فائقاً على جميع اترابهِ في كل شيء واسمهُ آتيس وهو الذي حلم كريسوس بهلاكه بقطعة سلاح من حديد ولما افاق الملك فكر في حلمهِ مرتعشاً وبالحال ازوجهُ بامرأة وابعده عن العسكر الذي كان تحت امرته في الاسفار واخلى ما كان يتردد اليهِ من الحجر من الخناجر والاسنة وكل سلاح جارح يستخدم بالحرب وجمعها في المخازن وقاية له من ان يقع عليهِ شيء منها

❊ ٣٥ ❊ وبينما كان كريسوس متلاهياً بعرس ابنه اذ جاء الى سرديس رجل فريجي شقي ويداه غير طاهرتين فولج البلاط وطلب الى كريسوس ان يطهره على ما جرت بهِ شرائع البلاد فطهره الملك وكانت الكفارات عند الليديين كما كانت عند الاغارقة «١» وبعد اجراء احتفالات التطهير اراد

١ قال شارح اشعار اوميروس في تفسير البيت الاربعمائة والثمانين المذكور في اخر كتاب من قصيدتهِ الالياذة. كان من عادة الاقدمين ان كل من ارتكب جريمة القتل على غير عمد يهرب من بلاده ويدخل بيت احد الاغنياء ويتغطى ويجلس ويطلب من صاحب البيت ان يطهره الا ان احسن من كتب جلياً بخصوص التطهير وعاداته انما هو ابولونيوس الرودسي فقال ان القاتل كان يجلس صامتاً حول كانون النار مطرقاً براسهِ الى الارض ثم ياخذ آلة القتل ويدخلها التراب فيستدل من ذلك المستغاث بهِ ان المراد هو التكفير عن القاتل فياخذ خنوصاً ويذبحهُ ويفرك بدمه ايدي القاتل ثم يصب ماء زلالاً ويستشفع جوبيتر المكفر عن الاثام ثم يخرجون خارج البيت كل ما استعمل لاجل التكفير ثم يحرقون خبزاً ويصبون عليهِ ماء ويصلون فوقهُ للالهة تسكيناً لغضبهم ورجزهم واستعطافاً لجوبيتر

كريسوس ان يعلم من هو الرجل ومن اين اتى فقال له ايها الغريب من تكون ومن اي بلد اتيت مستغيثًا ببلاطي ومن الشخص الذي قتلته فاجابه قائلاً ايها الملك اني انا ابن غورديوس وحفيد ميداس سواسى ادرستوس قتلت اخي خطأ فطردني ابي وسلبني كل نعمة فهرعت اليك لائذًا بك فقال له كريسوس انك لقد اخرجت من بيت انا احببته فانت عند اعز اصحابك ولا يعوزك شيء في بلاطي ما دمت فيه فاصبر على مصابك لانك لابد ان تغنم غنائم وافرة فمكث ادرستوس عند كريسوس

❋ ٣٦ ❋ وفي ذلك الزمان ظهر في ميسيا خنزير بري عظيم جدًّا قد انحدر من جبل اولمبوس وسبب اضرارًا جسيمة في ضواحي البلاد وكثيرًا ما طرده الميسيون في عدة اماكن ولم يستطيعوا ان يضروا به البتة بل هو اضرّ بهم جدًّا فارسلوا الى الملك يقولون له . قد دهمنا خنزير بري ضاري اتلف حقولنا وقد اعيتنا الحيلة في اهلاكه ولم يكن لنا منه مناص فنستغيث بك لان ترسل الينا ولدك ومعه عساكر الشبان مسلحين بآلات الصيد لينقذوا البلاد من غائلته فذكر كريسوس حينئذٍ ما كان راه في الحلم وقال لهم ناشدتكم الله ان لا تذكروا اسم ابني اذ لا يمكنني ارسالة اليكم لانه عريس ولا يشغل الا بتنعمه اما من عندي للصيد من الشبان الليديين فاني احرضهم جدًّا على انقاذكم من هذا الخنزير الضاري.

❋ ٣٧ ❋ فطابت قلوب الميسيين بجوابه لكن انيس سمع طلبتهم اياه من والده وامتناعه عن ارساله فدخل في اثناء ذلك وقال للملك يا ابت طالما اذنت لي بان اباشر كل ما فيه عزة النفس والكرم والشجاعة وفاخرت اقراني في الحرب والصيد فما بالك الان تبعدني عن كليهما مع انك لم ترَ مني جبنًا ولا جزعًا فاذا بقيت في ساحة المدينة مترددًا فباي عين ينظر اليَّ ابناء وطني او في اية منزلة ينزلونني بل اي فكر يكون لعروسي فيَّ فارجوك يا مولاي ان تسمح لي بالذهاب الى هذا الصيد مع الميسيين او حجني بما يقنع ان رايك هو الاصوب

❋ ٣٨ ❋ فاجاب كريسوس . يا بنيَّ لست امنعك من الذهاب الى هذا الصيد بسبب جبن ظننته فيك ولا لامر اخر لم يرق لي منك بل لانني

رايت في نومي ان عمرك قد قصر وانك ستهلك بقطعةٍ من حديد ولذلك قد عجلت زواجك ولا يمكنني ان ابعثك في هذه الدفعة واني لباذل جهدي ان اقيك شر هذه المصيبة المحذور فيها عليك غائلة الخطر على القليل ما دمت حيًّا وخصوصًا لانك وادي الوحيد واخوك قد الم بهِ صرف الزمان فافقدنيهِ

﴿ ٣٩ ﴾ فاجابهُ الامير الشاب قائلاً يا ابت اني لعاذرك على شدة احترامك واحتفاظك بي بعد تلك الرؤيا ولكني اخالك لم تدرِ معناها ولذلك لا بد لي ان اعبرها لك فاقول كيف تقول انك رايت في الحلم اني ساهلك بقطعة من حديد والخنزير ليس فيهِ شيء من ذلك اتراه يكون لهُ ايدٍ حاملة هذا السلاح الذي تتشاءم بهِ فحقًّا لو انباك حلمك باني ساهلك بناب خنزير او مثلهِ لكنت معذورًا بذلك وانما كل حذرك محصور في قطعة حديدية واذ كنت لست قاصدًا قتالاً مع رجال لا باس من ذهابي

﴿ ٤٠ ﴾ فاجاب كريسوس يا ابني ان تعبيرك الحلم لاصح من تفسيري وقد اقنعني فعدلت عن رايي واذنت لك بالذهاب الى الصيد حسب رغبتك

﴿ ٤١ ﴾ ثم ارسل معهُ ادرستوس الفريجي وقال لهُ انت كنت معرَّضًا للبلوى ويشهد الله اني لست بموَّبخ لك وقد كفرت عنك واسكنتك في بلاطي ومنحتك كل ما يعوزك فبالمقابلة لاحساني اليك ينبغي ان تكون وفيًّا لي فها ان ابني ذاهب الى الصيد واعهد اليك رعايته والمحافظة عليهِ لتقيه شر ما ربما يتاتى عليكم في الطريق ولا جرم انك تترقب الفرصة لتظهر بها شجاعتك على ان اباءك دربوك عليها ومقتضى سنك يستدعيها

﴿ ٤٢ ﴾ فقال ادرستوس يا مولاي اني ما كنت لاختار الخروج الى الصيد في هذه الدفعة لو لم يرد عليَّ داعي ارادتك لعلمي بما يكتنفني من التعاسة والشقاء ولم اكن جديرًا ان انتظم في سلك رفقةٍ من سني حائزين على السعادة ولا ان اتطلب ذلك وقد طالما امتنعت عن الاقدام على هذا الامر ولم ارغب فيهِ الا اجابةً لطاعتك وابتغاء مرضاتك ومن واجبي ان اشكر عظم احسانك اليَّ ولا

ابرح تحت طاعتك وامتثال امرك وثق بان ولدك المسلَّم اليَّ سارعاهُ واقيهِ حتى يعود اليك سالمًا ناجيًا وابذل غاية جهدي في ما فوضت اليَّ من المحافظة عليهِ

❋ ٤٣ ❋ وبعد هذا الجواب ذهب بصحبة الامير آتيس وسار في ركابهما جماعة من عساكر الشبان حاملين اهبة صيد الملك حتى انتهوا الى جبل اولمبوس وهناك جدوا في طلب الخنزير المتقدم ذكره فوجدوه واحاطوا بهِ ورشقوه بالسهام. فاتفق ان ادرستوس الغريب الذي كفر عنهُ كريسوس رمى الخنزير بسهم فاخطأهُ واصاب آتيس بن كريسوس فنفذ جسمهُ وكان السهم من حديد فتمت رؤيا الملك وفي الحال أُنفذ رسول الى سرديس ليخبر الملك بما جرى وبما كان من امر ابنه التعيس

❋ ٤٤ ❋ ولما سمع كريسوس هذا الخبر المشوم اضطرب وشملهُ الحزن وقد زاد فجعته ان سهم المنية صدر من يد قاتلٍ قد كان كفر عنهُ فتلجَّج في بحار الاكدار والالام وابتهل الى جوبيتر المكفر واشهده على ما اصابهُ من ذاك الغريب وكان يستغيث بهِ كالهِ محامٍ عن حقوق الضيافة والصداقة. قلت اله الضيافة لانهُ جعل محلهُ ملجأ للغريب المذكور فيكون كمن قد ربى عدوًّا قاتلاً لابنهِ وقلت اله الصداقة لانهُ كان عهد اليهِ حراسة ابنهِ فكان بعملهِ عدوًّا مبينًا.

❋ ٤٥ ❋ وبعد ايام اتى الليديون بشلو آتيس وتبعهم القاتل ادرستوس فوقف فوق الجثة وبسط ذراعيهِ نحو كريسوس مناشدًا اياه بان يهرق دمهُ على جثة القتيل ولده لانهُ صار يكره الحيوة بعد جنايتهِ الاولى وزاد كربهُ من اجل الثانية التي بها جنى على ابن المكفر عنهُ لكن الملك مع كونهِ موعبًا من الكدر والحزن لم يسمع كلامهُ الا واخذتهُ عليهِ رأفة فقال لهُ. يا ادرستوس قد اخمدت سعير الغضب المتلظي في فوادي بانك اوجبت على نفسك الهلاك ولانك لم تصدر هذه الجريمة عمدًا استعنت بالله في امري واليهِ اشكو مصابي فانهُ هو الذي انذرني بذلك من قبل. ثم مارس كريسوس كل ما ينبغي ان يمارس ساعة الوداع فاقام لابنهِ مأتمًا حافلاً يليق بمثلهِ وبعد دفنهِ حصل سكوت حول المقبرة فتبين لادرستوس بن كوديوس بن ميداس قاتل اخيهِ ثم قاتل المكفر عنهُ انهُ اشقى انسان

على وجه الارض فقضى على نفسهِ فوق قبر اتيس ولحق بهِ

٤٦ وناح كريسوس سنتين على فقد ابنهِ وحصل في اثنا ذلك من اقتدار سطوة قورش بن قمبيز ملك الفرس وتدميره ملك استياجس بن كيازارش وتعاظم سلطنتهِ يومًا فيومًا ما انسى كريسوس حزنهُ على ولده وتشاغل بالاستعداد والتاهب لاضعاف تلك السطوة قبل زيادة امتدادها فاعمل كل افكاره وصرف معظم همهِ الى هذا الامر واخذ يمتحن صحة كهانة اغريقية وليدية فانفذ رسلاً الى عدة اماكن بعضهم الى ذلفي واخرين الى آبيس في فوقيدة وغيرهم الى دوذوني ومنهم الى امفياراوس «١» وبعضهم الى تروفونيوس والى البرنخيذة «٢» في ميليسيا كل اولئك كانوا كهان الاغارقة الذين ارسل كريسوس يستكشفهم وقد ارسل ايضًا الى ليبيا حيث هيكل جوبيتر الاموني وكان مراده بذلك امتحان صدق الكهانة حتى اذا اجيب بما يطابق الحقيقة لا يشك في استشارتهم بعد ذلك في مباشرة حرب الفرس

٤٧ فامر رسلهُ ان يسالوا الكهنة عما كان يفعلهُ كريسوس بن الياطس في اليوم المئة بعد سفرهم من سرديس وان يحرروا لهُ نص جواب كل منهم فلم يفهم غير جواب كاهنة ذلفي اما الباقون فلم تعلن اجوبتهم فان الليديين حال وصولهم الى هيكل ذلفي سألوا الكاهنة عما ارسلوا بصددهِ فاجابتهم بشعر من الوزن المداسي قائلةً «انا اعرف عدد حب الرمل وحدود البحر وافهم لغة الخرس واسمع صوت البكم وقد شممت رائحة سلحفاة تشوى مع لحم الخروف في خلقين

---

١ امفياراوس بن اويكلس ابن حفيد ميليبوس كان ممن لا يشك في كهانتهِ دخل ذات يوم بيتًا في فليونت ورآه ساحة البلدة واستمر هناك الليل كله وحينئذٍ بدأت فيهِ الكهانة ومن ذاك الحين بقي البيت المذكور مقفلاً ثم ان امرأته ابروفيل خانتهُ ولاحقهُ اهل طيبة ابتلع مع مركبته على مسافة اثنتي عشرة اسنادة من مدينة اوروبة ، ل ،

٢ هيكل البرنخيذة او ابلون الذيذيمي كان بقرب ملطية واسم برنخيذة ماخوذ من عائلة كانت تدّعي انها من سلالة برنخوس المؤسس الحقيقي للهيكل او المنسوب اليهِ تاسيسهُ وبقي كامنًا فيهِ حتى زمان زارش وكان الهيكل المذكور حق الحماية لمن لاذ بهِ الا ان رونقهُ قد زال في ايام قسطنطين الملك ولم يبق منهُ الى عصرنا الا الاطلال ، ل ،

نحاس غطاؤها من نحاس ايضا

❋ ٤٨ ❋ فكتب الليديون جواب الكاهنة ورحلوا من ذلفي الى سرديس وحين رجع الى سرديس باقي الرسل المنفذين الى غير اماكن واحضروا اجوبة الكهان الاخرين فض ختمها كريسوس وتصفحها على انفراد فراى فيها ما لا صحة له بخلاف جواب كاهنة ذلفي فانه اذ اطلع عليه ايقن بصدقه فسجد لها معتقدًا بصحة كهانتها لانها انبائه بما كان يفعله «١» وهو انه بعد سفر الرسل خطر ببال كريسوس ان يعمل ما لم يكن في حساب احد فتناول سلحفاة وخروفًا وقطعهما بيده اربًا اربًا وطبخهما في قدر من نحاس مغطاة بغطاء من نحاس وهكذا كان جواب ذلفي

❋ ٤٩ ❋ اما ما اجيب به الليديون في هيكل امفياراوس بعد القيام بالخدمة وتقديم الضحايا على مقتضى الشريعة فلا اقدر ان اقول فيه شيئًا ولكن قيل ان كريسوس عرف حقيقة اولئك المتنبئين

❋ ٥٠ ❋ وبعد ذلك اجتهد كريسوس ان يكون ملحوظًا بعناية اله ذلفي بان اكثر من الاحترام والضحايا له فبلغت ثلاثة الاف من جميع اجناس البهائم الصالحة للتضحية ثم اقام محرقة عظيمة وجعل فيها تختًا مذهبة ومفضضة وانية ذهبية وملابس من البرفير وغيره ظانًا ان في هذا البذل المفرط يعطف الالهة اليه فاوجب على الليديين ان يقدم كل منهم على قدر امكانه ضحايا للالهة وبعد تقديم هذه الضحايا في المحرقة صاغ كمية وافرة من الذهب مقدارها مائة وسبع عشرة سبيكة ونصف وكانت الطولى منها في قدر ستة اشبار والصغرى في قدر ثلاثة اشبار وكان سمك كل منها مقدار شبر واحد فصنع اسدًا مسبوكًا من ذهب ابريز وزنة عشر وزنات ووضعه على تلك السبائك وقد سقط باحتراق هيكل ذلفي وهو اليوم موجود في خزينة قرنثية ولم يبق من وزنه الا ست وزنات ونصف وزنة

---

١ اوّل رولين هذه النبوة بقوله ان الله يسمح احيانًا للشيطان بان يتنبأ صدقًا قصاصًا لجهالة عبدة الاصنام لكن هل كان شيطان ذلفي افطن او ادق شمًا من شيطان امون ودوذوني وابيس في فوقيدة وشيطان برغيذة ولا يحتمل ان هيرودوتس اخترع هذه الحكاية ولكن وجدها وصدقها اذ كانت مشابهة لخرافات بلاده وعصره * ل *

والباقي ذاب في حريق الهيكل

* ٥١ * وبعد ان تم عمل هذه الاشياء بعث بها كريسوس الى دلفي مع تقدمات اخر في جملتها جامان كبيران جدًّا احدهما من ذهب والاخر من فضة والاول كان موضوعًا على يمين مدخل الهيكل والثاني عن يساره وحين احترق الهيكل نقلا الى محل اخر فجام الذهب يوجد في خزينة كلازومينة وزنه ثمان وزنات ونصف واثنا عشر منًّا وجام الفضة موجود في زاوية مدخل الهيكل ملوهُ ستماية امفورة «١» وكان اهل دلفي يمزجون فيه الماء بالخمر يوم عيد التيوفانيا «٢» وهو في ما قيل من صنع المعلم ثيودورس الساموسي وانا اصدق ذلك لاني رايت هذا الجام غريب الصنعة بديع الاتقان . وارسل الملك المشار اليه ايضًا اربعة امداد من فضة موجودة الان في خزينة قرنثية مع طستين معدين للماء المقدس احدهما من فضة والاخر من ذهب وعلى الذهبي منهما محفور اسم اللقدمونيين وهم يدعون انهم قدموه لكن دعواهم ساقطة والاصح انه من تقدمات كريسوس وان احد اهالي دلفي نقش تلك الكتابة عليهِ مداهنة ويقطع النظر عن التصريح باسم الناقش مع اني اعرفهُ حق المعرفة اقول نعم انهم قدموا تمثال الطفل الذي ينصب الماء من يديهِ ولكنهم لم يقدموا ذينك الطستين المذكورين انفًا وقدم كريسوس تقادم اخر اقل ثمنًا كصحف من فضة مستديرة وتمثال امراة من ذهب مقدار علوه ثلاث اذرع وفي ذلك يقول الدلفيون انهُ تمثال المراة التي كانت تخبز له واحضر ايضًا قلائد ومناطق الملكة امراتهِ . وهذه هي تلك التقادم التي قدمها الدلفي «٣»

* ٥٢ * وقدم ايضًا تقدمة اخرى لامفياراوس وهي ترس كلهُ من الذهب وحربة من ذهب نقرة ايضًا وفي ايامي كان باقيًا في طيوة داخل هيكل

١ الامفورة اناء ذو عروتين عن الجانبين كان يوضع فيهِ في القديم الزيت والخمر والمراد هنا انها مكاييل معلومة * ح *

٢ كلمة يونانية معناها التجلي * ح *

٣ [illegible] هذه التقادم مبلغ ٢١١٠١٤٠ فرنكا * ا *

ابلون الاسميني

❋ ٥٣ ❋ وكلف كريسوس اهل ليدية بنقل هذه التقادم الى كهان دلفي وامفياراوس وبان يسالوهما هل له ان يفتح حرباً مع الفرس و يردف عساكره بعساكر اخرى نجدةً له فلما وصل الليديون قدموا الهدايا وسالوا الكاهنين بهذه الالفاظ ونصها « كريسوس ملك الليديين وغيرهم من الامم اذ كان في اعتقاده انكما الكاهنان المنفردان بصحة الكهانة دون غيركما من الكهان قد ارسل اليكما هذه الهدايا الجديرة ببراعتكما وهو الان يستشيركما في هل من مصلحته ان يحارب الفرس او ان يضيف على عساكره عساكر اخرى انجاداً له » هذا ما كان من سوال الرسل اما ما كان من جواب الكاهنين فهو السلب والايجاب معاً او انهما قالا ان فتحهُ الحرب يتسبب عنهُ دمار مملكة عظيمة واشارا عليهِ ان يجتهد في محالفة اعظم ملوك الاغارقة

❋ ٥٤ ❋ فسرّ كريسوس بهذا الجواب واستبشر بدمار مملكة قورش فارسل مرة ثانية رسلاً الى دلفي ليوزعوا على كل من الاهالي وكان عالماً بعددهم استاتيرتين من ذهب « ١ » اما ما كان من اهل دلفي فانهم منحوا اهل ليديا امتيازاً مقابلةً لصنيع كريسوس وصنيعهم بان يكون لهم التقدم في استشارة الكهان والمزية في الحضور معهم والحق الدائم في ان يصيروا من تبعة دلفي متى شاءوا

❋ ٥٥ ❋ وبعد ارسال تلك الهدايا ارسل كريسوس يسال الاله مرة ثالثة ( لانهُ بعد ان امتحن صدق الكهانة اكثر على الكاهنة السوالات ) فسال هل يدوم الملك لذريتهِ زمناً طويلاً فاجابتهُ هكذا « حينما يتملك البغل على مادسيه « اهرب انت ايها الليدي المخنث الى شاطئ نهر هرموس « ٢ » واياك المقاومة ولا « تخجل بما تظهر من الجبن »

❋ ٥٦ ❋ فازدادت مسرة كريسوس اذ انهُ ايقن باستحالة تملك البغل

---

١ الاستاتيرة نوع من المسكوكات القديمة تساوي نحو ثلاثة وعشرين فرنكاً ❋ ل ❋

٢ نهر جار بالقرب من ازمير يدعى اليوم نهر كيدوس

على مادي وانهُ لا يزال مستويًا على تخت الملك وبعده ذريته وبعد ان بحث عن اعظم طوائف الاغارقة ليتخذها حليفة لهُ رأى ان اللقدمونيين والاثينيين في المقام الاول من القوة والبأس الواحدة بين الدوريين والاخرى بين اليونانيين والحق ان كلتا الطائفتين فاقت غيرها بالشهرة لان الاولى بلاسجية والثانية هيلانية والاولى لم تهاجر بلادها والهيلانية طالما غيرت محل سكناها فقطنت تارة فثيونيذة في عهد الملك دوكاليون واخرى قطنت في عهد دوروس بن هيلان بلاداً تدعى هستيوتيذة واقعة في سفحي جبلي اوصا وأولمبوس ومن ثم طردهم القدموسيون فترحلوا وسكنوا بنذة ولقبوا باسم ماكدنة وانتقلوا من هناك الى دريوبيذة ومنها الى البيلوبونيسة حيثما اطلق عليهم اسم دوريين

٥٧ اما اية لغة كانت للبلاسجة فلا يمكنني ان اقول عنها شيئًا محققًا لكن اذ اخذنا في حكم الاستدلال ممن بقي منهم الى الآن في كرستونة نقول انهم كانوا يتكلمون بلغة البربر فاننا نرى لهم اثارًا باقية حتى اليوم في كرستونة «١» الواقعة فوق بلاد التيرنيين واننا نعلم انهم كانوا مستوطنين بلاد التسا ليوتيذة في جوار الشعوب المدعوين الان دوريين فلو اضفنا اليهم من اسسوا مدينتي بلاكية وسكيلاكي على الهلسبنطس «٢» واقاموا قبلاً مع الاثينيين وسكان مدن اخرى بلاسجية قد تغيرت اسماؤها الان لاستدللنا من كل ذلك الاستدلال السابق فاذا كانت هذه لغة جميع الطوائف حينئذٍ يستفاد ان الاثينيين الذين اصلهم من

١ البلاسجة التيرنيون كانوا يقطنون ارياف بحر ثراقة فاقتضى ذلك ان يكون موقع كرستونة داخلًا كثيرًا في البر وقد وهم الكونت كايلوس في ظنه ان هذه المدينة هي كرومونة الكائنة في اغريقية الكبرى * ل *

واصل البلاسجة هو من بيلوبونيسة من ذرية بلاسجوس فالذين رحلوا منهم الى خارج بلاد اغريقية لم يختلطوا مع الهيلانيين وهم سكان البلاد الاصليون فحسبوهم من قبائل البربر اجانب وحين طرد الهيلانيون البلاسجة من اكثر بلادهم ابطلوا اللغة القديمة واستعملوا لغة انفسهم *ل*

واما بنذة فلا يراد بها هنا جبل بندوس المشهور بل مدينة بنذة احدى مدن دوريذة الاربع

٢ هو بوغاز الدردنيل الفاصل بين اسيا واوروبا * ح *

البلاسجة نسوا لغتهم عند ما صاروا هيلانيين وتعلموا لغة هولاء اذ ليس بين لغة الكرستونيين والبلاكيين التي هي واحدة وبين احدى لغات جيرانهم شيء من المشاكلة فلنا من هنا برهان جلي على أن البلاسجة المار ذكرهم لم ينفكوا محافظين حتى اليوم على اللغة التي خرجوا بها من بلادهم

❋ ٥٨ ❋ والذي يظهر لي ان الهيلانيين لم يتكلموا قط غير لغتهم وقد كانوا ضعفاء مخازين عن البلاغة وكان اصل عددهم قليلاً ثم اخذوا ينمون ويتكاثرون حتى عادلوا في العظمة الطوائف الكبيرة خصوصاً بعد ما امتزج بهم قوم كثير من البربر فمنع ذلك تعاظم طائفة البلاسجة هذه فضلاً عن اسباب اخرى لا حاجة الى ذكرها

❋ ٥٩ ❋ وعلم كريسوس ان اهل اثينا احدى هذه الطوائف المنقسمة الى عدة قبائل كانوا في ربقة الاسترقاق لبيسسترانس بن ابو قراطس ملك اثينا حينئذٍ وكان ابوقراطس هذا رجلاً من عامة الناس «١» وحصل له في الالعاب الاولمبية «٢» حادثة تستحق الذكر وهي انه كان قدم ضحية وكانت الخلاقين حذاء الهيكل مملوءة ماء وذبائح فغلت حتى فار الماء منها بدون نار واتفق اذ ذاك ان خيلون اللقدموني كان حاضراً فلما رأى هذه الغريبة اشار على ابوقراطس ان لا يتزوج بنساء يلدن وان كان له امرأة تلد فليطلقها وان كان له ولد فلينكره اما ابوقراطس فابى مشورة خيلون وبعد مدة ولد له بيسسترانس المذكور الذي اذ اراد نهج طريق يتوصل بها الى تخت الملك اتخذ له حزباً في الموقعة التي حدثت بين البارالييين وهم سكان الارياف الذين كانوا تحت

١ اي انه لم يكن ذا وظيفة في الحكومة مع انه كان من اشرف آل الحسب والنسب من سلالة نيليوس نظير نسطورس . وقدروس الذي تملك على اثينا من انسابه ❋ ل ❋

٢ الالعاب الاولمبية عبارة عن مواسم يحتفل بها كل اربع سنوات في مدينة اولمبي وكانت مشهورة جداً باجتماع الناس من كل اقطار البلاد واقامة العاب مختلفة بين سباق وصراع وتفاخر وهلمّ جرّاً وعليها كانوا يبنون تواريخ ايامهم ❋ ح ❋

ولاية ميغاكليس بن الكميون وبين اهل الساحل الذين كانوا تحت ولاية ليكرغوس بن اريستوليدس «١» فجمع هذا الحزب الثالث بدعوى انهُ يريد حماية الميراكيين «٢» واستنبط في ذلك حيلة وهي انهُ جرح ذاتهُ وجرح بغالهُ ثم اتى في مركبته الى ساحة الاجتماع العمومية مظهراً انهُ قد تخلص من ايدي العدو الذي كان يقصد اهلاكه عند مسيره الى الحرب مع الميغاريين وفي افتتاح نيسيا «٣» واذكرهم ايضاً بعدة انتصارات اخر وهكذا خدع الشعب واخذ منهم للحراسة جماعة من الاهالي المنتخبين فتبعوه وبايديهم العصي بدل الرماح فاستفزهم واستولى بواسطتهم على القلعة ومذ ذاك دخلت اثينا في حوزته غير انهُ لم يحدث اخلالاً في الحكومة ولا بالشرائع فاقر الراحة والسلام في البلدة واخذ يسوسها بحكمة على ما سبقت به العادة وما لبث ان اجتمعت عليهِ احزاب ميغاكليس وليكرغوس وخلعوه

❋ ٦٠ ❋ هكذا كان استيلاء بيسستراتس على اثينا اول مرة واخرج منها ولم يكن لهُ من الزمان ما يمكنهُ من توطيد اركان ملكه على ان الذين تألبوا عليهِ جددوا بينهم الخصومات القديمة ولما رأى ميغاكليس عدوه محاطاً من كل جهة ارسل اليهِ رسولاً يعرض عليهِ الزواج بابنتهِ لكي يعيد عليهِ الملك فاجاب بيسستراتس بقبول ذلك واتفق مع ميغاكليس واتخذ واسطة مضحكة جداً على الخصوص لكون الميلانيين مع انهم كانوا يتميزون على البربر بالحذاقة وعدم البلاهة لم يكونوا يصدقون مثل هذه الخزعبلات والاغرب من كل ذلك انها استعملت مع اهل اثينا الذين اشتهروا بالفطنة والنباهة بين كل الاغارقة وذلك انهُ كان في بانيا احدى قرى اتيكة امرأة



١ البارالييون لقب كان يطلق على اربع قبائل قديمة في اثينا *ل*

٢ ويسميهم بلوترخوس دياكريين وهؤلاء كانوا ايضاً من عشائر اثينا الاربع المعزيين لحكومة الجمهورية وكان من هذا الحزب فعلة الحرف الهمج الذين كان من دابهم كره الاغنياء فضم اليهِ بيسستراتس من كان منهم في فاقة وحملهم على ارتكاب كل نوع من الجرائم والقبائح *ل*

٣ كانت تدعى بهذا الاسم فرضة الميغاريين الواقعة على مسافة نحو ميلين من ميغاري *ل*

اسمها فيا «١» مقدار طولها اربع اذرع الاّ ثلاث اصابع«٢» وكانت بديعة الجمال فقلدوها الاسلحة الكاملة واقاموها على مركبةٍ مزدانةبما يزيدُ بهاءها واجتازوا بها في طريق اثينا وامامها ابطال ينادون عند دخولها المدينة قائلين يا اهل اثينا اقبلوا بيسستراتس بطيبة خاطر فها هي مينرفة«٣» تشرفة على كل بشرٍ وهي نفسها مرجعتهُ الى قلعته وعلى هذا المنوال كان المنادون يطوفون المدينة مكررين ذلك فذاع الخبر بين القوم ان مينرفة اعادت بيسستراتس وانتشر بين اهل القرى والمدينة ولم يشكوا انها مينرفة الالهة فتواردوا يوفون لها النذورات واقبلوا الملك اكرامًا لها

61 وهكذا استرجع بيسستراتس مملكتهُ واقترن بابنة ميغاكليس«٤» وتم الاتفاق بينهما ولما كان له اولاد كبار وكان من مقتضى شريعة الالكميين ان الرجل اذا كان له اولاد يصيرون تحت الحرم ان تزوج بامراةٍ اخرى لذلك لم يرد ان يكون له اولاد من امراته الجديدة فكان يباشرها على خلاف مقتضى الطبيعة اما هي فكتمت في اول الامر شانها ولكن بعد مدة اعلمت امها بهِ وامها اخبرت زوجها ميغاكليس فساءهُ ذلك جدًّا اذ حسبهُ من صهره امتهانًا وفي الحال حملهُ الغضب على ان يتفق مع الحزب المضاد له وعلم بيسستراتس بما كان من الامر فخرج من اتيكة وذهب الى اريتريا حيث عقد مجلسًا مع اولاده واستشارهم



١ كانت فيا هذه ابنة رجل يدعى سقراط وكانت تبيع اكاليل وزوّجها بيسستراتس بولده هبرخوس على ما روى كليديموس فقال انها اتهمت بجناية على المملكة بعد طرد بيسستراتس وانكر عليها تشخيصها مينرفة بصورة تدل على الكفر *ل*

٢ اراد بذلك ان طولها يبلغ مقدار خمس اقدام وقيراطين على موجب قياس موسيو دنفيل *ل*

٣ روى في الحكاية انها معبودة الحكمة والفنون والحرب وانها ولدت من راس جوبيتر مدججة بالسلاح *ح*

٤ ان ميغاكليس كان زعيم القوم في حين معاهدة كيلون وذبح المتواطئين مع كيلون على درج المذبح الذي التجأوا اليه وجميع الذين اشتركوا بهذه المقتلة حسبوا ممقوتين وقوي حزب كيلون وداوموا الحرب مع عائلة ميغاكليس وفي حومة القتال بينما كان الشعب في انقسام انبرى سولون الى الوسط واثبت ان اولئك الاثمة ينبغي ان يخضعوا لحكم ثلثمائة رجل

فاشار عليه ولده هبياس ان يسترجع الملك واصبحوا على ذلك فورد اليهم هدايا من عدة مدن كان اصحاب بيسسترانس قد سكنوها في وقت الحاجة وكان من تلك الهدايا مال وافر غير ان اهل طيوة فاقوا عنهم جودًا وكرمًا وفي الجملة لم تمضِ غير مدة وجيزة حتى تهيأت الاسباب اللازمة كلها لرجوعهم واتاهم من پلوبونيسية عساكر ارغوسية فجعل لهم مهيئات وجاءهُ ايضًا من نكسيا رجل اسمهُ ليغداميس«١» فزاد شجاعتهم بامداده اياهم بالمال والرجال

* ٦٢ * فسافروا من ارتريا وجاءوا الى اتيكة في اوائل السنة الحادية عشرة فاول استيلائهم كان على مراثون وانزلوا الجيوش هناك فتوارد اليهم احزابهم افواجًا بعضهم من اثينا واخرون من البلاد المجاورة وجميعهم كانوا يؤثرون الحكومة الاستبدادية على الحرية ولم يكن اهل اثينا يعباون باعمال بيسستراتس وهو كان يحشد الدراهم حتى بعد ان تملك على مراثون على انهم حين علموا انهُ قادم من مراثون الى اثينا زحفوا بكل قوتهم لمصادمته اما بيسستراتس فجمع جيوشه كافة وزحف بهم صفًا واحدًا حتى دنوا من المدينة ووصلوا الى قرب هيكل مينرفة البلينية «٢» وجعل المعسكر قبالته وهناك اتاه رجل متكهن من اخرنس يدعى امفيلتس فادعى الوحي وقال لهُ ما اوحي اليهِ بشعر من الوزن السداسي «الشبكة القيت والشرك نصب في الليل على ضوء القمر وسيقع فيها كثير من سمك الطون»

* ٦٣ * فوعى بيسستراتس كلام المتكهن وقام على الفور بعساكره وكان

---

من اعيان البلدة اوجب عليهم الموت ونفي من بقي منهم حيًا واخرجت جثة الموتى من القبور وطرحت خارج تخوم اتيكة *ل*

١ ليغداميس صديق بيسستراتس وكان قد ولاه على جزيرة نكسوس بعد فتحه اياها او انهُ يقال جعلهُ طاغية لها على رواية بوليان وان ليغداميس هذا أعان ابو قراطس لان يتملك ساموس *ل*

٢ هذا الاسم كان يطلق على مينرفتين احداهما في شطليا والاخرى في اوبي فذهب بيسستراتس الى الثانية لانهُ اتى من اوبي عند رجوعه الى اتيكة ولانه راى ان مباها اكثر موافقة لشن الغارة في تلك البلاد *ل*

اهالي اثينا اذ ذاك قد فرغوا من تناول الطعام ومضوا بعضهم يلعب وبعضهم ينام فداهم وهزمهم هزيمة اتخذ منها طريقًا مناسبة لتشتيتهم بحيث لا يتيسر لهم ان يجتمعوا واركب اولاده الخيول وامرهم بلحاق الهاربين وبان يلحوا عليهم بالرجوع كلٌّ الى محلهِ

❊ ٦٤ ❊ فامتثل اهل اثينا امر بيسستراتس ملكهم مرة ثالثة وقرر ملكهُ بقوة العساكر المساعدين ومبلغ عظيم من المال اخذه من اتيكة ومن ناحية نهر ستريون وخصوصًا بحسن تصرفهِ مع الاثينيين الذين ثبتوا في المعركة الاخيرة ولم يركنوا الى الفرار فامسك اولادهم وبعث بهم الى جزيرة نكسوس التي كان قد استولى عليها من قبل وولى عليها ليغداميس والحاصل انهُ وطد ملكهُ بتطهير جزيرة ذيلوس «١» تطبيقًا لما جاءت بهِ النبوة وجعل التطهير في كل النواحي التي يرى منها الهيكل بان اخرج جثث الموتى من المدافن ووضعها في جهة اخرى من الجزيرة وما سهل ليبسستراتس تعزيز ملكه على اثينا هو فقدان بعضهم بالحرب ومهاجرة بعضهم البلاد وهربهم مع ميغاكليس

❊ ٦٥ ❊ هذا ما علمهُ كريسوس بشان ارتباك اهل اثينا واما ما بلغهُ عن اللقدمونيين فانهم بعد ان تكبدوا خسائر جسيمة استظهروا اخيرًا في محاربتهم التيجيين والحق انهم ظفروا في كل مواقعهم الا مع التيجيين على عهد لاون واغاسكليس ومنذ زمن طويل كانوا اسوأ نظامًا وترتيبًا من سائر الاغارقة ولم تكن لهم علاقات تجارية مع الغرباء ولا فيما بينهم على انهم بعد ذلك اصلحوا حالتهم فنجحوا في النظام والقانون كما دربهم ليكرغوس وكان لهُ في اسبرطة شان خطير وذهب الى ذلفي ليستشير الالهة وحال دخوله الهيكل سمع هذا الكلام من الكاهنة «ها «انت في هيكلي مدهونًا بدهن الضحايا كلفًا بحب جوبيتر واهالي اولمبوس ونبوتي

١ وقصد بهذا التطهير ان يثبت ملكه فالظاهر انهُ جاءت نبوة تعد بالفوز والسلطة العظيمة من يطهر تلك الجزيرة ولم ينقل هيرودوتس عن هذه النبوة شيئًا ولا روى قولًا لغيره فيها ومع ذلك يستفاد من كلامهِ ان بيسستراتس توهم لزوم اتمامها اذ انهُ كان متحققًا ان عليها يتوقف نجاحه واستتباب ملكه واستقرار سلطتهِ *ل*

« تتردد بين ان تحسبك معبوداً او انساناً والمرجح عندي انك اله » وقال اخرون ان الكاهنة لقنته الشرائع الجارية الان في اسبرطة لكن اللقدمونيين ذواتهم يذهبون الى ان ليكرغوس اتى بهذه الشرائع من اكريت ايام تملك ابن اخيه ليوبوتاس ملك اسبرطة وكان قاصراً وجُعل ليكرغوس وصياً عليه فنقح الشرائع القديمة واتخذ التدابير الواقية من مخالفة الشرائع الجديدة ووضع قوانين تتعلق بالحروب وتقسيم الجنود فرقاً والنظر في مآويهم وارزاقهم ونظم مجلس (الافورة) و(السناتوس) «١» .

❊ ٦٦ ❊ وهكذا استبدل اللقدمونيون شرائعهم القديمة بشرائع موسسة على الحكمة واقاموا لهذا المشترع هيكلاً بعد وفاته وحتى اليوم يقدمون له التكريم والاحترام «٢» ولكون اراضي بلادهم كثيرة الخصب والسكان لم تلبث

١ الافورة كانوا خمسة رجال ينتخبون في كل سنة في ٨ تشرين الاول من عامة الشعب وكان يدعى الاول منهم (افوري ابونيم) وهذا الاسم كانت تؤرخ به السنة كما في مدينة اثينا يؤرخ باسم (ارخندس ابونيم) وكان لهم من السلطة ما (للكوزمي) في كريت الا انهم يفرقون عنهم بالعدد فقط كما ذكرنا اذ في كريت كان عدد الكوزمة عشرة . وكان لهم من السلطة اكثر مما كان للملك حتى كان امرهم ينفذ عليه فاذا اجتمعوا مع نواب الامة كان لهم ان يقضوا على السلطان نفسه حتى بلغ من مقامهم ان لا يقوموا له اذا دخل عليهم ثم اباده كليومينس قبل المسيح بمائتين وست وعشرين سنة فلم يبق لهم بعد ذلك ذكر في التاريخ
والسناتوس مجلس نواب الامة وكان ليكرغوس قد لاحظ ان امراء عائلتي المقيمين في ارغوس ومسينى قد استبدوا بالملك المطلق ورأى ان عبثهم في مالكهم سبب في دمار عائلته فخاف ان يحل ذلك في عاصمته ايضاً فالف السناتوس والافورة ليتلافى بهم السلطة الملوكية وكان عدد النواب المذكورين ثمانية وعشرين مع خمسة يراعون اجراء الشرائع بمنزلة محافظين وكانوا يسمونهم ايضاً بيديين وهولاء لا اعلم من رتبهم لكن الذي يغلب على الظن انه ليكرغوس *ل*

٢ كان اللقدمونيون قد حلفوا ان لا يبطلوا شيئاً من شرائع ليكرغوس قبل رجوعه الى اسبرطة فذهب المشترع يستشير كهانة دلفي فانبأته بان اسبرطة لا تزال سعيدة ما دامت محافظة على شرائعه ومن ثم عول على ان لا يعود اليها حتى تبقى الشرائع محفوظة بمدة غيابه فذهب الى كريت وقتل نفسه *ل*

جمهوريتهم ان تنمت كثيراً لكن بعد حين ضجروا من الراحة والسكينة ودخل في اعتقادهم انهم اقوى من الارقاديين فمضوا يستشيرون كهانة ذلفي في فتح ارقاديا فكان جواب الكاهنة هكذا «اتيت تسألني ارقاديا فطلبك فاحش فلا اوتيكه لان لارقاديا محاربين طعامهم البلوط «١» يدفعون هجماتك على انني لا احسدك واعطيك بلاد تيجية لترقص فيها وتقيس بالحبال سهولها الجميلة» وعلى هذا الجواب عدل اللقدمونيون عن محاربة بقية ارقاديا واخذوا معهم سلاسل وقيوداً وقاموا على بلاد تيجية وكانوا يحسبونهم ارقاء لهم بناء على ما جاءهم في نبوة ملتبسة غير واضحة الدلالة ولما وقع بينهم القتال دارت الدوائر على اللقدمونيين «٢» فمن وقع منهم حياً بيد العدو اوثقوه بالسلاسل التي جلبوها معهم وفي هذه الحالة كانوا يشتغلون في حقول تيجية وقاسوها بخيط البناء وما زالت تلك السلاسل باقية حتى الان معلقة على هيكل آلية الاثينائية

❋ ٦٧ ❋ فصادف اللقدمونيون فشلاً مستمراً في حروبهم الاولى مع التيجيين على انه في عصر كريسوس وعهد اناكسندريدس وارسطونس في اسبرطة كانت لهم النصرة لانهم ارسلوا يستشيرون كهانة ذلفي ان ترشدهم الى معبود يلتجئون اليه لكي ينصرهم على اعدائهم فاجابتهم الكاهنة انهم ينتصرون اذا احضروا اليهم عظام ادرستوس بن اغاممنون ولما جهلوا موضع القبر ارسلوا ثانية يسألونها اين هو المدفن فانبأتهم هكذا «في بقاع ارقادية مدينة اسمها تيجية بقوة الضرورة فيها تهب ريحان وهناك الاصل والفرع وشر على شر وفي جوف تلك الارض الخصبة

---

١ شرح لرشي عن البلوط وكيفية اكله في بعض الاماكن شرحاً لا نرى لاثباته هنا وجهاً ❋ ح ❋

٢ هذه الكسرة حدثت على عهد الملك خاريلوس . وكانت نساء التيجيين قد حملن السلاح وكمن في حضيض جبل فلما كانت المعركة والتحم القتال ظهرن من وراء اللقدمونيين وفتكن بهم فانهزموا . وكان اللقدمونيون قد قبضوا على الملك ثم اطلقوه على ان لا يعاود الحرب معهم وتذكاراً لما فعلت النساء نصب في ساحة تيجية تمثال للمعبود مارس (المريخ اله الحرب) الملقب بضيف النساء ❋ ل ❋

عظم ادرسنوس فاذا جئت بها الى اسبرطة فانك تغلب تيجية لا محالة » فتلقى
لسعطا‌ئيون هذا الجواب وجدّوا كل الجدّ في البحث المدقق في كل جهة حتى
اللقدموني‌خيرًا رجل اسمهُ ليخاس من اهالي اسبرطة الملقبين اغاثورجة ويراد بهم
جدهُ الفرسان الذين يعطون رخصة في التجول وكانوا كل سنة يرخصون لخمسة
تقدم الأيون الى حيث تقتضي مصالح الجمهورية لا الى كل مكان يريدونه
نفعهُ ❋ ٦٨ ❋ وكان ليخاس المذكور من مصاف اولئك الفرسان فاكتشف
في تيجية ضريح ادرسنوس لا بمجرد حذقهِ فقط بل بوجه الاتفاق ايضًا واذ كانت
التجارة حينئذٍ آخذة مجراها الاول مع التيجيين دخل دكان احد الحدادين
وهو يطرق الحديد وعجب منهُ فلحظ الحدّاد منهُ لائحة التعجب فامسك عن شغله
وقال يا ايها اللقدموني اني اراك تتعجب من رؤية كور الحدادة فكيف بك لو كنت
رأيت العجيبة التي رأيتها انا وهي اني كنت احفر بئرًا في هذه الدار فوقفت على
تابوت مقدار طوله سبع اذرع وحيث لم اكن معتقدًا بوجود اناس اكبر بنية من
الذين هم في ايامنا فتحتهُ واذا فيهِ جسد معادل لطول التابوت وبعد ان اخذت
قياسهُ طمرتهُ بالتراب . فاخذ ليخاس يتأمل هذه الحكاية وخطر لهُ ان الجسد ربما
كان جسد ادرسنوس الذي جاء يطلبه لانهُ افتكر ان نفخ الكور اخذًا وردًا
عبارة عن ريحين وان المطرقة والسندان هما الاصل والفرع وان الحديد المطروق
هو الشر على الشر اذ كان في زعمهِ ان الحديد لم يكن الا لمضرّة الانسان وفيما
هو متشاغل بهذه الهواجس جاء الى اسبرطة وقص حكايتهُ على ابناء بلده فتواطأوا
على ان يتظاهروا بالوشاية عليهِ بذنب اوجب نفيهُ فرجع الى تيجية واخبر الحدّاد
بحاجتهِ وطلب اليهِ ان يؤجرهُ محلهُ لسكناهُ فابى ذلك اولاً ثم اجابهُ الى طلبهِ
فاستقرّ ليخاس في المحل المذكور وفتح القبر واخرج عظام ادرسنوس ونقلها الى اسبرطة
ومذ ذاك الحين جعل اللقدمونيون يفوزون في حروبهم مع التيجيين وكانوا فضلاً
عن ذلك قد ادخلوا في حوزتهم اكبر قسم من البيلوبونيسة
❋ ٦٩ ❋ وعلم كريسوس جميع هذه الامور فانفذ سفراء الى اسبرطة واصحبهم

بهدايا بقصد ان يطلبوا الى اللقدمونيين ان يتحدوا معهُ وبحالة وصولهم تكلموا بهذا الكلام المودع اليهم وهو «ان كريسوس ملك الليذيين وجملة طوائف اخر قد «ارسلنا الى هنا يقول لكم ايها اللقدمونيون قد امرني الاله ذلفي بان ابتّ معاهدة «مع الاغارقة فاتيتكم وفقًا لمقتضى النبوّة لعلمي بانكم انتم الاولون بين شعوب الاغارقة «وانا راغبٌ في الموادة والمحالفة معكم على غير مواربة ولا تدليس» هذا ما قالهُ السفراء فراق للقدمونيين هذا المقال وكان بعلمهم ما اوحي بهِ من الكهانة الى كريسوس فطابت خواطرهم بحضور السفراء اليهم وعقدوا معهم شروط المحالفة مهاجمين كانوا او مدافعين وكان كريسوس قبل ذلك قد ارسل اليهم بعض هدايا وذلك انهم ارسلوا يومًا الى سرديس من يبتاع ذهبًا ليصوغوا منهُ تمثال ابلون وهو التمثال الموجود الان في جبل طُرنَقْس من اعمال لاقونيا فقدم لهم كريسوس الذهب هديةً

٧٠ فحصل من جود كريسوس وتفضيله اياهم على باقي الاغارقة ما حملهم على محالفته ومعاهدته وتأهبوا لاسعافهِ حالما يطلب منهم النجدة وصنعوا جامًا من البرنج بمقابلة هداياه اليهم وجعلوا سعة الجام مقدار ثلثمائة امفورة وغشوه بالنقوش المحفورة على ظاهره بصور حيوانات ناتئة على انهُ لم يصل الى سرديس لاسباب قيل فيها قولان احدهما ان اللقدمونيين يقولون ان اهل ساموس سلبوهم اياهُ في سواحل بلادهم لانهم حينما احسوا بسفرهم لاقوهم بشوانيهم وقاتلوهم واخذوه والاخر ان الساموسيين يقولون ان اللقدمونيين انفسهم الذين كانوا حاملين الجام لما علموا في اثناء الطريق بان كريسوس وقع اسيرًا وان سرديس فتحت باعوه في ساموس لناس قدموه الى هيكل يونون ولعل الباعة انفسهم اشاعوا حين رجوعهم الى اسبرطة ان الساموسيين سلبوهم اياه فهذا ما كان من امر الجام البرنجي

٧١ ويرجع الكلام الان الى كريسوس فانهُ لما جهل معنى النبوة اراد ان يطوف في كبادوكية طمعًا في ازالة حكومة قورش والفرس وبينما كان يتأهب للسفر جاءه رجل من ليديا اسمهُ سندانيس كان مشهورًا بالحكمة وذاعت شهرتهُ بين الليذيين بسداد الراي الذي ابداه لكريسوس فقال لهُ هكذا «ايها

الملك انت تستعد للحرب مع اقوام كسوتهم الجلود ويكتفون بما يحصل لهم من القوت فضلاً عن ان اراضيهم جدبة وشرابهم الماء دون الخمر ولا يعرفون ما طعم التين ولا غيره من الثمار اللذيذة فان نهض لك الظفر عليهم فلست بغانم من شعب لا شيء عنده وان دارت عليك الدوائر تكون خسائرك جسيمة واذا اتفق لهم ذات يوم ان يذوقوا حلاوة ارضنا فلا يعودون يتخلون عنها وليس لنا واسطة لدفعهم وانني شاكر لا محالة العزة الالهية التي لم تلهم الفرس بان يأتوا لمقاتلة الليديين» ولكن ما قاله سندانيس لم يقنع كريسوس مع كونه بيّن له وجه الصواب لان الفرس قبل تغلبهم على الليديين لم يكونوا يعرفون الاسراف والترفه في المعيشة

❋ ٧٢ ❋ وكان الاغارقة يسمون اهل كبادوكية سوريين وكان هولاء قبل تلك الحجم عليهم من تبعة مادي وكانوا اذ ذاك خاضعين لقورش الملك لان نهر هاليس كان فاصلاً بين ممالك مادي وممالك الليديين وهذا النهر يخرج من احد جبال ارمينية وهو المعروف بجبل طورس ويمر ببلاد كيليكية ومن ثم يتم مجراه وبلاد المطيانيين عن يمينه وبلاد الفريجيين عن شماله وبعد مروره بين هاتين الامتين يتحول نحو الشمال فيحيط من الجهة اليمنى بسوريا ومن الجهة اليسرى ببلاد بفلاغونية وهكذا يفصل اسيا الصغرى عن اسيا الكبرى من بحر قبرس الى البحر الاسود وبين هذين البحرين خليج مسافته خمسة ايام على سير رجل مسرع

❋ ٧٣ ❋ والحالة هذه سافر كريسوس بجيوشه الى كبادوكية بقصد ان يضم هذه البلاد الى ملكه وكان واثقاً بما انبأته الكهانة ومضمراً الاخذ بثار صهره استياجس من كيازارش ملك مادي لان قورش وقتئذ كان غلبه واخذه اسيراً اما وجه علاقة المصاهرة بينهما فانه كان على الصفة الاتي ايرادها بالتفصيل اعلم انه حدثت فتنة اضطرت قوماً من السكيثة الرحالة الى ان يذهبوا خفية ويحلوا في اراضي مادي وذلك في عهد الملك كيازارش بن فراورتس حفيد دبوكيس فقبلهم اولاً بمزيد الاعزاز والاكرام قبولة لاناس قد لاذوا به واستوثق منهم جداً

حتى سلمهم اولادًا يعلمونهم لغتهم والرمي بالقوس فلم تمض مدة من الزمان على السكيثة حتى تعودوا الصيد والقنص وصاروا ياتون بصيدهم يوميًا فجاءوا ذات يوم وما معهم شيء وكان كيازارش نزقًا سريع الغضب فبادرهم بشراسة اخلاقه فاستاء السكيثة من معاملته لهم بما لا يستوجبونه وتواطأوا على ان يقطعوا احد الاولاد اربًا اربًا ويجعلوا لحمانه على اسلوب لحم الصيد الذي كان من عادتهم ان يقدموه طعامًا لكيازارش وانهم لا يلبثون بعد ذلك ان يرحلوا الى سرديس حيث الياطس بن سدياطس وهكذا فعلوا فاكل كيازارش ومدعووه الجالسون معه على المائدة مما قدم بين ايديهم ثم فرّ السكيثيون بعد هذا الصنيع المنكر والتجأوا الى الياطس

﴿ ٧٤ ﴾ فطلبهم كيازارش من الياطس فابى ان يسلمهم اليه وانتشبت بسببهم الحرب بين الملكين المشار اليهما واستمرت مدة خمس سنوات وكانت بينهما سجالاً وفي السنة السادسة بعد ان تكافأا بالقتال حدث بغتةً ظلام صير النهار ليلاً «١» وذلك بينما كان الجيشان في حومة النزال. قلت وان طالس الميليتي كان قد انبأ الماديين بهذا الكسوف الشمسي وعين السنة التي يحدث فيها. ونظر الليديون والماديون الى ماحصل فكفّ الفريقان عن القتال وما لا الى الصلح والمسالمة وتوسط الامر بينهما سينيسيس «٢» ملك كيليكية ولابينيتس ملك بابل واسرعوا بابرام شروط السلم ولاجل تمكينها جعلوا بينهم علاقة المصاهرة اذ كان في اعتقادهم ان اسباب الصلح لا تكون وطيدة ان لم تربط بوثاقات المصاهرة فسولوا لالياطس ان يعطي ابنته اريانيس لاستياجس بن كيازارش وكان من عادة هذه الطوائف ما عند

---

١ اختلف العلماء في صحة تاريخ ذلك الكسوف فاتفقت اراء جماعة على ان ذلك الكسوف هو الذي حدث في ٩ تموز سنة ٤١١٢ للخليقة وعندي ان رايهم الصواب لموافقة التاريخ اكثر من سواه ولا يرد عليه غير اعتراض واحد وهو ان الظل كان قد امتد فوق البحر الاسود من جهة سكيثية وبحر ازوف وفي الحقيقة ان الكسوف لم يكن مكتنفًا خطوط ما ليس كلها. لكن بلا شك كان شاملاً لاكثرها ولا غرو اذا دهش له الناس في ذلك الحين لانهم كانوا في جهل تام من هذا القبيل * ل *

٢ اسم سينيسيس كان يلقب به ملوك كيليكية وفي الاقل ان اربعة منهم قد تلقبوا به اما ملوك بابل فكانوا يلقبون باسم لابينيتس . * بلخر *

الاغارقة من رسوم المحافظة على شروط الصلح يد انهم كانوا يريدون بان يخدش كل من الخصمين ساعد الاخر ويمص من دمهِ

❊ ٧٥ ❊ وكان قورش مستاسرًا استياجس جدّه لامهِ وخلعهُ عن الملك لاسباب سابينها في موضعها من هذا التاريخ فتكدر كريسوس من جرى ذلك وحمل ضغنًا على قورش فارسل يستشير الكهانة هل يوافق فتح الحرب على الفرس فاتاه الجواب من دلفي ملتبسًا فحسبهُ موافقًا لهُ وصمم على دخول ديار الفرس فمضى حتى وصل الى شاطئ نهر هاليس . وفيما اظن انهُ اجتاز بعساكره على الجسر الموجود حتى اليوم اما قول اكثر الاغارقة فان طالس المليتي فتح لهُ طريقًا بدعوى ان كريسوس وقف حائرًا في امرهِ كيف يقطع النهر لان الجسر لم يكن اذ ذاك وكان طالس المذكور مع الجيش فحول ماء النهر الى مجرى اخر بحفرهِ ترعة عميقة على شكل هلال بحيث تمرّ من خلف المعسكر وتتصل بمجرى النهر من الطرف الاسفل فتحول الماء واصبح الجيش امام النهر وفي هذا قولان الاول ان الماء انقسم في المجريين فقلّ حتى سهل عبورهُ والثاني انهُ تحول بتمامهِ وجف المجرى الاول والصحيح ان الراي الاخير لا صحة لهُ والا فكيف امكن لكريسوس وجيشهِ ان يعبروه ثانية في رجوعهم « ١ »

❊ ٧٦ ❊ وبعد ان عبر كريسوس نهر هاليس دخل بجيوشهِ كبادوكية المدعوة بتيرية وهي اعظم مقاطعة في تلك البلاد واقعة بالقرب من سينوب القريبة من شاطئ البحر الاسود وانزل عساكره في ذلك المحل واباح لهم نهب اراضي السوريين والاستيلاء على مدينة بتيرية فاستاسر اهاليها وتملك على ما يجاورها من القرى وطرد السوريين الى اماكن اخر على غير داعٍ موجب لهذه المعاملة اما قورش الملك فانهُ جمع جيوشهُ وضم اليها كل من صادفهُ في طريقهِ او من جاء لملتقاه وقبل ان يصف الجنود في موقف القتال انفذ رسلاً الى اليونانيين يستفزهم الى

---

١ قد يمكن ان يكونوا قد ارجعوه الى مجراه الاصلي بعد ان تجاوزوه وهو جاف كما حولوه الى مجرى جديد في المرة الاولى فيكون الراي الثاني اقرب الى الصواب ❊ ح ❊

خلع طاعة كريسوس فلم يذعنوا لمقصده فوجله وقام لتناء العدو فوقع بين الجيشين بعض مناوشات في بتيرية وتعاظم بينهم القتال حتى عمّ كلا العسكرين وهلك به خلق كثير الى ان اظلم الليل وفصل بينهما ولم يكن لاح علم النصر في احدى الجهتين

✻ ٧٧ ✻ واذ ذاك نظر كريسوس الى قلة عدد عساكره مع وفرة عساكر العدوّ ورآه في الغد مقبلاً على القتال لا محالة فبدا له من الصواب ان يرجع الى سرديس ويوخر الحرب مدة الشتاء الى فصل الربيع بحيث يكون استدعى بانصاره المصريين بناء على معاهدته مع ملكهم اماسيس المتقدمة على المعاهدة التي عقدها مع اللقدمونيين وان يستدعي ايضاً البابليين الذي كان حالفهم في عهد ملكهم لابينتس ويعين للقدمونيين وقتاً يجتمعون فيه بعد مضي خمسة اشهر وهكذا تتيسر له الراحة مدة فصل الشتاء حتى اذا انتهت ودخل فصل الربيع وتمت استعداداته والتأمت حوله الانصار يشب نار القتال على الفرس وبناء على ذلك قام راجعاً الى سرديس وبحال وصوله ارسل يدعو اليه حلفاءه ليجتمعوا بالوقت المعين وفرّق جيوشه المتطوعة بعد ان كابدت هول القتال المنوه عنه مع الفرس فتفرقت في كل ناحية هذا ولم يكن في حسابه ان قورش يداهمه بعساكره في سرديس اذ لم يكن بدا له وجه الفوز في الحرب السابقة

✻ ٧٨ ✻ وبينما كان كريسوس متشاغلاً بتلك المهام اذ امتلأت كل الاماكن خارج المدينة من الحيات فتركت الخيول مراعيها وتواثبت عليها لتبتلعها فعجب كريسوس من هذا المنظر الغريب ولاجرم انه كان مدهوشاً فلم يلبث ان ارسل من يستخبر له الاله تلميس عن ذلك فرجع الرسل بالجواب لكن لم يقدروا ان يبلغوه اياه اذ كان قبل ايابهم بحرّاً الى سرديس قد اخذ اسيراً وكان مفاد الجواب ان كريسوس سينظر عساكر غريبة تدوس بلاده وتخضع لها سكانها لان الحية هي ابنة الارض اما الحصان فهو عدو غريب

✻ ٧٩ ✻ وبعد رجوع كريسوس القهقرى من حرب بتيرية ادرك قورش باطن مكيدته بتفريق جيوشه فعقد مجلس مشورة واستقر الراي على ان

يبادر الى سرديس قبل ان يتهيأ لليديين ان يجتمعوا وتعظم عصبتهم فعول على ذلك وجرى بحسبه دون ابطاء ولم يتصل الخبر الى كريسوس الاّ وقد داهمهُ قورش بعساكره فكان من كريسوس محاربًا كهِ وسوء تدابيره وخيبة اماله وقلة عساكره ان الثقاة بشرذمةٍ من الليديين كانت باقية عنده ولم يكن اذ ذاك في كل اسيا من يضاهي اهل ليدية بالفراسة وشدة الباس والطعن بالرماح الطويلة

٨٠ وكان موقع الحرب بين العسكرين تحت سور مدينة سرديس في سهل فسيح يجري به نهر هالبس مع غيره من الانهر التي تصب في نهر هرمس العظيم وهو يخرج من جبلٍ مختص بكيبيلة «١» ويصب في البحر قرب مدينة فوقية ولما نظر قورش الى العسكر الليدي بذلك السهل خاف من هجمات فوارسهم فعمل براي هرباغوس المادي وجمع الجمال التي كانت تنقل المهمات وانزل عنها الاحمال واركب عليها فوارس لابسين زي خيالة وامرهم ان يسيروا في طليعة الجيش حذاء خيالة كريسوس وامر العساكر المشاة بان تتبع الجمال واردفهم بالفرسان راكبي الخيول وبعد ان رتبهم صفًا صفًّا اوصاهم ان يقتلوا ايًّا يلقونهُ من الليديين ولا يبقوا على احد منهم الّا كريسوس حتى ولو بعد مكسه قصد ان يضربهم لا يقتلوه وهكذا تمت اوامر قورش فتقدمت الجمال قبالة خيول العدوّ لانها تجفل من روية الجمال لعدم الائتلاف وتنفر من منظرها ورائحتها وبهذه الحيلة توفق قورش الى ان يضعف قوة خيالة كريسوس التي كانت اعظم عمدته بالقتال وخيب اماله بالنصر ولما تقدم العسكران ودار بينهما الضرب والطعان ونظرت الخيول الى الجمال فاجفلت راجعة الى الوراء على ان الليديين لم يجزعوا وعلموا المكيدة فترجلوا عن

---

١ كيبيلة معبودة الارض وهي ابنة السماء زوجة زحل وامّ المشتري ويونون ونبتون وغيرهم من كبار المعبودات وكانوا يسمونها باسما مختلفة وكانت عبادتها شائعة في فريجيا وكريت ودخلت بلاد الرومان على عهد انيبال فاتوا بتمثالها الى رومية ٠ وكانوا يقيمون لها اعيادًا بين رقص وعزف واعمال اخرى تكثر فيها الجلبة . وكانوا يمثلونها بصورة امرأة قوية حبلى بطفح ثدياها باللبن وعلى راسها اكليل من رسوم ابراج وثيابها خضراء وملمعة وتجرّها الاسود

خيولهم وتضاربوا مع الفرس بالسلاح فكانت موقعة هائلة خسر فيها الفريقان خسائر جسيمة وانهزم الليديون والتجأُوا الى داخل الاسوار فاقام الفرس على حصارهم

✻ ٨١ ✻ ولما كان كريسوس يظن ان مدة الحصار تطول وطلب من محالفيه ان ياتوه في الشهر الخامس ثم تبين له ما اوجب حضورهم قبل الوقت المعين ارسل من قبله رسلاً اليهم يستعجلهم بالمجيء ما امكن

✻ ٨٢ ✻ وارسل ايضًا الى عدة مدن متحالفة معه وعلى الخصوص لقدمونية يستدعي سكانها الى نجدته وكان في ذلك الزمان قد حدث نزاع بين اهل اسبرطة واهل ارغوس بداعي المحل المدعو ثيري وهو قطر من بلاد ارغوليذة استولى عليه اللقدمونيون وكانت تلك البلاد من جهة الغرب حتى راس ماليا تختص باهل ارغوس بجميع اراضيها وجزيرة كيثيرة مع غيرها من الجزر فجاء الارغوسيون لاستخلاص هذه الاراضي الماخوذة منهم عنوةً واجتمعوا باهل اسبرطة واتفقوا على ان يتعين من كل من الفريقين ثلاثمائة مقاتل ويدعوهم في حومة القتال يتعاركون فمن يحوز الغلبة تكون له الاماكن المتنازع عليها وان تبعد سائر العساكر عن محل القتال حذرًا من ان يتناصروا وهكذا لم يبق في ميدان الحرب غير الستمائة مقاتل المعينين من الفريقين فتواثبوا بعضهم على بعض تواثب الاسد الكواسر ودار بينهم الضرب والطعان وما زالوا متكافئين في البأس حتى افنى بعضهم بعضًا ولم يبق من الطرفين الا ثلاثة رجال اثنين من الارغوسيين وهما الكينورس وخروميوس وواحد من اللقدمونيين وهو اوثرياذس فصل بينهم ظلام الليل وبادر ذانك الاثنان الى ارغوس ليبشرا بالنصرة لهم واما اوثرياذس اللقدموني فانتهز فرصة غيابهما واخذ سلاح القتلى واودعه معسكره ورجع الى موقف القتال يتوقع رجوع عدويه حتى اذا كان الغد جاء العسكران وادّعى كلٌّ منهما الظفر لنفسه اما الارغوسيون فلانهم بقي منهم اثنان واما اللقدمونيون فلان المقاتل الباقي منهم اخذ سلاح القتلى وثبت في ميدان القتال ولم يبارحهُ فنشأ عن ذلك الخصام بين العسكرين واستانفا القتال فكانت موقعة عظيمة وبعد خسائر جسيمة من الطرفين

كانت النصرة للندمونيين ومذ ذاك حلق الارغوسيون شعور روُّسهم وكانوا يرسلونها قبل ذلك وسنّوا شريعةً فيها يلعنون من يخالفها من الرجال في ارسال شعرهم ومن النساء بلبس الحلي الذهبية قبل إستخلاص ثيري . وعاكسهم بذلك اللقدمونيون فانهم بعد ان كان شعرهم قصيرًا سنّوا شريعةً في ارساله والبطل اوثريادس المذكور انفًا خجل من رجوعهِ الى اسبرطة حيًّا بعد فقد جميع رفاقهِ فقضى على نفسهِ في محل القتال في ارض ثيري

✻ ٨٣ ✻ هذا ما كان من اسبرطة عند وصول رسول سرديس الآتي بطلب النجدة لكريسوس المحصور في عاصمتهِ وكانت الجيوش والمراكب مجهزة فلم يبطئوا بارسالها واذا بساعٍ اخر يخبر باخذ مدينة الليديين واسر كريسوس فحصل من ذلك حزن عظيم عند اهل اسبرطة ولزموا اماكنهم

✻ ٨٤ ✻ وهنا نذكر كيف اخذت سرديس فنقول في اليوم الرابع عشر من محاصرة قورش انفذ خيالة ينادون على العساكر بان كل من يصعد اولاً على سور المدينة ينال جائزةً فلعبت الحماسة بروُّوس الجنود وهاجموا الاسوار لكن بدون فائدة والتزموا ان يتركوا المهاجمات واتفق في سالف الزمان في عهد ميليس ملك سرديس ان ولد لهُ اسد من سرّية لهُ «١» فانباهُ كاهن تلميس بان يطوف بذلك الاسد حول اسوار قلعة سرديس فلا يعود يمكن للعدو ان يفتحها فطاف بهِ كل جهةٍ من اسوارها الاّ محلاً اهملهُ لانهُ رآهُ مستوعرًا صعب المرتقى لايمكن النفوذ منهُ الى المدينة وهو مشرف على جبل تمولوس فلذلك اهملوه في هذه المرة ايضًا من التحصين وللامر المقدر اتفق لهيروادس من طائفة المادرة ان رأى ذات يوم رجلاً من المدينة قد سقطت خوذتهُ فنزل من المحل المذكور فاخذها ورجع فبدا لهيروادس ان يصعد من هناك وتبعهُ بعض الفرس ثم لحق

---

١ كنت احسب في اول الامر ان هنا خطاءً لكني بعد التروي رأيت اسم الاسد مذكورًا مرتين ولا جرم ان هيرودوتس كان رجلاً كلفًا بالخرافات وجاهلاً لعلم الطبيعة وشرائعها كمعاصريهِ ويستفاد من مقتضى استغرابهِ هذه الاعجوبة وذكره استشارة تلميس بشان ذلك ان المراد هنا الاسد حقًا ✻ ل ✻

بهم كثيرٌ من العسكر ودخلوا المدينة من ذلك المحل واستولوا عليها ونهبوها

❊ ٨٥ ❊ وكان لكريسوس ولدٌ نوهت بهِ قبلاً مجمل بالاخلاق الحسنة الا ان في لسانهِ حبسة فلم يدَعْ ابوهُ ما هو فيهِ من العز والقساوة واسطة لعلاجهِ الا اتخذها وفي جملة ما استعملهُ من الوسائل لشفائه أنهُ لجأ الى الاله ذلفي في اطلاق لسانهِ فاجابهُ بلسان الكاهنة هكذا «ايها الليدي المالك على عدة امم انت «يا كريسوس الاحمق لا تطمع في ان تسمع في بلاطك صوت ابنك المتلهف الى «سماعه فاولى بك ان لا تسمعهُ لان يوم بدء تكلمه وحلول بؤسك يجمعهما يومٌ «واحدٌ» وبعد ان اخذت المدينة رأى كريسوس رجلاً فارسياً عامداً الى قتله وهو لا يعرفهُ فلم يبالِ بهِ لكثرة ما كان يكتنفهُ من الخطوب والكروب التي سوت عنده بين الموت والحيوة ولم يعرفه بنفسه وكان ابنه الابكم ناظراً الى ذلك الفارس واثباً على ابيه فثار الدم في راسهِ واضطرب فصاح قائلاً «مهلاً ايها الجندي لا تقتل كريسوس» هذه كانت اول كلمة نطق بها واستمر باقي ايام حياتهِ مطلق اللسان

❊ ٨٦ ❊ ثم اخذ الفرس كريسوس اسيرًا بعد ان مضى على ملكه اربع عشرة سنة وحاصر اربعة عشر يوماً وتمت النبوة بخراب ملكه العظيم فساقهُ الفرس الى قورش الملك مثقلاً بالقيود ثم قرن اليهِ اربعة عشر شاباً من الليديين واصعدهم محرقة كان قد نضدها بقصد ان يضحي عليها باكورة غنائمه بهذه النصرة اولكي يفي نذراً كان عليهِ ان يفيه او ليمتحن الالهة بانقاذ كريسوس من الحريق لان له شهرة بكثرة التعبد ومهما يكن من قصده فانهُ هكذا جرى ورفعوا كريسوس على المحرقة فتذكر حينئذٍ ما قالهُ سولون من ان لا يقال عن احدٍ سعيد ما دام في هذه الحيوة واعتقد ان كلام الحكيم لم يكن الا بالهام الله ثم اطرق برهةً واطال الفكرة صامتاً ثم تنهد وصرخ سولون سولون سولون وكان قورش يسمع كلامهُ فسألهُ بواسطة الترجمان من يكون هذا الذي يستغيث بهِ فلم يجبهُ كريسوس بكلمة عن ذلك فالح عليهِ بالسؤَال فقال . ان الذي تسأَلني عنهُ انما هو رجلٌ افضلهُ على كل ملوك الارض فلم يفهم معنى الجواب وطلبوا اليهِ ايضاحه بالحاح فقال لهم ان سولون في سالف الزمان قد جاء الى بلاط ملكي وبعد ان اريتهُ كل ما

عندي من العظمة والغنى لم يعبا به البتة بل افاد في بحكم لم ابال بها اذ ذاك لكني اراها اليوم قد تمت بالفعل وهي ليست بلاحقة بي وحدي بل بالعالم كله ولا سيما الذين يحسبون انفسهم سعداء قال هذا كريسوس وقد اخذت النار تضطرم في اطراف المحرقة فلما فهم قورش من ترجمانه هذا المقال داخله من جرى ذلك الندم وصار يتأمل في نفسه تقلب الزمان وسوء العاقبة وما كان عليه كريسوس من السعادة والعظمة وكيف يحل له ان يبيد انسانا مثله بالحريق فخاف انتقام الالهة ومصرع البغي فامر في الحال ان يطفوا النار وينزلوا كريسوس ورفاقه على انهم لم يستطيعوا ذلك لاستعار النار ولهيبها

❋ ٨٧ ❋ فرأى كريسوس ان قورش قد حال عن عزمه على ما رواه اللاصبون وعلم ان الجمع مجتهد في اطفاء النار ولكنه غير قادر فابتدر الى الاستغاثة بالاله ابلون فرفع صوته وتضرع اليه اذا كانت قرابينه مقبولة لديه ان ينقذه من الخطر المبين وكانت ضراعته مقرونة بدموع سخية فحصل بغتة انقلاب غريب اذ ان وجه السماء بعد ان كان صافيا نقيا تكاثفت عليه الغيوم وهبت الرياح وتبعها مطر غزير اطفى المحرقة فدهش قورش لهذه العجيبة واستدل منها على ما لكريسوس من الكرامة عند الاله مجازاة لفضائله فانزله عن المحرقة وقال له اي الرجال اشار عليك بان تدوس بجيوشك اراضينا وتبادئني بالعدوان عوض المحبة فاجاب كريسوس انما الباعث الى ذلك هو عظم سعدك وسوء بختي ولا جرم ان كلا السببين دفعاني الى هذه الحالة السيئة اقول وان اله الاغارقة هو وحده الذي استفزني الى قتالك ومن تراه يختار الحرب على السلم غير فاقد البصيرة والبصر أليس بالسلم يتأتى للاولاد ان تغمض اعين ابائهم وبالحرب ترى الاباء يدفنون ابناءهم وبكل حال ان المقدر لا بد منه

❋ ٨٨ ❋ ثم امر قورش بحل وثاقه واجلسه الى جانبه وابدى له مزيد الاعزاز والتعظيم هو وسائر رجال دولته ولم يكونوا بقادرين على النظر اليه بلا دهشة وعجب فوجم كريسوس متضعضعا بالهواجس ثم رفع راسه ولحظ ان الفرس ينهبون مدينة سرديس فالتفت الى قورش وقال يا سيدي هل لك ان تطلع على

ما يخامرني من الافكار او ان ظاهر حالتي الحاضرة موجب لسكوتي فقال قورش تكلم امنًا فقال ما الذي يتشاغل فيهِ هذا الجمع الهائج فاجاب قورش انما هو نهب عاصمتك وسلب مقتناك فقال كريسوس ليست هذه مملكتي ولا بها خزائني اذ انها لم تعد تختص بي بل هي مواشيك التي يستاقونها وخزائنك التي ينهبونها

❋ ٨٩ ❋ فتأثر قورش بهذا الجواب وصرف الحاضرين بالمجلس عنهُ وخلا بكريسوس وشاوره فيما ينبغي لهُ ان يعملهُ في تلك الحال فاجابهُ يا مولاي حيث ان الالهة القوني بيدك اسيرًا وجب عليَّ ان انبئك بما يكون لك فيهِ صلاح فاقول ان امة الفرس تعودت الفقر ومن دأبها التغطرس فاذا ابحت لها نهب هذه المدينة فلا بد ان بعضها يغتنون فيبعثهم ذلك الى التمرد عليك لا محالة فالاجدر بك ان تقيم خفراء على ابواب المدينة ليجمعوا الغنائم من العساكر بحجة ان يوخذ منها العشر تقدمة للاله جوبيتر وبهذه الحيلة تتخلص من غيظها ولو اجبرتها على اعطاء الغنائم جميعها اذ يعلمون بعد ذلك انك لم تطلب شيئًا لنفسك بل ما هو حق واجب فيرضون عنك

❋ ٩٠ ❋ فسرَّ قورش كثيرًا بهذه المشورة ورأى فيها الصواب واثنى عليهِ وامر الخفراء باجراء ذلك ثم اتجه الى كريسوس وقال تبين لي من قولك وعملك انك ستنتهج منهج الملوك فتمنَّ عليَّ ما يحلو لك فاعطيكهُ بالحال فاجاب كريسوس يا مولاي ان اقرب ما تصنعهُ لي ان ترخص لي بان ارسل الى اله الاغارقة الاله الذي عظمتهُ على غيره من الالهة هذه الاغلال واسألهُ كيف يسوغ لهُ ان يخادع الذين يستوجبون حسن المعاملة فاخذ يسألهُ الملك عن اسباب شكايتهِ وطلبه فاجاب بما كان قد قصده وبما كان من سؤالهِ للكهانة وجوابها وبما كان من تقدماته وهداياه لهيكل وبما اندر بهِ وهاجهُ على محاربة الفرس وفي الجملة فانهُ كرر طلبه ان يجيز لهُ ذلك بالعد فاجاب قورش ليس لك فقط الاذن بهذا ولكن كل ما تشتهيه نفسك فارسل كريسوس بعضًا من الليديين الى دلفي وامرهم ان يأخذوا تلك القيود ويرموها على عتبة الهيكل ثم يسألوا الالهة الم

بخجل باغواء كريسوس على محاربة الفرس واطماعه بخراب ملك قورش وان يروه القيود قائلين هذه باكورة غنائمه الوحيدة التي يقدمها لك شكرًا عن هذا الاغواء له ويسألونه هل جرت العادة عند آلهة الاغارقة ان يكونوا عديمي الوفاء بهذا المقدار

✻ ٩١ ✻ وبعد ان تمّ الليديون اوامر كريسوس بوصولهم الى ذلفي يوكدون بقولهم ان الكاهنة ردت لهم هذا الجواب وهو «ان من المستحيل حتى على الاله نفسهِ ان يرد حكم القدر فلقد عوقب كريسوس بخطية جده الخامس الذي كان حاجبًا عند الملك المتسلسل من الهرقليين لانهُ فعل ما اغرتهُ به امراة محتالة فقتل مولاه واختلس تاج الملك على غير حقٍ فاجتهد ابلون كل الاجتهاد واتخذ كلّ الوسائط حتى لا يري كريسوس نكبة سرديس وان لا تحدث الاَّ في مدة اولاده فعالج في تاجيل القدر فما امكن لهُ وجلّ ما استطاعهُ بصلواته انما هو الانعام عليه بنجاة شخصهِ واخر سقوط سرديس ثلاث سنوات فليعلم كريسوس انهُ اسر بعد الوقت المقدر عليهِ بثلاث سنين وانهُ قد انقذه عندما اوشك ان يهلك بلهيب النار ولا حق لكريسوس ان يشكو ابلون لانهُ قد انباهُ انهُ اذا حارب الفرس يسبب دمار مملكة عظيمة فمن ابن فهم ان معنى ذلك موجهًا الى خراب مملكة عدوه ولمَ لم يستوضح من الاول اية مملكة التي ستخرب هل هي مملكة ليديا او مملكة قورش ولكونه لم يفقه معنى النبوة ولم يستوضح عنها فملامه عائد على نفسهِ دون غيره وقد التبس عليهِ ايضًا معنى نبوة ابلون لجهة البغل فان قورش هو ذاك البغل المرموز بهِ لان ابويهِ كانا مختلفين في اصلها فابوه آتٍ من اصل ادنى من اصل امهِ لانها ابنة استياجس ملك المادين وابوه من الفرس تبعة المادين وعلى كل حال هو احقر منها وان تزوج بها» فعاد الليديون بهذا الجواب من عند الكاهنة الى سرديس وابلغوه لكريسوس فتحقق حينئذٍ ذنبهُ ونفى اللوم عن الاله. اما ما كان من امر مملكة كريسوس واول استرقاقهِ اليونانيين فان تفصيلهُ كما ياتي

✻ ٩٢ ✻ فضلاً عما ذكرنا من تقدمات كريسوس للاله قدم ايضًا

عدة تقادم الى طيوة والى بيونية منها كرسي ذهب مثلث القوائم «١» خص بابلون الاسميني وعجول من ذهب الى مدينة افسس واكثر اعمدة الهيكل المشاد فيها وارسل الى ميترفة ذلفي ترسًا ذهبيا وهذه كانت باقية في ايامي خلا المفقود منها اما ما قدمهُ للبرنخيذة في بلاد الميليسيين فعلى ما اعلم كان مثل ما قدمهُ لذلفي بالوزن نفسهِ ولكن التقدمات التي جعلها لذلفي وهيكل امفياراوس فكانت من حاصلات املاكهِ المختصة بهِ وهي باكورة ميراثهِ من ابيهِ والباقي من حاصلات املاك عدوٍ له كان اثار عليهِ حربًا وتعصب لتمليك بنطاليون اخي كريسوس من ابيهِ فقط لانهُ كان مولودًا من امراة يونانية وكريسوس من امراة كارية فلما تبوأ كريسوس تخت الملك عاقب الذي دعا للثورة عليهِ ونذر للالهة ما حصل من الاملاك والغنائم التي اخذت منهُ وقدمها كما ذكرنا

❊ ٩٣ ❊ ولم يكن في ليديا ما في غيرها من الغرائب المستوجبة الذكر في التاريخ الا الشذور الذهبية المجرّة من جبل تمولوس «٢» بمياه نهر البكتول الجاري في مدينة سرديس وكذلك موجود بها قبر الياطس ابي كريسوس وفيهِ من غريب الصنعة ما لا يكاد يوجد بغير محل خلا بلاد مصر وبلاد بابل فان دائرتهُ كبيرة وباقية وهي من تراب مجتمع وقد بني على نفقة التجار الذين يبيعون في ساحة البلد وعلى نفقة اهل الصناعة والخطايا وجعلوا فوق ذلك الاثر خمس علامات بقيت حتى ايامي مرقوم فيها ما يدل على مقدار ما انفقهُ كل فريق من اهل الحرف الثلاث المذكورين وبالمقابلة يظهر ان ما انفقتهُ الخطايا كان القسم الاكبر ومن عادة هولاء النساء في بلاد الليديين ان يتعاهرن ليربحن نقودهن حتى يتوفق لهن ازواج لهن حق ان يخترنهم ويودين لهم المهر ومحيط ذاك الاثر كان مقدار ست استادات

١ كانت كاهنة ذلفي اذا ارادت ان تنبئ بالوحي تجلس على كرسي لهُ ثلاث قوائم ولهذا السبب جعلهُ كريسوس من ذهب اجلالًا للمعبود ❊ ح ❊

٢ هذا الجبل في بلاد ليديا مشهور بما فيهِ من الخمر والزعفران وطيب الهواء ويعرف الان باسم بوزطاغ وعند حضيضهِ تجاه سرديس كانت مدينة تمولة ❊ ح ❊

وبليثرين وعرضهُ ثلاثة عشر بليثرًا «١» ويجاوره بحيرة لا مغيض لمائها حسب زعم الليديين وتدعى بحيرة جيجية وان شرائع الليديين في مشابهة لشرائع الاغارقة الا من جهة عادة البنات وعندي انّ الليديين هم اول من سلك النقود فضةً وذهبًا وتعامل بها وهم اول من نهج طريقة المبايعة اعني مشترى الصنف وبيعهُ ويدعون انهم هم المستنبطون عدة العاب متداولة الآن بينهم وبين الاغارقة وبلغ من دعواهم انهُ في اوقات استنباطهم الالعاب ارسلوا قومًا استعمروا بلاد تيرينية على الوجه الآتي

❊ ٩٤ ❊ حدثت مجاعة في زمان الملك آتيس بن مانيس وشملت كل بلاد الليديين فقاساها الليديون مدة قصيرة ثم راوا ان حالة هذا الضيم لن تزول فعالجوا في ازالتهِ كلٌّ بحسب ما عنَّ لهُ وفي تلك الغضون اخترعوا الملاعب والملاهي مثل اللعب بالطابة والشطرنج والكعاب وما شاكل ذلك فكانوا يقضون نهارهم اجمع لاعبين بالمناوبة بقصد التلاهي عن الجوع وفي اليوم التالي كانوا يشتغلون عن اللعب بتناول الطعام واستمروا على هذه الحالة مدة ثماني عشرة سنة فتسبب لهم عن ذلك زيادة التضرر والضيم عوض تنقيصها ثم بدا للملك ان يقسمهم شطرين احدها ليبقى والاخر ليسافر وجعلهم يقترعون في ذلك فاصاب القسم الذي كان مع الملك قرعة الاقامة والذي كان مع ابنهِ تيرينوس قرعة السفر فترحلوا اولًا الى ازمير وبنوا فيها سفائن شحنوها اثاثًا وادوات لازمة وذهبوا بها مذاهب التعيش والارتزاق والتفتيش على اراضٍ اخرى وبعد ان طافوا شواطئ عدة بلدان نزلوا في اومبرية وعمروا مدنًا ليسكنوها حتى اليوم وبدلوا اسم الليديين باسم تيرينيين نسبةً الى ابن ملكهم الذي كانوا تحت رئاستهِ وبهِ سميت المستعمرة

❊ ٩٥ ❊ قد علم ما تقرر ان الليديين دخلوا في طاعة الفرس وبقي ان نبين من هو قورش الذي اخرب ملك كريسوس وكيف كان استيلا الفرس

---

١ هذه الاقيسة عبارة عن ٢٩٨ قصبة وقدمين وعشر اصابع استدارة . و٢٠٤ قصبات وثلاث اقدام وتسع اصابع عرضًا . فيكون عرض كلٍّ من الوجهين الآخرين ٤٤ قصبة وثلاث اقدام و٨ اصابع * ل *

على اسيا فنقول جارين في ذلك على ما جرى عليهِ بعض مورخي الفرس الذين اعتمدوا الحقيقة اكثر مما قصدوا المبالغة في تعظيم اعمال قورش٭ وان كان في ذلك ثلاثة اقوال مختلفة . اعلم انهُ بعد تغلب الاشوريين على اسيا الكبرى بمدة خمسمائة وعشرين سنة اول من ثار عليهم الماديون وحاربوهم بقصد التخلص من ربقة العبودية ولتواصل القتال بينهم تدربوا عليهِ وحصلوا على الحرية التامة فاقتدى بهم غيرهم من الامم

٭ ٩٦ ٭ وكانت شعوب تلك البلاد الداخلية كافةً يقضى عليها بمقتضى سننها وشرائعها ولكن بعد ذلك عرض ما اوجب عليهم الخضوع لشريعة الملك وهو انهُ كان عند الماديين رجل حكيم يدعى ديوكيس بن فراورتس مشغوفاً بحب التملك فبذل جهده حتى توصل الى نوال مأربهِ وكان الماديون اذ ذاك متفرقين في القرى والضياع وديوكيس المذكور من ذوي الوجاهة بين اهل قريتهِ يقضي فيهم بالعدل والنشاط على ان الشرائع كانت عند جميع الماديين غير محترمة والحقوق مهضومة والاهالي في ضنك وضيم عظيم من جرى الظلم والخروج عن العدل فاختاره العارفون بصفاتهِ من اهل وطنهِ قاضياً واذ كان ولوعاً بالتوصل للملك كما ذكر صار يظهر كل ما من شانهِ العدل والاستقامة فحصل لهُ عن ذلك سمعة جيدة وذكر حسن اشتهر عند القاصي والداني حتى غدا كل متظلم يقصده في القضا دون سواه لاعتقاد الناس فيهِ لزوم محجة العدل والانصاف

٭ ٩٧ ٭ وهكذا اخذ يزداد شانهُ وتوارد الناس اليهِ يوماً بعد اخر فلما راى كثرة ازدحام الناس عندهُ امتنع عن الصعود على منبر القضا معتذراً بان اشتغالهُ بغيره سبب لهُ ضرراً بمصالحهِ الخصوصية ولما كان التعدي وقطع الطرق قد كثر في ذلك الحين حدث اضطراب وقلق فاجتمع الماديون وتشاوروا في اصلاح حالتهم فتصدى اصحاب ديوكيس وقالوا من حيث ان حالة معيشتنا صارت تنكد علينا السكنى بهذه البلاد وصار من اللازم لنا ان ننتخب ملكاً يقضي بيننا وفقاً لمقتضى الشرائع العادلة فيتاتى لنا ان نحرث اراضينا بهدوّ وسلام ونامن غوائل الغاصبين واهل العدوان فاثر هذا الكلام بخواطر الماديين واقنعهم لانتخاب ملك

عليهم

﴿ ٩٨ ﴾ ثم دار بينهم الحديث على الانتخاب فكثر المادحون لديوكيس وترجحت الاصوات له فانتخبوهُ ملكًا باجماع الراي فامر بان تبنى دارٌ موافقة لمقامهِ وان يقام بين يديهِ خفراء لحراستهِ فامتثل المادبون امره وشادوا له محلاً حسب مرغوبهِ وكان بناية فاخرة وفوضوا اليهِ ان يختار منهم حرسًا على هواه ثم ما لبث بعد تبوئهِ تخت الملك ان الزم رعاياهُ بان يبنوا مدينة ذات رونق ومتانة بقطع النظر عن غيرها من الاماكن فاستصوب المادبون طلبهُ وانشأوا مدينة عظيمة تعرف اليوم باسم اغبطانة «١» وجعلوا اسوارها قائمةً الواحد بعد الاخر بحيث ان كل حائط لا يعلو غيره الا بمقدار علو الشرَفات اما سعة المحل الذي جعل على مثال الكثيب فقد سهلت هذا الترتيبَ فزادوا على السبعة الاسوار قصرًا للملك «٢» والخزينة في السور الاخير الذي محيطهُ يعادل محيط سور اثينا وجعلوا شرفات السور الاول بيضاء وشرفات الثاني سوداء والثالث حمراء والرابع زرقاء والخامس اسمجونيةً وهكذا صبغوا باقي الشرفات بالوانٍ مختلفة اما شرفات السورين الاخيرين فكان صبغها في الاول بلون الفضة وفي الثاني بلون الذهب

﴿ ٩٩ ﴾ وعلى هذه الكيفية بني القصر وما حولهُ من الدور والمنازل وامر بقية الشعب بان يقيم حول السور وبعد تمام تلك المباني سن قانونًا يمنع كل احد من الدخول على الملك وان جميع الاشغال تنتهي بوساطة مامورين يقدمون للملك تقارير عنها وان ليس لاحدٍ ان ينظر الى وجه الملك او يضحك او يبصق

---

١ اي في زمن هيرودوتس . ثم عرفت عند الافرنج باسم اكبتانة والعرب يسمونها همذان . وورد في التوراة ان الذي بناها ارفكشاد ملك مادي (وهو فراورتس ولد ديوكيس وخليفته سمي باسم جده) وكان بناؤُها على ذلك سنة ٦٠٠ ق . م . * ح *

٢ كان قصر الملك تحت القلعة محيطه ست اثنادات وخشبهُ ارزٌ وسرو وجسوره وسقفهُ واساطين اروقتهِ واعمدة داخلهِ كلها مغشاة بصفائح ذهب وفضة وسطحهُ من آجرّ فضة وكل ذلك نهب عند قدوم الاسكندر ( بوليبوس . كتاب ١٠ )

بحضرته «١» حتى منع البصق امام كل احدٍ لكونه معيبًا وقصد بذلك ان يمنع مجالًا لسوء السابقين الذين هم من عمره ومن مقامه وكانوا متعودين معاشرته عن اخذ كثرة الدالة عليه وكفًا لهم عن الحسد وحذرًا من ان يثيروا عليه فتنةً واعتقد ان تحجبه عن اعين الناس يدعو الى زيادة مهابته

☼ ١٠٠ ☼ بعد نهج هذا القانون اخذ ديوكيس يقضي بالعدل والانصاف وكان يفصل الدعاوي التي كانت تعرض عليه خطًا ويرجعها وعليها توقيعه واذا علم بان احد اعوانه ارتكب امرًا منكرًا كان يستحضره ويجازيه بما يستوجبه من القصاص واقام جواسيس تجسس اعمال رعيته وتترقب احوالها

☼ ١٠١ ☼ ثم ضم كل الماديين عصبة واحدة واقتصر على التملك عليهم وهذه الطائفة ينضم اليها عدة قبائل كالبوزة والبريتاكينة والستروكاتة والاريزنتة والبوذيين والمجوس

☼ ١٠٢ ☼ وقضى ديوكيس نحبه بعد تملكه مدة ثلاث وخمسين سنة وخلفه ابنه فراورتس فلم يكتفِ بملك مادي فبدا يقاتل الفرس وكانوا اول شعب خضع له فتأتى له بهاتين الطائفتين العظيمتين ان يستولي بعد ذلك على اسيا وما زال ينتقل من فتح الى اخر حتى تجهز لمنازلة الاشوريين وقومٍ منهم كانوا في نينوى وكان الاشوريون اصحاب باسٍ في اسيا وهلك فراورتس مع اكثر عساكره في محاربتهم بعد تملك اثنين وعشرين سنة

☼ ١٠٣ ☼ ثم خلفه ابنه كيازارش «٢» ويوصف بنجبة الحروب اكثر من ابيه وهو اول من جزّأ شعوب اسيا الى عدة فرقٍ من الجنود وخصص الطاعنين بالرماح لركوب الخيل وللرمي بالنبال كل فئةٍ على حدتها وقبله كانت

---

١ كان من قوانين الادب عند الهنود والعرب وغيرهم من امم الشرق ان لا يبصق الرجل ولا يمخط امام الملك ولا الرئيس واذا اضطر احد الى شيء من ذلك يخرج خارجًا ولا يبصق او يمخط في منديله كما هي العادة اليوم عند المتمدنين *ح*

٢ او كيخسرو . والعرب يسمون الطبقة الثانية من الفرس بالكيانية لان اكثر اسماء ملوكهم مبدوءٌ بلفظة كي *ح*

جميع فرق الجيوش مختلطة بعضها ببعض «١» وهذا الذي قاتل الليديين وفي احدى وقائعهِ حدث الكسوف وهو الذي بعد ان اخضع كل بلاد اسيا الى اعالي نهر هاليس جمع كل قوات مملكتهِ وزحف بها على نينوى قاصداً خرابها اخذاً بثار ابيهِ وقد غلب الاشوريين في القتال وحصر نينوى فدهمتهُ اذ ذاك جيوش السكيثة «٢» تحت قيادة ملكهم مدياس بن بروتوتياس وكان سبب وصولهم الى مادي انهم طردوا القمريين من اوروبا ولاحقوهم في اسيا

❋ ١٠٤ ❋ والمسافة من بالوس ميوتيس الى فاسة وكلخيدة ثلاثون مرحلة للمجدّ والطريق المؤدية من كلخيدة الى مادي بين الجبال لكن المسافة غير طويلة وليس بين هاتين المملكتين غير بلاد سابيرة فاذا اجتازها المسافر يصل الى بلاد مادي واما السكيثة فلم يدخلوا من تلك الجهة لكنهم ذهبوا من فوقها بطريق طويلة بحيث كان جبل قوقاس من عن يمينهم فالتقاهم الماديون وقاتلوهم قتالاً كانت بهِ الدبرة عليهم وخسارة مالك اسيا

❋ ١٠٥ ❋ وامتلك السكيثة جميع اسيا ومن هناك زحفوا على الديار المصرية ولما وصلوا الى سورية فلسطين التقاهم بسماتيخوس ملك مصر وقدم لهم الهدايا وتودد اليهم طالباً ان يرجعوا عنهُ فرجعوا واتوا من طريق عسقلان الى سورية وخرج اكثرهم من هذه البلاد دون ان يلحق بها مضرة بخلاف الذين بقوا منهم فيها فانهم نهبوا هيكل الزهرة الملقبة بالسماوية «٣» وغاية ما اعلم من هذا

١ كان تملك كيازارش سنة ٦٢٤ ق م . ومن ذلك العهد عُرف النظام العسكري في اسيا مع قطع النظر عن العبرانيين ايام موسى لانهم كانوا اسباطاً لكل سبط راية خاصة * ل *

٢ كانت غزوتهم هذه على عهد بسماتيخوس ملك مصر وقد وهم القديس ايرونيموس بقولهِ ان هذه الغزوة كانت على عهد دارا ملك مادي * ل *

٣ الزهرة من اشهر معبودات الازمنة القديمة عند اليونان وغيرهم وهي الهة الجمال والراي المشهور انها تولدت من زبد البحر فرفعها جوبيتر الى السماء وزوجها ولكانوس اقبح المعبودات صورة فتورطت في سبيل الخيانة وولدت من سواه عدة معبودات . ومن اعتقاداتهم في الجاهلية انهم كانوا يسمون هذه الزهرة بالارضية او العامية عبارة عن الدعارة

الهيكل انهُ اقدم الهياكل المشادة لهذا الاله ويروي اهل قبرص ان اصل هيكل قبرص مأْخوذ عنه وهيكل كيثيرة قد بناه الفينيقيون الذين من سورية فلسطين فسخطت الزهرة على ناهبي هيكلها وابتلتهم هم وذريتهم بامراض النساء ولا يتكي السيكيثة انهم ان ذلك كان قصاصاً لهم على ما ابدوه من الرجس

❊ ١٠٦ ❊ واستمر ملك السكيثة في اسيا ثمانيًا وعشرين سنة واكثروا من العيث والتخريب اكتساحًا واهمالاً وفضلاً عن اموال الجزية المرتبة كانوا يغرمون افراد الناس ويسلبونهم اموالهم وكانوا يسطون في البلاد ناهبين سالبين اموال الاهالي وما زالوا كذلك حتى قام كيازارش والمادبون وصنعوا وليمة دعوا اليها اكثر السكيثة واسكروهم وقتلوهم عن اخرهم وهكذا استخلص المادبون ملكهم وتملك كيازارش البلاد الماخوذة منهم عنوةً ثم اخذ وا مدينة نينوى على وجه سياتي بيانهُ في غير هذا الكتاب وتغلبوا على الاشوريين الا بلاد بابل وعند ختام هذه الفتوحات توفي كيازارش بعد ان اقام في الملك مدة اربعين سنة

❊ ١٠٧ ❊ وخلفهُ ابنهُ استياجس وولد لهُ ابنة سماها مندانة وراها في الحلم بالت مقدارًا عظيماً جدًّا اغرقت بهِ عاصمة ملكه مع سائر بلاد اسيا فقص رؤياه على المجوس معبري الاحلام فراعهُ تعبيرهم لها وبلغ من خوفه انهُ عند ما ادركت ابنته لم يرض باقترانها مع شاب مادي جدير بها من حيث الحسب والنسب فازوجها بفارسي يدعى قمبيز كان معروفًا عنده انهُ من عائلة وجيهة وانهُ كريم الاخلاق لين العريكة مع معرفته بانهُ احط شانًا من عامة الماديين

❊ ١٠٨ ❊ وفي السنة الاولى بعد اقتران قمبيز بابنته مندانة رأى حلمًا اخر وهو انهُ تمثلت لهُ دالية عنب خارجة من حضن ابنته ممتدة فروعها على كل اسيا فقص الرؤيا على معبري الاحلام واحضر اذ ذاك ابنتهُ من بلاد الفرس وكانت حاملاً وقد دنا وقت مخاضها واقام عليها حرسًا لاهلاك المولود منها لان

---

والفساد ويسمون مقابلتها معبودة اخرى بالزهرة السماوية عبارة عن الكمال في العفة والعلوم والظاهر ان هذه من اختلاقات افلاطون لانهم يسبونها اليه ✻ ح ✻

المعبرين كانوا قد انذروا بان المولود سيملك مكانه فخاف استياجس من ذلك وحينما ولد قورش استدعى بهرباغوس وهو الرجل الذي كان يأتمنه خاصةً بين جميع الماديين وقال له ينبغي للث ان تتم لصدق الامانة ما آمرك به واحذر ان تخادعني باغراء غيري لانك اذا خنتني تطوح بنفسك الى الهلاك لا محالة اعليك ان تاخذ الصبي المولود من مندانة الى بيتك وهناك اقتله وحنطه على مرادك فاجابه هرباغوس مولاي اني طالما اجتهدت بنوال مرضاتك واني لباذل جل مقدرتي باتمام اوامرك وانت تريد اهلاك الصبي وانا لك مطيع وفاعل ماتشتهي

✻ ١٠٩ ✻ وبعد ذلك تناول هرباغوس الطفل وعليه الحلى وقصد به منزله وعيناه ذارفتا الدموع وعندما وصل به اخبر امراته بما امره الملك فسالته ما عساك ان تفعل فاجابها انني لا اجري اوامر استياجس ولو تحنط غيظاً عليّ فان عدم رضاه اولى من التجني بقتل هذا الولد لعمرالله اني غير فاعل ذلك لاسباب منها كوني نسيباً له وكون استياجس طاعناً بالسن ولا ذكر له يخلفه في الملك ولا سيما اذا خلفته ابنته مندانة التي امر بقتل ابنها فلا ريب ان عاقبة الامر تعود عليّ بالخطر المبين لذلك ارى من موجب سلامتي ان يكون هلاك الصبي بيد غيري من خواص استياجس لا بيد اللائذين بي

✻ ١١٠ ✻ قال هذا وبالحال ارسل يستحضر من رعاة بقر استياجس اعرفهم بالرعاية واخبرهم بالجبال المطروقة بالوحوش الضواري وكان اسمه متريداتس وهو وامراته من ماليك استياجس وكان اسمها سباكو اي كلبة بلغة الماديين الذي تاويله كينو بلغة الاغارقة لان الماديين يدعون الكلبة سباكو وكانت مراعي بقر الملك في حضيض الجبل الى جهة البنطس شمالي اكبطانة وهناك بلاد السابيرة ومادي بلاد مرتفعة ذات جبال مغطاة بالغاب وباقيهـــا سهول فسيحة متلاحقة فحضر الراعي الذي طلبه هرباغوس وكلمه قائلاً ان استياجس يامرك بان تاخذ هذا الصبي وتطرحهُ على جبل مقفر جداً ليهلك حالاً وامرني ان اخبرك بانك اذا ابقيت عليه ولم تهلكهُ فانك تهلك باصعب نوع من العذاب ويطلب مني ايضاً ان اشاهد بعيني هل امتثلت الامر ام لا

❋ ١١١ ❋ فاخذ متريداتس الولد حالاً ورجع الى كوخه من حيث اتي وفيما هو ذاهب كانت افكاره مضطربة لجهة امراتهِ التي فارقها تتمخض وامراتهُ مضطربة الافكار لجهة سبب طلب هرباغوس اياهُ على غير عادة فلما وصل وجد امراتهُ قد وضعت غلامًا بسماح الله وهي اندهشت لرجوعهِ اذ لم تكن تتوقعهُ في ذلك الحين فاول ما سالتهُ عن سبب طلبهِ بالحاح فاجابها حالما وصلت عند هرباغوس سمعت ونظرت ما لا كنت اشتهي وهو ان هرباغوس وسائر اهل بيتهِ في بكاء وعويل وبينهم ولدٌ مطروح على الارض يصرخ تحت ملاءة ملفوفة بالذهب ولما رآني هرباغوس الحّ عليَّ باخذ الصبي لارميه على الجبل حيث الوحوش الضواري موكدًا لي ان استياجس نفسهُ يامرني بذلك واكثر لي من التوعدات والتهديدات اذا لم امتثل الامر فاخذت الولد واتيت بهِ ظانًا انهُ لاحد من اهل بيتهِ اذ لم اكن اعلم من هو ابوهُ لكنني عجبت اذ رايتهُ ملفوفًا بمذهبات وثياب فاخرة وزادني تعجبًا النظر الى جميع من في بيت هرباغوس بالبكاء وبينما انا اسير على الطريق علمت من الخادم الذي رافقني الى ظاهر المدينة وسلمني الولد انهُ ابن مندانة ابنة استياجس وان اباه قمبيز ابن قورش وان استياجس امر بقتلهِ وهذا هو الولد

❋ ١١٢ ❋ قال هذا وكشف عن وجه الولد واراه لامراتهِ فاندهشت بجمالهِ وبنيتهِ فخرّت على اقدام زوجها تسالهُ باكية ان لا يلقي الولد في المعاطب فقال لها ان هذا مستحيل فاقطعي النظر عنهُ اذ من اللازم ان ياتي رقباء من قبل هرباغوس للاستكشاف فاذا لم يتم الامر يكون هلاكي بلا محالة ولما رات سباكو امراتهُ عدم قبول كلامها وتاثيره قالت حيث لا يمكن لي ان اقنعك بالعفو عنهُ ولا بد من ان يشاهد مرميًا على الجبل فخذ الطفل الذي ولدتهُ ميتًا وارمهِ هناك واعطني الولد لارضعهُ بمثابة ابني وهكذا تكون اتممت اوامر مولاك ودفنت ابنك في قبرٍ ملوكي وربحنا الولد الحي

❋ ١١٣ ❋ فاستصوب الراعي راي امرأته فاعطاها الولد واخذ ابنهُ الميت عوضه ووضعه على مهد الامير المزركش ورماه في البرية المقفرة فاقام احد رعاتهِ يحرسهُ وبعد ثلاثة ايام ذهب الى هرباغوس واخبره باتمام امره وعرض عليهِ

ان ينظر جثة الولد فارسل هرباغوس معه بعض مؤتمنيه فاودعوه رمسًا اما الطفل الامير فاهتمت سباكو بتربيته وهو الذي اشتهر بعد حين باسم قورش وكانت سباكو تسميه باسم اخر

١١٤ فنشأ الصبي حتى صار ابن عشر سنوات فعرض له حادثة عرف بها وهي انه في ذات يوم اجتمعت اولاد القرية التي فيها مواشي الملك يلعبون على الطريق وكانوا اترابه ويسمونه ابن البقار فاقاموه عليهم ملكًا يولي المناصب والرتب فاعطى بعضهم منصب نظارة العمارة وجعل اخرين خفراء واقام بينهم وزيرًا بمنصب صدر اعظم واخر مقدمًا للعرضحالات كلًّا لما يصلح له من الوظيفة وكان في جملة الاولاد ابن ارتمبريس من اعيان الماديين فلم يمتثل امر الصبي قورش فامر بالقبض عليه وضربه بالعصي ففعلوا وغادروه فشق عليه الامر لما حل به من الاهانة المخلة بشرفه وبادر الى المدينة يشكو الى ابيه ما جرى عليه من ابن راعي استياجس (كما كان يدعوه اذ لم يكن معروفًا باسم قورش) فاستشاط ارتمبريس غيظًا وذهب مع ابنه الى الملك متشكيًا وكشف عن كتفي ابنه وقال يا مولاي اهكذا يهيننا احد ابناء عبيدك

١١٥ ولما رأى الملك ذلك استحضر متريداتس وابنه ليقاصهما ترضية لارتمبريس وبحال حضورهما بين يديه نظر الى قورش الصبي وازدجره قائلًا كيف تجاسرت وانت ابن راعٍ ان تعامل معاملة غير لائقة ابن احد اكابر دولتي فاجاب قورش انني يا مولاي عاملته بحق لان اولاد القرية الذي هو منهم اقاموني في اللعب ملكًا عليهم لانهم رأوني جديرًا بذلك ولم يكن احد يخالف اوامري الا ابن ارتمبريس فانه عبث بها ولم يخضع فقاصصته فان كان فعلي هذا مخالفًا للحق فها انا بين يديك فجازني بما تريد

١١٦ فكان من مشابهة هيئة الصبي لهيئة الملك وجوابه السديد المملوء من الشهامة وعمره الموافق لحين هلاك حفيده مما القى بقلب استياجس الشك فظل برهةً مندهشًا ولم يتكلم ثم انتبه واراد ان يصرف عنه ارتمبريس بقصد الاستقصاء من متريداتس على خلوة بشان الصبي فقال يا ارتمبريس ليس لك ان تشكى

لانت ولا ابنك ثم امر اعوانهُ ان يضعوا قورشْ داخل القصر وخلا بمتريدانس واخذ يسأَلهُ اين وجد هذا الصبي فاجابهُ انهُ ابني وما زالت أمهُ حية فلحظ استياجس منهُ انكار الحقيقة فانذرهُ قائلاً انك كالباحث على حتفهِ بظلفهِ واوعز الى الخفراء ان يمسكوهُ ولما لم يعد لمتريدانس مناص من اظهار الحقيقة اقرَّ بها بالتفصيل تمامًا وخرَّ لدى الملك طالبًا الامان

﴿ ١١٧ ﴾ فعند ما علم استياجس بالحقيقة اعرض عن متريدانس وتاثر من خيانة هرباغوس متسخطًا وامر باحضاره فمثل بين يديهِ وخاطبهُ بما يأتي « يا هرباغوس قل لي كيف قتلت ابن بنتي الذي سلمتهُ اليك » ونظر هرباغوس متريدانس قائمًا في قاعة الملك فاعترف بكل شيء بغير مواربة حذرًا من ان تفضح الحقيقة افتضاحًا لا يبقى معهُ لبسٌ واشتباه وقال مولاي حينما اخذت الصبي فكرت في كيف يكون السبيل في اتمام ارادتك ومحافظتي على واجباتي ومقتضيات مذهبي معك بحيث لا ارتكب جريرة القتل واكون عند ابنتك وعندك متجنيًا فاستحضرت متريدانس ودفعت اليهِ الصبي وقلت لهُ انك انت نفسك تامر باهلاكهِ وكان ذلك حقيقيًا لانك كنت امرتني ان اهلكهُ واذ سلمتهُ الصبي افهمتهُ بان يرمي بهِ على جبل مقفر وان يرقبهُ حتى يموت وفي الجملة فانني قد توعدتهُ بالعذابات اذا لم يتم ذلك ثم ارسلت بعد ذلك من اثمنهُ عنديّ للكشف عن الصبي وتحققت موتهُ ودفنه وهكذا انتهى الحال يا مولاي ونفذ المقدر على الصبي

﴿ ١١٨ ﴾ فجاء كلام هرباغوس مطابقًا لظاهر الحقيقة وكظم استياجس غيظهُ وبدا يقص لهُ القصة كما فهمها من متريدانس ثم قال لهُ ان الصبي لم يزل حيًّا وانهُ قد صار مسرورًا من عدم اهلاكه لانهُ كان على الدوام قلقًا لسوء معاملة ابنته واستجلابهِ ملامتها . ثم قال وحيث ان حسن البخت كان لنا فارسل اليّ ولدك يصحب الصبي وانت لا تبطئ علينا بالمجيء لتناول العشاء معا بهذه الليلة لان من قصدي ان اقدم بوجودي حفيدي ضحيةً للاله الحافظ لي هذا المجد

﴿ ١١٩ ﴾ فسجد هرباغوس للملك بعد هذا الكلام ورجع الى بيتهِ

مسرورًا حامدًا خطاهُ ومتفاخرًا بدعوة الملك اياه لحضور يوم الفرح الذي اتخذهُ تذكارًا لنجاة الصبي وحين وصل الى منزله افتقد ابنهُ الوحيد وكان قد بلغ من العمر ثلاث عشرة سنة وارسلهُ الى قصر استياجس بعد ان اوصاه بان يمتثل امر الملك ولشدة فرحه اخبر امرأته بدعوة الملك له ولولده ولما وصل ابن هرباغوس الى القصر امر الملك بذبحهِ وتقطيعه اوبًا اربًا وطبخهِ بين مشوي ومسلوق والوان اخرى واعدوه عشاء واذ كان وقت تناول الطعام جلس المدعوون على المائدة ومعهم هرباغوس وقدم بين ايديهم الماكول فقدموا لاستياجس وسائر المدعوين من لحم الضان ولهرباغوس من لحم ابنهِ الا الراس والاطراف فانها كانت قد وضعت في طبقٍ مخصوص مغطى وبعد ان اكل هرباغوس كفايتهُ سالهُ استياجس هل هو ملتذ بهذا الطعام فاجابهُ نعم يامولاي فاحضر الذين كان اوصاهم بالطبق الذي فيه راس الولد ويداه ورجلاه ووقفوا بجانبهِ وقالوا اكشف الطبق وخذ ما تشتهي فكشف الطبق ورأى بقية جسد ولده فتجلد ولم يظهر عليهِ القلق فسالهُ استياجس ليعلم هل كان عارفًا ما هو اللحم الذي اكلهُ فاجابهُ بانهُ كان عالمًا به وكل ما جاء من قبل الملك فهو مقبول لديهِ ثم انصرف الى بيتهِ حاملًا بقية ولده وفيما اظن بقصد ان يدفنها •

❋ ١٣٠ ❋ وبعد ان انتقم الملك من هرباغوس بالوجه المذكور استدعى بالمعبرين الذين كانوا قد عبروا له الرويا المار ذكرها ليستشيرهم بشان قورش فلما حضروا استعاد منهم تعبير الحلم الذي رآه فاجابوه بالجواب نفسه قائلين اذا لم يهلك الصبي فلا بد من تملكه فقال استياجس ان الصبي لم يزل حيًا بغاية الصحة ولقد تربى عند البربر واختاره اولاد قريته ملكًا عليهم فباشر اعمال الملوك الحقيقيين فانهُ اقام له خفراء وحجابًا واعوانًا يبلغونهُ مهام الاشغال وتقاريرها وفي الجملة فانهُ قد مارس سائر الامور المتعلقة بالملك فما عساكم ان تقولوا هل هو ما يتشاءم بهِ فاجابهُ المعبرون ليطمئن قلبك ايها الملك لكونه صار ملكًا بطريق الاتفاق على غير قصد ولم يبق عليك باس اذ لا يملك مرةً اخرى ولا غرو فان من النبوات والانذارات ما لا طائل تحتهُ وكذا الاحلام فان منها ما لا عظيم اهمية

له فقال استياجس وانا ذاتي اوافقكم في ذلك لان الصبي من حيث قد تكلم كملك فقد تمت الرويا واظن المحذور قد انتفى واريد منكم ان تتروّوا ثم تبينوا لي ما يبدو لكم من الراي لان في ذلك سلامتي وسلامتكم قال المعبرون يا مولانا ان دوام ملكك ليهمنا جدًا اذ بحصول الملك بيد الصبي الفارسي تنتهي الحال وينتقل الى طائفةٍ اجنبية ونعود عند الفرس بمثابة الغربا ولا يبقى لنا عندهم حرمة واعتبار فيعاملونا كاسراء وعبيد لكننا ببقائك انت ايها المولى الوطني على تخت الملك لا نزال مغمورين باحسانك ورائعين بظللك وكاننا شركاوك في الملك وهكذا من صوالحنا ان نحرس دائمًا على سلامتك وصلاح ملكك وان شعرنا بشي من الخطر عليهِ يلزمنا اخبارك دون ابطاء ولما لم تكن روياك التي رايت ذات اهمية قد اطمأنت قلوبنا وصرنا نلتمس اليك بالحاحٍ ان تطمئن انت ايضًا وتبعد عنك هذا الصبي بان ترسلهُ الى ابيهِ في بلاد فارس

۞ ١٢١ ۞ فاستحسن استياجس كلامهم واستحضر قورش وقال لهُ يا بني انني ما عاملتك بعدلٍ بسبب حلم رايتهُ في المنام وتطيرت منهُ ولكن طالع سعدك شفع لك بالنجاة فحييت فسر مطمئنًا الى ارض فارس في صحبة جماعة من اتباعي يوصلونك الى هناك ويشاهدك ابواك اللذان يوجد بينهما وبين متريداتس وامرأتهِ عظيم فرقٍ

۞ ١٢٢ ۞ قال هذا وبعث بقورش الى الفرس وبلغ قمبيز ومندانة ما جرى لهُ فتلقياه بالمسرة والحبور لانهما لم يكونا ياملان بحياتهِ ثم سالاه كيف تاتى لهُ ان يحيا فاجاب قورش اني كنت اذ ذاك غير عالم بامري حاسبًا نفسي ابن راعي بقر استياجس ولم اشعر بما كنت بهِ من التعاسة الا في اثناء الطريق من رفاقي واخبرهما كيف ارضعتهُ سباكو امراة الراعي وكان يلازم شكرها وذكرها اما ابواه فانهما كانا يتخذان من ذكر اسمها دليلاً للفرس في اقناعهم بان وقايته حصلت بعناية الله الخصوصية واخبرا جهارًا ان ولدهما اُلقي على جبلٍ قفر عرضة للوحوش الكاسرة فارضعتهُ كلبة من اطباعها ومن هنا نشأت اشاعات الحكاية المناقلة

۞ ١٢٣ ۞ وبلغ قورش اشدهُ وكان محبوبًا نبيهًا حاذقًا يفوق غيره

من الشبان اترابهِ وكان هرباغوس ظامئًا الى الانتقام من استياجس فارسل اليهِ الهدايا والحَّ عليهِ بمساعدته لانهُ لم يكن ابن عشيرة ويعسر عليهِ الانتقام وحدهُ من عدوهِ وكان على الدوام يعلل نفسهُ ويعلّق املهُ على بلوغ قورش الذي كان يحسبهُ مثيلاً لهُ بالمصيبة ويزداد تعلقًا بهِ وكان يتخذ بعض وسائل احتياطية حتى اذا سنحت لهُ الفرصة يغتنمها لنوال مرادهِ فلما جار استياجس على المادييين وازداد ظلمًا اخذ هرباغوس يستغوي افكار اكابرهم الى ان ينزعوا التاج عن استياجس ويضعوه على راس قورش وبعد ان نسج حبالة الفتنة وأعدّ ما يلزمهُ اقتضى الحال ان يكاشف قورش بمشروعهِ واذ كان هذا الامير في بلاد فارس والطريق بينهما مخفورٌ تعذر عليهِ نوال ماربهِ فاستنبط حيلة لذلك بان احضر ارنبة وشق جوفها بصناعة بحيث لم يكشف الجلد واودعهُ كتابًا رقم فيهِ ما شاءَ وخاط الجوف ودفع الارنبة الى من يثق بهِ من خواصهِ مع آلة الصيد حتى يوهم كونهُ صيادًا وكلّمهُ شفاهًا بان ياخذ الارنبة الى بلاد فارس ويسلمها الى قورش ويقول لهُ ان يفتح جوفها بيدهِ على انفراد

❋ ١٢٤ ❋ فاتمّ الخادم اوامر سيدهِ وفتح قورش جوف الارنبة ووجد الرسالة فيهِ فقراها وكان مضمونها ما ياتي . يا ابن قمبيز لا جرم انك ما زلت ملحوظًا بعين الله ولولا ذلك لما تاتى لك ان تبلغ من السعادة ما بلغت ولا بد لك ان تنتقم من استياجس المتعمد قتلك وقد طالما اجتهد في اعدامك ولم تبق حيًا حتى الان لولا عناية الله بك وتدبيري وانت لست تجهل ما فعلهُ من قبل لاهلاكك وما اكثر ما قاسيت انا حين دفعتك الى متريداتس تخلصًا من ان اقتلك بيدي فان احببت ان تتصرف الان على مقتضى مشورتي وتكون دولة استياجس برمتها لك فاستفزّ الفرس على نبذ ربقة العبودية وتعال مترئسًا عليهم للايقاع بالماديين فتظفر بهم لا محالة سواءً فوّض اليَّ استياجس قيادة العساكر ام وكلها الى غيري من اعاظم الماديين فان زعماء قومهِ يكونون اول من يغدرون بهِ وينحازون اليك ويبذلون جل مقدرتهم في اسقاط سلطنته وها كل شيء مهيأ لك لتفرغهُ في قالب موافق فعليك ان تبادر الى ما بعثت اليك بهِ بدون ابطاء ولا تردد

۞ ١٢٥ ۞ ولما قرا قورش ما في الكتاب ابتدر لاتخاذ الوسائل اللازمة لاستنهاض الفرس الى الاستبداد وبعد ان بالغ في الافتكار تبين له ان احسن طريقة لبلوغ ماربهِ ان يحرر رقيما كما املت عليهِ قريحته ففعل ثم فض ختم الرسالة حين اجتمع الفرس وتلاها عليهم وكان فيها ان اسنياجس قد ولّاه تدبير أمورهم فخاطبهم قائلاً «اول ما امركم بهِ الان ان تجتمعوا هنا وبيد كل منكم منجل» وهذا عين ما امر بهِ قورش . وعلم ان القبائل المولفة منها الفرس وفيرة العدد فاستدعى قورش اقوامًا منها وحرضهم على العصيان والتمرد على الماديين وكان اكثرهم نفوذًا بين عشائر الفرس الباسرغاذة والمارافية والمسبيانة فطائفة الباسرغادة اعظم وجاهةً من سواها ومنها خرجت الدولة الكيانية وهي الطبقة الثانية من ملوك الفرس واما البنطيالية والدروسية والجرمانية فهولاء جميعهم حراثون واما الباقون مثل الدائية والماردية والدروبيكية والساجرتية فهم من البدو الرحالة الذين لا يعرفون غير رعاية المواشي .

۞ ١٢٦ ۞ فحضروا كافة وبايديهم المناجل واراهم قورش بقعة فسيحة من بلاد الفرس مساحتها نحو ثماني عشرة او عشرين استادة قد التف فيها العليق والعوسج وامرهم ان يقطعوها ويمهدوها جميعها في يوم واحد وبعد ان اكملوا هذا العمل امرهم بان يغتسلوا ويعودوا اليهِ في الغد ثم جمع في ذاك المحل جميع مواشي ابيهِ من غنم وماعز وبقر وذبحها وهيأ بها اطعمة فاخرة ثم احضر خمرًا جيدة ليدير منها على العساكر ولما كان الغد اجتمعت اليهِ الفرس فاجلسهم على العشب واقام لهم مادبةً فاخرة حتى اذا فرغوا من تناول الطعام سالهم اية الحالين احسن الحاضرة ام العابرة . فهتفوا جميعًا ان فرقًا عظيما بينهما ففي العابرة عانوا مشاق كثيرة وفي الحاضرة تلذذوا في كل نوع من الطيبات . وقصد قورش ان يتخذ من جوابهم وسيلة يبين فيها ما جال بخاطره فقال . ايها الفرس انما بهذا تشبه حالتكم فان اطعتموني ستتمتعون بهذه الخيرات وخلافها ولا تكونون في ذل الخدمة والاسترقاق والّا فليس لكم غير الشقاء والنكد الى ما شاء الله كما كنتم تقاسون في الامس فهلموا اليّ بطواعية مظهرين لي الاستكانة والخضوع لاني على ما يبين قد ولدت خاصة بعناية

الاله كي امتعكم بهذه المواهب والمنح واني لست احسبكم احط قدرًا من المادبين سوآء في مباشرة الحروب او بغيرها فانبذوا عنكم بلا بطء ثقل النير الذي ابهظكم بحمله استياجس

❊ ١٢٧ ❊ وكان الفرس من زمن طويل قد تضجروا من عبودية المادبين ورأوا من يترأس عليهم فانتهزوا الفرصة للاستبداد وعلم استياجس بتدابير قورش فارسل يطلبه اليهِ فاجابهُ انهُ سيصل اليهِ قبل الزمان الذي يتوقع دخوله فيهِ فبالحال امر استياجس بتسليح جميع المادبين وسلب الله منهُ العقل فرأس على جيوشهِ هرباغوس ونسي ما كان اساء بهِ اليه من ذبح ابنه واستعد المادبون للقتال واندفعوا للنزال مع الفرس فالذين لم يكونوا تواطأوا مع هرباغوس سرًّا تاثلوا حق القتال والباقون منهم من ذهبوا الى الفرس مسالمين ومنهم من قاتل قتال الجبناء

❊ ١٢٨ ❊ واذ علم استياجس بكسرة المادبين المعيبة وتبديد جيوشهِ استشاط غيظًا على قورش وجعل يرغي ويزبد ويقول لا يهنأ قورش بما يتمنى ولا عشت ان ابقيت عليهِ واستدعى بالمعبرين الذين اشاروا عليهِ بالابقاء على قورش وقتلهم وسلح بقية المادبين في المدينة كبارًا وصغارًا وحمل بهم على الفرس حملة دارت بها كؤوس المنايا وكانت الدائرة عليهِ وهلكت اكثر عساكره وبات هو اسيرًا بيد العدوّ

❊ ١٢٩ ❊ ورآه هرباغوس مغللاً بالحديد فطار فؤاده فرحًا واقبل عليهِ يعنفهُ بالكلام ويقرعهُ ويذكره بالوليمة التي اطعمهُ فيها من لحم ابنهِ وسالهُ كيف رايت طعم العبودية التي لم تكن الا عاقبة تلك الاكلة او ما هي الذ من تاج الملك اما استياجس فقال لهُ اتراك تدعي لنفسك ثورة قورش فجاوبهُ هرباغوس لا حاجة الى بيان ذلك وانا الذي كتبت اليهِ وحرضتهُ على قتالك فقال استياجس لا جرم انك رجل خالٍ من الشهامة والعدل اما من جهة الشهامة فمراده انهُ كان الاولى بهِ وهو قادر ان يسعى بان يكون التاج لهُ لا لقورش واما من جهة العدل فلانهُ بعلة الوليمة طوح بجميع المادبين الى الاسر . والحق ان هرباغوس قد اخطا خطأً

مبينًا لانهُ اذ كان قادرًا ان ينزع التاج عن استياجس كان احرى بهِ ان يختصهُ لنفسه او لاحد المادبين ولا يضعهُ على راس رجل فارسي ولانهُ قد غلَّ اهل وطنهِ بقيود من حديد وادخلهم تحت رق العبودية مع انهم غير مسيئين اليهِ فاصبحوا موالي الفرس بعد ان كانوا ساداتهم

❊ ١٢٠ ❊ وهكذا خسر استياجس التاج بعد ان تكلل بهِ خمسًا وثلاثين سنة وقد دخل المادبون في رق عبودية الفرس عقيب ان تملكوا مائة وثمانيًا وعشرين سنة بلاد اسيا الكبرى حتى نهر هاليس وذلك مع قطع النظر عن المدة التي ملكها السكيثة وكان السبب في ذلك فظاعة ما فعلهُ استياجس الملك على انهم ندموا بعد حين على تواطئهم مع قورش وفي عهد داريوس الملك «١» ثاروا بهِ وانخذلوا بمحاربتهِ وتجددت عبوديتهم اما ما كان من امر استياجس فان قورش ابقاه عنده حتى مات دون ان يلحق بهِ ضرر . فهكذا كانت ولادة قورش وتربيته وكيفية استيلائهِ على الملك وبعد مدة استظهر على كريسوس وقد بادأَه بالحرب اعتداء كما تقدم الكلام وبانكسار كريسوس دخلت كل اسيا في طاعة قورش

❊ ١٢١ ❊ وفيما اعلم ان الفرس ليس من عادتهم ان ينصبوا للالهة تماثيل ويشيدوا هياكل ومذابح بل كانوا يحسبون من يفعل ذلك احمق والظاهر انهم لا يعتقدون اعتقاد الاغارقة بان الاله على شبه الانسان ومن عادتهم ان يقربوا القرابين لجوبيتر «٢» فوق ذرى الجبال الشامخة ويسموا كل دائرة السما باسمهِ ويضحوا للشمس والقمر والارض والنار والهواء والماء دون سواها ثم مالوا الى عبادة الزهرة السماوية اخذوا ذلك عن الاشوريين والعرب وكان الاشوريون يسمون الزهرة باسم ميليطة والعرب باسم اليطة والفرس يدعونها ميترا «٣»



١ داريوس نوثوس كان سنة ٤٠٨ ق ٠ م ٠ ❊ ل ❊

٢ كان من عادة الاغارقة واللاتينين ان تسموا معبودات الامم الاجنبية باسم معبوداتهم وما بين معبودات الجميع من المقاربة في الصفات يكفي ان يظن ان هذه نفس تلك ❊ ل ❊

٣ لا نعرف هذا الاسم اليطة ولا عليطة ولا نحو ذلك في كتب العرب غير ان المشهور

* ١٣٢ * وكان هؤلاء محافظين على مذهبهم وتقديم القرابين للاله كما ذكر اي انهم اذا ارادوا تضحية لا يشيدون مذبحًا ولا يوقدون نارًا ولا ينضحون سائلاً ولا يعزفون بالمزمار ولا يضربون بالصنوج المقدسة ولا يقدمون شعيرًا مخلوطًا بملح بل اذا اراد فارسي تقديم ضحية لاحد الالهة كان يأتي بها الى محل طاهر ويغطي راسهُ بقلنسوة مكللة في الغالب بالرياحين ويبتهل الى الاله وكان غير ماذون لمقرب الضحية ان يبتهل عن نفسه وحده خاصة بل لاجل عمران الملك ونجاح جميع الفرس اذ هو داخل في عديدهم وبعد ان يجزّيء الضحية ويغلي لحمها على النار يجمع حشيشًا رطبًا واخصة نبات الاطربفل ويبسطهُ على الارض ويضع عليهِ اللحم ويصفهُ بترتيب ومن اللازم ان يكون احد المجوس موجودًا ليلحن نغمًا يسمونهُ ثيوغونيا «١» وهو لحن مخصوص بالامور المقدسة ثم بعد هنيهةٍ ياخذ مقدّم الذبيحة اللحم ويتصرف به كيفما شاء

* ١٣٣ * وكان من عقيدة الفرس ان على كلٍ منهم ان يعيّد بالخصوص يوم ميلاده خلافًا لغيره من الايام وان يتخذ في ذلك اليوم مادبة فاخرة وكان الاغنياء يقدمون فيهِ حصانًا وجملاً وحمارًا وبقرةً كلها مشوية والفقراء يقربون من الماشية الصغيرة وكان من عادتهم ان ياكلوا ما قل من اللحم وكثر من الثمار دفعاتٍ متعددة وكل دفعةٍ حصة قليلة فلهذا ضرب المثل عند الفرس ان الاغريقي ياكل ليسد جوعه لانهُ لو قدم لهُ ما طاب اكلهُ بعد الطعام لما انقطع عن الاكل وكانوا مولعين جدًا بشرب الخمرة ولا يستفرغون ولا يبولون امام الناس وهذه العادة جارية عندهم حتى اليوم وكان من عادتهم ان يتذاكروا بالاشغال المهمة بعد الاكثار من المدام وفي الغد ياتي صاحب البيت الذي جرت فيهِ المذاكرة ويبدء القرار فيراجعونهُ صاحين فان اقروه يجرى بموجبه والا فيلغى

---

انهم كانوا يسمونها عشتروت ايضًا ولم يكونوا يفرقون بين زهرة ارضية وزهرة سماوية بل يعرفون زهرة واحدة *ح*

١ هذه اللفظة يونانية لا فارسية ومعناها توليد الآلهة ويراد بها مذهب من مذاهب الوثنيين *ح*

﴿ ١٢٤ ﴾ ومتى التقى اثنان من الفرس وكانا من طبقة واحدة يتصافحان بقبلة الفم وان كان احدهما احط شأنا من الاخر يقبل احدهما وجه الاخر او كان بينهما فرق كبير في المقام فعلى الادنى ان يسجد للاعلى ويحترمون من يجاورهم من الطوائف اكثر من سواهم لكن اعتبارهم بعضهم لبعض منفصل على غيره وكلما بعدت الطوائف عنهم قل اعتبارها وهكذا يتناقص الاعتبار شيئا فشيئا حتى لا يكاد يبقى منه شيء مع طول المسافة وذلك لانهم يحسبون انفسهم انهم ذوو استحقاقات عظيمة وان سائر الامم لا يدركون الفضائل الا بقربهم اليهم وكل من ابتعد منهم زاد خبثه وفي مدة تملك المادين كانت الطاعة متواصلة بين عدة طوائف وكان المادين يتولون عليهم جميعهم ويفضون بين القريب والبعيد على حد سوى على النمط الآتي اي ان الاقربين الى المادين كانوا تحت ولايتهم ومن قرب منهم كان يتولى من يليه وهلم جرا اما الفرس الذين اتسع ملكهم وامتدت سلطتهم الى اماكن بعيدة فكان اعتبارهم للشعوب التابعة بالنسبة الى قربها وبعدها عنهم

﴿ ١٢٥ ﴾ وكانوا كلفين بمعرفة عادات الاجانب وشاهد ذلك اقتداؤهم بزي المادين اظنهم انه اجمل من زيهم وفي الحروب يتقلدون الدروع المصرية وحينما يدعون الى موضع انشراح يتبادرون اليه واخذوا عن الاغارقة قبح الخصال كاللاوطة والاكثار من الزوجات بل الافراط في اقتناء الجواري

﴿ ١٢٦ ﴾ وكانت الفضيلة الاولى عندهم انما هي مأثرة الحرب ثم كثرة الاولاد وكان الملك يهدي في كل سنة هدايا لمن كثر ولده لان من اعتقادهم ان تكثير الولد تكثير القوة واذا بلغ المولود خمس سنين ياخذون بتربيته ومذ ذاك السن حتى العشرين لا يعلمونه الا ثلاثة امور وهي ركوب الخيل والرمي بالقوس والنشاب ولزوم الصدق وقبل ان يبلغ الولد السنة الخامسة من عمره ليس له ان يحضر امام ابيه بل يبقى عند النساء وذلك لكي اذا مات قبل هذا السن لا يكون في موته سبب لحزن ابيه

﴿ ١٢٧ ﴾ والذي يظهر لي ان هذه العادة حميدة واري وجه الصواب في شريعتهم التي لا تبيح حتى ولا للملك نفسه ان يقتل احدا بذنب واحد ولا تسوغ

لاحد الفرس ان يعاقب عبده بصرامة شديدة بعلة غلطة واحدة لكن بعد الفحص اذا تبين ان ذنوب الخادم كثيرة او جسيمة ترجح خدماته فلمولاه حينئذٍ ان يفعل بمقتضى هواه ويحققون ان ما من احدٍ يقتل اباه ولا امه واذا اتفق مثل ذلك تبين بعد التقصي والفحص ان القاتل لم يكن ولداً حقاً بل متبنى او نغلاً اذ قد استقر في اعتقادهم ان من المستحيل ان يقتل الولد اباه علة وجوده

❋ ١٣٨ ❋ ومن المحظور عليهم ان يتكلموا عما هو غير مباح لهم عمله ولا شيء عندهم اقبح عيباً من الكذب ثم من الاستدانة وذلك لاسباب اخصها لان المديون يضطر الى الكذب. وان وجد بينهم من ابتلي بداء البرص او بما يشبهه كالبهق يمنع من دخول البلدة ومخالطة الفرس وعلى زعمهم ان ذلك الداء دليل على ان المصاب به قد اخطأ الى الشمس واذا مني بتلك الامراض احد الغرباء يبعد خارج البلاد ولهذا لا يقتنون عندهم الحمام الابيض ولا يتفلون ولا يبولون في الانهر ولا يغسلون بمائها ايديهم ولا ياذنون لاحدٍ ان يمارس شيئاً من ذلك لانهم كانوا يعبدون الانهر «١»

❋ ١٣٩ ❋ وهو الغريب عندهم ايضاً وهو مجهول عندهم ولكنه لا لايخفى علينا ان اسماءهم ماخوذة عن هيئة الجسم او عن الاخلاق فتنتهي بالحرف المدعو سان عند الدوريين وسيغما عند اليونانيين واذا تبصرت حق التبصر ترى ان كل اسم عند الفرس ينتهي على منوال واحدٍ بلا استثناء

❋ ١٤٠ ❋ واذ كانت كل هذه العادات معلومة عندي اتكلم عنها بتحقيق واما عاداتهم نظراً الى الموتى فلا اقول عنها شيئاً محققاً لكونها خفية عني. لكنهم يزعمون انه لا يدفن جسد فارسي الا بعد ان يكون قد مزقه طائر او كلب واني لاعلم ان المجوس محافظون على هذه العادة لانهم يمارسونها جهاراً واعرف امراً آخر حق المعرفة ان الفرس يطلون جسد الميت بالشمع ثم يدفنونه في التراب

١ ان عبادة الانهر قديمة جداً كما يستفاد من اقوال اوميروس عند كلامه على الخيول التي كانوا يطرحونها في نهر سكامندر اكراماً لاله هذا النهر وقال خريسيبوس في كتابه الخامس من علم الطبيعة ان ايسيودس كان يمنع من التبويل في الانهر والعيون ❊ ل ❊

وان بين المجوس وغيرهم فروقاً كثيرة اخصها بينهم وبين كهنة المصريين فان هولاء ايديهم دائماً تكون طاهرة من دم الحيوانات فلا يذبحون الا ما يقرب ضحية للاله بخلاف المجوس فانهم يذبحون كل حيوان بايديهم ما عدا البشر والكلاب ويتفاخرون بقتل النمل والحيات والحشرات والطيور. ولندع هذه العوائد كما رُتبت في الاصل ونعد الى سياق حديثنا

❋ ١٤١ ❋ ولما دخل الليديون في تبعة الفرس ارسل اليونان والايوليون سفراء الى قورش يرجونه بان يقبلهم في تبعته بحسب الشروط نفسها التي كانت عقدت بينهم وبين كريسوس اما هو فاجابهم بمثل قائلاً «ان زماراً نظر في البحر سمكاً فجعل يزمر له طمعاً بخروجه الى البر واذ رأى انه طامع منه بالمحال تناول شبكته ونشرها على قسم كبير من السمك وعالج جرها الى البر فانجرت والسمك فيها يتقلب فقال مهلاً لا ترقص فانك لم ترقص على صوت المزمار» واورد هذا المثل لليونان والايوليين لانه كان قد سبق وطلب من اليونان بواسطة رسله ان لا يتحزبوا لكريسوس فلم يجيبوه حينئذٍ الى ذلك ولان انقيادهم الان الى طاعته انما كان بسبب بلوغه منتهى الارب فاغتاظ منهم واجابهم بما تقدم وعند ما بلغهم المثل على لسان الرسل اخذ كلٌّ من اليونان يحصن بلدته واجتمعوا جميعاً في البانيونيوم «١» الا الميليسيين فبتّ قورش مع هولاء فقط عهداً على مقتضى الشروط التي كانت مع كريسوس واستقر رايهم في ذلك الاجتماع على ان يطلبوا امداداً من اهل اسبرطة

❋ ١٤٢ ❋ وهولاء اليونان المنسوب اليهم البانيونيوم قد بنوا مدنهم في اجمل بقعةٍ اعرفها باعتبار صفاء جوّها وجودة هوائها وبالحقيقة ان البلاد المحيطة ببلاد يونية سواء من اسفلها او اعلاها شرقاً او غرباً بعيدة الشبه من يونية نفسها لان بعض هذه البلاد عرضة للمطر والبرد وبعضها لليبس والحر . واما لغة يونية فهي مختلفة وتحسب اربع لهجات. واول بلدة لهم في جهة الجنوب هي مدينة ميليتوس ثم ميونتة

---

١ هو محل يجتمع فيه المتعاهدون ويطلق على المتعاهدين من الاغارقة انفسهم ❋ ل ❋

وبريانة وهما في مقاطعة كارية ولغتها واحدة .ومدينة افسس وكولوفون وليبيذوس وثاوس وكلازومينى وفوقية وجميعها واقعة في ليديا واهلها يتكلمون بعضهم مع بعض في لغةٍ واحدة الا انها لامشابهة بينها وبين لغات تلك المدن المذكورة وفيها ايضاً ثلاث مدن اثنتان في جزيرتي ساقص وساموس والثالثة التي يدعونها اريثرية واقعة على البر ولغة اهل ساقص واريثرية واحدة ولاهل ساموس لغة خاصة بهم فهذه هي اللهجات الاربع المختلفة بها لغة اليونان

﴿ ١٤٣ ﴾ ولم يكن بين هولاء القوم غير اهالي ميليتوس «١» فقط من عقد معاهدة مع قورش مخلصاً مما عسى ان يطرأ عليهم من المخاطر وليكونوا في طمانينة اما اهل الجزر فلم يكن عندهم ما يخوفهم لان الفينيقيين لم يكونوا اذ ذاك خضعوا للفرس بعد ولم يكن للفرس حينئذٍ اسطول وانفصل الميليسيون عن باقي اليونان لان جميع الاغارقة ولو انضموا الى عصبةٍ واحدة لا يزالون ضعفاء وبالحري اليونان اذا انفصلوا على حدة اذ لم يكن لهم شيء من السطوة والجاه لاننا اذا قطعنا النظر عن اثينا لا يبقى بلدة ذات شوكة واقتدار وان باقي اليونان واهل اثينا يانفون من ان يطلق عليهم اسم يونان وكثيرون منهم حتى اليوم يخجلون من هذا الاسم على ان سكان الاثنتي عشرة مدينة المار ذكرها يتباهون به ولقد شادوا هيكلاً دعوه باسم بانونيوم واتفقوا على ان لا يدخلوا معهم اهل باقي المدن اليونانية الا اهل ازمير وحدهم فانهم طلبوا اليهم ان يقبلوهم

﴿ ١٤٤ ﴾ وعلى هذا المنوال جرت عادة دوريي بند ابوليس «٢» وهي بلاد كانت تسمى قبلاً اكسابوليس فلا يبيحون لاحد جيرانهم الدوريين دخول الهيكل التريوبي وكانوا اذا تجاوز احد منهم انفسهم قانون هذا الهيكل يمنعونه من دخوله ايضاً وهاك مثال ذلك انه في مواسم الالعاب التي كانت تتخذ اكراماً لابولون التريوبي كانوا يخصصون الظافر كرسياً من نحاس مثلث القوائم ويحرمون عليه اخراجه من الهيكل ويوجبون وقفه للاله فاتفق ان رجلاً من اهالي هاليكرناس يدعى

١ والعرب يسمونها ملطية ٢ اي خمس مدن وكانت قبلاً ستاً

اغاسكليس نال الجائزة على براعتهِ في الالعاب فتعدى حكم القانون واخذ الكرسي الى بيتهِ فاجتمع اهل الخمس المدن من الدوريين وهي لِندة و ياليسوس وكاميروس وكوس وكنيذة وعاقبوا هاليكرناس السادسة من مدنهم وفصلوها عن عصابتهم

❋ ١٤٥ ❋ وفيما اظن ان اليونان تفرقوا في اثنتي عشرة مقاطعة وابوا الزيادة في عدد محالفيهم لانهم في مدة اقامتهم في البيلوبونيسة كانوا منقسمين الى اثنتي عشرة فرقة انقسام الاخائيين الان الذين طردوهم منها وسكنوها . واول بلدة للاخائيين في نواحي سيكيونة هي بلينة ثم اجيرة وايجيس التي يمر فيها نهر كراتيس وهو لا ينضب وباسمهِ دعي احد انهر ايطاليا . ثم مدينة بورة وهيليكة حيث التجأ اليونان بعد ان طردهم الاخائيون ثم مدينة اجيوم وريبس وبتريس وفاريس واولينوس التي يسقيها نهر بيروس وهو نهرٌ عظيم والمدينتان الاخريان هما ذيمي وتريتي وهذه وحدها داخل البر

❋ ١٤٦ ❋ فهذه الاثنتا عشرة مقاطعة المختصة بالاخائيين كانت تختص قبلاً باليونان وهذا الذي اوجب على هولاء ان يبنوا اثنتي عشرة مدينة في اسيا ومن الحماقة ان يقال ان هولاء اليونان ذوو حسب ارفع من سائر اليونان لان طائفتي الابنطة والاوبية هما قسم عظيم منهم ومع ذلك لا نسبة لهم مع سكان يونية حتى ولا مشاركة بينهم بالاسم ايضًا فهولاء اليونان هم لفيف من المينيين والارخومينيين والقدميين والدريوبيين ومن بعض الفوقيديين والمولوسيين والارقاديين البلاسجية ومن الدوريين الابدورية ومن عدة طوائف اخر . وارفع قدرًا واعلى شانًا فيما بين اليونان هم الذين خرجوا سابقًا من البريتانيوس «١»

١ هو بناء عظيم كانت تمارس فيهِ اعمال كثيرة وكان يجتمع فيهِ اعضاء مجلس النواب وهم خمسمائة نائب وقاعة الاجتماع مطلة على الترس فالذين خدموا الوطن مرارًا كانوا ياكلون هناك حيثما يقدم البريتانيون الذبيحة ويوقدون نارًا مقدسة ويخزنون القمح والسلاح وكانوا اذا ارسلوا قومًا ليستعمروا احد الاماكن ياخذون منهُ السلاح والزاد والنار لان الراحلين لم يكن لهم موضعٌ اخر ياخذون منهُ ذلك واذا اتفق ان النار طفئت كان يضطرهم الامر ان يحضروها من بريتانيوس بلادهم ❋ ل ❋

واثينا ولما ذهبوا ليوسسوا هذه المنازل لم ياخذوا معهم نساء فتزوجوا بنساء كاريات بعد ان قتلوا اباءهنّ وازواجهن واولادهن فعلهم ساء النساء جداً حتى انهن اقسمن بان لا يدعون بازواجٍ قوماً تزوجوا بهنّ بعد قتل ابائهن وبعولهن واولادهن وبان لا يتناولن الطعام معهم ووضعن بذلك قانوناً وجرت عليهِ بناتهن كل ذلك حصل في ميليتوس

✻ ١٤٧ ✻ وانتخب هولاء اليونان ملوكاً عليهم فاختار قوم واحداً من الليكيين من سلالة غلاكس بن ايبولوخس واختار بعضهم من الكوكونة الييليين من نسل كدروس بن ميلنثوس واختار اخرون من كلتا العائلتين ولقائل يقول ان لهولاء اليونان شديد تعلق باسم يونان اكثر من غيرهم فاقول ولو اعتبر اليونان صرحاء واصلهم من يونية لكن جميع الذين ثبتت لهم الاصالة في اثينا والذين يحتفلون بعيد الاباتورية «١» هم يونان ايضاً فكلهم يحتفلون بهذا العيد الا اهل افسس واهل كولوفون الذين بسبب حادثة قتلٍ منعوا من ذلك

✻ ١٤٨ ✻ والبانيونيوم هو محلّ مقدس في جبل ميكالوس قد وقفهُ اليونان جميعاً لنبتون الايليكوني وميكالوس هو راس جبلٍ داخل البلاد

---

١ ° أن اتخاذ هذا العيد في اثينا لا بد ان يكون قبل ارسال مستعمرة اليونان و يدل على ذلك ان جميع اليونان الذين نشأوا في اثينا يقدسونه اما وجه اتخاذه فكان هكذا انهُ حدث نزاع بين اثينا واهل بيوتية على بلدي اونوة وميلانس واتفقوا على ان يتنازل في حومة القتال ملكاهم والذي يستظهر على الاخر يستولي على البلدين المتنازع فيهما فابى ذلك ثيموتس اخر ملوك اثينا وهو من نسل ثيسوس وكان ميلانطس حينئذٍ قد طرده الهرقليون من مسيني وجاء يلتجيء الى اثينا فقبل بالمبارزة ونصب مكيدة على زنثوس ملك بيوتية واهلكه وذلك انهُ لما تقدم زنثوس الى ميدان النزال خاطبهُ ميلانطس بقوله لا ينبغي لك ان تصحب معك رجلاً اخر يعاونك خلافاً لمقتضى شروط المبارزة بل ان تقوم وحدك للقتال معي فنكر زنثوس بهذا الكلام والتفت الى ما وراه ليرى من يتبعه فعاجلهُ ميلانطس وقتلهُ غدراً وبدل ان يؤول به فعل الغدر الى الخجل والهرب من العار جرى الامر بالعكس وربح التاج ولم يحسب ان عملهُ من شنيع الاوغاد حتى انهُ اتخذ عيداً لتذكار عمله وخصهُ بجوبيتر تخليداً لنصرتهِ * ل *

يمتد من الغرب الى جهة ساموس وفيه يجتمع اليونان من كل قطر ليحتفلوا بعيد يسمونه بانيونيس وليست اعياد اليونان فقط تنتهي بحرف واحد بل كذلك اعياد الاغارقة واعياد الفرس ايضًا

❋ ١٤٩ ❋ هذا ما كان في قصدي ان اورده عن مدن اليونان وبقي القول في مدن الايوليين وهي كيمي المدعوة فريكونيس ايضًا ولاريسة ونيون تيخوس وتمنوس وكيلاً ونوتيوم وايجيروسة وبيطانه وايجية وميرينة وغرينية كل هذه الاحدى عشرة مدينة في اراضي الايوليين وكان لهم ايضًا اثنتا عشرة مدينة اخرى في الداخلية وقد اخذ منهم اليونان ازمير . وبلاد الايوليين اجمل من بلاد اليونان الا في جودة الهواء

❋ ١٥٠ ❋ وهنا محل لذكر خسران الايوليين ازمير فنقول ان بعض الكولوفونيين جمعوا ونبذوا ربقة الطاعة واذ لم ينجحوا اضطروا الى الجلاء عن الوطن وجاءوا الى ازمير يطلبون ملجا فتلقاهم اهلوها بالقبول وبعد حين خرج اهل ازمير الى ظاهر المدينة يحتفلون بعيد باخوس ورآهم اولائك الملتجئون فاغلقوا عليهم ابواب المدينة وامتلكوها وتبادر الايوليون كافة لمعاونتهم واستقر الراي اخيرًا على ان يغادروا المدينة لليونان بناء على ان يردوا على اهاليها امتعتهم واثاث منازلهم فرضيَ اهل ازمير بذلك وتفرقوا في الاحدى عشرة مدينة المختصة بالايوليين وتمتعوا بالحقوق المدنية

❋ ١٥١ ❋ وهذه المدن المتقدم ذكرها هي مدن الايوليين الان الواقعة في البر فضلاً عما لهم من المدن في جبل ايدا المستثناة من المدن المذكورة انفًا ولهم ايضًا خمس مدن في جزيرة لسبوس اما المدينة السادسة المدعوة اريسبا فان المائنيين قد استاسروا اهاليها معا بينهم من علاقة القرابة الدموية ولهم ايضًا مدينة في جزيرة تندوس ومدينة اخرى في الجزر المدعوة ايكاتونيسة وكان اهالي لسبوس وتندوس لا خوف عليهم من وجه وكذلك اليونان سكان الجزر واما باقي اهل المدن فقد

ارتأوا ان يتبعوا اليونان الى حيثما يذهبون بهم «١»

✻ ١٥٢ ✻ وبناء على ما مر ذهب سفرا اليونان والايوليين مسرعين الى اسبرطة وحال وصولهم انتخبوا رجلًا من الفوقيين يدعى بيثرموس لينوب بالتكلم عن الجمهور وقد توشح بالبرفير حتى اذا ذاع الخبر به تبادر الاسبرطيون الى موضع الاجتماع جمًا غفيرًا ثم قام في وسطهم والقى عليهم خطابًا طويلًا حثهم فيه على اغاثة اليونان اما هم فلم يلتفتوا الى كلامه وتواطأوا على ان لا يساعدوهم فانصرف السفراء بالخيبة وتعقبهم اللقدمونيون بان ارسلوا في اثرهم سفينة ذات خمسين مجذافًا لمراقبة احوال قورش واليونان ولما بلغت السفينة مدينة فوقية خرج منها الكرينيس وهو اعظم من فيها الى سرديس ليخبر قورش بقرار اللقدمونيين ومضمونه ان يحترس قورش من ان يضر باحدى مدن الاغارقة والا فان اسبرطة لا تغض الطرف عن ذلك

✻ ١٥٣ ✻ وبعد ان قام لكوينيس بماموريته قيل ان قورش سال من عنده من الاغارقة من هم اللقدمونيون و ما في قوتهم حتى يتجاسروا على ان ينذروه هذا الانذار واذ جاوبوه التفت الى معتمد اسبرطة وقال له «اني لم ابال قط بامثال هولاء الذين من دابهم ان يجتمعوا الى ساحة في وسط بلدتهم ويخادع بعضهم بعضًا بالاقسام المتبادلة وان احياني الله فاني اجعل احاديثهم تدور على مصائبهم لا على مصائب اليونان» ووجه توعد قورش الاغارقة كافة انه كان في بلدانهم ساحات يباع فيها ويشرى ولم يكن للفرس عادة في البيع والشراء في الساحات ولا عندهم اسواق ولا تجارة . ثم ما لبث قورش ان فوض ولاية سرديس الى عهدة رجل فارسي يدعى طبالوس وعهد الى بكتياس الليدي ان ينقل الى ارض فارس خزائن كريسوس وجميع الغنائم الماخوذة من الليديين ورجع الى مدينة اغبتانة وبمعيته كريسوس ولم يعبأ بشان اليونان فغادرهم وقصد بابل وبلاد بقطريانة والساقة والديار المصرية لما هناك من الاهمية وعزم ان يتقدم بنفسه على هذه الشعوب

١ هنا عاد الكلام الى سياق التاريخ المتعلق بقورش بالنسبة الى هولاء الامم ✻ح✻

ويبعث بقائد غيره على اليونان

✻ ١٥٤ ✻ وبعد ان زايل قورش مدينة سرديس جعل بكتياس يستنهض الليديين على مقاومته والتمرد على طبالوس واذكان لديه كل غنى هذه المدينة حلّ على شاطئ البحر وعبأ جيوشًا واستدعى باهالي الساحل الى حمل السلاح والتعصب معهُ وخرج بهم على سرديس وحاصر طبالوس وهو متحصن القلعة بقصد الحصار

✻ ١٥٥ ✻ ولما اتصل خبر ذلك بقورش وهو في اثنا الطريق قال اكريسوس ليت شعري متى تكون نهاية هذه الخصومات والقلاقل فعلى ما يبين انهم لا ينفكون عن مداومة الفتن وايقاد جذوتها بينهم أو ما يعلمون انهُ يكون من صالحي ان اجعلهم كافةً في قيد الاسر والعبودية لانني حتى الان فيما اظن قد نهجت طريق من ابقى على ابناء اهلك اباءهم وانت تعلم انك كنت كاتب عام لهم وجئت بك اسيرًا وسلمتهم بلدتهم وهل بقي لي اني اتعجب من انهم بعد ذلك ركبوا متون البغي والعصيان . فاتضح من هذه العبارة ما كمن في سريرة الملك قورش واذ كان كريسوس موعبًا خيفة من حلول الدمار لسرديس ومحاذرًا من جلاء اهاليها قال ان ما نطقت بهِ ايها المولى هو الحق ولكن لا ينبغي لك ان تجاري هوى نفسك بحالة الغضب فتدمر بلدةً قديمةً وهي بريئة من شوائب القلائل السابقة والحالية اما السابقة فكنت انا سببًا فيها وها انا مكابدٌ عناء عبئها الثقيل اما الحالية فان بكتياس مسببها بلهانته لمن وليته على سرديس فعاقبهُ وحده واعفُ عن الليديين واحترازًا من هياجهم وحركاتهم في المستقبل ارسل من يجمع سلاحهم ويلبسهم الاقمصة تحت ارديتهم وليحتذوا بالاخفاف ويدربوا ابناءهم على العزف بالقيثار ويعلموهم الغنا وكل الاعمال الانثوية وبهذه الوسائط لا تلبث ان ترى الرجال كالنساء وهكذا تامن ثوراتهم

✻ ١٥٦ ✻ ورأى كريسوس ان الصواب في ما عرضهُ من الرأي للملك لظنه ان في ذلك صلاحهم احرى من ان يباعوا كالعبيد وعلم انهُ اذا لم يورد لهُ حججًا مقنعة لا يحصل من تغيير عزمهِ على طائل ملاحظًا ان الليديين اذا

نجوا من الخطر في الحاضر لا بد ان يستعصوا فيما بعد على الفرس ويسعوا في دمارهم فوقع رايهُ عند قورش موقع الاستحسان وكان قد سكن غضبهُ فاظهر لكريسوس نصيحتهُ على الجري بموجبها ثم انفذ بالحال رجلاً ساديًا اسمهُ مزاربس وامره ان يكاشف الليديين براي كريسوس وان يسترق جميع الذين تعاهدوا على حصار سرديس وشدد عليهِ بان يحضر اليهِ بكتياس حيًا . سلمهُ هذه الاوامر في الطريق واستمر مسافرًا الى ارض فارس

❊ ١٥٧ ❊ ولما علم بكتياس بقدوم العساكر عليهِ بقرب سرديس خاف وهرب الى كيمي ثم وصل مزاربس الى سرديس بشرذمة من جيوش قورش واذ لم يجد بكتياس شرع يجري اوامر الملك فاذعن لهُ الليديون وغيروا طريقة معيشتهم الاولى ثم ارسل ينذر اهل كيمي ليسلموا اليهِ بكتياس فاجتمعوا واستقر رايهم على ان يستشيروا كهانة البرنخيذة فيما ينبغي لهم ان يفعلوا لانها كانت عندهم كهانة قديمة وكان اليونان والايوليون كافةً يلجأون اليها في حاجاتهم ومقامها كان في ارض ملطية فوق مينا بانرمة .

❊ ١٥٨ ❊ وارسل الكيميون رسلاً الى البرنخيذه وسالوا كيف ينبغي ان يتصرفوا بخصوص بكتياس ابتغاء مرضاة الالهة فاجابهم النبي بان الاولى لهم تسليمه الى الفرس وبناء على بلاغ الرسل عزم الكيميون على تسليمهِ ومع انهُ كان من اللازم على الشعب تتميم ذلك قام ارستوذيكوس بن هرقليدس وهو من ذوي الشان بين اهالي كيمي ومانع في اجراء هذا الامر الى ان تكرر استشارة النبي المذكور بواسطتهِ نفسه اذ كان داخلهُ الريب في حقيقة النبوة او في صحة تبليغ الرسل فوافقوه بذلك وارسلوه مع اخرين الى هيكل البرنخيذة فلما وصل بهم الى المقام استهل الكلام وقال « ايها الاله العظيم ان بكتياس الليدي قد جاء ملتجئًا الينا متخلصًا من الموت الذي « يتوعدهُ بهِ الفرس فانهم يطلبونهُ ويضطروننا الى تسليمه اليهم فنحن مع كوننا نخشى « باسهم لم نتجاسر على ان ندفعه بين ايديهم قبل ان نتحقق منك ما الذي ينبغي ان نفعل فاجابه الاله بالجواب نفسه واوصاه ان يدفع بكتياس الى الفرس فاضمر ارستوذيكوس شيئًا فاخذ يطوف في المقام وياخذ من العصافير وغيرها من الطير

التي كانت معشقة فيهِ . قبل وقيما هو يتم ما نواه اذ هتف بهِ من المقام هاتفٌ وقال له باشر العالم انى لك ان تجاسر على اختلاس اللائذين بمقامي اما هو فاجاب من غير خشية ايها الاله العظيم الست انت ذاتك تحمي الملتجئين اليك وتامر الكميين بان يسلموا الملتجي اليهم فاتاه الصوت نفسهُ. نعم اني هكذا اريد ومن اجل انك ارتكبت معصيةً انت هالك لا محالة وما عاد لك ان تستشير النبي لتعلم هل ينبغي تسليم الملتجئين ام لا

✻ ١٦٠ ✻ وبناء على ذلك ارسل الكيميون بكتياس الى متيليني «١» حتى لا يكونوا سبباً في تسليمه ولا في جلب الحصار عليهم اذا اصرّوا على حمايتهِ وقد طلب مزاريس بكتياس من اهل البلد فرضوا بتسليمهِ بشرط ان يكون لهم مكافاةٌ على ذلك وهذا ما لا اثبتهُ لان هذه المشارطة لم تتم. ولما علم الكيميون بقصد المتيليجيين سيروا سفينةً الى لسبوس ذهب فيها بكتياس الى ساقص وما لبث هناك ان اختطفهُ من هيكل مينرفة بولبوخوس لهالي جزيرة ساقص وسلموه الى مزاريس على شرط ان يعطيهم اترنية وهي بلاد ميسيا «٢» المقابلة جزيرة لسبوس وحين صار بكتياس في حوزة الفرس شددوا عليه بالاحتفاظ بقصد ان يقدموه الى قورش ومضى وقت طويل بعد ذلك ولم يتجاسر اهل ساقص ان ينثروا على راس ما يقدمونهُ من الضحايا من شعير اترنية ولا ان يقربوا لاحد الالهة اقراصاً من طحين شعير تلك الارض وكانوا يخرجون من الهيكل كل ما كان من حاصلاتها .

✻ ١٦١ ✻ ولما سلم اهالي ساقص بكتياس قام مزاريس على الذين ثاروا بطبالوس وحاصروه فاستعبد البريانيين وشن الغارة في بقاع ميندرة واباح لجيوشهِ نهبها وكذا فعل بمغنيسيا ثم اعتل جسمه ومات

✻ ١٦٢ ✻ فخلفهُ هرباغوس في قيادة الجيوش وكان من الماديين



١ مدينة على ساحل جزيرة لسبوس اسمها الان هوليس ✻ ح ✻

٢ هي صقع في اسيا الصغرى يقال له اليوم لواء قره سي وكان في الزمان الاول عبارة عن بلاد كبيرة مقسومة الى عدة اقسام ✻ ح ✻

ايضاً وهذا هو الذي اكل لحم ابنه عند استياجس واعان قورش في تبوئو تخت مادي وما لبث بعد جمله قورش قائدًا عامًا على الجيوش حتى ذهب الى اترنية واضطر اهليها الى الحصار داخل المدن فافتحها بواسطة الخيالة والتلال التي اقامها حول الاسوار ومن تلك المدن فوقية «١» وهي المدينة الاولى التي دهمها بهذا الوجه

﴿ ١٦٣ ﴾ اعلم ان اهل مدينة فوقية المذكورة اول من مارس الاسفار الطويلة في البحرين الاغارقة وهم الذين عرفوا بحر الادرياتيك والبحر التيريني وبلاد ايبيرية وجزيرة طرطسوس «٢» ولم يكن عندهم سفائن مستديرة بل سفائنهم كانت ذات خمسين مجذافًا وحين بلغوا طرطسوس استمالوا اليهم ارغنطونيوس ملكها الذي تملك مدة ثمانين سنة وقضى نحبه في سن المائة والعشرين وقد بالغ الفوقيون في توددهم الى هذا الملك حتى انه اول ما قصد ان يحملهم على مهاجرة يونية والسكنى حيث يطيب لهم في بلاده ولما تعذر عليه اقناعهم بذلك وعلم قوة كريسوس اعطاهم مبلغًا من الدراهم لتحصين مدينتهم بالاسوار فبنوها بحجارة كبيرة مستحكمة البناء فيلزم عن ذلك ان المبلغ الذي دفعه اليهم كان وافرًا جدًا باعتبار امتداد الاسوار ومتانتها

﴿ ١٦٤ ﴾ واذ دنا منها هرباغوس حاصرها وجعل يقول للفوقيين انني سيرضيني دك برج واحد من المدينة واذ لم يكن لهم طاقة على مقاساة العبودية لج بهم الحرص الى يوم يتشاورون فيه على ذلك واجلوا له الجواب وسألوه ان



١ فوقية مدينة غير بلاد فوقيدة فلا يقع التباس بين الاسمين والنسبة *ح*

٢ البحر التيريني قسم من البحر المتوسط بين ساحل ايطاليا وجزيرة صقلية وبين جزيرتي كورسيكا وسردانية منسوب الى امة من البلاسجة كانوا على سواحل ايطاليا

وايبيرية يراد بها هنا قسم من اسبانيا القديمة كان يرويه نهر ايبيروس (نهر ابره) وقد يطلق هذا الاسم ايضاً على كل اسبانيا القديمة

وطرطسوس او طرطيسة اسم جزيرة ومدينتها عند ساحل اسبانيا كان الفينيقيون يحملون منها الذهب ثم ضرب عليها كرور الزمان حجاب النسيان. وقد يظن انها نفس قادس الحالية *ح*

يبعد جيوشه عن اسوار مدينتهم ريثما يتذاكرون في الامر فقال لهم هرباغوس انهُ وان كان غير جاهل مقصدهم مع ذلك يدعهم يتفاوضون حيناً وبينما كان هرباغوس ينقل جيوشهُ من جوار البلدة اذ ابتدر الفوقيون فانزلوا سفائنهم في البحر واودعوا فيها نساءهم واولادهم واثاثهم واصنامهم والتقدمات الموجودة في الهيكل الا الصور والتماثيل النحاسية والحجرية ثم نزلوا هم ايضاً واقلعوا بها قاصدين جزيرة ساقص وقد اخلوا المدينة فملكها الفرس

❋ ١٦٥ ❋ ثم بدا للفوقيين ان يشتروا جزائر اينوسة فابى اهالي ساقص بيعها حذراً من ان يدخلوا فيها التجارة فتتعطل جزيرتهم فسافروا حينئذٍ الى كيرنة حيث كانوا منذ عشرين سنة قد شيدوا مدينة آلالية وفاقاً لما جاءت به النبوة وفي تلك الاثناء توفي ارغنطونيوس فمروا بطريقهم اولاً على مدينة فوقية وذبحوا العسكر الذي اقيم للمحافظة بامر هرباغوس . ثم تحالفوا واوجبوا اللعنات على كل من يزايل الاسطول واحموا شيئاً من حديد ورموه بالبحر وآلوا على انفسهم بانهم لا يرجعون الى فوقية حتى يطفو الحديد فوق الماء وبقوا مسافرين الى كيرنة حتى اذا جاوزوا نصف الطريق حنّ اكثرهم الى الوطن ومساكنهم الاولى فنكثوا اليمين وانقلبوا راجعين الى فوقية الا بقية منهم كانوا اشد تمسكاً بالدين فسافروا من جزائر اينوسة وواصلوا طريقهم

❋ ١٦٦ ❋ وحين وصلوا الى كيرنة شادوا هياكل ومكثوا خمس سنين مع المهاجرين سابقهم ولما اكثروا من النهب والسلب في من يجاورهم هاج عليهم التيرينيون والقرطاجنيون واعدوا ستين بارجة في البحر وفعل هكذا الفوقيون وذهبوا لمقاتلتهم عند جزيرة سردانية فانتصروا عليهم نصرة قدموية «١» وكانت

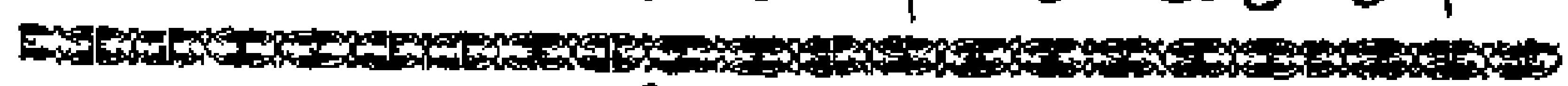
١ نسبة الى قدمية وهو اسم مدينة طيوة اليونانية وقد جرت هذه العبارة عند الاقدمين مجرى المثل وذلك لان ملك طيوة وهو اوذيبوس كان لهُ ولدان تواطأا على قتلهِ على ان يملك كل منهما سنة وبعد ان تتلاه ملك اكبرهما وهو ايتيوكليس فلما انقضت السنة لم يشأ ان يتنزل لاخيهِ بولينيكوس فثارت بينهما فتنة قتل بها كلاهما فكانّ كلاًّ منهما انتصر على الآخر لكن كان النصر شؤماً على الفريقين ✻ ح ✻

خسائرهم بها جسيمة لانهم فقدوا اربعين سفينة وبقي عشرون سفينة قد تعطلت تمامًا ثم رجعوا الى ألالية بنسائهم واولادهم وبما امكنهم ان ياخذوا من بقايا مالهم وغادروا جزيرة كيرنة وقصدوا نواحي ريجيوم

✻ ١٦٧ ✻ وتقاسم اهل قرطاجنة والتيربنيون بينهم على وجه القرعة اسرى الفوقيين الذين اسروهم من المراكب التالفة وكانت قسمة التيربنيين الكبرى وكلا الفريقين ذهب بالمأسورين الى البر وقتلوهم رجمًا بالحجارة وبعد ارتكاب هذه المعصية لم يعد يمكن لماشية او لحيوان اخر يصلح للتحميل ولا لرجل ولا لشيء مما يختص بالاجليين ان يجوز حقول الفوقيين الا ويرجم بالحجارة فتترضض اعضاؤه او تكسر قوائمه او يتشوه. فوجل الاجليون من هذه الرزية وقربوا لاله دلفي كفارةً عن معصيتهم فامرتهم الكاهنة ان يضحوا للفوقيين ضحايا مأتمية فاخرة وان يقيموا لتذكارهم العابًا رياضية وسباقية بالمركبات وبقي الاجليون يحرضون على هذه الاحتفالات حتى اليوم. هذا ما كان من امر الفوقيين المنوه عنهم واما ما كان من امر الذين لجأوا الى مدينة ريجيوم يوم سافروا فقد بنوا مدينة في ضواحي اينوترية وهي المعروفة اليوم باسم هيالة وكان ذلك بمشورة رجل من اهل بوسيدونيا فانه قال لهم ان الكاهنة لم تامرهم بجوابها ان ينشئوا مستعمرة في جزيرة كيرنة بل ان يقيموا ضريحًا للبطل كيرنوس «١» وهذا ما كان من امر فوقية في يونية

✻ ١٦٨ ✻ واقتفى التائيون اثار الفوقيين لانهم حالما تملك هرباغوس اسوار المدينة بواسطة التلال التي اقامها ركبوا السفائن وسافروا الى ثراقة حيث بنوا مدينة ابديرة التي كان قد اسسها تيميسياس الكلازوميني وطرده منها اهل ثراقة فلم يتمتع بها والى اليوم يحتفل التائيون بيوم تذكاره

✻ ١٦٩ ✻ ولم يكن بين اليونان غير هذه الشعوب الذين اثروا مغادرة بلادهم على تحمل رق العبودية نعم ان باقي اليونان خلا اهالي ميليتوس قاتلوا



١ كيرنوس هذا ابن البطل هرقليس وبه سميت الجزيرة وكان يحترم كاحد الابطال وربما كان هو المراد بكلام هيرودوتس. وكان من عادة الاغارقة اذا اشتبه عليهم اهل امة من الامم ان يلجأون الى حكاياتهم اما مخافة منهم او كسلاً في تدقيق البحث ✻ ل ✻

هرباغوس قتال الذين غادروا يونية بعد ان اظهروا معظم البسالة وشدة الباس بذبهم عن وطنهم لكنهم غلبوا ووقعوا في يد العدو واضطروا الى الخضوع للظافر اما اهل ميليسية فانهم كما مر انفًا كانوا قد اقسموا بعدم خيانة قورش وامسوا آمنين على مهاد الراحة والسكون وعلى هذا المنوال كان سقوط يونية مرة ثانية في العبودية واما اليونان سكان الجزر فقد استيئسوا الى قورش مخافة ان يحل بهم هرباغوس ما احل بسكان البر

✻ ١٧٠ ✻ ومعما كان فيه اليونان من العناء والمشاق لم يقطعوا اجتماعاتهم في البانيونيوم وفيما اعلم ان بياس البرياني اشار عليهم مشورة حسنة كانت جديرة بان تصيرهم اسعد الاغارقة لو تصرفوا بمقتضاها وهي ان يدخلوا جميعهم سفائن اسطول واحد ويذهبوا الى سردانية ويشيدوا بها مدينة واحدة لجميع اليونان وعلق امالهم بانهم بهذه الواسطة يتخلصون من الاسترقاق ويحصلون على غنى جزيل وحيثما سكنوا جزيرة عظيمة نظير سردانية يتغلبون على غيرهم وبالعكس اذا استمروا في يونية فلا رجاء لهم بالاستبداد وهذا ما ارتآه بياس لليونان بعد ما دخلوا في ربقة العبودية ولكن قبل ان حصلت بلادهم في حالة الخضوع اشار عليهم طاليس الميليتي وهو الذي احد اجداده من فينيقية مشورة حسنة بان يقيموا في ثاوس الوقعة في وسط بلاد يونية مجلس شورى للطائفة جميعها بحيث لا يخل بالحكومة من يجاورهم من اهل المدن وان يكون كل اقليم محافظًا على شرائعه الخصوصية من غير ان يخل نظام الفريق الواحد بنظام الفريق الاخر

✻ ١٧١ ✻ وبعد ان ادخل هرباغوس يونية في قيد الطاعة خرج على الكاريين والقونيين والليكيين مع ما انضم الى عساكره من اليونان والايوليين فاتى الكاريون من الجزر الى وسط البلاد البرية وقد كانوا من تبعة مينوس ويسمون ليلجية ويسكنون الجزر دون ان يؤدوا الجزية وهذا منتهى علمي بالمنقول عنهم من قديم الزمان الا انهم كانوا يقدمون لمينوس رجالًا بحرية على قدر طلبه وبينما كان هذا الملك موفقًا بالحروب ظافرًا بالفتوحات كان الكاريون حاصلين على شهرة ذائعة بين تلك الشعوب المعروفة في ذلك الزمان ولهم ثلاث عادات

قد ابتدعوها وجرى عليها الاغارقة بعدهم وليس من يشك في ان الكاريين هم الذين ابتدأوا بوضع الريش على الخوذة ورسموا صورًا على تروسهم وجعلوا فيها عروة من نحاس لانهُ حتى ذاك الحين كان كل الذين تعودوا حمل التروس يعلقونها باعناقهم واكتافهم اليسرى بقدة من جلد . وبعد ذلك بايام عديدة قوي اليونان والدوريون وطردوا الكاريين من الجزر ولهذا السبب جاء هولاء الى داخلية البر . هذا على ما رواه الاكريتيون اما ما يقولهُ الكاريون في اصلهم فهو مخالف لما تقدم فانهم يعتقدون بانهم مولودون في البر وان لم يكن لهم قط لقب غير اللقب الحالي ويرون الناس في ميلاس هيكلاً قديمًا لجوبيتر الكاري لا يوذن بدخوله الا للميسيين والليديين بعلة علاقة القربى ما بينهم ويقولون ان ليدوس وميسيوس كانا اخوي كاروس وهذا الذي سوغ لهم الدخول في هذا الهيكل وامتنع دخولهُ على غيرهم ولو كانوا ينطقون بلغتهم ذاتها

❋ ١٧٢ ❋ والغالب على الظن ان اصل القونيين من البلاد ذاتها وهم يقولون ان اصلهم من اكريت سوا كانت لغتهم ماخوذة من لغة الكاريين او لغة الكاريين ماخوذة عن لغتهم وانا لا اعرف الحقيقة في ذلك بل اعلم ان عاداتهم مختلفة جدًا عن عادات الكاريين وباقي اهل الدنيا ومن عاداتهم التي يحسبونها حميدة انهم يجتمعون على الشراب رجالاً ونساء واحداثًا بحسب ما تقتضيهِ رابطة الحب والعمر بينهم وكان لهم آلهة غريبة ولما تغيرت بواطنهم عليها صمموا على ان لا ينذروا الا لالهة البلاد فقط واذ ذاك تقلد جميع شبان القونيين السلاح وصاروا يطعنون بها الهواء حتى بلغوا تخوم الكالنديين وهم يصرخون انهم يطاردون الالهة الغريبة

❋ ١٧٣ ❋ اما اصل الليديين فهو من اكريت وهم قدماء جدًا اذ من قديم الزمان لم يكن في هذه الجزيرة كلها من يسكنها الا البربر وقد تنازع سربيدون وبينوس ابنا اوروبة على تملكها فغلب مينوس سربيدون وطردهُ مع سائر اعوانهِ فدخلوا ميلياذة احدى مقاطعات اسيا لان البلاد التي يسكنها اليوم الليكيون كانت قبلاً تدعى ميلياذة وكان اهلها يطلق عليهم اسم سوليمة وفي زمن

تملك سربيدون عليهم كانوا يسمون ترميليين ودخلوا بهذا الاسم البلاد المذكورة وما برح جيرانهم يلقبونهم به حتى اليوم اما تلقبهم بالليكيين فهو نسبة الى ليكون بن بنذيون الذي عند ما طرده اخوه ايجيوس التجأ الى الترميليين متواقعاً على سربيدون ولهم شرائع خصوصية تختلف عن غيرها من شرائع سائر الامم لكونها تقتضي ان يكنى الابن باسم امه لا باسم ابيه واذا سألت احد الليكيين عن عائلته يذكر سلالة امه واذا اقترنت امرأة من اهالي البلاد برقيق تعد اولاده من ذوي الحسب وبالعكس اذا اقترن رجل وان كان من ذوي الشان بامرأة اجنبية او اذا تزوج بسرية فاولاده لا يحسبون في عداد اهل الحسب والنسب وقد الحقوا بشرائعهم بعض اصول ماخوذة عن شرائع اكريت وكارية

✻ ١٧٤ ✻ وامسى الكاربون وسائر الاغارقة سكان هذه البلاد بحالة الاسر تحت تسلط هرباغوس بدون ان يبدي احد منهم مقاومة تستوجب الذكر ويحسب في جملتهم الكنيذيون الذين اصلهم من احدى مستعمرات لتدومونية ومن بلادهم ما يطل على البحر وهي مقاطعة تربوبيوم ومنها ما يشبه الجزيرة وهي مقاطعة بيباسية وبالجملة اذا استثنينا بقعة صغيرة منها فان البحر يكتنفها من كل جهة ويحدها شمالاً خليج كيراميك وجنوباً بحر كيمي ورودس وتلك المسافة التي يبلغ طولها مقدار خمس استادات قصد الكنيون ان يجعلوها جزيرة وشرعوا يحفرونها بينما كان هرباغوس متشاغلاً بافتتاح يونية وذلك لان جميع بلادهم هي داخل الخليج الذي لم يكن متصلاً بالبر الا بهذا اللسان المقترب من الارض وارادوا قطعة فاقاموا عدداً كبيراً يشتغل به وحصل عما تطاير من الحصى ما جرحهم باجسامهم وعلى الخصوص باعينهم وكثرت الجراح حتى ظنوا انها متأتية من يد الهية فارسلوا يستشيرون الى كهانة ذلفي ما تكون تلك اليد الغالبة المانعة لهم في مشروعهم وان الكنيين انفسهم يقولون ان الكاهنة جاوبتهم بما ياتي وهو ابيات شعر من الوزن الثلاثي « لا تحفروا الخليج ولا تحصنوه فلو شاء جوبيتر لجعل بلادكم جزيرة » وحين بلغهم جواب الكاهنة كفّوا عن الحفر ثم قدم هرباغوس بجيوشه فاستسلموا اليه بلا قتال

❊ ١٧٥ ❊ وقد تميز البيذاسيون بين اهل كاريا بانهم ثبتوا مدة طويلة يقاتلون هرباغوس حتى حيّروه جدًا بتحصينهم جبل ليذا ولكنهم انغلبوا اخيرًا واذعنوا لهُ وهولاء كانوا يسكنون في داخل البر في ارض فوق هاليكرناس ومن الغريب انهم كانوا كلما اوشكت رزيئة ان تصيبهم تنبت لحية طويلة في وجه كاهنة مينرفة وقد تكررت هذه الاعجوبة ثلاث مرات

❊ ١٧٦ ❊ ولما غشي هرباغوس بجيوشهِ سهول زنثوش «١» خرج الليكيون لمصادمتهِ مع كونهم شرذمة صغيرة بالنظر الى زمرة العدو وقاتلوه قتالاً دل على عظيم بسالتهم وعندما ايقنوا بان الدائرة تدور عليهم لم يبق لهم الا ان يطلبوا الحصار ضمن السور فدخلوا القلعة باموالهم ونسائهم واولادهم وعبيدهم واوقدوا بها النيران فصارت رمادًا بكلما فيها ثم تواطأوا كافةً وتحالفوا باقسام عظيمة وانسابوا خفيةً واندفعوا يحاربون الفرس حتى انقرضوا عن اخرهم في حومة القتال فبالحالة هذه يكون اكثر الليكيين اليوم الذين يدعون انهم زنثوسيون انما هم غرباء الا ثمانين عائلة كانوا قد هربوا من اوطانهم وتخلصوا من نازلة الدمار العامة وعلى هذا المنوال اخذت مدينة زنثوس واستولى هرباغوس على مدينة قونية لان القونيين في الغالب ماثلوا الليكيين في تصرفاتهم

❊ ١٧٧ ❊ بينما كان هرباغوس عاملاً على تدمير اسيا الصغرى كان قورش ظافرًا بنفسهِ على قبائل اسيا الكبرى دون ان يبقي على احد منهم ونقتصر في كلامنا عن كثيرين منهم بان نذكر فقط الذين قاوموه اشد المقاومة والذين يقتضي التاريخ ذكرهم وبعد ان ادخل هذا الملك في طاعتهِ جميع البلاد الداخلية صمم على محاربة الاشوريين

❊ ١٧٨ ❊ اما بلاد اشور فهي مشتملة على عدة مدن كبيرة واشهرها بابل الحصينة وهي صارت عاصمة الملك ومقر سرير الملوك بعد خراب نينوى وموقعها في سهل عظيم فسيح وهي مربعة الشكل وكل جانب منها يبلغ طولهُ عشرين استادة ويكون

---

١ مدينة قديمة من ليكيا اسمها الان افسيدة موقعها على نهر باسمها ❊ ح ❊

محيط المدينة اربعمائة وثمانين استادة«١» وبالجملة فهي مدينة عظيمة لا نعهد لها نظيرًا ويكتنفها خندق عميق مفعم ماء ويليه سور سمكه خمسون ذراعًا ملكية وعلوه مائتا ذراع والذراع الملكية تزيد على الذراع المعروفة ثلاث اصابع .

﴿ ١٧٩ ﴾ وهنا محل لان نذكر ما عملوه بتراب الخندق وكيف بني السور فانهم كانوا كلما حفروا جانبًا من الخندق يصنعون ترابهُ لبنًا وكلما حصل لديهم جانب منهُ يشوونهُ باتاتين ثم يلصقونهُ بالحمر المسخن وذلك انهم كلما بنوا ثلاثين سافًا من اللبن يبسطون فوقها قصبًا مشبكًا لاستمساك البناء واول ما بنوا على هذا النسق جوانب الخندق وبعده السور وفوقهُ شيدوا ابراجًا وفي كل منها حجرة تقابل حجرة اخرى وجعلوا في خلال الابراج مسافة كافية لان تدور بها المركبة التي يجرها اربعة افراس وكان للسور مائة باب من نحاس وكذلك عضائدها واعتابها وعلى مسافة ثمانية ايام من بابل مدينة ايس وهي قائمة على شاطي نهر صغير يدعى باسمها ويصب في نهر الفرات ويجر بمياهه كثيرًا من الحمر ومنهُ جمعوا ما لزمهم لبناء اسوار المدينة .

﴿ ١٨٠ ﴾ ونهر الفرات مار في وسط المدينة فيقسمها الى شطرين وهو نهر عظيم عميق سريع الجري مخرجه من ارمينية ومصبهُ في بحر اريثريا ( خليج العجم ) فيجعل السور الاول والثاني على شبه دعامة في النهر وهناك يبتدي سور مبني من الطوب وعلى جانبيهِ من ناحيتي النهر رصيف والبيوت ذات ثلاث او اربع طبقات وطرق المدينة مستقيمة ومتشعبة موءدية الى النهر وتجاهها في السور القائم على النهر منافذ ذات ابواب نحاسية ينزل منها الى النهر وهي في عدد الطرق

﴿ ١٨١ ﴾ ان الاسوار الخارجية اقيمت لوقاية المدينة والداخلة ليست باقل تحصينًا ومتانة منها لكنها اقل عرضًا وفي اواسط شطري المدينة ما يقضي بالعجب وهو قصران احدهما للملك وسورهُ كبير حصين جدًا والاخر في المحل المخصوص بجوبيتر بعلوس وابوابه نحاسية ولا يزال قائمًا حتى اليوم وهو مربع محكم

---

« عبارة عن ١٩٨٤٠ قصبة وقيل اقل باختلاف الراي في قياس الاستادة ☆ ل ☆

الضبط ومقدار فسحته من كل جهة استادة وفي وسطه برج مصمت مقداره استادة واحدة طولاً واستادة عرضاً وفوقه برج آخر يعلوه برج ثالث وهكذا حتى ينتهي الى ثمانية ابراج واقاموا في الخارج درجاً لولبياً يصعد به الى كل من هذه الابراج وفي وسط الدرج قاعة فيها كراسي يستريح عليها الصاعدون والنازلون وفي منتهى الابراج هيكل داخله اريكة في غاية الزينة وبقربها مائدة ذهبية وليس هناك من تمثال البتة ولا يسوغ لاحد ان يستمر فيه ليلاً الا اذا كان امراة من اهل البلاد قد اصطفاها الاله على ما يقول الكلدان كهان هذا الاله

☙ ١٨٢ ❧ من قول هولاء الكهنة ان الاله ياتي بنفسه الى الهيكل ويضطجع على الاريكة المذكورة والذي اراه ان هذا الامر بعيد عن التصديق واذا صدقنا قول المصريين فان مثل هذه العقيدة كانت عندهم في مدينة طيوة اذ في هيكل جوبيتر الطيوي كانت ترقد امراة وكلتا الملتين تعتقدان المراة المصطفاة لم تضاجع رجلاً قط ومثل ذلك في بتريس من بلاد ليكيا فان اهلها يعتقدون بان الالك حينما يشرف المدينة بحضوره اليها يقفلون ابواب الهيكل ليلاً على الكاهنة الكبيرة اذ لا يتنبا في ذلك المقام كل وقت

☙ ١٨٣ ❧ وفي هيكل بابل قاعة سفلى فيها تمثال عظيم من ذهب يمثل جوبيتر جالساً وحذاءه مائدة على عرش ذهبي ودرجه من ذهب وكل ذلك على زعم الكلدانيين يساوي ثماني وزنات من الذهب «١» وبخارج القاعة مذبح ذهبي ومثله مذبح آخر عظيم جداً تذبح عليه الثيران البالغة في السن اذ كان من الممنع التقدمة على مذبح الضحية الا حيوانات الرضاع وكان الكلدانيون في كل سنة يحرقون على المذبح العظيم في يوم عيد الاله الف وزنة من البخور «٢» وكان في المقام المقدس تمثال من ذهب مقدار طوله اثنا عشرة ذراعاً ولم ارَ مثله قط لكنني اورد ما تلقيته عن الكلدانيين وقد اراد دارا بن هستاسب ان ياخذه ولكن لم

١ عبارة عن ٦١٦٠٠٠٠ غرش ☙ ل ❧
٢ عبارة عن ١٤٢٢ ليبرة ☙ ل ❧

يتجرأ على اتمام مراده ثم ان زارش بن دارا قتل الكهنة الذين مانعوه في مشروعه هذا واخذه . وهذا كان غنى هذا الهيكل وتوجد فيه ايضاً تقدمات من اناس مخصوصين

﴿ ١٨٤ ﴾ وقد توالى على تخت بابل كثيرون من الملوك وسنرى ذكرهم عندما نورد تاريخ الاشوريين وهم الذين احاطوا المدينة بالاسوار وجملوها بالهيا كل التي شادوها بها ومنهم قام ملكتان احداهما قبل الاخرى بخمسة اجيال وكان اسم الاولى سميراميس وهي التي بنت السد العظيم الذي يمنع فيضان نهر الفرات من جانبيه حتى لا يطغي كالسابق

﴿ ١٨٥ ﴾ اما الملكة الثانية فكان اسمها نيتوكريس وكانت اوفر حكمة من الاولى ومن افعالها العظيمة التي سانكلم عنها انها لما رات الماديين تقوى شوكتهم وقد استولوا على عدة مدن ومنها نينوى العظيمة قلقت فبادرت الى تحصين بلدها ما امكن فاحتفرت اولاً ترعًا في اعالي بابل وبواسطتها تحول نهر الفرات الذي كان يجري اليها على خط مستقيم وصار جريه متعرجًا بحيث انه اضحى يمر ثلاث مرات بقرية اردريكة من بلاد اشور حتى يرجع الى مجراه والى اليوم يشاهد العابرون من هناك ثلاث مرات على مسيرة ثلاثة ايام تلك القرية وبعد ذلك اقامت في كل ناحية تلاً كبيرًا عجيبًا في عرضه وعلوه وفوق بابل على مسافة بعيدة وعلى بعد قليل من النهر حفرت بحيرة كبيرة تصب فيها مياه النهر حين فيضانه وكان محيطها اربعماية وعشرين استادة واما عمقها فانه بلغ الماء تحت التراب واستعملت التراب المنهال لتعلية جوانب النهر وحينما اكتمل عمل البحيرة رصعت شواطيها بالحجارة وهذان العملان عمل البحيرة والتعاريج للفرات قصد بهما اولاً تضعيف شدة جري النهر لان معظمه يصدم في التعاريج فيضعف وثانيًا ان القادمين فيه الى بابل يلتزمون ان يجوزوا التعاريج ثم يدخلوا في بحيرة عظيمة وهذا العمل قد باشرته في جهة مما لكها الاكثر عرضة لهجمات الماديين وفي الجهة التي ليس لهم فيها طرق للدخول في اراضيها الا ما ندر حتى لا يكون علاقة البتة مع الاشوريين فتمتنع عليهم معرفة احوالها

١٨٦ قد حصنت الملكة بلادها على الصفة المذكورة وبعد انجاز العمل اضافت ما ياتي. اعلم ان بابل هي منقسمة الى شطرين ونهر الفرات مارٌّ في وسطها وفي عهد الملوك السالفين كانت الناس تعبر بالزوارق من شاطئ الى اخر ومعلوم ما في ذلك من المشقة فبدا للملكة نيتوكريس عند ملاحظتها هذا الامر والبحيرة التي احتفرتها منعًا لطوفان النهر ان تضيف الى عملها الاول عملاً اخر قد خلد ذكرها الى الابد وهو انها قطعت حجارة كبيرة واعدتها للبناء فلما فرغت من اتمام البحيرة حولت ماء الفرات اليها وفيما هي تتلي نشف النهر فبادروا حينئذٍ الى بناء رصيف من طوب على جانبيهِ الواقعين داخل البلدة ومدارج تودي من الابواب الصغيرة الى النهر واقاموا في وسط المدينة جسرًا موطدًا بالحجارة الكبيرة التي قطعوها من المقالع ومكنوها بالحديد والرصاص وكانوا يعبرون نهارًا على قطع من خشب مربعة ويرفعونها ليلاً احترامًا من ان يمر عليها الاهالي ويجتازوا البلدة من جهة اخرى ويتسارقوا مولما طمى ماء النهر على البحيرة تشاغلوا ببناء الجسر وعند اتمامهِ ارجعوا النهر الى مجراه القديم وعلم البابليون بالنفع الناشئ عن البحيرة والجسر

١٨٧ فبدا للملكة ان تستنبط حيلة اخرى وهي انها صنعت قبرًا فوق باب المدينة الذي يكثر منهُ الدخول ورقمت عليهِ هكذا «اذا قل المال عند احد الملوك الذين يخلفوني على عرش بابل فليفتح هذا الضريح وليأخذ منهُ قدر ما «يريد ولكن ليس لهُ ان يفتحهُ بعلة اخرى الاَّ اذا اشتدت عليهِ الفاقة لئلا ينالهُ «مضرة من مخالفته» واستمر القبر مقفلاً حتى عهد الملك دارا الاكبر فغضب هذا الملك من كون الداخل من الباب المذكور يستلزم ان يكون فوق هامتهِ جثة ميتٍ ولم يكن يقدر ان يغادر المال المخزون وكانهُ يدعوهُ الى اخذه ففتح الباب ولم يجد سوى جثة نيتوكريس مع الكتابة الاتية وهي «لولا انك شديد الجشع في المال ومتهافت على الربح المعيب لما فتحت مدافن الموتى»

١٨٨ اما الحرب التي شب نارها قورش على بابل فكانت في عهد لابينيتس ملك اشور ابن الملكة نيتوكريس المار ذكرها وكان اسم ابيهِ ايضًا

لايبنيتس وكان من عادة قورش الهمام ان لا يزحف بجيوشهِ للقتال الأ ويصحب معهُ ذخائر وافرة وماشية كافية ياتي بها من بلاده حتى انهُ كان يجلب معهُ الماء من نهر شواسب الجاري في مدينة سوسن لانهُ لم يكن يشرب الا من ماء غيره وكان يودعه آنية فضية بعد ان يغليه على النار ثم يحمله على مركبات ذات اربعة دواليب تجرها البغال المسوقة في ركابهِ دائمًا

❋ ١٨٩ ❋ واذ كان قورش زاحفًا على بابل وصل الى شواطي نهر جيندس الذي يخرج من الجبال المتيانية ويمر ببلاد الدرنيين ويصب في نهر دجلة المار تجاه مدينة اوبيس ويصب في بحر اريثرية وهو خليج العجم فاراد قورش ان يعبر النهر المذكور وكان العبور لا يمكن الاّ بالزوارق فخطي احد احصنته البيض المعروفة بالخيل المقدسة وقفز فوق النهر وكان مجرى النهر شديدًا فاختطفه وغرق فيهِ ورأى ذلك قورش فاستشاط غيظًا وآلى على نفسهِ ان يجعله جدولاً صغيرًا يسهل على النسا ان يجتزن فيهِ دون ان يغمرهن الى الركب فاوقف مسير جيشهِ عن بابل وقسمهُ الى شطرين ورسم بالحبال على كل من جانبي النهر مائة وثمانين ترعة واقام لها حدودًا وامر العسكر فاخذ يحفر حتى بلغ الغاية واشغل به جمًا غفيرًا من الرجال واقتضى هذا العمل مدة الصيف كلها

❋ ١٩٠ ❋ وبعد ان شفى غليلهُ من النهر بتقطيعهِ بثلثماية وستين ترعة نهض بعساكره على بابل وكان قد دخل فصل الربيع من السنة التالية وقد عبأ البابليون عساكرهم وتهيأوا للنزال فلما قارب المدينة انتشبت بينهم الحرب فانغلبوا ودخلوا الاسوار واذ كان في اعتقادهم ان هذا الملك عنيد جبار يواقع الملل كافة اعدوا المؤن الكافية لهم الى عدة سنين ولذلك لم يضايقهم الحصار وارتبك قورش لطول مدة الحصار اذ لم ير في يومهِ نجاحًا وتقدمًا عن اليوم الذي ابتدأ بهِ

❋ ١٩١ ❋ فعنَّ لهُ برايهِ الخصوصي او بمشورة غيره ان يتخذ واسطة اخرى وهي انهُ اقام جانبًا من جيوشهِ على مدخل النهر الى بابل وقسمًا آخر على مخرجه منها وامرهم بانهم متى راوا النهر قد جف ماؤه وامكن العبور فيهِ يدخلون البلد منهُ ثم ذهب باضعف عساكره الى جهة البحيرة محو ا . النهر كما فعلت ملكة

بابل بالاقنية الموصلة الى البحيرة حتى قلَّ الماء في مجرى النهر وسهل فيهِ المرور فدخل بهِ الفرس الذين كانوا ينتظرون عند مدخلهِ ولم يغمرهم الماء الى ركبهم فلو درى البابليون بمقاصد قورش لاهلكوا العساكر عند دخولها عن آخرهم ولم يدعوهم يدخلون ولم يكن يلزمهم لذلك الاَّ ان يقفلوا جميع الابواب الصغيرة التي يوصل بها من البلد الى النهر ويصعدوا فوق اسوار الشواطي فيصطادونهم جميعهم كالسمك بالشبكة ولكن الفرس دخلوا في وقتٍ لم يكن لاعدائهم بحساب هذا انا وثقنا بقول البابليين فان اطراف المدينة كانت الاعدا قد امسكوها والذين كانوا في اواسطها لم يشعروا بشيء لكونها كبيرة جدًّا بعيدة الاطراف وخصوصًا ان الاهالي يومئذٍ كانوا ساهين بالرقص والطرب بمناسبة عيد عندهم واستمروا على هذه الحالة حتى حلت بهم البلية وهكذا كان اخذ بابل اول مرة

❊ ١٩٢ ❊ ومما اوردهُ من الشواهد والادلة على عظمة بابل واقتدارها انهُ فضلاً عن الاموال الاميرية المعتادة كان سائر الممالك والولايات تقدم للملك ما يوكل على مائدتهِ ومونة عساكره وكان على بابل من الخراج ان تقدم ماكولات مدة اربعة اشهر في السنة وعلى باقي ممالك بابل ان تؤدي مونة ثمانية اشهرٍ وقسمت على سائر بلاد اسيا ومن هنا يستدل ان بلاد بابل كانت في الغنى والقدرة معادلة لثلث اسيا باسرها وحكومتها تفوق غيرها رونقًا وحسنًا ( والفرس يسمون ولاياتها دهقانيات اي على كل منها دهقان ) لان مجموع ما يرد منها كل يوم تبلغ قيمتهُ اردب فضة الى تريطنخميس بن ارداباز الذي ولاه عليها الملك والاردب عند الفرس مكيل اكبر بثلاث شنيكات اتيكية من الميدمن الاتيكي «١» وكانوا يعلفون ايضًا فضلاً عن خيول الحرب المختصة بالملك ثمانمائة حصان وستة عشر الف فرس بحيث انهم يقابلون كل حصان بعشرين حجشًا وكانوا يعلفون كثيرًا من كلاب بلاد الهند وذلك كان مرتبًا على اربع ضياع كبار في السهل وبهِ تعفى من اداء باقي الاموال الاميرية



١ الميدمن ٢٤ شنيكة والشنيكة ٤ سدسيات وكونيلان والسدسية نصف ثمن المدّ ❊ل❊

❋ ١٩٣ ❋ لما كان المطر قليل الوقوع ببلاد اشور اصطنعوا الات لرفع المياه ليسقوا اراضيهم من ماء النهر لانه لا يطغي نظير النيل ولهم جداول وترع كثيرة وفي معظمها تسير السفن وتوصل ما بين الفرات ودجلة القائمة عليه مدينة نينوى وتنمى عندهم الزروع جدًّا حتى لا تضاهيها ارض مخصبة بكل اقطار العالم فان الحبوب تعطي مائتي ضعف وعند الاقبال تعطي اكثر من ثلثمائة ضعف وتعوض عن العنب والزيتون والتين التي لا تصح زراعتها بتلك التربة بعكس الحبوب. وورق الشعير بعرض اربع اصابع اما الذرة والسمسم فلا اذكر عظم خصبها ونمو جذوعها لانني اعلم يقينًا ان كل من لا يعرف تلك الاقطار لا يصدقني ولذلك ضربت صفحًا عن ذكرها واهالي بابل لا تستخدم غير زيت السمسم وترى عندهم السهول مكسوة بشجر النخل اكثرها مثمرة فياكلون بعضها وبعضها يستقطرون منه خمرًا وعسلاً وغرسه على مثل غرس شجر التين في بلادنا ويلقحون من ثمر النخل الذكر النخل الانثى فيدخل البعوض بالبلحة وتنضج ولا تعود تسقط على مثال التين البري

❋ ١٩٤ ❋ والان اتكلم هنا عمّا هو اعجب بهذه الاقطار من بعد عجب المدينة وهو ان المراكب التي يصطنعونها للسفر الى بابل من جلود بشكل مدور يصطنعونها بنواحي ارمينية فوق اشور فقصعة المركب يعملونها من خشب الصفصاف ويغلفونها بالجلود من الخارج وتكون مدورة مثل الترس بحيث لا يكون فرق بين المقدم والموخر ويملأون قاعها تبنًا ويشحنونها بضائع والاغلب خمر النخل فتسير بجري النهر ورجلان واقفان يديران المركب حاملان كل عودًا الواحد يسحب للامام والثاني للخلف وهذه المراكب ليست بقطع واحد بل منها كبير وصغير بحيث ان اكبرها يحمل خمسة الاف وزنة ويضعون في كل مركب صغير حمارًا واحدًا وفي الكبير جملة حمير لكي بعد تفريغ البضائع وبيعها في بابل يبيعوا ايضًا قصعة المركب والتبن ويحملوا الجلود على الحمير ويرجعوا الى بلادهم ارمينية لان النهر لا يمكن الصعود به فلذلك اصطنعوا المراكب على هذه الصورة حيث لا يمكن عملها من خشب نظرًا لعدم امكانية الرجوع بالنهر واما الجلود

فجعلوها برجوعهم ويجدّدونها ثانيةً على حسب ما ذكر

❋ ١٩٥ ❋ واما ملابسهم فيتسربلون بكساء من كتان يصل الى ارجلهم وكساء اخرَ فوقهُ ثم جبة صغيرة بيضاء واحذيتهم اشبه باحذية البيوتيين ويرخون شعورهم وعلى رؤوسهم قلنسوة ويفركون جسمهم بالطيوب وبيد كلٍ خاتم اوعصا تشغل باليد براسها شكل تفاحة او وردة اونسر او صورة اخرى بحيث انها تكون مزينة بعلامةٍ ما وغير مسموحٍ لاحد ان يشتغل عصا دون علامة كذا مظهرهم ونتكلم الان عن شرائعهم

❋ ١٩٦ ❋ على ما ارى ان احكم شريعة عندهم هي الموجودة ايضًا على ما علمت عند الفينيتة اهالي ايليريا وهي انهُ في كل قريةٍ من كان عنده بنات بالغات يجمعهن في كل سنة في محلٍ عمومي حيثما يجتمع حولهن جمعٌ غفير من الرجال فياتي منادٍ يقيمهن ويبيعهن الواحدة بعد الاخرى مبتدئًا باجملهن وبعد ان يندفع بها ثمن مناسب يدلل على الاخرى الاقرب اليها بالوصف ومشروط على الشاري ان يتزوجها وعلى هذا فان رجال بابل البالغين الاغنياء يتقاطرون للمزايدة ويبتاعون الجميلات واما شباب الشعب المحتاجين الى المال فكانوا يفضلون الحصولَ على امراةٍ ذات مهرٍ اكثر من ان تكون جميلة فبعد الفراغ من بيع الجميلات كان الدلال يقيم باقي البنات المشوهات والقباح الصور وينادي عليهن الواحدة بعد الاخرى على ان من ياخذها يقبض كذا من المهر بحسب ما تقع عليهِ شروط الزواج بها وعلى ذلك ما يجمعونهُ من الاغنياء ثمن الجميلات كان معدًّا لدفع مهر قبيحات الصورة وكان غير مسموح لاب ان يختار عريسًا لابنته ولا مسموح لاحد ان ياخذ ابنة قبل ان يودي كفالة ان يتزوجها وبعد اداء الكفالة ياخذها الى بيتهِ واذا لم يتوافق العريسان فالشريعة كانت تسمح ان ترد الدراهم ويفسخ العقد وكان مسموحًا لاهالي سائر القرى ان تشترك بهذه التجارة ويشتروا البنات لكن هذه السنة الموسسة على الحكمة ما لبثت ان بطلت والان اخترعوا وسائط اخرى لعدم وقوع بناتهم بمعاملة جافية ولعدم تغريبهن الى مدن غريبة وذلك انهُ بعد افتتاح بابل وسقوطها سقط حال الاهالي وافتقروا حتى صار الاب يعرض ...

عند الفاقة المهارة

﴿ ١٩٧ ﴾ وغير امر الزواج لهم عوائد حكيمة لجهة المرضى فاذ لم يكن عندهم اطباء يحضرون المريض الى الساحة فمن يراه وكان قد حصل له مثل هذا المرض يصف له ما عمله لنفسه او ما عمل لغيره على معرفته لشفاء ذاك المرض وكان لابد لكل من مرّ على المريض ان يسأله عن مرضه

﴿ ١٩٨ ﴾ وكانوا يضعون امواتهم في العسل وامر الحداد والجنازة عندهم اشبه بما عند المصريين وكلما ضاجع البابلي امراته يحرق روائح معطرة ويجلس حذاءها ليتبخر وكذا امراته تحرق بخورًا وتجلس حذاءه من الجهة الثانية وبعد ذلك يغسلان احدهما الاخر عند الفجر لانه غير ممنوح لهم ان يمسوا اناء ماء قبل ان يغتسلوا والعرب يحافظون على هذه العادة

﴿ ١٩٩ ﴾ وعند البابليين شريعة معيبة جدًا وهي ان كل امراة مولودة في بلادهم لا بد ان تذهب مرةً في حياتها الى هيكل الزهرة لتسلم نفسها الى رجل غريب واما النساء المتكبرات فيانفن من الاختلاط بغيرهن فيجئن الهيكل على مركبات مغطاة وهناك يجلسن محاطات بجم من خدمهن فيجلسن في دار هيكل الزهرة مكللات بتاج من الغزل فتدخل القادمات وتخرج السابقات وهناك طرقات مقسمة بحبال ممدودة على الارض فيتمشى الرجال الغرباء هناك لينتخبوا لانفسهم ما احبوا من النساء فالمرأة عند دخولها هذا المحل لا تعود تقدر على الرجوع الى بيتها قبل ان احد الرجال الغرباء يعطيها دراهم ويضاجعها خارجًا الهيكل المقدس ويلزم عند ما يضع الدراهم على ركبتيها ان يقول بجاه الالهة مليطة ( اي الزهرة ) ومهما قل مبلغ الدراهم محرم عدم قبوله من الشريعة لان هذه الدراهم تعدّ مقدسة وعلى المرأة ان تاتي مع اول من يضع دراهمه وغير ممنوح لها ان ترفض احدًا وبعد ايفاء ما هي مديونة به للالهة تسلم نفسها للغريب وترجع الى بيتها واما بعد ذلك فمهما دفع لها فلا يعود ممكنًا ان تسلم عرضها فذوات القدود الرشيقة والجمال الشائق لا يطول مكثهن في الهيكل اما الكثيفات الصورة فانهن يتعوقن كثيرًا حتى ان بعضهن ربما انتظرت اربع سنين لقضاء الوطر ونحو هذه العادة توجد في بعض نواحي

قبرص

❋ ٢٠٠ ❋ هكذا كانت عوائد وشرائع البابليين ومنهم ثلاث قبائل قوتهم السمك فقط فانهم يصطادونه ويقددونه ثم يدقونه بالهاون ويصفونه بخرقة ويصبونه اقراصاً ويخبزونه كالخبز .

❋ ٢٠١ ❋ ولما ادخل قورش في حوزته هذه الطائفة اشتهى ان يستولي على المساجتة ايضاً وروي عن هذه الطائفة انها كبيرة وذات ابطال وشجعان وبلادهم شرقاً وراء نهر الرس مقابلة ايسيدون والبعض يزعمون انهم من طائفة السكيثة .

❋ ٢٠٢ ❋ ونهر الرس ( نهر فولغا ) "١" زعم البعض انه اعظم من نهر ايستر ( الطونة ) وقال اخرون انه اصغر منه وقيل ان فيه جانباً عظيماً من الجزر تكون بمقدار جزيرة لسبوس والشعوب العائشة هناك في فصل الصيف يقتاتون بجملة انواع من جذوع الاشجار ويخزنون الثمر بعد نضجه لقوت فصل الشتاء ويقال انهم اكتشفوا شجرة يحرقون ثمرها بالنار ويجتمعون حولها يتنشقون بخاره فيسكرون كما تسكر الاغارقة من شرب الخمر ثم يرقصون ويطربون بالغناء ويخرج نهر الرس من الجبال المتيانية حيث يخرج نهر جيندس الذي قطعه قورش بثلاثمائة وستين ترعة وله اربعون مصباً كلها الا واحداً تصب في مستنقعات وهناك يسكن الناس الذين يقتاتون بالاسماك المقددة ويكتسون بجلود البقر البحري اما المصب الوحيد الذي استثنيناه فانه يصب في بحر الخزر بمجرى مخصوص له نظيف وبحر الخزر منفصل عن سائر البحار التي تسافر بها الاغارقة لان البحر الذي وراء اعمدة هرقليس "٢" وهو المسمى الاتلنتيدي وبحر اريثريا كلاهما عبارة عن بحر واحد

❋ ٢٠٣ ❋ وبحر الخزر مستقل بنفسه ويختلف عن البحر الاخر المار

١ نهر فولغا يسميه العرب نهر الاتل ايضاً والظاهر ان الرس نهر اخر على ما يذكرون ❋ ح ❋

٢ اعمدة هرقليس عند جبل طارق فالمراد بالبحر المذكور الاوقيانوس الاتلنتيك والمراد ببحر اريثريا الاوقيانوس الهندي ومنه يتفرع البحر الاحمر وخليج العجم ❋ ح ❋

ذكره قطوله مسيرة خمسة عشر يومًا بالجذاف وعرضه مسيرة ثمانية ايام ويحده غربًا جبل قوه قاف وهو اعظم الجبال طولاً وارتفاعًا واهاليه طوائف مختلفة اكثرهم يقتاتون بالاثمار البرية وقيل بتاكيد أن عندهم جنس ورق شجر اذا سحق وخلط بالماء يعمل صبغا يصورون به على اثوابهم صور حيوانات ولا يزول بالغسل ولا بشيء لانهُ ثابت الى ان يبلى الثوب ويقال بتاكيد ايضًا انهم يضاجعون نساءهم جهارًا مثل الحيوانات

❋ ٢٠٤ ❋ حددنا بحر الخزر غربًا بجبل قوه قاف واما شرقًا فببادية كبيرة لا يحدها النظر والمساجينة الذين قصد قورش حربهم مواطنهم في اكبر قسم من هذه السهول والاسباب التي ساقت قورش الى الحرب هي كثيرة واخصها انهُ كان يخال لهُ ان مولده كان بما يفوق الطبيعة البشرية وان السعد كان لهُ حليفًا في كل محارباته حتى انهُ اخضع لهُ كل من حاربه من الامم بلا استثناء

❋ ٢٠٥ ❋ وكانت طوميريس ارملة اخر ملوكهم مالكة اذ ذاك فارسل اليها قورش بظاهر الحال يطلب اقترانه بها ولكنها هي لحظت انهُ بالحري كان قاصدًا الاستيلاء على تاج ملكها لا عاشقًا فمنعت الرسل من دخول بلادها فرأى قورش عدم النجاح بهذه الحيلة فسار جهارًا الى المساجينة ووصل الى نهر الرس وعمل جسرًا ليسهل عبوره وجعل ابراجًا على قوارب لمرور العساكر

❋ ٢٠٦ ❋ وبينما كان مهتمًا بهذه الاستحضارات ارسلت اليه طوميريس رسولاً يقول لهُ «يا ملك مادي اعدل عن عزمك بتعجيل قضية ربما قضت عليك «بها النوائب وكن راضيًا بتملكك على نفس رعاياك انظر الينا فاننا نحن متولون «براحة على رعايانا فان لم تسلك برايي واخترت غير ذلك على الراحة وكنت ممن «يطمع بتجربة قوته مع المساجينة فاترك عمل الجسر الذي انت مشتغل به ونحن «ننسحب على مسافة ثلاثة ايام عن النهر بحيث يكون لك وقت لتصل الى بلادنا او «ان طاب لك ان ناتي اليك فلننسحب انت على ما قلنا» فجمع قورش اكابر قومه للمشورة بهذا الامر واتفق رايهم ان تاتي طوميريس بعساكرها اليه

❋ ٢٠٧ ❋ وكان كريسوس حاضرًا في المشورة فلم يوافق على هذا

الراي وخالفة على خطٍ مستقيم وقال لقورش ايها الملك قد قلت لك بتأكيد انني ما دمت بامر جوبيتر تحت سلطانك لا ازال اجتهد ان اقيك من الرزايا التي تهددك والشدائد والمصائب التي حاقت بي علمتني اكثر من المدرسة فالان اقول أن كنت تظن نفسك خالدًا او ان عساكرك من الناس الذين لا يدركهم الموت فلا تكترث بافكاري ولكن ان ظننت انك من الناس المائتين وعسكرك نظيرك مثل باقي البشر فيلزمك حينئذٍ ان تبصر بعدم قرار امور هذه الدنيا فانها اشبه بدولاب دائم الدوران فلا يستريح الانسان في حال دائم وانا مخالف لراي ديوانك فاذا قبلنا العدو ببلادنا وقوي علينا وكسرنا أفلا نخاف فقد كامل ملكك فاذا غلب المساجيتة فلا بد ان يكتسحوا بلادك ولا يرتدون الى الخلف واذا انتصرت عليهم فما من نصر اكمل من كسر العدو ببلاده حيث لم يبق عليك الآن نقتفي اثارهم ولامانع يمنعك من الدخول في وسط بلاد طوميريس وفضلا عن ذلك الا ترى انهُ امرٌ معيب على قورش بن قمبيز ان يتقهقر امام امرأة فبناء عليه عندي من الرأي ان عسكرك يقطع النهروان يتقدم كلما بعد العدو ويتخذ كل الوسائط لكسره والغلبة عليه واعلم ان المساجيتة لا تعرف الملذات التي عند الفرس وتنقص عنهم وسائط ملذات المعيشة فيقتضي ان تذبح جانبًا كبيرًا من المواشي وتطبخه وتبسط السماط وتهيئ الخمرة الرائقة بكثرة مع انواع الطعام اللذيذة ثم يبقى في المعبر العساكر الغير النافعة وتنسحب بالباقي نحو النهر فعلى ظني اذا رأت المساجيتة هذه السعة يتراكضون اليها فتتهيأ لنا اذ ذاك الفرصة للظفر واذاعة صيتنا

☀ ٢٠٨ ☀ فتمسك قورش براي كريسوس وترك الراي الاول وارسل الى طوميريس ان تنسحب ليقطع النهر كما تعهدت فانسحبت الملكة وعهد قورش بالخلافة الى ولده قمبيز وسلم اليه كريسوس واوصاه باعتباره وان يغمره بالاحسان حتى ولو خسر ولم ينجح بهذه الحرب فمن بعد صدور هذه الاوامر وتبليغه اياها ارسله الى بلاد فارس وقطع هو النهر بعساكره

☀ ٢٠٩ ☀ وبعد ان قطع قورش النهر رقد ببلاد المساجيتة ورأى في

نومه ابن هستاسب البكر وله جناحان على كتفيه فالجناح الواحد مظلل اسيا والثاني اوروبا وكان اسم ابن هستاسب المذكور دارا وعمره اذ ذاك عشرون سنة والده ابن ارساميس من سلالة الكيانية كان ابقاه ببلاد فارس لانه ما كان قد بلغ سن حمل السلاح فاستفاق قورش متفكرًا بهذا الحلم واستعظمه فاستدعى هستاسب على انفراد وقال له يا هستاسب ان ولدك قد سعى بالفساد عليّ وعلى مملكتي فبودي ان اخبرك كيف علمت به كي لا تشك ان الحق سبحانه وتعالى حافظ لي ويكاشفني بما يكون فاني بالامس كنت نائمًا ورأيت ابنك البكر وله جناحان على كتفيه فالجناح الواحد كان مظللاً اسيا والاخر اوروبا فلا تشك بعد ذلك انه ساع بالفساد عليّ قم وامضِ على الفور الى بلاد فارس وبعد رجوعي من غزو هذه البلاد تقدم لي ولدك كي افحصه

❋ ٢١٠ ❋ قال هذا وكان محققًا لديه ان دارا ساعٍ بفساد ملكه لكن الله اوحى اليه بهذا الحلم انه سيموت ببلاد المساجيتة وتاج ملكه ينقل الى راس دارا فاجاب هستاسب قائلاً يا مولاي لا سمح الله ان يوجد ببلاد فارس رجل يضرّ بايامك واذا وجد فلتهلك تلك النفس ولا تعش لانك انت انقذت اهالي البلاد من العبودية الى الحرية وعوض انهم كانوا مستعبدين صاروا آمرين لكل الامم وعلى كل حال يا مولاي ان اوحي اليك ان ولدي مفسد عليك فانا بنفسي اسلمه اليك وتعامله كيفما احببت . وعبر النهر هستاسب بعد هذا الجواب ورجع الى بلاد فارس ليقبض على ولده دارا ويسلمه الى قورش

❋ ٢١١ ❋ واما قورش فتقدم مسافة يوم من الرس وعلى راي كريسوس لم يترك بالمعسكر الا اضعف الجيش وارجع احسن عساكره الى جهة النهر وجاء المساجيتة وضربوا ثلاث فرق من جيش قورش الحافظ في المعسكر وبعد مصادمة قليلة اعملوا فيهم السيف ونظروا الى السماط ممدودًا فاكلوا وتلذذوا واكثروا الشرب فناموا جميعهم ودهمتهم عساكر الفرس فقتلوا منهم جانبًا عظيمًا واستاسروا الجانب الاعظم وكان بين الاسرى سبرغاپيس القائد ابن الملكة طوميريس

❋ ٢١٢ ❋ ولما بلغ الملكة خبر هذه النائبة واسر ولدها ارسلت الى

قورش رسولاً يقول «ايها الملك السافك الدماء لا يغرنك هذا الفوز الذي نلته بعصير الكرمة وهذا السيال السالب عقولكم لا ينزل في قلوبكم الا لينبع السفاهة على شفاهكم ولم يكن انتصارك على ولديّ بالحرب والنزال ولكن جرّة اليك ذاك الشراب المضل فاسمع مني واقبل نصحي وهو ان ترجع اليّ ولدي ومع انك اهلكت ثلث عساكرنا فاغنم الرجوع عن بلادي سالمًا بنفسك من نوائب التاديب والا فاني اقسم برب المساجيتة لارو ينك من الدماء مهما كنت ظامئًا

❋ ٢١٣ ❋ فلم يبال قورش بهذا الكلام وصحا سبرغابيس من السكر وعرف منزلة التعيسة واخذ يتوسل الى قورش ان يحل قيوده فحلها فللحال قتل الفتى نفسه . هكذا كانت آخرة هذا الامير الفتى

❋ ٢١٤ ❋ ولما رأت طوميريس عدم انقياد قورش لنصائحها جمعت قوتها واثارت الحرب وكانت على ظني اشد حربًا جرت بين البربر وكان تفصيلها على ما علمت ان العسكرين كانا متباعدين مسافة فاخذوا يرمون السهام حتى نفدت الكنائن فلجأوا الى الرماح واختلطوا وعمل الحسام فطال بينهم الهرج والمرج وكان الفريقان متساويين بالمعركة لا ياخذ احدهما من خصمه حقًا ولا باطلاً حتى مال الفوز الى جهة المساجيتة فهلك اكثر عساكر الفرس بهذا المحل وتجدل قورش قتيلاً وكانت مدة تملكه تسعًا وعشرين سنة كوامل فبلغ الجهد من طوميريس بايجاد جثة قورش بين القتلى حتى وجدتها فبالغت في اهانتها وقطعت الراس وغطسته باناء ملآن من الدم وكلمته قائلة «اني ولو كنت ظافرة ومنتصرة فانت «اهلكتني بفقد ولدي الذي وقع في فخك وشركك ولكنني اليوم ارويك دمًا كما سبقت فانذرتك» وقيل ان موت قورش كان على غير هذه الكيفية «١» ولكن انا ذكرت ما لاح لي انه اقرب الى الصحة

❋ ٢١٥ ❋ ان معيشة المساجيتة ولباسهم على طرز السكيثة ويحاربون

١ قال زينوفون ان قورش توفي بكل راحة على مهده وقال استرابون ايضًا مثل ذلك حتى انه يقول ان قبره موجود في باسرغادة وقال لوسيان ان قورش توفي وهو ابن مائة سنة . وكانت وفاته حزنًا على فقد اكثر اصحابه بيد ولده قمبيز ❋ ل ❋

فوارس ومشاة وهم اقوياء بكلتا الحالتين يحسنون الطعن بالسهم والرمح ويتقلدون القوس ذات الحدين كعوائد البلاد وفي كل ادواتهم يستعملون الذهب والنحاس فا النحاس للمزراق ورؤوس السهام والقوس واما الذهب فيحلون به الخوذ والحمائل والمناطق التي يلفونها تحت الابط وصدرات خيولهم محلاة بالنحاس اما اللجم والركاب فيحلونها بالذهب واما الفضة والحديد فغير موجودين ببلادهم ولا يعرفونها وكثير عندهم الذهب والنحاس .

✻ ٢١٤ ✻ ولنات بالكلام على عوائدهم فان كل رجل له ان يتزوج امرأة واحدة ولكن النساء بينهم مشاعة فهذه عادة عند المساجيتة فقط لا عند سائر السكيثة كما يدعي الاغارقة ومتى احب المساجيتي امرأة يعلق جعبته بمركبته ويتلذذ بمن احبها بلا حياء ولا خوف . ولا عندهم حد ولا وقت في اعمارهم ولكن عند ما يهرم الرجل تجتمع اقرباؤه ويذبحونه مع البهائم ويشوون لحمه ويتهادونه وهي عندهم اسعد الميتات ولا ياكلون لحم المائت عن مرض لكن يدفنونه ويتأسفون على تعاسته لانه لم يصادف حظًا ان يذبح قبل موته ولا يحرثون الارض ويقتاتون بنتاج المواشي والاسماك الكثيرة التي يصطادونها من الرس وشربهم الاعتيادي هو الحليب ولا يعبدون الها غير الشمس فيضحون لها الخيل لانهم يعتقدون ان من العدل ان يضحى اسرع الحيوانات لاسرع المعبودات

تم الكتاب الاول

# الكتاب الثاني

## افترپي

❊ ١ ❊ قمبيز بن قورش من كاسندانة بنت فرناسب جلس على سرير الملك بعد وفاة ابيهِ وكانت كاسندانة قد توفيت قبل قورش فاشتد حزنهُ عليها وامر بالحداد في كل مملكتهِ . وشرع قمبيز بزحف على مصر بالعساكر التي جمعها واضاف عليها عساكر اليونان والايوليين وكان يحسبهم عبيد ابيه

❊ ٢ ❊ وكان المصريون يعتقدون قبل عهد الملك بساميخوس انهم أقدم شعب على وجه الارض فقصد الملك بساميخوس عند تبوءِه العرش ان يعرف اي طائفة بالحقيقة تستحق هذه الدعوى ومن ثم كان الظن ان الفريجيين اقدم الامم وبعدهم المصريون وكانت ابحاث الملك الى ذلك الوقت غير كافية فخطر لهُ واسطة تاتي بالمطلوب وهي انهُ اخذ طفلين رضيعين من الشعب وسلمهما الى راعٍ يربيهما مع عنز وامره ان لا احد يلفظ كلمة امامهما وان يضعهما في كوخ مقفلٍ حيث لا يدخل احد وان يدخل عليهما العنز لاجل ترضيعهما بوقت معلوم وان يتفرغ عن كل اشغالهِ وقت اكلهما وقصد بهذا ان يعرف ما هي اول كلمة يلفظانها حالما يصيران قادرين على النطق فنجح بهذه الواسطة لانهُ بعد مضي سنتين من سياستهما دخل الراعي يوماً واذ فتح باب الكوخ زحف الولدان نحوه وصرخا « بيكوس » ومدا اليهِ ايديهما فاستكان عند ذلك الراعي ليرى ما يكون بعد هذه

اللفظة فصار كلما دخل اليهما يصرخان بذات الكلمة حينئذٍ اعلم الملك بما كان فامره الملك ان ياتي بهما اليه فاحضرهما له ولما سمعهما الملك استخبر عن الشعب الذي يستعمل كلمة بيكوس «١» وعن معناها وعرف ان الفريجيين كذا يسمون الخبز وبهذه المناسبة تنزل المصريون للفريجيين عن ادعاء الاسبقية واقروا بها للفريجيين «٢»

✻ ٣ ✻ وكهنة فلكانوس اخبروني في منف هذه الحكاية على تلك الصفة واما الاغارقة فيشوبونها باحاديث لا طائل تحتها وهي ان بسماتيخوس جعل للولدين مربيات من النساء بعد ان قطع السنتهن كما نقل عني عن كيفية تربية الولدين وبمدة اقامتي في مدينة منف علمت اشياء كثيرة اخرى من كهنة فلكانوس على ان شهرة كهنة ايليوبوليس بالعلوم فاقت على جميع اهالي مصر لذلك قصدت هذه المدينة ومنها توجهت الى طيوة لكي اعلم هل يوافق مقالهم مقال كهنة منف وما نقلوه لي ما يتعلق بامور الدين لا اتعرض لذكره الا اسماء للالهة فقط لانني اعلم ان كل جنس البشر لهم اعتقادات متشابهة ولذلك عندما اذكر شيئاً يختص بالدين يكون ذكره جرى بحسب الضرورة لتمام سياق الكلام

✻ ٤ ✻ واما ما يتعلق بامور البشر فالجميع على اتفاق فيه وهو ان



١ الظاهر ان الولدين حاولا تقليد صوت العنز فلفظا بيك او باك واما الواو والسين فهما في اصطلاح اليونان غالبان في آخر كل كلمة ✻ ل ✻

٢ في عهد بسماتيخوس ما صار الاستقصاء الكافي عن الانسان وطبيعته لانهُ اذا تتبعنا الانسان منذ دقيقة مولده حتى يلوح عليه الادراك نعلم ان التكلم لم يأته بموهبة الطبيعة بل يكتسبهُ من السمع بمعاشرة الناس لان الولد اذا ترك ونفسهُ ولم يتعلم الكلام لا يقدر على التلفظ وفي عهد ملك انكلترة جورج الاول وجد انسان متوحش في حرش هنوفر وما امكن تعليمه التكلم ونرى على الدوام ان هذا العلم قابل النسيان مثل غيره وما يستحق الذكر ان سلكرك السكوتلندي الذي ترك في جزيرة قفراء فضلاً عن انهُ نسي لغته وجد صعوبة كلية لتعلمها بعد رجوعه الى وطنه ( راجع الفصل الخامس عشر من ملخص السياحات الكبرى ) و يوجد في كل اللغات بعض احرف لا يقدر الانسان على التلفظ بها ان لم يتمرن عليها في صغره ✻ ل ✻

المصريين اول من ابدع حساب السنة وقسموها الى اثني عشر قسما بحسب ما كان لهم معلوميات بالنجوم ويظهر لي انهم بهذا الامر احذق من الاغارقة الذين يحسبون شهرًا كبيسًا كل ثلث سنين تكملة للفصول اما المصريون فيحسبون الشهر ثلاثين يومًا ويضيفون خمسة ايام لكي يدور الفصل ويرجع على نقطة واحدة وعلمت ايضًا ان المصريين اول من اتخذوا اسم الاثني عشر الهًا واخذ عنهم الاغارقة تلك الاسماء وللمصريين الاسبقية بانشاء المذابح والهياكل والتماثيل واول من نقش على الحجر صور الحيوانات وقدموا لي براهين قاطعة باثبات هذه الامور ويقولون ان ميناس هو اول رجل ملك على مصر «١» وفي ذلك الزمان كانت كل بلاد مصر الا ما لقب باسم تيبايك ( بلاد الصعيد ) مستنقعًا لا يظهر فيها شيء من الاراضي الظاهرة اليوم تحت بحيرة موريس الكائنة على مسافة سبعة ايام من البحر صعودًا بالنهر

✻ ٥ ✻ وعندي ان كل ما قيل لي عن هذه الديار هو حقيقي ومن ذهب اليها قبل ان يكون عنده مسموعات عنها عندما يراها بتروٍّ يلحظ ان بلاد مصر المذكورة حيث تطرقها الاغارقة بحرًا انما هي ارض مكتسبة كجدوى من النهر ويجزم ايضًا بهذا على كل البلاد الكائنة فوق البحيرة الى مسافة ثلاثة ايام على ان الكهنة لم تذكر لي شيئًا بهذا الخصوص واوضح برهان لنا عن ان النهر الى تلك المسافة يجر ترابًا من الارض انك اذا سافرت بالماء على مسافة يوم عن الساحل فطرحت المسبار على عمق احد عشر اورجيًا «٢» يخرج لك وحل من تربة



١ ديودورس الصقلي يوافق هيرودوتس في ان ميناس اول من تملك مصر بعد الآلهة والابطال وعليه قال هيرودوتس انه اول رجل تملك فلو فرض قبول تاريخ المصريين نلحظ ان المدة التي تبوأ بها عرش الملك تتقدم كثيرًا على تاريخ الخليقة عند العبرانيين لان موريس توفي سنة ١٣٥٦ قبل المسيح وكان منذ ذلك الوقت الى زمان ميناس ثلثمائة وستون جيلاً فهذه المدة تبلغ بحساب هيرودوتس احدى عشر الف سنة عبارة عن اثني عشر الفًا وثلثمائة وست وخمسين سنة قبل المسيح ✻ ل ✻

٢ الاورجي مقياس طوله نحو ٢ اذرع وعلى راي هيرودوتس اقل من ذلك لانه ذكر

بلاد مصر

❊ ٦ ❊ اما عرض بلاد مصر على محاذاة البحر فهي ستون سخينة « ١ » اذا قسمناها بحسب الحد والذي جعلناها لها من خليج بلثينيس الى بحيرة سربونيس «٢» الممتد بقربها جبل قاسيوس والاهالي اصحاب الاراضي الصغيرة يقيسونها بالاورجي والاراضي الاوسع نقاس بالاستادة والاكبر نقاس بالفرسخ والبلاد المتسعة جدًّا يقيسونها بالسخينة اما الفرسخ فهو ثلاثون استادة والسخينة مقياس خاص بمصر وهي ستون استادة فعلى ذلك تكون مساحة مصر على حدود البحر ثلاثة الاف وستماية استادة

❊ ٧ ❊ ومن هناك الى ايليوبوليس اخذًا في وسط البر تكون مصر عريضة فسيحة جدًّا ومنحدرة قليلاً وكلها مروية ومملوءة وحلاً وطينًا ومن البحر الى ايليوبوليس صعودًا تكون المسافة كما بين هيكل الاثني عشر الهًا « ٣ » في اثينا وهيكل جوبيتر الاولمبي في مدينة بيسة « ٤ » فاذا قيس بهاتين الطريقتين نرى انهُ لا يوجد الاَّ فرق قليل بالطول اي نحو خمسة عشرة استادة لانهُ من بيسة الى اثينا الف وخمسمائة استادة ومن البحر الى ايليوبوليس الف وخمسمائة استادة تمامًا

❊ ٨ ❊ وبلاد مصر من ايليوبوليس الى اعالي البلاد ضيقة لان حدّها من جهة جبل بلاد العرب الممتد من الشمال الى الجنوب متجهًا صعدًا الى بحر اريثرية وهناك مقالع نقطع منها حجر اهرام مصر وعند هذا الحد ينتهي الجبل مثل زاوية تجاه البلاد المذكورة وهناك اعظم طولها وعلمت ان المسافة من الشرق الى الغرب هي مسيرة شهرين والبخور يوجد في طرفها الشرقي ومن الجهة الثانية اي ناحية



ان سور بابل خمسون او رجيا او ٢٠٠ ذراع فعلى هذا التعديل يكون اقل مما ذكر *ح*

١ السخينة ٢٠٠٠ قصبة *ح*

٢ هذه البحيرة اسمها اليوم سبخة بردويل ( بردوين ) وجبل قاسيوس يسمونهُ اليوم جبل الناص *ل*

٣ هيكل كان في ساحة اثينا وقفهُ بيسسترانس طاغية اثينا للاثني عشر الها *ل*

٤ بيسة قاعدة بلاد الميذة وقد خربت ولم يبق لها اثر وعلى اطلالها على ما يظن بنيت مدينة اولمبية ولقب الاولمبي صفة خاصة لجوبيتر الاعظم لان مقرهُ كان جبل اولمبوس *ح ل*

ليبيا نجدها جبل صخري تغشاهُ الرمال وعليهِ بنيت الاهرام وهو ممتد على طول مصر وهو نظير جبل العرب المتجه نحو الجنوب فعلى ما ذكر تكون البلاد بالصعود من ايليوبوليس وان كانت مختصة بمصر صغيرة المساحة حتى انها ضيقة جدًا مسافة اربعة ايام في الماء. وبين الجبلين سهل مساحته في اقل عرضهِ نحو ٢٠٠ استادة ولا اكثر من ذلك من حد جبل العرب الى جبل ليبيا ولكن في ما وراء ذلك تاخذ مصر بالاتساع فهذه حالة البلاد الطبيعية

﴿ ٩ ﴾ ومن ايليوبوليس الى طيوة يصعدون بالنهر مدة تسعة ايام وهي مسافة اربعة الاف وثمانمائة وستون استادة او واحدة وثمانون قصبة فاذا جمعنا هذه الاستادات يبلغ عرض مصر بازاء البحر ٣٦٠٠ استادة كما ذكرنا ومن البحر الى طيوة ٦١٢٠ استادة ومن طيوة الى اليفنتين ١٨٠٠

﴿ ١٠ ﴾ فاعظم قسم من البلاد المذكورة انما هو منحة من نهر النيل كما قالت الكهنة وانا كذا اقول ايضًا وارى ان مساحة تلك البلاد الموجودة بين هذين الجبلين فوق منف انما كانت فرعًا من البحر كما كانت ضواحي تروادة وتوثرانية وافسس وبقاع ميندرة هذا اذا قايسنا الامور الكبيرة على الصغيرة لان جميع هذه الانهر التي الفت تلك البلاد بابليزها ( اي الاوحال التي تجرها ) ليس منها واحد يضاهي بغزارة مياهه احد فروع النيل الخمسة ومن المعلوم انهُ موجود انهر كثيرة اخرى اصغر من نهر النيل فالفت منها اراض عظيمة ويمكن لي ذكر جملة منها وعلى الخصوص نهر اخيلوس المارّ في اقرنانية ويصب في البحر الذي فيهِ جزائر اخيناذة فقد الحق بالبر نصف الجزائر المذكورة «١»

﴿ ١١ ﴾ وفي بلاد العرب بالقرب من مصر خليج طويل ضيق كما ياتي الشرح يخرج من بحر اريثرية ومن راس هذا الخليج الى البحر الكبير مسيرة مركب بمجاذيف اربعين يومًا ومعظم عرضهِ مسافة نصف يوم والمد والجزر يحدثان فيهِ

---

١ جزائر اخيناذة في الادرياتيك تجاه المصب الجنوبي من نهر اخيلوس كانت منفصلة عن البر بواسطة النهر المذكور فجنب منهُ فرع فاتصل بالبر منها ما كان تجاه ذلك الفرع

يوميًا واظن ان بلاد مصر جميعها كانت خليجًا نظير هذا تقريبًا خارجًا من البحر الشمالي ( البحر المتوسط ) وممتدًا نحو بلاد الحبشة وان خليج العرب كان يذهب من البحر الجنوبي ( البحر الاحمر ) نحو سورية وهذان الخليجان لا تفصلهما الاّ مسافة قليلة فاذا خرقت تلك البقعة يتصلان من طرفيهما فاذا كان ممكنًا جر النيل الى الخليج العربي فماذا يمنع ان يملأهُ من الابليز الذي يجوه بلا انقطاع وعلى ظني ان عشرة الاف سنة تكفي لهذه العملية فكيف اذًا هذا الخليج المصري الذي ذكرتهُ واكبر منهُ ايضًا لا يمتلي في المدة التي سلفت وجودي بالعالم والفاعل بهِ نهر عظيم قادر على كثرة التغيرات

۞ ١٢ ۞ ولا ارى صعوبة في تصديق ما قيل لي عن مصر ولا اشك بصيرورة الامر كما ذكر عندما ارى انها دائمًا تكتسب من الاراضي المجاورة ويوجد ايضًا صدف على الجبال ويصعد منها بخار مالح ينتت من الاهرام نفسها والجبل الممتد فوق منف هو المحل الوحيد الموجود فيهِ رمل بتلك النواحي وزد على ذلك ان مصر لا تشابه بشي بلاد العرب المتصلة بها ولا ليبيا ولا سورية لانهُ موجود من اهالي سورية على شطوط العربية . وتربة مصر سودا مشققة قابلة التفتت فهي من ابليز النيل الوارد من جبال الحبشة المتراكم بواسطة الفيضان واما ارض ليبيا فهي اشد احمرارًا واكثر رملاً والارض العربية وسورية اكثر خزفية وحجارة

۞ ١٣ ۞ والبرهان على ما ذكرتهُ هو ما اخبرني بهِ الكهنة عن هذه الديار وذلك انهُ بمدة الملك موريس كل مرة فاض النهر ولو ثماني اذرع فقط كان يسقي مصر الى ما فوق منف ولم يمر على وفاة موريس الى ذاك الوقت اكثر من تسعمائة سنة واما اليوم فاذا لم يعلُ على الاقل خمس عشرة ذراعًا لا يغطي الاراضي فعلى هذا اذا بقيت البلاد تزداد ارتفاعًا ونموًا على هذا النمط فلا تعود مياههُ تغطيها وعلى ظني ان الساكنين تحت بحيرة موريس وخلاف محلات وخصوصًا اولئك المدعوين اهل الدلتا سيصيبهم ما خشوا منهُ على الاغارقة عند ما علموا ان هذه البلاد تسقى من ماء المطر ليس من فيضان الانهر فزعموا انهُ يأتي يوم تخيب فيهِ

امامهم من الغيث فيجتثي عليهم من الهلاك جوعاً «١» كانهم يعنون بذلك ان انقطاع المطر لا يمكنهم من الزراعة اذ لا واسطة لهم غيره

﴿ ١٤ ﴾ نعم ان هذا الفكر في محلهِ لكن يا ترى هم ذاتهم الى اي درجة يصلون اذا حصل ما قلتهُ عن البلاد التي تحت منف المكتسبة نمواً وارتفاعاً اذا دامت ترتفع بنسبة ما مضى فاهاليها يدهمهم الموت جوعاً اذ لا مطر فيها والنهر لا يرويها لكن لا يوجد الان ببلاد مصر ذاتها ولا بباقي اطراف الكون محل تجني بهِ الغلال باقل شغل وباقل عرق نظير هذا القطر حيث لا يحتاج في الفلاحة الى الحراث لشق التربة ولا الى تنقيتها ولا عمل شيء مثل فلاحة سائر العالم لان عندهم النهر من ذاته يسقي الاراضي وعند جفاف الماء يطلقون الخنازير فتعزقها بخراطيمها ثم يلقون البذار ويطلقون النفر فتدوسهُ فيختلط بالتراب ثم ياتي وقت الحصاد فيحصدون و يدرسونهُ على البقر ويخزنونهُ

﴿ ١٥ ﴾ ومن رأي اليونان انهُ لا ينبغي اطلاق اسم بلاد مصر الا على قسم الدلتا من عند المحل المدعو مرقب برساوس على طول شاطيء البحر الى حد تاريخات بيلوسة «٢» مسافة اربعين سخينة وبلاد مصر كلما بعدت عن البحر تمتد نحو اواسط الاراضي حتى مدينة فرقسورة حينما ينقسم النيل الى فرعين احدهما مصبه



١ فينتج من ذلك ان المصريين كانوا غير عالمين بايام يوسف مع انها مشهورة واوجبت تغيراً عمومياً في البلاد فان الشعب لولا اعطى الذهب والفضة ليأخذ حنطة ثم اراضيه ومواشيه واخيراً استعبد للملك بمصر فهذا برهان عدم اقدمية تاريخ هذا الشعب كما زعم هيرودوتس او ان تاريخهم غير مدقق *ل*

٢ التاريخات اسم عند اليونان لاماكن في بلاد مصر كانوا يضعون فيها الاجساد المحنطة والمجففة و بيلوسة مدينة قديمة على الفرع الشرقي من النيل المنسوب اليها تبعد ٤ كيلومترات عن البحر وعندها برك ومستنقعات وكانت ذات اهمية عظمى لكنها خربت وتعرف آثارها اليوم باسم تينة

واما برساوس فهو على زعم الخرافة بطل ولد من داناني وجوبيتر وهو الذي قطع راس ميدوسة وتولد من الدم الحصان المسمى بيغاسوس العجيب وراس ميدوسة هذه كانت فيه آية سحرية وهو ان كل من نظر اليه يستحيل الى حجر و في هذا حديث لا موضع لهُ هنا *ح*

عند يلوسة والاخر عند قنوب واما بقية البلاد فبعضها من اصل ليبيا وبعضها من اصل العربية فاذا سلمنا بهذا الراي توصلنا الى ان المصريين منذ القديم ما كان لهم بلاد كليًا لان الدلتا قديمًا كان في موضعها خليج حسب اقرارهم وعلى ما قلته انفًا ولم تظهر هذه البلاد الا من مدة قريبة فبناءً على ذلك اذا لم يكن للمصريين بلاد فلماذا يتظاهرون انهم اقدم اهل الارض وما الذي دعاهم الى امتحان ذينك الولدين لمعرفة اللغة الطبيعية اما انا فلا اظن ان بداية وجود المصريين كانت اول بداية وجود البلاد المدعوة دلتا لكنني اصدق ان وجودهم كان منذ وجود الانسان على وجه الارض فكانوا كلما كسبت البلاد تربةً من النيل يتزل منهم قسم الى مصر السفلى والباقون يستمرون في مواطنهم الاولى وكان اسم مصر اولاً يطلق على ما يسمى الان بالصعيد ومحيط هذه البقعة ستة الاف ومائة وعشرون استادة

❊ ١٦ ❊ فان كان ما ظنناه عن مصر بمحله يفسد ما قاله اليونان وان قيل ان ما ارتأوه هو الصحيح فلا اعجز عن تقديم دليل على ان دعوى الاغارقة ونفس اليونان لا تصح اذ يقولون ان الارض مقسومة الى ثلاثة اقسام اوروبا واسيا وليبيا فكان عليهم ان يضيفوا قسمًا رابعًا وهو الدلتا لانها غير مختصة باسيا ولا بليبيا لانه على هذا الحكم لا يكون النيل هو الفاصل بين اسيا وليبيا لكونه ينقسم على راس الدلتا ويضمها بين فرعيه بحيث تكون بين اسيا وليبيا

❊ ١٧ ❊ ولا لزوم ان اطيل البحث بشان راي اليونان واما رايي فهو انه يجب اطلاق اسم مصر على كل البلاد التي يسكنها المصريون كما ان اسم كيليكية واشور يطلق على البلاد المسكونة بالكيليكيين والاشوريين ولا اعرف غير مصر بلدًا يستحق بعدلٍ ان يعتبر حدًا لاسيا وليبيا ولكن اذا اردنا ان نتبع راي الاغارقة يلزم ان نعتبر بلاد مصر اي كل البلاد التي تبتدي من الشلال الصغير عند اليفنتين «١» مقسومة شطرين ومسماة بالاسمين لان الشقة الواحدة من ليبيا



١ اليفنتين جزيرة تجاه اصوان جنوبًا تسمى الان جزيرة الزهر لانها كثيرة الخضرة والنضارة وكانت مشهورة باثارها العظيمة ❊ح❊

والشقة الاخرى من آسيا والنيل يبتدي عند الشلال ويقسم البلاد الى شطرين ويصب بالبحر فالى حد مدينة قرقسورة ليس له الامجرى واحد وتحت هذه البلدة ينقسم الى ثلاثة فروع تجري الى ثلاث جهات مختلفة احدها يسمى الفرع البيلوسي يجري شرقًا والثاني الفرع القنوبي يجري غربًا والثالث يجري مستقيمًا من اعلى مصر الى راس الدلتا فيقسمها من الوسط بسيره الى جهة البحر وهذا الفرع ليس اقل عظمًا لا من جهة غزارة المياه ولا من جهة شهرته ويسمونه الفرع السبنّي ومن نفس هذا الفرع ينشق فرعان آخران يصبان في البحر بمصبين مختلفين احدهما السايتي والاخر المنديسي واما الفرع البولبيتي والفرع البوكولي فانهما ليسا من اعمال الطبيعة بل من اعمال ايدي الناس

﴿ ١٨ ﴾ فما ذكرته عن مساحة بلاد مصر يؤيده وحي جوبيتر الاموني ولم يكن لي اطلاع على هذا الوحي قبل ما ارتأيت ما ارتأيت بهذا الخصوص وسكان مارية وابيس وهما بلدتان مجاورتان لتخوم ليبيا ما كانوا يعتبرون ذاتهم مصريين بل ليبيين فاذ كرهوا الاحتفالات الدينية بمصر ولم يقبلوا الامساك عن اكل لحم العجال «١» ارسلوا يخبرون الاله المذكور ان لا مانع من ان ياكلوا كل اجناس اللحوم لانهم لا يسكنون الدلتا ولغتهم تختلف عن لغة المصريين ولم يوجد بينهم ادنى اختلاط فلم يسمح لهم الاله بذلك وقال لهم ان كل البلاد التي يفيض عليها النيل محسوبة من اقاليم مصر وكل الساكنين تحت اليفنتين ويشربون من مائه هم ايضًا مصريون

﴿ ١٩ ﴾ والنيل في معظم فيضه يغطي لا على الدلتا فقط بل على جميع المحلات التي يقال انها من قسم ليبيا وبعض اقاليم صغيرة من بلاد العرب وهو يمتد من الجهتين الى مسافة يومين وبعض الاوقات اكثر او اقل وما قدرت ان اعلم شيئًا عن طبيعة هذا النهر لا من الكهنة ولا من خلافهم على انني طالما قصدت ان

١ العجال الاناثي من اولاد البقر وكان المصريون لا ياكلون لحومها ولا لحوم الثيران اذا كانت توائم او مبلقة او كانوا قد استخدموها *ل*

اعلم منهم عن سبب بداية فيضه في الانقلاب الصيفي وكيف يستمر على الزيادة مائة يوم ولماذا بعد نموه هذه المدة ياخذ بالانحسار حتى يضحي صغيرًا مدة فصل الشتاء بتمامه ويبقى كذا حتى رجوع الانقلاب الصيفي وطالما اعتنيت ايضًا بمعرفة اسباب اختلاف طبيعته عن خلافه من الانهر ولم اقدر ان اتوصل الى معرفة شيء من المصريين مع اني الححت عليهم جدًا ان يخبروني حتى انهم ما قدروا ان يخبروني ايضًا لماذا نهر النيل هو ممتاز عن غيره بانه لاياتي بنسيم بارد

* ٢٠ * على انه وجد بين الاغارقة قوم ارادوا ان يشتهروا بالمعرفة فحاولوا التعليل عن فيضانه واختلفوا على ثلاثة مذاهب منها مذهبان لا اظن انهما يستحقان الذكر ولكنني انوه عنهما تنويهًا فالاول هو ان الريح الصيفية عند هبوبها ترجع ماء النيل عن مصبه عند البحر فيعظم النهر والحال انه كثيرًا ما يحدث الفيض قبل هبوب الريح ولو منعت الريح مجرى النهر لكان ينبغي ان بقية الانهر يعاكس جريها مجرى الرياح اذ يحدث لها ما يحدث للنيل وذلك كلما كانت اصغر منه وابطأ جريًا ولذلك نرى انهرًا في ليبيا وسورية لا يحدث بها فيض كالنيل

* ٢١ * والمذهب الثاني اكثر استحالة من الاول لكن فيه عجبًا فيقولون ان الاوقيانوس محيط بجميع الارض ففيضان النيل يكون لانه مشتق من الاوقيانوس

* ٢٢ * والمذهب الثالث هو اكثر فسادًا من الاولين مما فيه من هيئة الصدق بسبب الحقيقة كانه غير مبني على شيء في ادعاء اصحابه ان النيل يتالف من ذوبان الثلوج مع انه يجري من ليبيا في الى اواسط بلاد الحبشة ويدخل منها مصر فكيف يكون على هذه الصورة مع انه ياتي من اقليم شديد الحر الى بلاد اقل حرارة فمن امعن النظر يجد دلائل كثيرة على فساد هذا المذهب اولها واقواها الرياح الحارة ورياح تلك البلاد حارة والدليل الثاني انه لا مطر ولا جليد في تلك النواحي لانه حيثما كان الثلج فلا بد ان يكون المطر لانه من الضرورة ان يقع المطر مدة خمسة ايام حتى يقع الثلج حيث يمكن وقوع الثلج . والدليل الثالث ان الحر هناك يسوّد لون الانسان ويوجد الشاهين والسنونو في مدار السنة والكراكي

تاتي في فصل الشتاء هربًا من البرد ببلاد سكيثية فلو كان يقع شيء من الثلج في البلاد التي يخترقها النيل او حيث ينابيعه لما كان شيء من كل ما ذكرنا من الدلائل كما اظهرنا بالبرهان

✲ ٢٣ ✲ ومذهب من نسب الفيض الى الاوقيانوس مبني على حكاية غامضة بدلاً من الحجج المقنعة فانني قط ما عرفت نهرًا اسمهُ اوقيانوس واظن ان اوميروس او شاعرًا آخر اقدم منهُ اخترع هذا الاسم وادخلهُ في الشعر

✲ ٢٤ ✲ وبعد تفنيد المذاهب المار ذكرها يلزمني ان ابدي رايي في هذه الامور الغامضة فاقول ان النيل على ما يظهر لي يعظم بالصيف لان الشمس في فصل الشتاء تخرج عن طريقها الاول بسبب قساوة الفصل فتسير في القطر من السماء المقابل لاهالي ليبيا فينسبب عنها فيض النيل وهذا الاله كلما تحول الى بلاد او قاربها ييبسها وينشف انهرها

✲ ٢٥ ✲ ولزيادة التوضيح اقول ان الهواء في ليبيا العالية يكون دائمًا صافيًا وهناك الحرارة دائمة فمتى مرّت بها الشمس تؤثر فيها كما هو دابها في الصيف اذا مرت في وسط السماء فتجذب الابخرة وتدفعها نحو الاماكن المرتفعة حيثما تلتقيها الرياح فتبددها وتذيبها وما يقرب للصواب ان هذا هو السبب ان الرياح الهابة من تلك الاطراف . مثلاً من الجنوب والجنوب الغربي هي اشد الرياح على اني لا اعتقد ان الشمس تقذف كل المياه المجذبة من النيل كل سنة لكن تبقي عندها جانبًا ومتى تلطف فصل الشتاء ترجع الشمس الى وسط السماء فتجذب اليها ابخرة من كل الانهر فتزداد زيادة عظيمة بسبب المطر الذي يسقي الارض وتتألف منهُ سيول ولكنها تضعف في الصيف لعدم المطر ولان الشمس تجذب اليها من مياهها وليس الامر كذلك بما خص النيل لان هذا بمدة الشتاء لا ماء لهُ من المطر والشمس تجذب اليها من مائهِ فكان ذلك سببًا حقيقيًا لضعفه بمدة الشتاء عن مدة الصيف فالشمس تجذبه اليها على مثال باقي الانهر وفي الشتاء يكون النهر الوحيد الذي تنقص منهُ الشمس وعلى هذا ارى ان الشمس هي المؤثرة فيهِ

✲ ٢٦ ✲ ونشوفة هواء تلك الامصار لان الشمس تحرقهُ بمرورها فينجم

عن ذلك صيف دائم ببلاد ليبيا العالية فلو تغيرت احكام الفصول ومراكز الفلك مثلاً لو صار الشمال جنوبًا والجنوب شمالاً لحدث من ميل الشمس عن وسط الفلك في الشتاء ان تاخذ مسيرها من اعالي اوربا عوض مسيرها الان باعالي ليبيا واظن لو جرى الامر على هذه الصورة بان تمر في مسيرها بكل اوروبا لكان يحدث في نهر ايستر «١» ما يحدث اليوم في نهر النيل

﴿ ٢٧ ﴾ قلت انه لا يشعر برياح باردة في النيل واظن انه لا يمكن مجيء ريح باردة من بلاد حارة لان من عادة الريح الباردة ان تهب من البلاد الباردة وكيفما كان الامر فلنترك الامور على احوالها وعلى ما كانت عليه منذ البدء

﴿ ٢٨ ﴾ وليس واحد من كل من حدثت من المصريين والليبيين والاغارقة له حظ بمعرفة ينبوع النيل الا مترجم الكتابة الهيروغليفية بهيكل مينرفة في مدينة صا من البلاد المصرية وقد ظننت انه يقصد المزاح حين ادعى ان له معرفة اكيدة وقال انه ما بين اصوان من الصعيد والفنتين كان جبلان شامخا القنن الواحد اسمه كروفي والثاني موفي فينابيع النيل التي هي جبع عميقة تخرج من وسط هذين الجبلين ونصف مياهها تجري في مصر الى جهة الشمال والنصف الاخر بارض الحبشة الى جهة الجنوب ولكي يبين ان تلك الينابيع كانت لجّا قال ان بسماتيخوس اذ قصد ان يتحقق ذلك رمى حبلاً طوله عدة الوف من الاذرع ولم يلحق المسبار القاع فاذا كان هذا القول صحيحًا فاظن ان المياه في ذلك المكان اذ تاتي بعنف وتنكسر بحضيض الجبال تعود بسرعة عظيمة فيكون منها دردور يمنع المسبار ان يصل الى قاع اللجة «٢»

﴿ ٢٩ ﴾ ولم اجد احدًا اخر يعلمني اكثر مما ذكر وما هو ما علمته بعد تدقيقات واستقصاءات قد اجريتها وقد رأيت بعيني ما ساذكره الى حد الفنتين واما ما وراءها فقد سمعت باذني. علمت ان البلاد التي فوق الفنتين هي مرتفعة فلكي يصعدوا اليها بالمراكب يقتضي ان يربط المركب بحبال عن كل جوانبه كما تربط

---

١ اسم قديم لنهر الطونة * ح *

٢ كتاب في مجاهل افريقية تفصيل عن ينابيع النيل * ح *

البقر ويجروه فاذا انقطع الحبل ففوة الماء تجر المركب وهذا المحل هو مسيره اربعة ايام والنيل هناك متعرج كثيرًا على مثال نهر ميندر ويكون المسير على ما ذكرت مسافة اثني عشرة سخينة ثم تصل الى سهل مستو وهناك جزيرة تكونت من اكتناف النيل لها يسمونها تاشمبسوا وفوق اليفنتين يبتدىء وجود الحبش ويسكنون مقدار نصف الجزيرة المذكورة والمصريون يسكنون النصف الثاني وتتصل بالجزيرة بحيرة عظيمة يسكن شطوطها بدو الحبشة وبعد اجتيازها تدخل النيل لانه يصب فيها ولا يعود يمكن السفر بالمركب مسيرة اربعين يومًا بسبب كثرة الصخور المحددة وكثرة الحجارة الصحيحة على وجه المياه وبعد مسير الاربعين يوما تركب قاربًا اخر وتسافر بالخيل مسيرة اثنى عشر يومًا حتى تصل الى مدينة كبيرة اسمها مروة قيل انها عاصمة الحبشة وهناك لا يعبدون من الالهة الا جوبيتر وباخوس ولمذهبهم احتفالات ظريفة وعندهم وحي من جوبيتر بموجب اجوبته يباشرون حروبهم فيامرهم كيف يتوجهون ومتى يحاربون

❊ ٣٠ ❊ ومن المدينة المذكورة تصل الى بلاد الاوتومولة وبينهما من المسافة في الماء كما بين اليفنتين وعاصمة الحبشة والاوتومولة المذكورون يقال لهم أسماخ ومعنى هذه الكلمة باليونانية الجالسون على يسار الملك . وهم من سلالة المئتين واربعين الفًا من المصريين اهل الحرب الذين مروا بساحل الحبشة للسبب الذي ساورده

على عهد الملك بسماتيخوس كانوا قد اقيموا حرسًا في اليفنتين ليحموا البلاد من سطوة الحبشة وفي دفنة البيلوسية «١» ليدفعوا غزوات العرب والسوريين وفي مارية ليبقوا اهل ليبيا على الوقار والمهابة . وللفرس في هذه الايام ايضًا حرس في الاماكن المذكورة فيوجد حرس قرب اليفنتين وآخر في دفنة فالمصريون المذكورون بقوا ثلاث سنوات في تلك الاماكن فاتفقوا باجماع

١ مدينة في مصر السفلى الى غربي بيلوسة ونسبتها الى مصب النيل المعروف بالبيلوسي واسمها الان صفنة ❊ ح ❊

الراي ان يتركوا بسماتيخوس و ينضموا الى الحبشة فلما بلغ الخبر الملك تبعهم فلما ادركهم توسل اليهم كثيرًا واستعمل كل الوسائط الممكنة لكي يعدلوا عن ترك آلهة آبائهم وترك نسائهم واولادهم. فحينئذٍ تقدم واحدٌ منهم على ما يقال واشار الى قضيبه وقال حيثما مضينا به نجد نساء ويولد لنا اولاد · ولما وصل الاوتومولة الى بلاد الحبشة سلموا انفسهم الى ملكها فلكي يجازيهم على صنيعهم وهبهم بلاد قوم من الحبشة كانوا اعداءهُ آمرًا اياهم ان يطردوهم منها

فباستيطان هؤلاء المصريين هناك تمدنت الحبشة باتخاذهم عادات المصريين

❊ ٣١ ❊ فمجرى النيل اذًا مسيرة اربعة اشهر يسار بعضها في ماءٍ وبعضها في البر . هذا مع قطع النظر عن مجراه في بلاد مصر لانه بتدقيق البحث يعرف انه يلزم اربعة اشهر تمامًا ليصل الانسان من اليفنتين الى بلاد الاوتومولة المار ذكرهم · ومن المحقق ان النيل آتٍ من جهة الغرب لكن لا يمكن التحقيق عليهِ فيما وراء الاوتومولة لان شدة الحرّ تجعل تلك البلاد قفرًا يبابًا

❊ ٣٢ ❊ ومع ذلك فقد علمت شيئًا من بعض اهل القيروان فانهم ذكروا لي انهم استشاروا نوة جوبتر الاموني وجرت مذاكرة بينهم وبين اتيرخوس ملك تلك البلاد فانساق الحديث باسلوب رفيق الى ذكر ينابيع النيل وزعموا انها مجهولة فاخبرهم اتيرخوس انهُ قدم بلاطهُ يومًا بعض الناسمونة . والناسمونة امة من بلاد ليبيا مواطنهم ارض سيرتة «١» وبلاد صغيرة شرقي سيرتة . فسالهم الملك هل عندهم اخبار جديدة عن بادية ليبيا فاجابوه ان بين اشد قبائل البلاد جماعة من الفتيان اشدّاء في عنفوان شبابهم اتفقوا ليظهروا قوتهم العجيبة ان يلقوا قرعة بينهم يتعين بها خمسة منهم يتعرفون بادية ليبيا ويتقدمون فيها مسافة ابعد كثيرًا مما تقدم الناس قبلهم



١ سيرتة اسم قديم لخليجين داخلين من البحر المتوسط في ساحل افريقية الشمالي بين مصر و رأس هرماون يقال لاحدهما سيرتة الكبير واسمه الان خليج السدر وللاخر سيرتة الصغير واسمهُ الان خليج قابس وكلاهما منسوب الى تلك الارض ❊ ح ❊

وكل ساحل ليبيا الذي هو حد البحر الشمالي ( المتوسط ) من حد مصر الى راس سولبس «١» حيث ينتهي ذلك القسم الثالث من العالم «٢» يسكنهُ اهل ليبيا الذين هم قبائل مختلفة الا ما هو من تلك البلاد في حوزة الاغارقة والفينيقيين ولكن في داخلية البلاد فوق الساحل والام الساكنة فيهِ قطر كثير الوحوش الضارية ووراء ذلك القطر ليس الاّ الرمال وبلاد قاحلة قفراء

فالفتيان الخمسة المذكورون ارسلهم اصحابهم وقد زوّدوهم شيئًا كثيرًا من الطعام والماء فدخلوا اولاً بلادًا مأهولة ثم بلادًا فيها الوحوش الضارية بكثرة ثم تقدموا غربًا يتبطنون القفار حتى رأوا بعد سير طويل في الرمال بقعة شجراء فدخلوها واكلوا من ثمارها وبينما هم ياكلون انقضت عليهم جماعة من الناس قصار القامات «٣» واخذوهم جبرًا وساروا بهم في اماكن كثيرة المناقع وبعد ان اجتازوها وصلوا الى بلد كل اهلها سود البشرة واجسامهم صغيرة كالاولين وكان يشق تلك المدينة نهر كبير فيهِ تماسيح وهوَ يجري من الغرب الى الشرق «٤»

❊ ٣٣ ❊ قد اكتفيت الى الان بذكر خبر اتيرخوس وقال ايضًا على ما اثبت لي اهل القيروان ان الناسمونة رجعوا الى بلادهم وان الناس الذين كانوا عندهم كانوا كلهم رقاة . واما النهر الذي ذكره فقال اتيرخوس انهُ النيل وهكذا يقتضي دليل العقل لان النيل ياتي من ليبيا ويشقها من وسطها واذا صح ان نستنتج من امور معروفة تخمينات بامور مجهولة يلوح لي ان النيل ياخذ مجراه من نفس



١ هذا الراس هو على ما يظن المسمى الان راس كنتين في ساحل مراكش ( ميوت )

٢ كان الاقدمون لا يعرفون من الارض الا الاقسام الثلاثة من وجهها الشرقي اي اوروبا واسيا وافريقية ولا يعرفون من افريقية الا القسم الشمالي مما يلي البادية الكبرى وسواحل البحر الاحمر *ح*

٣ هذا الخبر ثبت بما جاء في رحلات المتاخرين . قال بعضهم بازاء عرش الملك ( ملك لونغو ) جماعة قزم جلوس ظهورهم اليهِ · وسودان البلاد يؤكدون ان في داخلية البلاد قطرًا كبيرًا كل اهله قزمٌ وليس لهم شغل الا قتل الفيلة *ل*

٤ هذا النهر ربما كان نهر نيجر كما ورد في رحلة موليان ( راجع الفصل الثالث من كتاب مجاهل افريقية ) *ح*

الغلط التي ياخذ منها نهر ايستر مجراه فهذا النهر ياخذ مجراه من ارض الغلط قرب مدينة بيرينة ويتخلل اوروبا من وسطها والغلط هم وراء اعمدة هرقليس ويتصلون بارض الكينيسة الذين هم آخر امم اوروبا من جهة الغرب . والايستر يصب في بحر بنطس في المكان الذي فيه الايستربون وهي مستعمرة ملطية

﴿ ٣٤ ﴾ والايستر يعرفه كثير من الناس لانه يمر في بلاد ماهولة واما النيل فلا يمكن التحقيق على ينابيعه لان القسم من ليبيا الذي يجتازه قفر غير ماهول واما مجراه فقد ذكرت عنه كل ما عرفت بالابحاث الكثيرة . فهو يجتاز في مصر ومصر هي محاذية تقريبًا لكيليكية الجبلية ومن هناك الى سينوب على بحر بنطس على خط مستقيم مسيرة خمسة ايام للمجد . فسينوب هي تجاه مصب ايستر . فيظهر لي اذ ذاك ان النيل باجتيازه في كل ليبيا يمكن تشبيهه بنهر ايستر . والى هنا كفاية في الكلام عن هذا النهر «١»

﴿ ٣٥ ﴾ واطيل الكلام بزيادة عن احوال مصر لان فيها من العجائب ما ليس في غيرها من البلاد وليس في سواها ما فيها من كثرة الاعمال الغريبة التي تفوق وصف الواصفين ولهذه الاسباب اسهب في الكلام عن هذه البلاد

حيث ان المصريين مولودون في اقاليم مخالفة كثيرًا لسائر الاقاليم وان طبيعة النيل مختلفة جدًا عن طبيعة بقية الانهر لذلك اختلفت اكثر عوائدهم وشرائعهم عما هو عند سائر الامم . فالنساء عندهم يخرجن الى الاسواق ويتعاطين التجارة والرجال يبقون في البيوت يشتغلون بالنسج «٢» سائر الامم ينسجون بمد اللحمة من الاسفل

١ قد خلط هيرودوتس في كلامه عن مخرج ايستر وذلك ان النهر المذكور هو الطونة ومعلوم ان مخرجه من دوقية بادن الكبرى جنوبي فرنسا . والغلط من سكان فرنسا الاولين . وكان في اسبانيا ايضًا امة منهم يقال لها الغلط الجليتة كانت مواطنهم في البلاد المعروفة الان بولاية استرامدورة من البرتغال وهذا معنى قوله وراء اعمدة هرقليس اي جبل طارق واما مدينة بيرينة فربما كانت في جبال البرانس بناء على رواية خرافية فيظهر ان هيرودوتس لم يكن يعرف جغرافية اوروبا لقلة الاتصالية اذ ذاك بينها وبين اسيا ولذلك دخل هذا الوهم في تقريره ٭ ح ٭

٢ قال ديودورس الصقلي ان الرجال في مصر كانوا عبيد النساء

الى الاعلى واما هم فيمشونها من الاعلى الى الاسفل ورجال المصريين يحملون الاحمال على روؤسهم والنساء على ظهورهن والنساء يبلن وهن واقفات والرجال وهم مستوفزون . واما سائر الحاجات الطبيعية فمحصورة في منازلهم غير انهم ياكلون في الطريق ويحتجون عن ذلك بان الامور المعيبة وهي لازمة يجب ان تعمل سرًّا واما غير المعيبة فجهارًا والمراة عند المصريين لا يمكن ان تكون كاهنة لمعبود ولا معبودة لان الكهنوت مخصوص بالرجال . واولاد الرجل الذكور اذا لم يشاءوا ان يقوموا بمعاش آبائهم لا يجبرون واما الاناث فاذا امتنعن يجبرن

☼ ٣٦ ☼ في سائر البلاد يرسل الكهنة شعورهم واما كهنة مصر فيحلقونها وسائر الامم في وقت الحداد يحلقون الشعر ولا سيما الاقارب الادنين واما المصريون فبعكس ذلك يرسلون شعر راسهم ولحاهم وان كانوا متعودين ان يحلقوها ذلك عند موت احد الاقارب «١» وسائر الامم ياكلون في محل لا تكون فيه بهائمهم واما المصريون فيا كلون مع بهائمهم . وفي كل البلاد يقتات الناس بالحنطة والشعير واما في مصر فالذي ياكلها يحسب نجسًا . وهم ياكلون الحنطة الحمراء . ويعجنون الدقيق بارجلهم لكنهم يرفعون الوحل والزبل بايديهم وكل الامم الا المتعلمة منها يتركون اعضاءهم التناسلية على حالها واما المصريون فيختتنون «٢» والرجل يلبس ثوبين والمرأة ثوبًا واحدًا . وسائر الامم يعلقون القناع بحلق او شنا كل من الخارج والمصريون من الداخل . والاغارقة يكتبون ويحسبون بصف هنات مستديرة من اليسار الى اليمين والمصريون يصفونها من اليمين الى اليسار ومع ذلك يقولون انهم يكتبون ويحسبون الى اليمين والاغارقة الى اليسار وعندهم من الحروف نوعان مقدسة وعامية



١ لا مدخل لليونان في هذه العادة لانهم على مذهب المصريين في امر الحداد . قال بلوترخوس ان الرجال يرسلون شعورهم وقت المصائب والنساء يحلقنها لان الامر بالعكس في غير وقت الاحزان ☼ ل ☼

٢ الاختتان كان مفروضًا على الكهنة واما الشعب فامرهم بيدهم ☼ وسلن ☼

❋ ٣٧ ❋ وهم شديدو التمسك بالدين ويفوقون سائر الامم بعبادة آلهتهم وانما اذكر بعض عوائدهم يشربون باكواب من النحاس يغسلونها كل يوم وهي عادة عمومية لا يخرج عنها احد ويلبسون ثيابًا من الكتان حديثة العهد بالغسل لا يخلون في ذلك مطلقًا ويختتنون حفظًا للنظافة لان النظافة عندهم اولى من الجمال

والكهنة يحلقون اجسادهم كل ثلثة ايام مرة حتى لا يتولد فيها قمل ولا غيره من الهوام لانهم يخدمون الالهة . ولا يلبسون الا ثوبًا من الكتان وحذاء منسوجًا من البردي ولا يسمح لهم ان يلبسوا غير ذلك من الثياب والا حذية . ويغتسلون كل يوم مرتين بماء بارد وكذلك كل ليلة وعندهم كثير من الاصطلاحات الدينية يشددون في المحافظة عليها

ولهم مكافأة على ذلك امتيازات جليلة فانهم لا ينفقون شيئًا من ارزاقهم الخاصة«١» ولكل منهم نصيب خاص من اللحم المطبوخ المقدس وكل يوم يوزعون عليهم كميات كثيرة من لحم البقر والاوز وكانوا يعطونهم من الخمور خمر العنب لكن لا يسمح لهم ان ياكلوا السمك«٢» والمصريون لا يزرعون الفول في ارضهم واذا ورد منه شيء من الخارج لا ياكلونه لا نيئًا ولا مطبوخًا والكهنة لا يطيقون ان يروه لانهم يعتقدون انه بقل نجس

❋ ٣٨ ❋ ويعتقدون ان الثيران الطاهرة تخص الاله باخوس ولهذا



١ كانت مصر مقسومة الى ثلاثة اقسام منها قسم للكهنة ليس عليه خراج وفي ذلك حكاية اصح منها ما ذكره موسى من ان الملك لما اخذ اموال الناس في سني المجاعة لم يمد يده الى اموال الكهنة وامر يوسف ان يعطيهم ما يريدون من القمح ❋ ل ❋

٢ الحجة التي يحتجون بها لهذا الامتناع ليست صحيحة فمن جهة ينسبون ذلك الى العقائد الدينية ومن جهة يتعللون بان السمك من الفضلات بين الاطعمة واما الاصح فهو ان السمك يهيج الامراض التي لها ملابسة بداء الفيل والكهنة كانوا يبالغون باخذ الاحتياطات ليتقوا هذا الداء الخبيث ❋ ل ❋

السبب يفحصونها بتدقيق عظيم وقد عُيِّن كاهن خاص لهذا الفحص فاذا وجدت في الثور شعرة واحدة سوداء يحسب نجساً . والكاهن يراه ويفحصهُ واقفاً ونائماً على ظهره ثم يخرج لهُ لسانهُ ليرى هل هو خالٍ من العلامات المذكورة في الكتب المقدسة وساذكرها في مكان اخر . ويُرى ايضاً هل شعر الذنب كما يجب ان يكون طبعاً

فاذا كان الثور خالياً من كل محذور اعلنت طهارتهُ ويجعل له الكاهن علامة حبلاً من لحاء البردي يربطهُ حول قرنيه ثم يضع عليهِ طين الختم ويختمه بخاتمه ثم يمضي بهِ الى المذبح ومن الممنوع بعقاب الموت ان يقرّب ثور ليس عليهِ هذه السمة فهذه هي طريقة فحص الثيران

❊ ٣٩ ❊ واما طريقة الاحتفال في ذبحهِ وتقديمهِ قرباناً فهي هكذا يؤخذ الثور الموسوم الى المذبح حيث يقرّب فيضرمون ناراً ويسكبون خمراً على المذبح وقرب الذبيحة وبعد ان يسألوا الاله البركة يقطعون راس الثور ويسلخون جلد البدن ثم يكثرون من اللعنات للراس المذكور وياخذونهُ الى السوق اذا كان موسم السوق وكان هناك تجار من الاغارقة فيبيعونهُ لهم ولكن الذين ليس عندهم اغارقة يطرحونهُ في النهر

وبينما هم يلعنون الراس بتلك اللعنات يكون الذين قربوا الذبيحة يبتهلون الى الالهة ان يحولوا المصائب اذا اتفق حدوثها عنهم وعن كل بلاد مصر ويوقعوها على الراس وكل المصريين يحافظون على هذه السنة في كل ذبيحة اي فيما يتعلق براس الذبيحة وسكب الخمر . وبداعي هذه العادة لا ياكل المصري من راس حيوان مهما كان واما من جهة كشف الاحشاء وفحصها وكيفية احراق الذبائح فالطرق في ذلك تختلف باختلاف الذبائح

❊ ٤٠ ❊ والان اتكلم عن المعبودة ايسيس التي يعتبرها المصريون اعظم الآلهة وعن العيد الفاخر الذي يحتفلون بهِ اكراماً لها فبعد ان يستعدوا لهذا الموسم الحافل بالصوم والصلاة يضحون لها ثوراً ثم يسلخون جلده وينزعون امعاءه لكنهم يبقون الحشي والدهن . ثم يقطعون افخاذه وما يحيط باعلى الاوراك وكتفيهِ

ورقبته وبعد ذلك يملاون جوفه خبزًا معجونًا من انقى الدقيق وعسلاً وزبيبًا وتينًا وبخورًا ومرًّا وغير ذلك من الاطياب ثم يحرقونه وقد سكبوا زيتًا كثيرًا على النار ويلطمون جميعًا وبعد الفراغ من اللطم يقدم لهم ما بقي من الضحية

❋ ٤١ ❋ كل المصريين يذبحون ثيرانًا وعجولاً طاهرة لكن لا يسمح لهم ان يذبحوا العجال لانها مخصصة بالالهة ايسيس «١» وهم يمثلونها في هياكلهم بصورة امراة لها قرون عجلة كما يمثل الاغارقة معبودتهم يو . وكل المصريين يهتمون بالعجال اكثر مما سواها من سائر المواشي وليس منهم احد يريد ان يقبل اغريقيًا في فمه ولا ان يستخدم سكينه ولا سفوده ولا مرجاله ولا ان يذوق لحم ثور طاهر ذبح بسكين اغريقي

واذا مات ثور او عجلة يقيمون ماتمًا على الصفة الآتية يطرحون العجلة في النهر واما الثور فيدفنونه في الارباض ويبقون قرنه او قرنيه فوق التراب ليكون بذلك دليل عليه فاذا انتن الثور وذلك في وقت معين فتقبل الى كل مدينة سفينة من جزيرة بروسوبيتيس . وهذه الجزيرة موقعها في الدلتا ومحيطها تسع سخينات وفيها مدن كثيرة ولكن المدينة التي تاتي منها السفن لنقل عظام الثيران تسمى اطربيشي وفيها هيكل مختص بالزهرة . فيخرج من اطربيشي كثير من الناس يطوفون في المدن لينبشوا عن عظام الثيران فياخذونها ويضعونها كلها في التراب في مكان واحد ويدفنون ايضا على الصفة المذكورة رفات كل بهيمة ماتت هكذا تامر الشريعة لانهم لا يقتلون المواشي

❋ ٤٢ ❋ كل الذين اسسوا هيكل جوبيتر الطيبوي او الذين يسمون باسم طيوة لا يذبحون الغنم ويضحون الماعز وكل المصريين لا يعبدون على طرز واحد كل الالهة نفسها ولا يعبدون كلهم عبادة واحدة الا ايسيس واوسيريس لانهم يزعمون انه نفس باخوس . واما الذين لهم هيكل منديس او ينسبون الى

١ هذه هي العلة الظاهرة واما الحقيقة فهي ان البقر قليلة في مصر وهي كثيرة المنافع ولذلك يمتنعون عن ذبح الاناث حفظًا للنسل وبموجب الشريعة يحسب رجسًا ان ياكل احد من لحمها ❋ برفيريوس . ❋

منديس فيذبحون النعاج ويبقون على المعزى

فاهل طيبة وكل من يجاريهم في الامتناع عن ذبح النعاج يفعلون ذلك حفظًا لقانون مبني على الداعي الآتي . يقولون ان هرقليس اراد حتماً ان يشاهد جو بيتر غير ان هذا الاله لم يرد ان يراه هرقليس . ولم يزل هرقليس يتوسل اليهِ ليجيبهُ الى طلبهِ فاحتال جو بيتر بالحيلة الاتية . جزَّ صوف كبش وقطع راسهُ وجعلهُ امامهُ ولف نفسهُ بصوفهِ وارى نفسهُ لهرقليس بهذه الصورة ولهذا السبب يصنعون تماثيل جو بيتر في مصر ممثلاً بها راسهُ براس كبش . وهذه العادة سارت من المصريين الى الامونيين . وهؤلاء هم جماعة مهاجرون مولفون من المصريين والحبشة ولغتهم متوسطة بين لغتي الامتين واظن انهم سموا امونيين نسبة الى جو بيتر لان المصريين يسمونهُ امون .

فاهل طيبة لهذا السبب يحسبون الكباش مقدسة فلا يذبحونها الاَّ في عيد جو بيتر ففي هذا اليوم فقط من السنة يضحون كبشًا وبعد ذلك بسلخونهُ وبالصفة التي مثل بها جو بيتر يلفون تمثالهُ بجلده ويدنون منهُ تمثال هرقليس . وعند ذلك يلطم انفسهم الذين يكونون في الهيكل وهم يندبون الكبش . ثم يضعونهُ في صندوق مقدس

﴿ ٤٣ ﴾ وهرقليس هذا هو على ما اثبتوا لي احد الآلهة الاثني عشر واما هرقليس الآخر المشهور عند الاغارقة فلم اقدر ان اعرف عنهُ شيئًا في مكان من بلاد مصر ومن جملة الدلائل التي اقدر ان آتي بها على كون المصريين لم يقتبسوا هذا الاسم من الاغارقة لكن الاغارقة اقتبسوا الاسم منهم وعلى الخصوص الذين منهم سموا بهِ ابن امفتريون اقتصر على ايراد هذا الدليل الآتي

ان امفتريون والد هرقليس هذا والكميني امهُ اصلها من مصر «١» وزد على ذلك ان المصريين لا يعرفون على قولهم اسم نبتون ولا اسم ديوسقورس ولم يحسبوا



١ ويؤيد هذا كتابة محفورة على صفيحة من نحاس وجدت في هاليرتة من بيوتيا وبعد الفحص علم انها من القلم المصري القديم اذ لم يفسرها الا خونوفيس احد انبياء المصريين

هذين الالهين من جملة آلهتهم فلو اخذوا اسم احد الالهة عن الاغارقة لكان عندهم بالاولى ذكر هذين وبناء على ذلك لكونهم كانوا يسافرون في البحر وانهُ وجد من الاغارقة ببراهين قاطعة قوم يمارسون خوّض البحار كان يجب بالحري ان يعرف المصريون اسم هذين الالهين دون اسم هرقليس .

فهرقليس هو عند المصريين اله قديم جدًا وهو حسب قولهم احد الالهة الاثني عشر الذين ولدوا من ثمانية آلهة قبل عهد الملك عمسيس بسبعة عشر الف سنـة .

٤٤ واذ كنت اشتهي ان اجد احدًا يعلمني شيئًا بهذا الخصوص سافرت الى صور احدى مدن فينيقية حيث كنت قد علمت بوجود هيكل لهرقليس يحترمونهُ كثيرًا . وكان هذا الهيكل مزينًا بتحف لا تحصى ومن جملة نفائسهِ كان فيهِ عمودان احدهما من ذهب ابريز والاخر من زمرد كان يظهر منهُ في الليل نور ساطع «١» .

فيومًا ما كنت احدث كهنة هذا الاله فسالتهم منذ كم من الزمان هذا الهيكل بني فوجدت انهم موافقون في كلامهم للاغارقة كما يوافقهم المصريون وقالوا لي انهُ بني وقت بناء المدينة وان المدينة ماهولة منذ الفين وثلثماية سنة

ورأيت في صور هيكلاً آخر لهرقليس وكان هذا يلقب بالثاسي فرحلت الى ثاسوس فوجدت لهُ هيكلاً من بناء الفينيقيين الذين كانوا يجولون في البحار لوجود اوروبة «٢» فانشاؤا مستعمرة في هذه الجزيرة قبل مولد هرقليس بن امفتريون في اغريقية بخمسة اجيال

فهذه الابحاث تثبت جليًا ان هرقليس اله قديم والاغارقة انفسهم الذين شادوا هيكلين لهرقليس يظهر لي انهم سلكوا مسلك الحكمة التامة فانهم يقدمون للواحد الملقب بالاولمبي ضحايا وهي قرابين المعبودات واما الآخر فيقدمون لهُ تقدمات

---

١ اظن انهُ كان اسطوانة من زجاج ملوّن بلون الزمرد كانوا يشعلون في جوفها قنديلاً *ل*

٢ بنت ملك فينيقية احبها جوبيتر واخذها الى بلاد اوروبا فسميت بها *ح*

بناه على انه بطل .

❊ ٤٥ ❊ وعند الاغارقة كثير من الاعتقادات التي لا طائل تحتها ويمكن ان تجعل من بابها الحكاية المضحكة التي يلفقونها عن هذا البطل فيقولون ان هرقليس دخل مصر فوضع له المصريون اكليلاً على راسه ومضوا به بابهة كانهم يريدون ان يذبحوه لجوبيتر . ومكث مدة ساكنًا لكن حالما شرعوا بالاستعدادات الاحتفالية استجمع قواه وقتلهم عن آخرهم

فيلوح لي من هذا ان الاغارقة اظهروا ان ليس عندهم اقل اطلاع على شرائع المصريين ولاطباعهم. فاين وجه الصحة هنا على علمنا ان المصريين لا يسمح لهم ان يذبحوا من الحيوانات الاّ الخنازير والثيران والعجول بشرط ان تكون طاهرة والاوزّ فكيف يخطر لهم ان يذبحوا ادميًا. وفضلاً عن ذلك هل من محتملات الطبع ان هرقليس وهو رجل على قولهم يقدر على قتل الوف منهم وهو بينهم وحده

ومهما يكن من الامر فاني اتوسل الى الآلهة والابطال ان لا يسيئوا الظن في ما قلت بهذا الصدد .

❊ ٤٦ ❊ والمنديسيون وهم من المصريين الذين ذكرتهم لا يضحون اعنازًا ولا تيوسًا وسبب ذلك انهم يجعلون الاله بان من جملة الالهة الثمانية ويزعمون ان هولاء الالهة كانوا قبل الاثني عشر الهًا فالمصورون والنقاشون يمثلون الاله بان كما يفعل الاغارقة وله راس عنز وساقا تيس وليس ذلك لانهم يتوهمون ان هذه صورته اذ يعتقدون انه مشابه لسائر الالهة لكني اظهر زيادة تدقيق بتعليلي عن سبب تمثيله بهذه الصورة . فالمنديسيون يحترمون الاعناز والتيوس احترامًا شديدًا ولا سيما التيوس واكرامًا لها يكرمون الذي يعتني بها ويبالغون في احترام التيس اذا مات اكثر مما يحترمون سواه وكلهم يلبسون عليه الحداد

وكل من التيس والاله بان يسمى باللغة المصرية منديس فحدث وانا في مصر امر غريب في ارض المنديسيين وذلك ان تيسًا ضاجع امراة جهارًا وهذا الخبر شاع بين كل الناس

﴿ ٤٧ ﴾ والمصريون يحسبون الخنزير نجساً «١» فاذا اتفق لاحد ان يمس خنزيراً ولو ماراً به يبادر حالاً الى النهر ويطرح نفسهُ وثيابهُ ويغتسل ولذلك لا يسمح لرعاة الخنازير وان كانوا مصريين ان يدخلوا الهياكل ولا لاحد بزوجهم ابنتهُ ولا يتزوج منهم بل يتزوجون بعضهم من بعض

ولا يؤذن المصريين ان يذبحوا الخنازير الا للقمر وباخوس وذلك في وقت واحد اعني في يوم مخصوص من السنة يكون فيهِ القمر بدراً وحينئذٍ يأكلون من لحمهِ

ولكن لماذا يكره المصريون الخنازير في سائر الاعياد ويذبحونهُ في العيد المذكور فقط . يحتجون في ذلك بحجة لا يناسب ان اوردها وان كنت لا اجهلها

وطريقة تضحية الخنازير للقمر هي كما ياتي بعد ان يذبحوه يجمعون اطرافهُ وذنبهُ وطحالهُ وثربهُ ويضعونها معاً ويغطونها بكل ما في بطنهِ من الشحم ويحرقونها ويأكلون ما بقي من الضحية يوم البدر وهو اليوم الذي فيهِ تقدم الضحية ولا يذوقونهُ في غير يوم واما الفقراء الذين ليس في امكانهم ان يقدموا خنازير يصنعون شخصاً من عجين على مثال الخنزير ويشوونهُ ويقدمونهُ ضحية

﴿ ٤٨ ﴾ وفي يوم عيد باخوس يذبح كل واحد خنوصاً امام بابهِ وقت الغداء ثم يعطونهُ للذي اتى بهِ ليحملهُ من هناك ويحتفلون ببقية يوم عيد باخوس الا فيما يخص تضحية الخنوص على نفس الطريقة تقريباً التي يجري عليها الاغارقة ولكن عوض تماثيل فالوس «٢» قد اخترعوا صوراً علو الواحدة نحو ذراع يحركونها بواسطة حبل والنساء يحملن الصور في القرى والدساكر ولا يكون العضو التناسلي فيها اصغر من الجسد في الصور المذكورة فيطفن بها وهنَّ يحركنهُ

١ علة ذلك ان لبن الخنازير يولّد في من يشربهُ البرص والقوباء . ولكون الخنزير لا يعرق لكثرة شحمهِ تتولد في بدنهِ بثور عديدة وتكون فيهِ جرثومة البرص ولهذا كرهوه اشد الكره *ل*

٢ فالوس اسم مرادف عند اليونان لباخوس ويتناوله بصورة اعضاء الرجل التناسلية وعيد باخوس عبارة عن موسم خاص بالنساء كما اشار هيرودوتس وكما يعلم من تاريخ اليونان فتسكر النساء فيهِ سكراً فاحشاً ويجولن في الشوارع عند اليونان كالوحوش الكاسرة وفي ذلك اليوم تكثر الفحشاء بين القوم *ح*

ويمشي امامهن زمّار وهن وراءه يرتلن مدائح باخوس

ولكن لماذا يكون العضو التناسلي في هذه الصور مفرط الكبر ولماذا لا تحرك النساء غيره من اعضاء تلك الصور . لهم في ذلك حجة دينية لا يحسن ان اوردها

﴿ ٤٩ ﴾ يظهر لي ان ميلمبوس بن اميثاون كان يعرف منذ ذلك الزمان كيفية هذه الحفلة المقدسة فهو الذي علم الاغارقة اسم باخوس وطريقة احتفالات عباداته وادخل بينهم عادة حمل تمثال فالوس . نعم انه لم يكشف لهم كل هذه الاسرار لكن الحكماء الذين كانوا بعده فسروها تفسيرًا مسهبًا

فيكون ميلمبوس هو الذي سن عادات الطوائف بتمثال فالوس الذي يحملونه في موسم باخوس وهو الذي علم الاغارقة تلك الاحتفالات الباقية عندهم الى اليوم

والذي اراه ان ميلمبوس رجل حكيم اشتهر بفن العرافة تعلم من المصريين عدة طرق للاحتفالات ومن جملتها احتفالات موسم باخوس وهو الذي ادخلها اغريقية ببعض تغيير . ولست انسب الى الصدفة ما بين احتفالات المصريين الدينية والتي اتخذها الاغارقة من المشابهة فاذا لم يكن لهذه المشابهة سبب آخر لما كانت بعيدة بهذا المقدار عن عادات الاغارقة واصطلاحاتهم وفضلاً عن ذلك لما كان دخولها عندهم دخولاً جديدًا . ولا اقول ايضًا ان المصريين اقتبسوا من الاغارقة هذه الاحتفالات او غيرها من السنن والذي يظهر لي بالحري ان ميلمبوس علم ما يتعلق بعبادة باخوس بواسطة التجارة التي تعاطاها مع سلالة قدموس الصوري وتبعتهم من الصوريين الذين اتوا من فينيقية الى هذا القطر من اغريقية المسمى الآن بيوتيا «١»

﴿ ٥٠ ﴾ وكل اسماء الآلهة تقريبًا دخلت افريقية من مصر ومن المحقق انها اتتنا من البرابرة وقد تحققت ذلك بجهد البحث فاعتقد اننا اتخذناها اصلاً من المصريين وعلى ذلك اذا استثنينا نبتون والديوسقورة كما ذكرت آنفًا نرى ان

---

١ ان طريقة هيرودوتس في هذه الاسهاب المل والتكرار على غير طائل غير مانوسة في ذوق لغتنا لكننا نضطر ان نتبع الاصل . وان كانت عبارته لا تخلو احيانًا من بعض تشويش وتباعد بين القرائن * ح *

بونون ووستاوثيمس والغرافة والنرئيدة واسا بقية الآلهة كانت معروفة في مصر . وبهذا العدد اعيد ما يقوله المصريون انفسهم

واما الالهة التي يوكدون انهم لا يعرفونها فاظن ان اسماءها آتية من البلاسجة ما عدا نبتون فانهم عرفوا اسمه من الليبيين وكانوا يحترمونه كثيرًا . واما الابطال فلا يقيم لهم المصريون احتفالات مأتمية

❊ ٥١ ❊ فالهيلانيون اذًا اخذوا من المصريين هذه السنن المستعملة عندهم وسننًا اخرى ساذكرها فيما يلي ولكن لا اقتداء بهذه الامة يجعلون لتماثيل مركورس ( عطارد ) هيئة معينة فاهل اثينا اول من اتخذ هذه العادة من البلاسجة وبهم اقتدت بقية اغريقية . والبلاسجة كانوا مستوطنين القطر الذي فيه اهل آثينا الذين كانوا في ذلك الزمان في عداد الهيلانيين ولهذا اخذوا يقولون عن انفسهم انهم هيلانيون وكل من تداخل باسرار الكابيرة «١» التي يعطيها الساموثراقيون يفهم معنى كلامي . لان البلاسجيين المذكورين كانوا ساكنين في ساموثراقة قبل ان يأتوا الى مواطن الاثينيين . ومنهم اتخذ اهل هذه الجزيرة تلك الاسرار . فالاثينيون اذن هم اول قوم تعلموا من البلاسجة ان يصنعوا تماثيل عطارد بالهيئة التي وصفناها . و يورد البلاسجة لذلك سببًا مقدسًا يوجد بالتفصيل في اسرار ساموثراقة

❊ ٥٢ ❊ وكان البلاسجة في الزمان الماضي يضحون للالهة كل الاشياء التي يستطيعون ان يقدموها لهم كما علمت في ذودونة وكانوا يتلون لديهم صلوات ولكن ما كانوا يسمون ولا يلقبون واحدًا منهم لانهم لم يكونوا قد سمعوا لهم اسماء فكانوا يدعونهم آلهة اطلاقًا لسبب الترتيب الكائن في الاقسام المختلفة المولف منها العالم والطريقة التي فرقوه بها . وما انصلوا الاَّ موخرًا الى معرفة اسماء الالهة وذلك عندما اتخذوها من مصر ولكن ما عرفوا اسم باخوس الاَّ بعد مدة طويلة من معرفتهم اسماء سائر الالهة . و بعد زمان قليل مضوا الى ذودونة يستشيرون الوحي عن هذه الاسماء . ويحسبون ان ذلك الوحي اقدم من سواه في اغريقية

١ معبودات سرّية فينيقية الاصل وشاعت عبادتها في اغريقية وما كان يعرف تلك الاسرار الا الكهنة ومن ماثلهم من اهل مذهبهم ❊ح❊

ولم يكن غيره اذ ذاك في البلاد «١» فلما سال البلاسجة وحي ذوذونة هل يصح ان يتخذوا اسماء آلهتهم من البرابرة اجيبوا بالايجاب ومن ذلك الوقت استعملوها في تقديم ذبائحهم وبالتدريج اتخذها منهم الاغارقة

❋ ٥٣ ❋ وبقي الناس زمانًا طويلاً لا يعرفون اصل كل اله ولا شكله ولا طبيعته ولا هل وجدوا جميعهم منذ الازل . فلم يعرفوا شيئًا من ذلك الا من عهد قريب . واظن ان اوميروس، وايسيوذس كانا قبل زماني باربعمائة سنة . فهما اول من وصف بالشعر احوال الالهة وذكرا القابهم وعبادتهم ووظائفهم ووصفا هيئاتهم واشكالهم . واما سائر الشعراء الذين يزعم الناس انهم كانوا قبلهما فلم يكونوا على رايي الاّ بعدها . وما يتعلق باسماء الالهة واصلهم قد اخذته عن كاهنات ذوذونة . واما ما ذكرت عن اوميروس وايسيوذس فهو من رايي الخاص

❋ ٥٤ ❋ واما الوحيان الآخران اللذان احدها في اغريقية والآخر في ليبيا فاذكر عنهما ما يقوله المصريون . افادني كهنة جوبيتر الطيوي ان قومًا من الفينيقيين اختطفوا من طيوة امراتين مخصوصتين بخدمة هذا الاله وانهم سمعوا انهما بيعتا لتنقلا الواحدة الى ليبيا والاخرى الى اغريقية وانهما اول من انشأ مسألة الوحي بين شعوب هذين البلدين

فسالتهم كيف عرفوا هذه الامور الصحيحة فاجابوني انهم بقوا زمانًا طويلاً يبحثون عن المراتين فلم يجدوهما لكنهم بعد حين علموا ما اخبروني به

❋ ٥٥ ❋ وكاهنات ذوذونة يزعمن ان حمامتين سوداوين طارتا من طيوة مصر وان احداهما مضت الى ليبيا والاخرى الى ذوذونة وان هذه وقعت على غصن سنديانة وقالت بصوت كصوت البشر ان القدر يطلب انشاء مهبط وحي

---

١ ذوذونة بلدة من ايرة في حضيض جبل توماروس تحدق بها غابات عظيمة وكان مهبط الوحي سنديانة هناك كبيرة والكاهنة توضح الوحي من حفيف اوراقها او من رنين آنية نحاسية معلقة فيها او من تغريد الحمام المخبأ بين اغصانها . وبقوا مدة طويلة يجاوبون عن الاسئلة بخرير نبع مقدس كان هناك * ح *

جوبيتر هنا . وان اهل ذوذونة حسبوا ذلك امرًا من الآلهة ففعلوا بموجبهِ وان الحمامة التي مضت الى ليبيا امرت اهلها ان ينشئوا مقامًا لوحي جوبيتر الاموني

هذا ما ذكرتهُ لي كاهنات ذوذونة وكانت اكبرهنَّ سنًّا تدعى برومينيا والتي اصغر منها تياريتي والصغرى نيكندرة وقد ثبت خبرهنَّ بشهادة اهل ذوذونة الذين كانوا سدنة المقام

واما رايي بهذا الخصوص فهو هذا اذا صحّ ان الفينيقيين اختطفوا تينك المراتين المختصتين بخدمة الآلهة وباعوهما لتنقل الواحدة الى ليبيا والاخرى الى اغريقية اظن ان الثانية بيعت لتنقل الى بلاد التسبروتيين وهي قسم من اغريقية الحالية وكانت تدعى اولاً بلا سجية . وان تلك المراة في مدة استرقاقها انشأت تحت سنديانة معبدًا لجوبيتر . لانهُ من الطبع ان التي انقطعت عن خدمتهِ في طيوة يجب ان تنشئ لهُ ذكرًا في المكان الذي نقلت اليهِ ومن ثم انشأت مقام الوحي وانها لما تعلمت اللغة اليونانية قالت ان اختها باعها الفينيقيون لنفسهم لتنقل الى ليبيا

❊ ٥٧ ❊ ويخال لي ان اهل ذوذونة سموا هاتين المراتين حمامتين لانهما غريبتان وكانت لغتهما تظهر لهم مقاربة لصوت الحمام

ولكن بعد مدة حينا صارت المراة تتكلم بلغتهم قالوا ان الحمامة تكلمت لانهُ في مدة تكلمها بلغة اجنبية كان يظهر لهم ان نطقها شبيه بصوت الحمام . فكيف والحالة هذه يمكن ان حمامة تبدي اصواتًا نطقية . ومن قولهم ان الحمامة كانت سوداء نستدل على ان المراة كانت مصرية

❊ ٥٨ ❊ وبين وحي طيوة مصر ووحي ذوذونة مشابهة كلية . وفن العرافة اي الاخبار بالمستقبل كما هو جار في الهياكل اتى الينا من مصر ايضًا . ومن الموكد على الاقل ان المصريين هم اول قوم بين كل البشر انشأوا المواسم والاجتماعات العمومية وطواف المواكب وطريقة التقرب الى الآلهة ومناجاتهم ولذلك اقتبس الاغارقة هذه العادات من المصريين . والدليل على ما قدمت ان هذه العادات قديمة العهد في مصر وانها لم توجد عند الاغارقة الا من عهد

قريب

❊ ٥٩ ❊ والمصريون يعيدون كل سنة اعياداً كثيرة ولا يكتفون بواحد واشهر تلك الاعياد وهو الذي يحافظون عليهِ اكثر من غيرهِ هو الذي يعيد في بوبستي اكراماً للالهة ذيانة «١» والثاني هو الذي يعيد في مدينة بوصير اكراماً للمعبودة ايسيس وفي هذه المدينة الواقعه في وسط الدلتا هيكل عظيم جداً مخصوص بالمعبودة المذكورة ·ويسمونها بلغة الاغارقة ديمتر ( اي الارض الام · وكيريس ) وعيد ميزفة هو الثالث ويعيد في مدينة صا«٢» والرابع في ايليو بوليس اكراماً للشمس والخامس في بوتو اكراماً للاتونة والسادس وهو الاخير في بوريس اكراماً للمريخ «٣»

❊ ٦٠ ❊ والذي يلاحَظ في الذهاب الى بوستي هو انهم يمضون اليها في الماء رجالاً ونساء لفيفاً مقرونًا وفي كل سفينة عدد غفير من الرجال والنساء وفي مدة السير تضرب بعض النساء بالصنوج وبعض الرجال ينفخ بالشبابة والباقون رجالاً ونساء يغنون ويصفقون فاذا مرّوا بمدينة يدنون السفينة من الشاطىء فمن النساء من يبقين في الغناء وضرب الصنوج ومنهن من يصحن صياحاً شديداً ويشتمن نساء تلك المدينة · واما نساء المدينة فياخذن في الرقص واما اولئك فيقفن ويشمرن ثيابهن بطريقة خارجة عن الادب · وهذه الامور تجري



١ بوبستي اسم مصري للمعبودة المسماة عند اليونان ذيانة وهي بنت اوسيريس وايسيس وتأويلها القمر · وبها سميت المدينة المذكورة ولعلها سطة الحالية · ويقال انها اليوم خراب ❊ح❊

٢ اسمها القديم سايس وهي قرب بحيرة بونوس وكان فيها هيكل عظيم لايسيس مكتوب فيهِ انا الذي كنت واكون وساكون · ولم يرفع احد حتى الان الحجاب الذي يسترني ❊ح❊

٣ اما بوتو فربما كانت مدينة اسنة لان مدناً كثيرة سميت بوتو اكراماً لمعبودة لهم هذا اسمها وهي رمز عن التوليد وما يتعلق بهِ واليونان يسمونها لينو ولاتونة المصرية مرادفة لها وبحيرة بوتوس وهي البرلس منسوبة اليها ❊ح❊

واما كثرة الاعياد عند المصريين وما يظهرون من الطرب في ذهابهم الى بوبستي فدليل على انهم كانوا اصحاب هوس وطرب يحبون الانهماك في الافراح والملذات ولا يزالون حتى اليوم ❊ل❊

في كل المدينة ـ رون بها على ضفتي النهر.

ومتى وصلوا الى بوبستي يحتفلون بعيد ذيانة بذبح عدد غفير من البهائم ويشربون في هذا العيد كميات وافرة من خمر العنب بحيث تكون اكثر مما يشربون في بقية السنة. لان الذين يمضون الى هناك بدعوة اهل البلد يكون عددهم سبعمائة الف بين رجال ونساء ما عدا الاولاد

* ٦١ * قد ذكرت كيفية الاحتفال بعيد ايسيس في بوبستي . ويكون هناك عدد لا يحصى من الرجال والنساء وكلهم يلطمون وينوحون بعد تقديم الضحية . ولكن لا يسع لي ان اقول اكراماً لمن يلطمون

وكل الكاريين الذين يوجدون في مصر يمتازون في هذه الحفلة بان يخدشوا جباههم بالحراب ومن هنا تسهل معرفة كونهم غرباء لا مصريين

* ٦٢ * واذا اجتمعوا في مدينة صا لتقديم الضحايا في احدى الليالي فكل انسان يشعل قناديل في الفضاء حول بيته والقناديل هي اوعية تملأ ملحاً وزيتاً ولها فتائل تطفو على الوجه وتبقى مشتعلة كل الليل . وهذا العيد يقال له عيد القناديل المشتعلة . والمصريون الذين لا يوجدون في المدينة اذ يعلمون ليلة الموسم يشعلون القناديل في اماكنهم فلا يكون ذلك في صا فقط بل في كل اقطار مصر ولهم اسباب في هذه الانارة تلك الليلة وفي تعظيمها «١»

* ٦٣ * والذين يمضون الى ايليوبوليس والى بوتو يكتفون بتقديم الذبائح وفي ببريميس يحافظون على نفس الاحتفالات ويقدمون نفس الذبائح التي يقوم بها اهل سائر المدن لكن حينما تاخذ الشمس في الانحدار يقوم عدد قليل من الكهنة بحركات كثيرة حول تمثال المريخ ويكون العدد الاكبر واقفين امام باب الهيكل وبايديهم العصي ويكون امام هولاء اكثر من الف رجل مختلطين بلا نظام ليتمموا نذورهم وبيد كل منهم عصاً



١ هذا العيد يوجد مثله في الصين يعرف بعيد المصابيح وهو عندهم من زمان قديم جداً وهذا يحقق ظن احد العلماء ان الصينيين اصلهم من مهاجري المصريين *ا.ب*

والتمثال في معبد صغير مصنوع من خشب مذهب وليلة العيد ينقلونهُ الى معبد آخر والكهنة القليلو العدد الذين بقوا حول التمثال يضعون ذالك المعبد مع التمثال على عجلة ذات اربعة دواليب ويجرونها والذين يكونون في الرواق يمنعونهم ان يدخلوا الهيكل والذين يكونون بازائهم لتادية فروضهم يهجمون عليهم للمحاماة عن الاله ويضربونهم ويحمون انفسهم وحينئذٍ تكون فتنة عظيمة بضرب العصي فكثير من الرؤوس تهشم ولا اشك ان جماعة منهم يقتلون وان كان المصريون لا يوافقون على هذا الراي

٦٤ واهل البلاد يقولون انهم انشاوا هذا العيد للسبب الآتي . كانت ام المريخ ساكنة في هذا الهيكل وكان ابنها قد تربى بعيدًا عنها فلما بلغ اشدهُ اتى قاصدًا ان يكلمها فخدم امهِ كانوا لم يروهُ قبل ذلك الوقت فلم يكتفوا بان يمنعوهُ من الدخول بل طردوهُ بعنف فمضى إلى مدينة اخرى واتى بنجدة واساء الى الخدم حتى فتح لنفسهِ طريقًا الى مقرهِ ولهذا السبب اصطلحوا على تلك الفتنة في عيد المريخ اكرامًا لهُ

والمصريون هم اول امة منعت بناء على مبدإ ديني ان تضاجع النساء في الاماكن المقدسة وان يدخل احد تلك الاماكن بعد المضاجعة ما لم يكن قد اغتسل . وكل الامم تقريبًا ما عدا المصريين والاغارقة يضاجعون النساء في الاماكن المقدسة او يدخلونها على اثر المضاجعة بلا اغتسال ويخال لهم ان حال الانسان في هذا المعنى كحال الحيوانات فيتاولون انهم يرون الحيوانات وانواع الطيور تفعل ذلك في الهياكل وسائر الاماكن المخصوصة بالآلهة فلو كان هذا العمل غير مرضي للآلهة لما عملته الحيوانات . هذه هي الحجة التي يتعلل بها سائر الامم ليباح لهم ذلك لكنني لا اوافق عليها

٦٥ ومن جملة الممارسات الدينية التي يحافظ عليها المصريون بتدقيق ما ياتي . مع ان بلادهم ماسة لليبيا نجد ان الحيوانات قليلة فيها والموجودة فيها برية كانت او اهلية يحسبونها مقدسة . ولو اردت ان اتكلم عن اسباب تقديسها لاضطررت الى سياقة حديث طويل على الديانة والامور المتعلقة بها

والذلك اضرب صفحًا عن ذلك والقليل الذي ذكرتهُ فيما مرَّ لم يكن الا اضطرارًا فالشريعة تامرهم ان يربوا البهائم ومنهم اناس بين رجال ونساء يختص كل واحد منهم بالاهتمام بنوع منها وهي خطة شريفة عندهم يخلف الابن فيها اباهُ والذين يكونون في المدن يوفون النذور التي نذروها لها وطريقة ذلك هي كما ياتي . بعد ما يرفعون صلواتهم الى الاله المختص بهِ كل حيوان ويحلقوا روس اولادهم كلاً او بعضًا يضعون ذلك الشعر في احدى كفتي ميزان ونقودًا في الكفة الاخرى حتى اذا رجحت هذه الكفة يعطون الدراهم للمرأة القائمة بامر تلك الحيوانات فتشتري بها سمكًا تقطعهُ قطعًا وتطعمها اياها واذا قتل احد واحدًا من تلك الحيوانات عمدًا يكون عقابهُ القتل واذا قتلهُ سهوًا يودّي ديتهُ بحسب ما يفرض الكهنة ولكن اذا قتل احد لقلقًا او بازيًا ولو سهوًا يجزم باهلاكهِ

❊ ٦٦ ❊ والحيوانات الاهلية وان كانت كثيرة عندهم الا انها تكون اوفر عددًا لولا حادثة تحدث للهررة . فمتى ولدت الاناث منها لا تعود تلتفت الى الذكور فيطلبها الذكور ولا تجدها فتلجأ الى الحيلة . فيمضي الذكر الى الاجرية ويسرقها وينقلها ولا ضرر عليهِ فتفتقد الهرة صغارها وتحب ان يكون لها غيرها لان من طبع الهرة ان تحب صغارها محبة شديدة فتمضي الى الذكر

واذا حدثت حريقة يحدث لهذه الحيوانات امر عجيب ففي اثناء الحريق يصطف المصريون صفوفًا متباعدة يحرسون هذه الحيوانات فيهملون اطفاء النار فتاتي الهررة وتدخل بين صفوف الناس وتثب على اكتافهم وتلقي انفسها في النار فيجزع المصريون جزعًا شديدًا

واذا مات هرٌّ في احد البيوت موتًا طبيعيًا يحلق كل اهل البيت حواجبهم ولكن اذا مات كلب يحلقون رؤوسهم وابدانهم

❊ ٦٧ ❊ وياتون الى البيوت المقدسة بما مات من الهررة ويحنطونهُ ويدفونهُ في بوبستي واما الكلاب فتدفن في المدينة التي تموت فيها بعد ان يضعوها في توابيت مقدسة ويفعلون ذلك ايضًا للنمس وياخذون الجرذ ذا الخرطوم والبزاة الى بوتو واللقلق الى هرمو بوليس . واما الدباب القليلة جدًا في

مصر والذئاب وهي ليست اكبر من الثعلب فيدفنونها في المكان الذي يجدونها ميتة فيهِ

❋ ٦٨ ❋ ولناتِ الان على ذكر التمساح وطبائعهِ هذا الحيوان يقضي اشد اشهر الشتاء برداً وهي اربعة اشهر لا ياكل شيئاً وهو يعيش في الماء واليابسة وان كان له اربع قوائم ويضع بيضهُ في الارض وبها يفقس ويبقى في الاماكن الناشفة اكثر النهار وفي النهر الليل كلهُ لان الماء اشد حرارة من الهواء والندى

ومن كل الحيوانات التي نعرفها لا نجد واحداً غير التمساح يكبر جدًّا بعد ان يولد صغيراً جدًّا فبيض التمساح ليس اكبر من بيض الاوز والفرخ هو بالنسبة الى البيضة حجماً فينمو نموًّا بطيئاً لا يشعر به حتى يبلغ من الطول سبع عشر ذراعاً واكثر وعيناه كعيني الخنزير واسنانهُ بارزة وهي كبيرة بمناسبة جسمهِ وهو وحده من سائر الحيوانات خالٍ من اللسان «١» ولا يحرك فكهُ الاسفل فهو وحده بين الحيوانات يدني الفك الاعلى من الفك الاسفل «٢» ومخالبهُ قوية جدًّا وجلده مكسوٌّ بحراشف على ظهرهِ حتى لا يخرق . والتمساح لا يبصر تحت الماء لكن بصره فوق الماء حاد جدًّا ولكونهِ يعيش في الماء يكثر العلق في فيهِ . وكل البهائم والطيور تهرب منهُ الا نوعاً من الطير يقال لهُ القطقاط لانهُ ينتفع بهِ وذلك ان التمساح حينما يخرج من الماء ليستريح على البرّ يكون من عادتهِ ان يتجه غالباً الى جهة مهب النسيم ويفتح فاهُ فياتي القطقاط المذكور ويدخل فاهُ ويلتقط العلق فيجد التمساح لذة بتخفيف ثقلة العلق ولذلك لا يوذي ذلك العصفور

❋ ٦٩ ❋ وبعض المصريين يحسبون التماسيح مقدسة وبعضهم يطاردونها ويقتلونها فالذين يسكنون نواحي طيوة وبحيرة موريس يحترمونها احتراماً شديداً وكلهم ياخذون تمساحاً صغيراً يربونهُ ويعلمونهُ ان يحتمل مس

---

١ هكذا كان يظن ارسطو ايضاً والصحيح ان لهُ منهُ لحمية كاللسان ملتصقة في الفك الاسفل في كل طوله وتقوم مقام اللسان في تقليب الطعام ❋ ل ❋

٢ هكذا كان يزعم ارسطو ايضاً وعليهِ جرى علماء العرب لكن الصحيح انهُ يحرك الفك الاسفل كسائر الحيوانات هكذا تحقق العلماء المتاخرون بعد تدقيق البحث ❋ ح ❋

اليد ويعلقون في اذنهِ حلقًا من ذهب او حجارة مقلدة ويجعلون في قائمتيهِ الاماميتين اساور و يطعمونهُ من لحم الذبائح واطعمة اخرى مفروضة ويعتنون بهِ ما دام حيًا واذا مات يحنطونهُ ويضعونهُ في تابوت مقدس

واهل اليفنتين وما يجاورها لا يحسبون التمساح مقدسًا حتى انهم لا يحاولون اكلهُ. وهو يسمى هناك تمسه واليونان يسمونهُ كروكوذيلوس لشبههِ بنوع من الورل عندهم يكون في السياج ويسمى كروكوذيلوس «١»

﴿ ٧٠ ﴾ ولصيد التمساح طرائق مختلفة ولا اذكر منها الا طريقة تستحق الذكر اكثر من غيرها وهي انهم يعلقون قطعة من ظهر خنوص بصنارة كبيرة ويلقونها في النهر ويقعدون على الضفة وياخذون خنوصًا رضيعًا ويضربونهُ ليرتفع قباعهُ فيدنو التمساح من حيث يسمع الصوت ويصادف في طريقهِ القطعة المذكورة فيبتلعها فيجرهُ الصياد اليهِ وبعد ما يحصل على الارض يغطي عينيهِ بالطين وبهذه الواسطة ينال منهُ المرام ولولا ذلك لكان يصعب جدًّا قيادهُ

﴿ ٧١ ﴾ وافراس النهر الموجودة في ولاية بيرييس مقدسة هناك واما في بقية مصر فلا يعتبرونها كذلك وهذه هي صفات فرس النهر وطبائعهُ . هذا الحيوان ذو اربع قوائم واقدامهُ ذات اظلاف قرنية كاظلاف البقر وخرطومهُ مفلطح متقلص واسنانهُ بارزة ولهُ عرف وذيل وصهيل كالخيل وجثة كاكبر الثيران وجلده صفيق جدًّا وثخين حتى اذا كان يابسًا تعمل منهُ حراب

﴿ ٧٢ ﴾ ومن حيوانات النيل ايضًا ثعلب الماء والمصريون يحسبونهُ مقدسًا وهكذا اعتقادهم في الانكليس ونوع من السمك يقال لهُ الحشفي الرجلين . وهذه الاسماك مخصصة بالنيل واما الطيور فالمقدس منها عندهم الكروان

---

١ لعل لفظة تمسه محرَّفة عند الاجانب من تمساح واما الاسم اليوناني فقيل انهُ ماخوذ من كروكوس وهو الزعفران وذيلوس ومعناه جبان اعتقادًا منهم انهُ يخاف الزعفران او من الورل المسمى بهِ لهُ هذه المزية *ح*

❊ ٧٣ ❊ ويجعلون من هذه الرتبة ايضًا طائرًا آخر يسمى الفقنس «١» ولم اره الّا بالصورة وهو نادر الوجود وعلى قول اهل ايليوبوليس ان هذا الطائر لا يظهر في بلادهم الا مرة في كل خمسمائة سنة بعد موت ابيهِ وعلى ما هو في الصورة يكون قسم من جناحيهِ مذهبًا وقسم احمر وهو مشابه للنسر تمامًا بمنظره وشرح صفاته

ويحكون عنهُ مزية خاصة يظهر لي انها لا تصدق يقولون انهُ ياتي من بلاد العرب الى هيكل الشمس ومعهُ جسم ابيهِ ياتي بهِ ملفوفًا بالمرّ ويدفنهُ في ذلك الهيكل وطريقة ذلك هي ان يجمع من المرّ كمية على شكل بيضة ووزنها على قدر ما يستطيع ان يحمل فيرفعها ويرى هل يقدر على حملها ثم ينقرها ويضع فيها جسم ابيهِ ثم يسد الثقب بالمر فيكون ثقلها كما كان قبل نقرها وحينئذٍ يحملها الى مصر قاصدًا هيكل الشمس

❊ ٧٤ ❊ وفي ضواحي طيوة نوع من الحيات مقدس لا يوذي الناس وهذه الحية صغيرة جدًا لها قرنان في قمة راسها واذا ماتت يدفنونها في هيكل جو بيتر لانهم يقولون انها مخصصة لهُ

❊ ٧٥ ❊ وفي بلاد العرب بقرب مدينة بوتو مكان مضيت اليهِ لكي استخبر عن الحيات المجنحة فرايت عند وصولي كمية عظيمة جدًا من عظام وسلاسل هذه الحيات وكان منها هناك كدس متفرقة في كل الجهات منها كبير ومنها متوسط ومنها صغير

والمكان الموجودة فيهِ هذه العظام المجتمعة واقع في مخنق بين جبال

---

١ الفقنس لا بد ان يكون العرب اخذوهُ من اليونانية وهو عندهم فينكس فالتبس على القرّاء قراءة الخط الذي كتب بهِ والذي اوكدهُ ان اصل كتابتهِ فنقس كقِمنس فحرفوهُ وكتبوهُ ققنس كعملس وهكذا وجد في قاموس الفيروزابادي ولهُ حكاية اخرى خاصة بهِ وردت في كتب العرب انفسهم وهي موجودة في قاموس الفيروزابادي وخلاصتها ان هذا الطائر يحرق نفسهُ فيتولد من رماده طائر من نوعه . قال لرتي في الحاشية ان المتولد من الرماد دودة تستحيل فقنسًا وقد اثبت ذلك بعض العلماء حتى آباء الكنيسة اليونانية واللاتينية جاتوا بهِ برهانًا على القيامة ❊ ٢ ❊

ينبض الى سهل ماس سهل مصر . ويقولون ان الحيات المجنحة تطير من بلاد العرب الى مصر في اول الربيع غير ان اللقالق تذهب لملاقاتها الى مدخل ذلك المختنق من جهة مصر وتقتلها فلا تدخل ارض مصر . ولذلك يقول العرب بتاكيد ان المصريين يحترمون اللقلق جدًّا والمصريون انفسهم يوافقونهم في هذا قائلين ان اكرام هذا الطائر عندهم للسبب المار ذكره .

✻ ٧٦ ✻ واللقلق نوعان الاول حجمهُ كدجاج الماء وريشهُ اسود فاحم وارجلهُ كارجل الكركي والمنقار اعقف وهو يقتل الحيات . والنوع الثاني اكثر انتشارًا وكثير الوجود عنقهُ وقسم من راسهِ بلا ريش . وريشهُ ابيض الّا ما على الراس والعنق من الريش واطراف الجناحين والذنب فانها سوداء حالكة واما ارجلهُ ومنقارهُ فكالنوع الاول

والحية الطيارة تشبه بالصورة حية الماء وليس في اجنحتها ريش لكنها مشابهه تمامًا لاجنحة الخفاش والى هنا كفاية من الكلام على الحيوانات

✻ ٧٧ ✻ بين المصريين الذين عرفتهم وجدت ان القاطنين في نواحي ذلك القسم من مصر الذي يزرعون فيهِ الحبوب هم بلا ريب احذقهم وهم اكثر الناس اشتغالاً بالامور الذهنية . يشربون مسهلاً كل شهر ثلثة ايام متوالية ويعنون بمداراة صحتهم وحفظها بواسطة المقيئات والمسهلات لانهم يعتقدون ويؤكدون ان كل الامراض تاتي عن الاطعمة . وفضلاً عن ذلك لا يكون بعد الليبيين قوم اصحاب سلامة واعتدال مزاج مثل المصريين

واظن ان هذه المزية ناتجة من الفصول لانها لا تتغير في تلك البلاد لان تغيرات الهواء ولا سيما الفصول هي التي تسبب الامراض

وخبزهم يقال لهُ كيلستيس ويصنعونهُ من الحنطة الحمراء واذ ليس في بلادهم عنب يشربون الجعة «١» وياكلون السمك نيئًا مجففًا بالشمس او مكبوسًا بماء

١ الجعة هي البيرة وقولهُ ليس في بلادهم عنب يراد بهِ البلاد التي يزرعونها قمحًا هكذا استنتج بعض العلماء لانهُ معروف ان العنب موجود في مصر قبل عهد هيرودوتس كما ورد في سفر العدد ( ٢٠ : ٥ )

الملح ويأكلون نيئًا ايضًا لحم السلوى والبط وبعض العصافير بعد ان يملحوه وبالجملة فانهم يأكلون من كل انواع الطيور والاسماك الموجودة عندهم مشوية او مسلوقة الّا المقدسة

❋ ٧٨ ❋ وفي الولائم التي يصنعها الاغنياء يحملون بعد الطعام شخصًا منحوتًا من الخشب نحتًا متقنًا وملونًا بالوان مختلفة كانهُ شخص ميت ويضعونهُ في نعش ويطوفون بهِ حول القاعة ويكون طولهُ من ذراع الى ذراعين ويرونهُ لكل من المدعوين بالدور ويقولون انظر الى هذا الرجل ستكون مثلهُ بعد موتك فاشرب الان وفرج همومك

❋ ٧٩ ❋ واذ يكتفون بالاغاني المأخوذة عن اسلافهم لا يزيدون عليها شيئًا وكثير منها وضعها محمود ولاسيما التي يغنونها في فينيقية وقبرص وغيرهما ولها اسماء مختلفة باختلاف الامم وقد صـــار الاجماع على انها نفس التي يسميها الاغارقة لينوس واعتادوا ان يغنوها .

وبين الامور الكثيرة التي اتعجب منها في مصراني ما عرفت من اين اتخذ المصريون هذه الاغنية المسماة لينوس واظن انها قديمة عندهم ويسمونها مانيروس ويقولون ان مانيروس كان ابنًا وحيدًا لاول ملوكهم فمات فتيًا فانشدوا لاجلهِ ذلك اللحن المحزن وان هذه الاغنية هي وحدها اول اغنية وجدت عندهم

❋ ٨٠ ❋ وليس بين الاغارقة من يوافق المصريين على اكرام الشبان للشيوخ الا اللقدمونيون فاذا صادف الشاب شيخًا يحيد من طريقهِ وينعطف عنهُ واذا اتى شيخ مكانًا فيهِ شاب يقف لهُ الشاب . وسائر الاغارقة ليست عندهم هذه العادة

والمصريون اذا تلاقوا لا يسلمون بالكلام بل يظهرون احترامًا شديدًا بخفض اليد الى الركبة

❋ ٨١ ❋ وثيابهم من كتان يجعلون لها اهدابًا حول الساق ويسمونها كلاسيرس ويلتفون فوقها بجبة صوف بيضاء ولكن في الهياكل لا يلبسون هذه الجبة ولا يدفنونها مع الثوب الاصلي هكذا هي سنة الديانة وهذا مطابق للاحتفالات

الاورفية «١» وتسمى باخوسية وهي نفس المصرية والفيثاغورية والحاصل انهُ لا يسمح ان تدفن ثياب صوف مع ميت كان لهُ دخل في هذه الاسرار والحجة التي يحتجون بها يسندونها الى الديانة

﴿ ٨٢ ﴾ ومن جملة الاشياء التي ابتدعها المصريون انهم تصوّروا الاي الهٍ يختص كل شهر وكل يوم من الشهر . وهم الذين يخبرون الانسان بما يجري عليهِ في حياتهِ وما يصير اليهِ وكيف يموت وذلك بمجرد معرفتهم يوم مولدهِ . وشعراء الاغارقة استعملوا هذا الفن لكن المصريين ابتدعوا غرائب اكثر من سائر الامم واذا حدث من ذلك شيء يكتبونهُ ويلاحظون الحادث الذي يأتي بعدهُ . فاذا حدث امر لهُ اقل مشابهة بتلك الاعجوبة يوكدون ان عاقبتهُ تكون كعاقبتها

﴿ ٨٣ ﴾ وليس احد من المصريين يتعاطى فن العرافة وهو لا ينسب الا الى الالهة ففي تلك البلاد اماكن لهبوط الوحي من قبل هرقليس وابلون ومينرفة وذيانة والمريخ وجوبيتر وكلهم يحترمون بزيادة نبوّة لاتونة في مدينة بوتو وهذه الطرائق من التنبيء ليست قوانينها واحدة ويختلف بعضها عن بعض

﴿ ٨٤ ﴾ وفن الطب موزَّع بينهم توزيعًا مبنيًّا على الحكمة . حتى ان كل طبيب لا يتعاطى الا فرعًا واحدًا من فروع الطب لا اكثر والاطباء هناك كثيرون جدًّا فمنهم للعيون ومنهم للراس ومنهم للاسنان ومنهم لامراض البطن وما يجاورهُ من الاعضاء ومنهم للامراض الداخلية

﴿ ٨٥ ﴾ واما طريقة الحداد والجنازة فكما يأتي . اذا مات رجل ذو اعتبار فكل نساء بيتهِ يغطين رؤُسهن واوجههن بالوحل ويتركن الميت في البيت ويكشفن صدورهن ويحزمن على ثيابهن زنارًا ويطفن في الشوارع قارعات

١ نسبة الى اورفيوس وهو مغنٍ حاذق ثراقي كان قبل حرب ترواده بقرن ودخل مصر وماتت امرأتهُ هناك من لدغ حية . قيل في الحكاية فنزل الى الجحيم وسأل بلوتون ان يردها اليهِ فسمح لهُ بها على ان لا ينظر اليها قبل ان تخرج من الجحيم لكنهُ نظر اليها فاعيدت وحزن عليها حزنًا شديدًا وكان يسيح في الغابات وينشد الاغاني المحزنة حتى كانت الوحوش تأتي وتسمع نغماتهِ ﴿ ح ﴾

الصدور ويصحبهن اقاربهن وكذلك الرجال يحزمون ثيابهم بالزنار ويقرعون الصدور وبعد ذلك يوخذ الميت الى مكان التحنيط ويحنط

❊ ٨٦ ❊ وفي مصر اشخاص مخصوصون بالتحنيط بموجب قوانين الشريعة وتكون هذه مهنتهم فاذا اتى اليهم بميت يرون الآتين به نموذجات اموات من خشب مدهون او على طبيعته والمرغوب منها اكثر من الكل هو على ما يقال مثال من لا اتصل بالتدقيق الى ذكر اسمه «١» ودونه مثال آخر وهو لا يكلف نفقة كثيرة ثم ثالث ارخص من الاولين «٢» ثم يسالون اصحاب الميت على اي مثال يريدون ان يحنطوا ميتهم ثم يتفقون على الاجرة وينصرف اهل الميت ويشتغل المحنطون في منازلهم وطريقة التحنيط من الدرجة الاولى هي كما ياتي

اولاً يستخرجون المخ من الانف قسماً بحديدة عقفاء وقسماً بواسطة ادوية يدخلونها في الراس . ثم يشقون الخاصرة بحجر حبشي حاد ويستخرجون الامعاء ويغسلونها ويروونها بخمر النخل ثم في اطياب مسحوقة ويملأون البطن مرًّا مسحوقاً ناعماً ويكون من النوع النقي ثم في مسحوق القرفة وبعض اطياب الا البخور ثم يخيطون الشق وبعد ذلك يملحون الجثة بان يدهنوها بالنطرون ويبقونها سبعين يوماً ولا يجوز لمن تبقى في الملح المذكور اكثر من هذه المدة وبعد انقضاء هذه المدة يغسلونها ويلفونها بلفائف قطنية مصمغة بالصمغ العربي وهم يستعملون هذا الصمغ غراء . ثم ياخذ الجثة اهل الميت ويصنعون لها بيتاً من خشب على شكلها ويضعونها فيه ويجعلونها في قاعة معدة لهذه الغاية يوقفونها منتصبة على الحائط فهذه هي افخر طريقة للتحنيط

❊ ٨٧ ❊ والذين لا يريدون كثرة النفقة يختارون الطريقة الاتية

١ لا بد ان يكون تمثال احد الالهة وربما كان اوسيريس كما هو راي افيثاغوراس ومن المعلوم ان ايسيس كانت تحمل جسد زوجها اوسيريس اينما مضت وهذا دليل على انه كان محنطاً ❊ل❊

٢ قيمة النفقة في الطريقة الاولى وزنة فضة عبارة عن ٥٤٠٠ غرش وفي الثانية عشرون مناً اي ١٨٠٠ غرش وفي الثالثة مبلغ حقير ❊ل❊

يملأُون حقنًا من دهن يستخرجونهُ من الارز ويحقنون بهِ جوف الميت من غير ان يشقوه ويخرجوا الامعاء منهُ وبعد ان يملأُوا الجوف من الدهن المذكور يسدون المخرج لئلا يخرج الدهن ثم يجعلون الجثة في الملح سبعين يومًا كما في الطريقة الاول وآخر يوم يخرون الدهن من الجوف وهو شديد القوة حتى يحل الكرش والاحشاء فتخرج معهُ والنطرون يذيب اللحم فلا يبقى من الجثة الا العظم والجلد وبعد هذه العملية يرجعون الميت الى اهلهِ ولا يعملون بهِ شيئًا اخر

﴿ ٨٨ ﴾ واما الطريقة الثالثة فلا يستعملونها الا للفقراء وذلك انهم يحقنون الجثة بسائل يسمونهُ سرمايا ويضعونها في النطرون سبعين يومًا ثم يرجعونها لمن اتوا بها

﴿ ٨٩ ﴾ واما النساء ذوات الشرف فاذا ماتت احداهن فلا يسلمونها الى المحنطين حالاً وكذلك اذا كانت جميلة او ذات اعتبار ويسلمونهم اياها بعد ثلثة او اربعة ايام وما ذاك الا حذرًا من ان المحنطين يخشون بها ويقولون انهم فاجأُوا بعضهم يفعل ذلك بامراة حديثة العهد بالوفاة وذلك بشكاية واحد من المحنطين

﴿ ٩٠ ﴾ واذا وجدت جثة ميت مصري او اجنبي سواء كان التمساح قد اغتالهُ او غرق في النهر فالمدينة التي يوجد في ارضها تلتزم ان تحنطهُ بافخر طريقة وتدفنهُ في قبر مقدس ولا يسمح لاحد من اقاربه او اصحابه ان يلمسهُ لكن لكهنة النيل فقط هذا الامتياز «١» فانهم يدفنونهُ بايديهم كانهُ شيء اعظم من جثة انسان

﴿ ٩١ ﴾ والمصريون يبتعدون كثيرًا عن عادات الاغارقة وبالاختصار

١ كان المصريون يعبدون النيل واقاموا لهُ هياكل من جملتها هيكل فاخر في نيلوبوليس وهي مدينة في مقاطعة ارقادية المصرية ولا شك انهُ كان لهُ هياكل في غيرها ومن المحقق على ما يظهر من كلام هيرودوتس انهُ كان لهُ كهنة في كل المدن القائمة على ضفتيهِ وعلى ما يظهر كانوا يقدمون لهُ نوعًا من العبادة في كل المدن *ل*

عن عادات سائر الناس وهذا الابتعاد يظهر ايضاً في كل مصر الاّ مدينة خميس «١» وهي مدينة عظيمة في الصعيد قرب نيابوليس حيث يوجد هيكل لبرساوس ابن ذاناي . وهذا الهيكل مربع الشكل يحدق به النخيل ودهليزه متسع مبني بالحجر وفي اعلاه تمثالان كبيران من حجر وضمن السور المقدس يوجد الهيكل وفيه تمثال برساوس . واهل خميس يقولون ان هذا البطل يظهر غالباً في البلاد وفي الهيكل وانهم يجدون مراراً احدى نعليه وطولها ذراعان وبعد ظهورها يكون الخصب والربع في كل مصر واكراماً له يحتفلون على طريقة الاغارقة بالعاب رياضية وهي احسن كل الالعاب والجوائز التي تعطى فيها هي من المواشي والجباب والجلود

وسالتهم يوماً لماذا يظهر برساوس عندهم وحدهم ولماذا هم فقط بين المصريين يحتفلون بالالعاب الرياضية فاجابوني ان برساوس اصله من مدينتهم وان ذاناوس ولينكوس اللذين سافرا الى اغريقية ولدا في خميس ثم بينوا لي نسب ذاناوس ولينكوس حتى انتهوا نزولاً الى برساوس وقالوا ايضاً ان برساوس قدم مصر لكي ياخذ من ليبيا راس غرغونة «٢» وهكذا يقول الاغارقة ايضاً فمر بمدينتهم وعرف كل اقربائه ولما وصل الى مصر كان يعرف اسم خميس من كلام امه وانهم بامره كانوا يحتفلون بالالعاب الرياضية اكراماً له

❊ ٩٢ ❊ والمصريون القاطنون فوق المستنقعات يحفظون كل هذه العادات «٣» واما القاطنون في القسم الذي فيه المستنقعات فيتبعون نفس عادات سائر المصريين ومن جملتها ان الواحد منهم لا يتخذ الا زوجة واحدة كما يفعل

١ اوخميس والمصريون كانوا يسمونها خمو وهي نفس بانو بوليس اي مدينة الاله (بان) وهو اوسيريس واسمها اليوم اخميم واقعة على الضفة اليمنى من النيل بين بتولمايد وانطيو بوليس وتجاه كروكوذيلو بوليس اي مدينة التمساح وهي مدينة الفيوم الحالية ❊ ح ❊

٢ احدى الغرغونات وهي على ما في الحكاية وحوش اناث سواحر لهنّ عين واحدة وسطرهنّ مكرب جدّاً وكل من نظر اليهنّ استحال حجراً . ومنهنّ كانت ميدوسة التي قطع راسها برساوس وخلص البلاد منهنّ جميعاً بمساعدة مينرفة وكان مقامهنّ في بستان هسبريدة في جوار اعمدة هرقليس ❊ ح ❊

٣ المراد هنا بالعادات المذكورة آنفاً فلا تدخل فيها عادة اهل خميس ❊ ل ❊

الاغارقة

واما من جهة الاطعمة فقد اخترعوا وسائط لتحصيلها بسهولة فاذا بلغ فيض النهر معظمهُ وصارت الارض مثل بحر يظهر في وسط الماء كمية كبيرة من زنبق يسميهِ المصريون حندقوقى«١» فهم يجنونهُ ويجففونهُ بالشمس ثم ياخذون بزرهُ وهو كبزر الخشخاش ويوجد في وسط الزهرة فيطحنونهُ ويعملون منهُ خبزًا يخبزونهُ على النار وياكلون ايضًا جذور هذا النبات وهي حلوة لذيذة الطعم مستديرة حجمها كالتفاح ومن الزنبق نوع آخر يشبه الورد ينبت ايضًا في النيل وثمرهُ يشبه كثيرًا كور الزنبور يجنونهُ من ساق تخرج من الجذر وينبت قرب الساق الاخرى وفيهِ بزور كثيرة طيبة حجمها مثل نواة الزيتون ياكلونها خضراء او يابسة

واما البردي فهو نبت حَوْلِيٌّ يقتلعونهُ من المناقع ويقطعون جزءهُ الاعلى يستعلونهُ في اشياء مختلفة واما الجزء الاسفل اي الذي يبقى من النبت ويكون طولهُ نحو ذراع فياكلونهُ نيئًا او يبيعونهُ . والذين يريدون ان يطيبوا هذا الطعام يشوونهُ في فرن محتدم ومنهم من يعيشون بالسمك فقط يجوّفونهُ ويجففونهُ بالشمس ومتى جف ياكلونهُ

§ ٩٣ § وفي فروع النيل المختلفة توجد انواع من السمك الذي يمشي اسرابًا وهو ينمو في الغدران وحينما يبتدئ فيهِ شعور المخالطة الجنسية ويحين وقت التوليد يذهب الى البحر اسرابًا تمشي الذكور قدام الاناث وتنشر في طريقها السائل المنويّ وتكون الاناث وراءها فتبتلعهُ وبهذه الطريقة يكون العلوق فمتى حدث التوليد في البحر يعود السمك الى النهر ليرجع كلٌّ من الجنسين الى مسكنهِ الاصلي وحينئذٍ لا تكون الذكور متقدمة على الاناث بل الاناث تكون قدام الذكور وبينما الجميع في الطريق تعمل الاناث ما عملت الذكور سابقًا اي تطرح سرءها ويكون في حجم الدخن والذكور تكون وراءها فتبتلعهُ وكل هذه البزور هي اسماك

---

١ في الاصل لوتوس وهو يطلق على الحندقوقى الشبيه بالزنبق وهو المراد هنا وعلى شجر السدر الذي يقال لثمره النبق * ح *

صغيرة وما يبقى عن الذكور ينمو ويصير سمكًا

فاذا اخذ من هذه الاسماك وهي ذاهبة الى البحر يرى ان رؤوسها تخدشت من الجانب الايسر واما التي تصعد من البحر فتخدش رؤوسها من الجانب الايمن والسبب في ذلك حتى ينبذها بها الى البحر تلاصق البرّ من جهة اليسار وبايابها تدنو من الشاطئ نفسهِ وتلامسهُ وتستند اليهِ بمقدار ما تستطيع لئلاَّ يحولها عنف جري الماء عن طريقها وحين يبتدئ النيل بالزيادة تتسرّب المياه في خلال الارض وتملأ الخنادق والبرك التي قرب النهر وحالما تمتلئ ترى فيها كميات وافرة جدًّا كدبيب النمل من الاسماك الصغيرة. ولكن ما هو السبب الحقيقي لتولدها. اظن اني اعرفهُ

وذلك انهُ حينما ينحسر النيل فالاسماك التي تكون قد سرّأت في الوحل في السنة الماضية تذهب مع بقية المياه المتراجعة ففي السنة الجديدة حينما يتجدد فيض النيل فالسرء المذكور ياخذ بالفقس ويصير كلهُ سمكًا صغارًا

✻ ٩٤ ✻ والمصريون القاطنون في المستنقعات يستخدمون زيتًا يستخرج من ثمر يسمونهُ قيقي. وطريقة استخراجهِ هكذا. يزرعون نباتهُ المسمى سيليكيريون على ضفاف فروع النيل وشواطئ الغدران. اما في اغريقية فهذا النبات ينبت من نفسهِ واما في مصر فيزرعونهُ ويحمل كميات وافرة من ثمر شديدة الرائحة وبعد ان يجنوها فبعضهم يهرسها ويعصر زيتها وبعضهم يغليها بعد ان يشويها فينفصل منها الزيت فيجمعونهُ وهو سائل دهنيّ يصلح للاستصباح كزيت الزيتون ولكن رائحتهُ قوية وكريهة

✻ ٩٥ ✻ والبعوض في مصر يكون بكثرة عجيبة وقد وجد المصريون طريقة لدفع ثقلتهِ فالقاطنون فوق المناقع يستترون من البعوض بان يناموا فوق ابراج فالريح تمنع البعوض ان يطير الى هذا العلو. والقاطنون في المناقع اخترعوا طريقة اخرى فليس احد منهم الاَّ وعنده شبكة يستعملها في النهار لصيد السمك وفي الليل ينشرها حول فراشهِ ويدخل ضمنها وينام فاذا اراد ان ينام بثيابهِ او يلتف بشرشف يؤذيهِ البعوض بلذعهِ واما داخل الشبكة فلا يحاول ان يدخل

❊ ٩٦ ❊ ويصنعون سفن النقل من العضاه وهو يشبه سدر القيروان ويخرج منهُ سائل يصير صمغًا فياخذون من هذه الشجرة الواحًا طولها نحو ذراعين ويصفّونها كما يُصَفّ القرميد ويثبتونها بخوابير متينة طويلة ويضعون على وجهها خشبات ولا يستخدمون اساسًا ولا اضلاعًا لكن يثبتون مجموع هذه الاخشاب من الداخل برُبط من البرديّ ثم يصنعون دفّة ويخرجونها من اسفل السفينة ثم صاريًا من العضاه وقلوعًا من البردي

وهذه السفن لا تقدر ان تصعد في النهر مالم تقذفها ريح قوية ولذلك يلتزمون ان يجروها من فوق الشاطئ ، واما طريقة النزول بها فهي هذه . يصنعون طبقًا من الوزّال يحبكونهُ بالأسل وياخذون حجرًا مثقوبًا وزنهُ نحو وزنتين ويعلقون الطبق بحبل في مقدم السفينة ويتركونهُ يجري بمجرى الماء . ويعلقون الحجر بحبل آخر في المؤخر فالطبق بواسطة سرعة جري الماء يجر السفينة والحجر الذي في المؤخر يغرق في الماء وتكون منفعتهُ قانونية مجرى السفينة . وعندهم كثير من هذه السفن وبعضها يحمل شحنًا وزنهُ الوف من الوزنات

❊ ٩٧ ❊ واذا طمى النيل وغمر الارض لا تعود ترى الّا المدن قائمة فوق الماء كانها جزر مثل الجزر التي في بحر ايجيوس «١» فتكون مصر كلها اشبه ببحر كبير اذا قطعنا النظر عن المدن . وفي كل مدة الفيض لا يركبون السفن في ترع النيل فقط بل في كل مكان من ذلك السهل المائي . فالذين يصعدون من نوكراتيس «٢» الى منف يبتدئون من عند الاهرام ومع ذلك فليس من هناك السفر الاعتيادي في الماء لكن من رأس الدلتا ومن مدينة قرقسورة واذا ذهبت من البحر ومن قنوب بالسهل الى نوكراتيس تمر بقرب مدينتي انثيلة وارخندرة

❊ ٩٨ ❊ وانثيلة مدينة عظيمة وهي دائمًا قسم من مداخيل نساء ملوك مصر ومخصوصة بهنّ لاجل الاحذية وهذه العادة شاعت منذ استولى الفرس على

---

١ ارخبيل اليونان *ح*

٢ مدينة من مصر السفلى على الفرع القنوبي وهي المدينة الوحيدة التي كان يسمح للاجانب ان يدخلوا ميناها ولعلها فوة الحالية *ح*

هذه المدينة . ومدينة ارخندرة يظهر لي انها سميت باسم ارخندروس فثيا صهر ذاناوس وابن اخايوس «١» وربما وجدت ارخندرة اخرى لكن المؤكد ان هذا الاسم ليس مصريًا

☙ ٩٩ ❧ كل ما قلتهُ حتى الان هو ما رأيتهُ وعلمتهُ بنفسي او استفدتهُ بابحاثي فالان اتكلم عن هذه البلاد بحسب ما قال لي المصريون وازيد على هذا الخبر بعض امور رأيتها بنفسي

فقد قال الكهنة ان ميناس اول ملوك مصر عمل سدودًا في منف وكان النهر الى زمن ملكهِ يجري كلهُ على محاذاة جبل رملي من جهة ليبيا فملأ ميناس العطفة التي يولفها النيل من جهة الجنوب وبنى سدًّا فوق منف على مسافة نحو مئة استادة وبذلك جف مجراه الاصلي واتخذ مجرًى جديدًا حتى يكون جريهُ بين الجبال على مسافة متساوية . وحتى الان اي في زمن تملك الفرس لهم اهتمام خاص بعطفة النيل المذكورة التي تجري مياهها بسبب السدود في جهة اخرى وهم عازمون ان يقوّوا السدود كل سنة فاذا خرق النهر السدود وصار يجري من تلك الجهة طاميًا على الارض تكون منف في خطر من الغرق

وعلى قول الكهنة ان ميناس هذا ملكهم الاول بنى المدينة المسماة الان منف في نفس المكان الذي حوّل فيهِ مجرى النهر وصيره يابسة لان هذه المدينة واقعة في الجهة الضيقة من مصر . وهو ايضًا الذي حفر بحيرة الى الشمال والغرب من منف تنصبُّ اليها مياه النهر ولم يقدر ان يحفرها في جهة الشرق لان النهر يعارض العمل . ثم اقام في المدينة المذكورة هيكلًا كبيرًا فاخرًا للاله فلكانوس

١ فثيا مدينة في تساليا وقاعدة بلاد فثيوتيذة وذاناوس ملك ارغوس وهو الذي كان عندهُ خمسون بنتًا اخوات وكان لاخيهِ اجبتوس ملك مصر خمسون ولدًا اخوة فاراد ان يزوج اولاده بنات اخيهِ فامتنعن من هذا الزواج القبيح غيران اجبتوس ارسل بنيهِ مع جيش فاضطر ذاناوس ان يجيبهم لكنهُ اسرَّ الى بناتهِ ان يذبحنهم اول دخولهم عليهن ففعلن الا واحدة منهنَّ احبت بعلها فابقت عليهِ واسمهُ لينكيوس . وغضب جوبيتر على الذانائيدة فالزمهنَّ ان يمكثن في الجحيم ليملأن برميلًا مثقوب القعر

❋ ١٠٠ ❋ وقرأ لي الكهنة في تواريخ سنيهم اسماء ثلاثمائة وثلاثين ملكًا قاموا بعد ميناس وفي عدد هذا النسب الطويل يوجد ثمانية عشر ملكًا حبشيًا وملكة واحدة مصرية والاخرون كلهم كانوا رجالاً مصريين وهذه المرأة التي ملكت مصر كان اسمها نيتوكريس كاسم ملكة بابل . فاخبروني ان المصريين قتلوا اخاها الذي كان ملكًا قبلها وملكوها فحينئذٍ حاولت الاخذ بثار اخيها فقتلت بالحيلة جمًّا غفيرًا من المصريين . وذلك انها امرت ان يعمل تحت الارض منزل كبير مدعية في الظاهر انهُ لاجل الولائم ولكن مقصدها الحقيقي غير هذا فدعت الى وليمة في ذلك المنزل جمًّا غفيرًا من المصريين تعلم انهم خواص الذين قتلوا اخاها وبينما هم على المائدة ادخلت ماء النهر بمجرًى سرّيّ كبير . ولم يقولوا غير هذا عن هذه الملكة الاَّ انها دخلت منزلاً بعد العمل وقد حثت الرماد على جسمها لكي تنجو من نقمة الشعب

❋ ١٠١ ❋ وقال لي الكهنة لم يكن من هؤلاء الملوك واحد امتاز باعمال عظيمة ولا باثر جليل الاَّ موريس وهو آخرهم فانهُ اشتهر بآثار كثيرة فانهُ بنى دهليز هيكل فلكانوس الذي الى جهة الشمال وحفر بحيرة ساذكر مساحتها فيما بعد وانهُ انشأ اهرامًا ساذكر كبرها حينما آتي على ذكر البحيرة . واخبروني ان ذلك الملك عمل كل هذه الاعمال وان الاخرين لم يبقوا لخلفهم اثرًا يذكر ولذلك اضرب صفحًا عن ذكرهم واكتفي بذكر سيسوستريس الذي قام بعدهم

❋ ١٠٢ ❋ ذكر الكهنة ان هذا الملك هو اول من سافر من الخليج العربي بسفن طويلة واخضع الامم القاطنة في سواحل بحر اريثرية وتقدم بحرًا مسافة بعيدة حتى انتهى الى بحر لا يمكن السفر فيهِ لان في قعرهِ صخورًا وهضابًا تمنع مسير السفن

قال الكهنة ومن هناك عاد الى مصر وجيّش جيشًا كثيفًا وتقدم بهِ برًّا فاخضع كل الامم التي وجدت في طريقهِ وكان اذا التقى بامة موصوفة بالشجاعة ومفتخرة بحريتها يخضعها ويحفر على اساطين يقيمها في بلادها كتابة تدل على اسمهِ واسم بلادهِ وانهُ غلب هذه الامة بقوة السلاح . واما البلاد التي كان يتغلب عليها بسهولة وبلا

حرب فكان يقيم فيها اساطين عليها كتابة محفورة على ما ذكر لكن كان يزيد على ذلك رسم عورة المرأة رمزًا الى جبن تلك الامة وقلة نخوتها «١»

﴿ ١٠٣ ﴾ وفي اثناء تجوّلهِ هكذا في البلاد اجتاز من اسيا الى اوربا واخضع السكيثة والثراقيين لكن اظن ان العسكر المصري لم يتقدم اكثر من ذلك لانهُ يرى ما اقامهُ من الاساطين في بلاد هاتين الامتين ولا يرى شيء منها فيما وراءها . ثم رجع في طريقهِ الى ان وصل الى ضفاف نهر فاسس «٢» فلا اقدر ان اثبت هل ابقى هناك طائفة من عسكره ليزرعوا الارض او ان بعض العسكر اذ ملّوا طول المشقة مكثوا على ضفاف ذلك النهر

﴿ ١٠٤ ﴾ ومهما يكن من الامر فان اهل كلخيدة يظهر انهم من اصل مصري وقد لاح لي ذلك قبل ان سمعت خبرهم من غيري لكن اذ كنت احبُّ الوقوف على ذلك سالت هاتين الامتين واهل كلخيدة يذكرون المصريين احسن مما يذكرهم المصريون

فالمصريون يظنون ان اهل كلخيدة هم من سلالة طائفة من جيوش سيسوستريس وكنت انا ايضًا اخمن ذلك بدليلين الاول انهم سود الالوان وشعرهم جعد وهذا الدليل ملتبس لان غيرامم تشابهم في هذا المعنى . والدليل الثاني وهو الاصلي هو ان الكلخيديين والمصريين والحبشة هم وحدهم من الامم عندهم عادة الختان منذ زمان قديم جدًا . والفينيقيون وسوريو فلسطين متفقون على انهم اتخذوا عادة الختان من المصريين . واما السوريون القاطنون على ضفاف ترمودون وبرثانيوس «٣» وجيرانهم المكرونة فيعترفون انهم اتخذوا هذه السنة من

---

١ وذكر ديودورس الصقلي انهُ كان يزيد على الكتابة عند الامة القوية رسم عورة الرجل *ل*

٢ نهر في كلخيدة مخرجهُ من ارمينية كان مجراه من الشرق الى الغرب ومصبهُ في بحر بنطس *ح*

٣ اما ترمودون فهو نهر طرمة الحالي في بلاد بنطس يجري من الجنوب الى الشمال كان يشق البلاد السهلية التي كان الامازونة تعسكر فيها . واما برثانيوس فهو نهر برتين الحالي في بلاد اناطولي مخرجهُ قرب قره جور ومصبهُ في البحر الاسود *ح*

الكلخيذيين منذ عهد قريب

فهولاء الشعوب اذن هم وحدهم يختتنون وايضاً يظهر من ذلك انهم انما يقتدون بالمصريين

واذ كان الختان معروفاً عند المصريين والحبشة من اقدم الازمنة على ما يظهر كان يصعب عليَّ ان أعرف اية الامتين اخذته عن الاخرى «١»

واما هولاء الشعوب «٢» فانهم اتخذوه من المصريين بداعي المواصلة التجارية التي كانت بينهم . واعتمد في مذهبي هذا على ان الفينيقيين الذين يخالطون الاغارقة تركوا هذه العادة التي اقتبسوها من المصريين وهي ان يختنوا اطفالهم

* ١٠٥ * ولكن هنا وجه آخر من المشابهة بين هذه الشعوب فانهم وحدهم يشتغلون الكتان بطريقة واحدة ومعيشتهم ايضاً واحدة ولغتهم واحدة فالاغارقة يسمون الكتان الذي يأتيهم من كلخيذة سردونيا «٣» والذي يأتيهم من مصر مصريًّا

* ١٠٦ * واكثر الاساطين التي اقامها سيسوستريس في البلاد التي تغلب عليها لا يوجد الآن على اني رايت بعضها في فلسطين سورية ورايت عليها رسم عورة المراة والكتابة التي ذكرتها آنفًا

وفي جهة يونية ايضًا تمثالان لهذا الملك منحوتان في الصخر الواحد في الطريق بين افسس وفوقية والآخر في الطريق بين سرديس وازمير وكلاهما يمثلان رجلًا علوه خمسة اشبار في يده اليمنى حربة وفي اليسرى قوس وبقية سلاحه هي ايضًا مصرية وحبشية وعلى الصدر من كتف الى اخرى محفورة كتابة بحروف مصرية

---

والمراد بهولاء القوم الكبادوكيون المذكورون في الفقرة ٧٢ من الكتاب الاول * ل *

١ من المحقق ان اهل مصر العليا كانوا من الحبشة وعادات قدماء المصريين كانت تشبه عادات الحبشة كثيرًا فيغلب الظن ان الختان اصله من الحبشة وربما اضطروا اليه لاسباب صحية *ل*

٢ اي الكلخيذيون والفينيقيون والسوريون الذين ذكرهم آنفًا *ل*

٣ هذه النسبة الى جزيرة سردانيا لان الظاهر ان هذا الكتان كان ياتي عن طريق سردانيا او ان اهلها كانوا يأتون به * ح *

مقدسة هذا مؤداها « فتحت هذه البلاد بقوة ذراعي » لكن سيوستريس لا يذكر هنا لا من هو ولا من اي بلاد هو وقد ذكر ذلك في غير مكان . وبعض الذين امعنوا النظر في الصورة المذكورة يظنون انها صورة الملك ممنون لكنهم بعيدون عن الحقيقة

✱ ١٠٧ ✱ وقال لي الكهنة ايضاً ان سيسوستريس بينما كان راجعاً الى مصر وبصحبته عدد غفير من الاسرى من الامم التي تغلب عليها وصل الى دفنة البيلوسية فخرج له اخوه وكان قد اقامه نائباً عنه في المملكة ودعاه واولاده ان ينزل عنده وجمع حول البيت مواد قابلة الاشتعال واحرقها فحالما عرف سيسوستريس بذلك تحدث مع امراته وكان قد اخذها معه في ما يكون التدبير فاشارت عليه ان يلقي اثنين من اولاده الستة على المحرقة ليكونا بمثابة جسر ويجتاز الباقون عليه فينجون فاستصوب سيسوستريس رايها وهكذا احترق الولدان ونجا الباقون

✱ ١٠٨ ✱ وقال الكهنة ايضاً انه بعد ما دخل مصر وانتقم من اخيه استخدم الاسرى الذين اتى بهم من البلاد التي فتحها لان يجروا الى هيكل فلكانوس هذه الحجارة الضخمة الباقية الى الآن . وان هولاء الاسرى ايضاً جبروهم ان يحفروا الخنادق والترع المقطعة بها ارض مصر . وقبل هذه الاعمال التي عملوها مرغمين كانت الخيل والمركبات تسير في ارض مصر ولكن بعد ذلك صار لا يمكن للخيل ولا للمركبات ان تسير في البلاد وان كانت مستسهلة متواصلة لكثرة الترع التي فيها في كل جهة وعلى خطوط مختلفة

وهذا الملك انما حفرها لان النهر كان كلما تراجعت مياهه تبقى المدن البعيدة عن ضفته الواقعة في وسط البلاد تفتقر كثيرًا الى الماء اذ لا يبقى عندهم للشرب الا مياه الآبار المالحة

✱ ١٠٩ ✱ وقال لي الكهنة ايضاً ان هذا الملك نفسه قسّم ارض مصر فعين لكل مصري قطعة مربعة تخرج له بالقرعة . على ان يودي اليه كل سنة شيئاً من الخراج بحسب مدخوله منها . واذا اتلف النهر حصة من قطعة احد يمضي الى الملك ويخبره فيرسل الملك مساحين يعلمون مقدار الذي تلف

حتى لا يودّي من قيمة الخراج الا بالنسبة الى مدخول الباقي وهذا على ما اظن اصل المساحة التي انتقلت من مصر الى اغريقية •

واما من جهة عمود الظل القطبي اي الساعة الشمسية وقسمة اليوم الى اثني عشر قسماً فهذا اخذهُ الاغارقة عن اهل بابل

☼ ١١٠ ☼ وسيسوستريس هو الملك الوحيد من ملوك مصر الذي ملك على بلاد الحبش وهذا الملك ابقى تماثيل حجرية امام هيكل فلكانوس تذكاراً نجاتهِ من الخطر . وكان فيها تمثالان علو الواحد منهما ثلاثون ذراعاً احدهما يمثلهُ والآخر يمثل امرأتهُ واربعة ارتفاع الواحد منها عشرون ذراعاً تمثل اولاده الاربعة

وبعد مدة طويلة لما اراد دارا ملك الفرس ان يضع تمثالهُ قدام هذه التماثيل اعترضهُ الكاهن الاعظم من كهنة فلكانوس بحجة انهُ لم يعمل من الاعمال العظيمة ما عمل سيسوستريس . وانهُ وان كان قد اخضع امماً كثيرة لم يقدر ان يتغلب على السكيثة كما فعل سيسوستريس وبناء على ذلك لا يكون من العدل ان يوضع امام تماثيل سيسوستريس تمثال ملك لم يفق عليهِ باعمالهِ . فيقال ان دارا صفح للكاهن عن هذه الجسارة الناتجة عن الشهامة

☼ ١١١ ☼ واخبرني الكهنة انهُ بعد موت سيسوستريس تولى الملك ابنهُ فيرون وهذا الملك لم يغز غزوة بعسكره وانهُ عمي بالسبب الآتي ذكرهُ . وذلك ان النيل فاض في وقتهِ فيضاً عظيماً حتى زاد ثماني عشرة ذراعاً وغرّق كل البلاد وعصفت ريح شديدة اضطربت بها المياه اضطراباً عظيماً فاقبل فيرون بجسارة مجنون ورمى بحربتهِ في لجج المياه وعلى اثر ذلك اصابهُ في عينيهِ مرض فجائي وعمي . وبقي هكذا عشر سنوات وفي السنة الحادية عشرة اتوه بجواب من كهانة بوتو يعلمونهُ بهِ ان مدة عقوبتهِ قد انتهت وانهُ يبصر اذا غسل عينيهِ ببول امرأة لم يعرفها احد الاّ رجلها . فامتحن فيرون اولاً بول زوجتهِ فلم يستفد ثم صار يمتحن بول عدة نساء الواحدة بعد الاخرى الى ان ابصر ببول واحدة فجمع في مدينة يسمونها اريثروبولس كل النساء اللواتي امتحن بولهن الا التي شفي ببولها واحرقهن جميعاً مع المدينة وتزوج بالتي كان شفاؤهُ على يدها

وبعد ان ابصر ارسل الهدايا الى كل الهياكل المشهورة واصطنع لهيكل الشمس مسلتين عظيمتين تشخصان النمكر فارتفاع كل منهما مئة ذراع وعرضها ثمان وكل منهما حجر واحد

١١٢ وقال لي الكهنة ايضاً ان فيرون خلفهُ رجل من اهل البلاد اسمهُ ممفيس . والاغارقة يسمونهُ بلسانهم بروتيوس . فيشاهد في منف الى الان محل فاخر كثير الزينة موقوف لهُ وهذا المحل هو الى جنوب هيكل فلكانوس ويسكن في جواره وحولهُ قوم من فينيقيي صور وكل تلك الحارة يقال لها منزل الصوريين وفي المحل الموقوف لبروتيوس معبد موقوف للزهرة الملقبة بالغريبة واظن ان هذه الزهرة هي هيلانة بنت تنداريس وما سبب ظني هذا لاني سمعت فقط ان هيلانة اقامت زمانا في دار بروتيوس بل ايضاً لان هذا المعبد مسمى باسم الزهرة الغريبة لانهُ بين كل الهياكل الاخرى التي للزهرة ليس واحد مسمى بهذا الاسم

١١٣ ولما سألت الكهنة عن خبر هيلانة اجابوني ان اسكندر «١» بعد ان سباها من اسبرطة ركب البحر ليعود الى وطنهِ فلما دخل بحر ايجيوس ضادتهُ الرياح وشردت السفن عن طريقها ودفعتها الى بحر مصر واستمرت الريح هكذا حتى وصل الى مصر وارسى عند مصب النيل المسمى بالقنوبي وعند التاريخات. وكان على ذلك الساحل هيكل لهرقليس موجود الى الان واذا لجأ اليهِ احد العبيد الابقين يسم نفسهُ بخدوش مقدسة لكي يبقى موقوفاً للاله فلا يؤذن لاحد ان يمد اليهِ يده . وهذه العادة محفوظة منذ انشاء الهيكل الى اليوم . واذ عرف عبيد



١ المراد يوهنا باريس بن برياموس ملك تروادة كان باريس غاية في الجمال لكن دنيّ النفس أُرسل الى اغريقية ليسترجع ايسيونة التي سباها هرقليس ونزل في بيت منلاس ملك اسبرطة فسبى زوجتهُ هيلانة هذه وكانت بارعة في الحسن وكان في حرب تروادة قد تقدم لمبارزة منلاس غيرانهُ هرب منهُ . وقتل اشيل غدراً . ثم جرحهُ فيلوكتيتس وقيل بيرّوس جرحاً بليغاً فلجأ الى راعية اسمها اونونة ثم خانها وتركها . واما هيلانة فكانت قد احبت باريس وهو في دار زوجها وكان زوجها غائباً فخطفها باريس وذلك كان سبباً لحرب تروادة. وفي رواية ان عطارد اخذها من باريس ومضى بها الى مصر فبعد حرب تروادة مضى زوجها الى مصر يبحث عنها ** ح **

اسكندر هذه المزية هربوا الى الهيكل وجلسوا جلسة المتوسل واخذوا يشكون سيدهم لكي يتضرر ويشيع ما عمل من الاساءة لمنلاس وكل ما جرى بخصوص هيلانة. وكانت شكواهم هذه بحضور الكهنة وثونيس والي ذالك المصب من النيل

﴿ ١١٤ ﴾ وللحال ارسل ثونيس رسولاً الى بروتيوس يقول له «وصل «الى هنا رجل توكريني فعل في اغريقية فعلاً فظيعاً فانهُ لم يكتفِ بان يطغي «زوجة مضيفهِ حتى سباها ومعها اموال جزيلة فصادفتهُ الريح واوصلته الى هذه «السواحل. فهل ندعه يمضي بلا قصاص او نأخذ منهُ ما اتى بهِ»

فاناد بروتيوس الرسول الى الوالي بهذا الامر «اقبض على هذا الغريب الذي فعل هذه القباحة بمضيفهِ أيًا كان وارسله اليَّ حتى اعرف ايضًا ماذا يقول عنهُ»

﴿ ١١٥ ﴾ فلما بلغ الامر ثونيس امسك سفن اسكندر وارسلها الى منف ومعها هيلانة والاموال والعبيد المذكورين فلما وصلوا جميعهم سال بروتيوس اسكندر عن نفسهِ ومن اين اتى بهذه السفن فلم يخفِ عنه عائلته ولا اسم وطنهِ ولا موضع مجيئهِ ولكن لما سالهُ من اين اتى بهيلانة ارتبك باجوبتهِ واذ كان يلبس الحقيقة شكا امره عبيده الذين توسلوا الى الاله واخبروا الملك بتفاصيل ذنبهِ فحكم بروتيوس اخيرًا بهذا الحكم «لو لم اكن اظن ان من اجلّ الامور ان لا اقتل احدًا من الغرباء الذين تقذفهم الرياح الى بلادي لكنت انتقمت منك عن الجناية التي جنيتها على منلاس فان ذلك الملك اضافك وانت لانك اردأ الناس لم تخشَ ان تجني عليهِ جناية ممقوتة اطغيت امرأة مضيفك ولم تكتفِ بهذا حتى اضطررتها ان تتبعك واخذتها خلسة وليس هذا فقط بل نهبت ايضًا عند مجيئك بيت مضيفك. ولذلك اظن من اجلّ الامور ان لا اقتل غريبًا فاتركك تمضي لكن على ان لا تاخذ معك هذه المرأة ولا الغنائم بل احفظ الجميع عندي حتى ياتي مضيفك بنفسهِ ويطلبها. واما انت فآمرك ان تخرج في ثلاثة ايام من بلادي مع رفاقك والاّ فانك تحسب عدوًّا»

﴿ ١١٦ ﴾ هكذا ذكر الكهنة خبر هيلانة بدخولها بلاط بروتيوس

ويلوح لي ان اوميروس هكذا سمع هذه الحكاية ايضاً لكن لكونها كانت اقل موافقة للقصيدة من التي ذكرها فيها ضرب عنها صفحاً واظهر ايضاً انهُ لم يكن يعرفها ويصرح لنا بشهادة صحيحة في الايلياذة عند ما وصف سفر اسكندر وهي شهادة لم يبدُ لهُ ان ينقضها في مكان آخر من قصائده . فيخبرنا بها ان اسكندر بعد ما تاه زمناً طويلاً من جهة الى اخرى ومعهُ هيلانة وصل الى سواحل صيدون من فينيقية وذلك في المكان الذي يذكر فيهِ مآثر ذيوميذس . والاشعار التي ذكرها هي هذه « هناك كانت موجودة قلوع مطرزة من صنعة الصيدونيين لما رجع الى تروادة مع هيلانة الشهيرة » وفي قصيدتهِ المسماة اوذيسئس « ١ » يذكر ايضاً سفر هيلانة بقولهِ « هكذا كانت الصفات الخاصة المؤثرة والحسنة التي كانت لهيلانة بنت جوبيتر كانت قد حصلت عليها من بوليذمنة امرأة ثونيس في سفرها الى مصر التي تنبت تربتها انواعاً لا تحصى من النباتات بعضها صالح و بعضها سام » ويذكرها ايضاً بهذه الاشعار التي بها منلاس خاطب تلياك « وان كنت اشتهي الرجوع الآن الآلهة حجزتني في مصر لانّي لم اقدم لهم ذبائح كافية »

فبهذه الاشعار نرى ان اوميروس لم يكن يجهل ان اسكندر رحل الى مصر: وسورية متصلة بمصر كما هو معلوم والفينيقيون الذين تخصهم صيدون يسكنون سورية

❊ ١١٧ ❊ فاشعار هذا الشاعر المذكورة ولا سيما الاخيرين منها تدل على ان القبرصية ليست من نظم اوميروس بل من نظم غيره لانهُ يذكر في هذه القصيدة ان اسكندر اذ اغتنم سكون البحر وطيب الريح وصل الى تروادة هو وهيلانة بعد خروجه من اسبرطة بثلاثة ايام مع ان اوميروس يذكر في الايلياذة انهُ فيما هو راجع بها تاه مدة طويلة . وبهذا القدر كفاية عن ذكر اوميروس والاشعار القبرصية

---

١ الايلياذة والاوذيسئس قصيدتا اوميروس المشهورتين اللتين نظمها في تواريخ الابطال والآلهة وحرب تروادة ❊ ح ❊

❋ ١١٨ ❋ ثم سألت الكهنة هل ما يقوله الاغارقة عن حرب تروادة يجب ان يدخل في عداد الحكايات فاجابوني انهم سألوا منلاس نفسه فاخبرهم بما ياتي . بعد سبي هيلانة مضى عسكر كثيف من الاغارقة الى توكريدة لكي يتقموا عن الاهانة التي وقعت على منلاس وحالما خرجوا من مراكبهم لم يلبثوا في معسكرهم ان ارسلوا سفراء الى ايليون كان من جملتهم منلاس

فلما دخل السفراء المدينة طلبوا هيلانة والاموال التي اختلسها اسكندروالحّوا باداء أرْش هذه الجناية فاهل توكريدة اكدوا لهم حينئذٍ وبعدئذٍ بلا قسم وبقسم ايضًا ان ليس عندهم هيلانة ولا الاموال المتهمين بها وان كل ما يطلبونه هو في مصر وانهم ليس لهم حق ان يطالبوهم باشياء اخذها بروتيوس ملك هذه البلاد

واما الاغارقة فظنوا انهم يسخرون بهم فحصروا ترواده واستمروا على حصارها الى ان استولوا عليها فلما صارت بيدهم لم يجدوا هيلانة فيها وبقي اهل ترواده يخبرونهم بما اخبروهم اولاً فلم يشكوا بكلامهم الاول وارسلوا منلاس وحدهُ الى بروتيوس

❋ ١١٩ ❋ فلما وصل منلاس الى مصر صعد النيل الى منف وحكى الملك حقيقة ما جرى فاحسن الملك معاملته وردَّ اليه هيلانة وكانت لم تُصَب باذًى وردَّ اليه ايضًا كل امواله

واما منلاس فكافأ هذا الخير بالشر وذلك انه حينما اراد ان يركب سفنهُ هبت ريح مضادة استوقفتهُ مدة طويلة فخطر لهُ ان يذبح ولدين من اولاد البلاد فهذا العمل الكفري الذي عرفه المصريون حالاً جعله في اعينهم ممقوتًا فبادروا الى لحاقه فاضطر ان يلجأ بحرًا الى ليبيا

ولم يقدر المصريون ان يعلموني الى اي جهة ذهب بعد ذلك لكن اكدوا لي انهم يعرفون جيدًا قسماً من هذه الحوادث لانها جرت عندهم وانهم علموا الباقي بواسطة البحث . وكهنة مصر هم الذين قالوا لي هذه الامور

❋ ١٢٠ ❋ ومذهبي مذهب كهنة مصر في مسألة هيلانة. وهذه هي التخمينات التي بدت لي زيادة عن ذلك . لو كانت هيلانة وجدت في ترواده

لردّوها بلا ريب الى الاغارقة سواء ارتضى اسكندر ام امتنع . ولم يكن برياموس وسائر اعضاء العائلة الملوكية خالين من التعقل الى درجة ان يعرّضوا انفسهم للهلاك هم واولادهم ومدينتهم لكي يبقوا هيلانة بيد اسكندر . ولو فرضنا انهم كانوا بلا فطنة الى هذا الحد في اول الحرب فانهم لما راوا جمًّا غفيرًا من التروادين يهلكون كلما جرت معركة بينهم وبين الاغارقة وانهُ في عدة مواقع قتل اثنان او ثلاثة من اولاد برياموس او عدد اكثر اذا صدقنا ما قالهُ اصحاب الملاحم «١» حتى لو كان برياموس نفسهُ قد اغرم بهيلانة فاني احسب انهُ لم يكن يتردد في ارجاعها الى الاغارقة لينجو من ويلات كثيرة

وفضلاً عن ذلك لم يكن اسكندر ولي عهد ابيهِ ولا كان مكلفًا بادارة الامور في شيخوخة ابيهِ . وكان هكتور بكر برياموس ولهُ منزلة رفيعة جدًّا فاذا مات برياموس يخلفهُ هكتور ولذلك لم يكن لائقًا بشرفهِ ولا من مصلحتهِ ان يثبت على رضى اخيهِ وهو يرى نفسهُ وسائر التروادين معرّضين لاجلهِ الى ويلات كثيرة . لكن لم يكن في طاقتهم ارجاع هيلانة واذا كان الاغارقة لم يصدقوا كلام التروادين مع انهُ صادق فعلى رأيي ان ذلك بسماح من الله اذ سمح ان تسقط ترواده وتخرب ليعرف الناس ويعتبروا ان الالهة تجعل العقوبة على قدر الذنب بين البشر . وقد ذكرت ما ذكرت بحسب ما بدا لي

✻ ١٢١ ✻ وقال لي الكهنة ان رعمبسينيت خلف بروتيوس وعمل دهليز هيكل فلكانوس الذي الى جهة الغرب واقام ايضًا بازاء هذا الدهليز تمثالين ارتفاع كل منهما خمس وعشرون ذراعًا احدهما الى الشمال والمصريون يسمونهُ الصيف والآخر الى الجنوب ويسمونهُ الشتاء ويعبدون الذي يسمونهُ صيفًا ويقربون لهُ قرابين واما الذي يسمونهُ شتاء فيعاملونهُ بالعكس

وكان لذلك الملك اموال وافرة جدًّا حتى ان كل ملوك مصر الذين خلفوهُ لم يكن لاحد منهم مقدار ما كان لهُ ولا ما يقرب منهُ



١ الملاحم جمع ملحمة وهي قصيدة تنظم في وصف المواقع الحربية ونكبات الدول ✻ح✻

ولكي يجعل هذه الاموال في مكان حريز بني بناء بالحجر كان احد جدرانه خارج سور البلاط واذ كان البنّاء رديء المقاصد ارتأى ان يبنيه هكذا . فانه صنع حجرًا وضعه بفن عجيب حتى ان رجلين او رجلاً واحدًا يقدر على رفعه بسهولة ولما تم البناء نقل اليه رمبسينيت كنوزه . وبعد زمن عرف البنّاء قرب اجله فدعا ابنيه وقال لهما انه حين بنى المكان الذي فيه كنوز الملك اتخذ حيلة لكي يتدارك سدّ العوز وييسر لهما طريقة للاستغناء ورغد العيش . ثم اوضح لهما كيفية رفع الحجر من موضعه و بين لهما مساحته وحدوده . ثم قال لهما اذا فعلتما كما قلت تمامًا تكون اموال الملك تحت يدكما

فلما توفي البنّاء اسرع ولداه حالاً في العمل فمضيا ليلاً الى القصر ووجدا الحجر و رفعاه بسهولة واخذا مبالغ جسيمة . واتفق ان الملك دخل يومًا ليرى كنوزه فاخذه العجب اذ راى ان الاوعية التي كانت فيها امواله ناقصة نقصًا عظيماً فلم يعرف من يتهم لان الاختام على الابواب كانت على ما هي وكل منفذ مغلق باحكام

ورجع مرتين او ثلاثًا وكان كل مرة يشعر بنقصان الاموال ( لان الرجلين استمرا على السرقة ) فامر بعمل فخاخ توضع حول الاوعية التي فيها المال فاتى السارقان حسب العادة وتقدم احدهما الى مكان المال فقبض عليه الفخ فلما راى نفسه في هذه الورطة كلم اخاه واعلمه بمصيبته واقسم عليه ان يدخل في الحال ويقطع راسه حتى اذا راوه ثاني يوم لا يعرفوا من هو ويكون بذلك هلاك الاثنين فراى الآخر صوابًا في هذا الراي ففعل ما قال اخوه وخرج براس اخيه وارجع الحجر الى مكانه

فلما طلع النهار دخل الملك موضع الكنز والمال ووقف متعجبًا لروية جثة السارق بلا راس وهو واقع في الفخ وزاد تعجبه لما افتقد القصر ولم يرَ فيه شيئًا من الخرق ولا التعطيل ولم يرَ مكانًا يدخل منه او يخرج فاشتدت حيرته وعمد الى التدبير الآتي. امر بتعليق الجثة في جدار القصر واقام عندها حراسًا ليقبضوا على من يرونه يبكي عند النظر الى الجثة او يظهر احساسات الشفقة . واذ اغتاظت ام

السارق على ما اصاب ولدها كلمت اخاه الآخر وامرتهُ ان يبذل جهده لان ياتيها بجثة اخيهِ وتوعدتهُ انها تشكوهُ الى الملك اذا لم يجبها الى طلبها . واذ لم يقدر هذا ان يحوّل امهُ عن عزمها بشيء من الكلام وخاف وعيدها دبّر الحيلة الآتية . وهي انهُ اتخذ عدة حمير وحملها زقاقاً مملوءة خمراً وساقها امامهُ فلما قرب من مكان الحراس حيث جثة اخيهِ حلّ اوكية اثنين او ثلاثة من الزقاق فلما جرى منها الخمر اخذ يلطم ويصيح كمن خاب رجاؤه ولا يدري الى اي حمار يبادر اولاً . فلما راى الحراس الخمر يجري بكثرة اسرعوا ليجمعوا ما يتيسر حاسبين ان ذلك كسبٌ لهم فتظاهر الرجل بالغضب وصار يشتمهم لكنهم حاولوا ان يعزوه ويسكنوه فسكن وتظاهر بالهدوء وحوّل الحمير عن الطريق وجعل يوكي الزقاق . ثم تحدث مع الحراس واذ كانوا يجتهدون ان يشرحوا صدره بالمزاح والملاطفة اعطاهم زقاً من الخمر فجلسوا في المكان الذي كانوا فيهِ اذ ذاك وصار اهتمامهم في الشرب والحوا على الفتى ان يجلس معهم وينادمهم فاظهر انهُ اجابهم الى طلبهم وجلس معهم واذ كانوا يحسنون عشرتهُ وهم يشربون اعطاهم زقاً اخر فشربوا بافراط حتى سكروا وغلبهم النوم فناموا حيث شربوا وحالما راى الرجل ان الليل دخل حلق لهم الجانب الايمن من لحاهم ساخراً بهم واخذ جثة اخيهِ وحملها على احد الحمير ورجع الى بيتهِ وقد انفذ امر امهِ

فلما علم الملك بسرقة الجثة غضب غضباً شديداً واذ كان يطلب حتماً ان يعرف صاحب تلك الحيلة عمدَ الى طريقة لا اقدر ان اصدقها وذلك انهُ ارسل ابنتهُ بصفة عاهرة الى مكان العواهر وامرها ان لا تمنع احداً ايًّا كان لكن ان تشرط على كل من ارادها ان يحكي لها قبل نوال مرامهِ عما فعل في زمانهِ من الافعال التي تدل على شدة الدهاء والخبث . فاذا علمت من احدانهُ احتال حتى سرق جثة السارق تقبض عليهِ ولا تدعهُ يفرُّ

فاطاعت البنت امر ابيها لكن اذ علم الشاب المذكور سبب هذا الامر اراد ان يظهر انهُ احذق من الملك فقطع يد رجل مات حديثاً من عند الكتف وجعلها تحت ردائهِ ومضى الى بنت الملك . فشرطت عليهِ الشرط المشار اليهِ كما كانت تفعل

كلما اتاها رجل فاخبرها ان اخبث فعل فعلهُ في زمانهِ انهُ قطع راس اخيهِ حينما وقع في الفخ في خزينة الملك وادهى من ذلك انهُ سرق الجثة بعد ما اسكر الذين كانوا يحرسونها . فحالما سمعت كلامهُ مدت يديها لتقبض عليهِ واذ كان كلاهما في ظلام الليل ناولها اليد المقطوعة فامسكتها ظانة انها يد السارق واما هو فترك اليد واسرع الى الباب ونجا

وعلم الملك بما جرى فدهش اشد الدهش من دهاء هذا الرجل وجسارتهِ واخيرًا امر مناديًا ينادي في كل المدن التي هي تحت حكمهِ انهُ قد عفا عن ذلك الرجل وانهُ اذا حضر اليهِ يجيزه باسنى الجوائز . فوثق اللص بوعد الملك واتى ومثل بين يديهِ فاعجب بهِ الملك اعجابًا شديدًا وزوجهُ ابنتهُ اذ حسبهُ احذق انسان لانهُ احيل المصريين وهم مع ذلك ادهى الناس

* ١٢٢ * قال لي الكهنة انفسهم وبعد ذلك نزل رعمبسينيت الى جوف الارض الى الامكنة التي يعتقد الاغارقة انها الجحيم ولعب بالكعاب هو وكيريس «١» فكان تارةً يَغلب وتارةً يُغلب ولما رجع الى وجه الارض اهدتهُ المعبودة فوطة من ذهب

وقال لي هولاء الكهنة ايضًا ان المصريين عيدوا عيدًا تكون مدتهُ كمدة اقامة رعمبسينيت في جوف الارض الى حين رجوعهِ . وانا اعرف انهم في زماني يعيدون هذا العيد لكن لم اعلم أَلهذا السبب كان وضعهُ ام لغيرهِ

والكهنة يلبسون احدهم في هذا العيد رداء قد نسج وصنع في نفس يوم الموسم ويعصبون عينيهِ بعصابة ويوصلونهُ الى الطريق المودية الى هيكل كيريس ويذهبون وبعد ذلك على ما قالوا لي ياتي ذئبان ويوصلان الكاهن الى الهيكل وعيناه معصوبتان . وهيكل كيريس المذكور يبعد عن المدينة عشرين استادة . وبعد ذلك يرجعانهِ الى المكان الذي وجداه فيهِ

---

١ كيريس معبودة الزرع والحصاد واليونان يسمونها ديمتر او جيميتر اي الام المولدة او الارض الام وهي رمز عن الارض اذ تخرج منها الغلال ولذلك يقولون انها هي التي علمت الناس فن الزراعة * ل *

فاذا اراد احد ان يصدق اقوال المصريين هذه فله امره واما انا فما مقصدي من هذا التاريخ كلهِ الاّ ذكر ما سمعت يقال لكل احد

١٢٣ ويقول المصريون ان لكيريس وباخوس السلطان المطلق. في الجحيم وهؤلاء الناس هم اول قوم ذكروا ان نفس الانسان خالدة وانهُ متى هلك الجسد تدخل النفس في جسد حيوان وبعد ان تمر بالتتابع في اجساد كل الحيوانات الارضية والمائية والهوائية تعود الى جسم انسان حديث الولادة وان انتقالاتها المختلفة تتم في مدة ثلاثة الاف سنة . وانا اعلم ان بعض الاغارقة سلموا بهذا المذهب بعضهم سابقًا وبعضهم موخرًا وانهم استخدموه كانهُ مذهبهم . واسماؤهم لست اجهلها لكني اضرب عن ذكرها صفحًا

١٢٤ وقال الكهنة ايضًا انهم الى عهد رمبسينيت راوا العدل والخصب يسود في ارض مصر كلها ولكن لم يكن نوع من الشرّ الاّ سعى اليهِ خليفتهُ كيوبس فانهُ اولاً اغلق كل الهياكل ومنع الذبائح وجعل كل المصريين بعد ذلك يشتغلون لمصلحتهِ فجعل بعضهم يحفرون مناجم جبل بلاد العرب ويجرون من هناك الى النيل الحجارة التي يخرجونها منها وينقلون هذه الحجارة على سفن من الضفة المقابلة من النيل . واناس اخرون ياخذونها الى جبل ليبيا وكل ثلاثة اشهر كان يستخدم لهذا العمل مئة الف رجل واما الوقت الذي كان الشعب يقاسي فيهِ تلك العذابات فقد قضوا منهُ عشر سنوات في بناء السد الذي منهُ كانوا يجرون الحجارة . والسدّ المذكور لا يكون على رأيي اقل عظمًا من الهرم نفسهِ لان طولهُ خمس اسنادات وعرضهُ عشر اورجيات ومعظم ارتفاعهِ ثماني اورجيات وهو مبني من حجارة مصقولة ومزينة بصور الحيوانات . فصرفوا عشر سنوات في بناء هذا السد مع قطع النظر عن الزمان الذي صُرف في عمل التل الذي اقيمت عليهِ الاهرام وما بني تحت الارض من الابنية التي اتخذت مدفنًا للملك في جزيرة مولفة بمياه النيل أُدخل فيها ماؤهُ بترعة . والهرم نفسهُ صُرف على بنائهِ عشرون سنة وهو مربع الشكل عرض كل وجه من اوجههِ الاربعة ثمانية إيثرات وعلوهُ كذلك واكثرهُ مبني بحجارة مهندمة متلاصقة باحكام ولا تكون مساحة الواحد

منها اقل من ثلاثين قدماً

❊ ١٢٥ ❊ وقد بني هذا الهرم على شكل دَرَج بعضها محدَّب وبعضها مقبَّب ولما شرعوا في بنائهِ على هذه الصفة رفعوا من الارض الحجارة الاخرى وبواسطة آلات مصنوعة من خشبات قصيرة رفعوها الى اول ساف . فمتى وصل الحجر اليهِ يضعونهُ في آلة اخرى تكون على الساف المذكور ومن هناك يرفعونهُ بآلة اخرى لانهم كانوا يصنعون آلات بعدد السافات . وربما لم يكن عندهم الا آلة واحدة يسهل نقلها من ساف الى ساف كلما رفعوا الحجر من واحد الى آخر . وقد ذكرت الوجهين بحسب ما سمعت فشرعوا اذاً بسدّ اعلى الهرم واتقانهِ ومن هناك نزلوا بالتدريج الى ما يجاوره حتى اتصلوا الى اسافلهِ وانتهوا الى ما يمس الارض منهُ

وحفروا على الهرم بحروف مصرية كمية ما انفق على الفعلة من الفجل والبصل والثوم والذي ترجم لي هذه الكتابة قال لي وانا اتذكر قولهُ جيداً ان تلك النفقة بلغت الف وستمائة وزنة من الفضة . فاذا كان هذا صحيحاً فكم تكون النفقة على الآلات الحديدية وبقية لوازم الفعلة من طعام وكسوة لانهم قضوا بهذا العمل الزمان الذي ذكرتهُ مع قطع النظر عما صرفوا من الوقت لخدمة الحجارة ونقلها بالعجلات وبناء المدافن التي كانت عظيمة جداً بلا ريب

❊ ١٢٦ ❊ فلما تلفت اموال كيوبس بهذه النفقات الجأهُ الامر الى اتخاذ طريقة رجسة وهي انهُ وضع ابنتهُ في مكان العواهر وامرها ان تاخذ نقوداً من طالبيها . وما اعلم كم ربحت من هذه المهنة لان الكهنة لم يخبروني بذلك . ولم تقتصر على انفاذ اوامر ابيها بل ارادت هي ايضاً ان تنشئ لنفسها اثراً فكانت تطلب الى كل من ياتيها ان يعطيها حجراً واحداً لاعمال تقصدها فمن هذه الحجارة على قول الكهنة بنوا الهرم الذي في وسط الثلثة تجاه الهرم الكبير ومساحة كل وجه من اوجههِ بليثر ونصف

❊ ١٢٧ ❊ وعلى قول المصريين ملك كيوبس خمسين سنة ولما مات خلفهُ اخوهُ كفرين وسلك على طريقتهِ ومن جملة المصانع التي انشأها انهُ بنى هرماً لا يقارب في العظم هرم كيوبس ( وقد قستُ كليهما ) اذ ليس تحتهُ في جوف

الارض ابنية ولا ترعة تسحب اليهِ ماء النيل مع ان الآخر الذي يقال ان كيوبس دُفن فيهِ قائم في جزيرة ومحاط بمياه النيل وتدخلهُ المياه بترعة عملت لهذه الغاية

واول ساف من الهرم المذكور من حجارة حبشية مختلفة الالوان وعلوهُ اقل من علو الهرم الكبير باربعين قدماً وهو مُلاصق لهُ . وهذان الهرمان مبنيان على تلّ واحد علوهُ نحو مئة قدم

☼ ١٢٨ ☼ واخبرني الكهنة انفسهم ان كفرين ملك ستًّا وخمسين سنة فهكذا كابد المصريون العذابات المتنوعة مدة مئة وست سنوات وفي كل هذا الزمان كانت الهياكل مقفلة. والمصريون يمقتون جدًّا جدًّا ذكر هذين الملكين حتى لا يطيقون ان ينطقوا باسميهما. ولهذا السبب يسمون هذه الاهرام باسم الراعي فيليتيس وكان في ذالك الزمان يرعى ماشيتهُ في المكان الذي هي فيهِ

☼ ١٢٩ ☼ وقالوا لي انهُ بعد كفرين ملك ميكيرينوس بن كيوبس واذ كان لم يستحسن اعمال ابيهِ فتح الهياكل واطلق للشعب الحرية بعد امتهان واضطهاد مدة طويلة حتى انصلوا الى ادنى درجات الفاقة فصاروا يفعلون ما يقوم بمصالحهم ويقدمون الذبائح ثم صار يقضي بين رعيتهِ بالعدل والانصاف احسن من غيره من سائر الملوك ولذلك يمدحهُ المصريون كثيرًا ويرفعونهُ فوق كل الملوك الذين ملكوا مصر الى هذا الزمان ليس فقط لانهُ كان عادلاً في احكامهِ بل ايضًا لانهُ كان اذا تشكى احد من الحكم الذي اصدره عليهِ يحكم لهُ بما يرضيه ويجتهد ان يسكتهُ

وبينما كان ميكيرينوس يحسن الى رعيتهِ بكل طرق الانسانية ولا يهتم الاَّ بما فيهِ سعادتهم فقد ابنتهُ الوحيدة وكان هذا اول مصاب ذاقهُ فجزع عليها اشد الجزع واذ اراد ان يبني لها ضريحًا فاخرًا يسمو على ما سبقهُ اصطنع بقرة من خشب جوفاء وذهبها ووضع فيها ابنته

☼ ١٣٠ ☼ ولم تدفن هذه العجلة في الارض بل بقيت الى زماني معرَّضة لرؤية كل انسان وموضوعة في قصر مدينة صا في قاعة مزينة بالنفائس وكل يوم يحرقون امامها من كل انواع الطيوب وهناك قنديل يبقى مشعلاً

وفي قاعة اخرى بقرب هذه التي فيها العجلة عدة تماثيل منصوبة تمثل سراري ميكيرينوس . هذه رواية اهل مدينة صا ان لم تكن رواية غيرهم ايضاً

والحق انهُ يوجد نحو عشرين تمثالاً كبيرة جداً تمثل نساء عراة وكلها من خشب غير اني لا اقدر ان اوكد من تمثل فلا اعرف الاَّ ما قيل لي بخصوصها

☆ ١٣١ ☆ واما هذه العجلة وهذه التماثيل الضخمة فيقولون عنها ان ميكيرينوس أُغرم بابنتهِ فاغتصبها فخنقت نفسها يأساً فوضع ابوها جثتها في جوف هذه العجلة . وان امها قطعت ايدي جواري ابنتها لانهنَّ سلمنها الى الملك وان تماثيلهن الآن المقطوعة الايادي تشهد بما قاسين من الآلام عقاباً لهنَّ مدة حياتهنَّ غير اني اظن ان كل ما ذكر لي من جهة غرام الملك وقطع ايدي التماثيل ليس الاَّ من باب الحكايات . والحق اني لاحظت عند رويتي هذه التماثيل ان ايديها سقطت من فساد الخشب لتقادم العهد وكانت في زماني تشاهد عند اقدام التماثيل

☆ ١٣٢ ☆ والعجلة المذكورة مغطاةٌ بغطاء قرمزي ما عدا راسها وعنقها فانهما ملبسان قشرة سميكة من الذهب و بين قرنيها موضوعة دائرة الشمس وهي من ذهب . وهي رابضة لا واقفة وحجمها من اكبر ما يكون من العجال . وكل سنة ينقلونها من القاعة . وهذا الاحتفال يكون في الهيكل الذي يجتمع فيهِ المصريون فيلطمون وينوحون على معبود لا يجب أن اذكر اسمه هنا . وحينئذٍ يعرضون العجلة للنور لانهم يقولون ان ابنة الملك توسلت الى ابيها عند موتها ان يريها الشمس كل سنة مرة

☆ ١٣٣ ☆ وبعد موت ابنة ميكيرينوس اصابهُ مصاب آخر فانهُ بلغهُ من كهانة بوتو وحي ينذره انهُ لم يبقَ لهُ من الحياة الاَّ مدة ست سنين ويموت في السنة السابعة فحزن لذلك حزناً شديداً حتى ارسل الى مكان الكهانة من يوبخ المعبودة اشد التوبيخ لان اباه وعمهُ عاشا عمراً طويلاً مع انهما اضطهدا الرعية وانهما لقلة اكتراثهما بالآلهة اقفلا الهياكل . واما هو فجُعل عمره قصيراً مع انهُ كان تقياً جداً ومحترماً للمعبودات . فورد اليهِ عند ذلك جواب آخر من الكهانة يقول انهُ لهذا السبب عينهِ قصر عمره لانهُ لم يعمل ما كان يجب ان يعمل وانهُ

كان من اللزوم ان تقع على مصر و يلات كثيرة مدة مئة وخمسين سنة وان الملكين الذين كانا قبلهُ عرفا ذلك واما هو فكان يجهلهُ

فاذ عرف ميكيرينوس من هذا الجواب ان ما قدّر عليهِ محتوم اصطنع عددًا غفيرًا من القناديل وكان كلما دخل الليل يشعلها ويقضي الوقت بالشرب والتفكه وذلك بلا انقطاع ليلًا ونهارًا وكان يذهب الى المستنقعات والاحراش وسائر الاماكن الحسنة التي يظن انها تأتيهِ باللذة . وكان قصده بجعل الليل كالنهار ان يضاعف عدد سنيهِ فيكون لهُ عوض ست سنوات اثنتا عشرة سنة وبذلك يقنع الكهانة انها كاذبة •

❋ ١٣٤ ❋ وبنى هرمًا مربعًا نصفهُ الاسفل من الحجر الحبشي لكنهُ اصغر كثيرًا من هرم ابيهِ لانهُ اقصر منهُ بعشرين قدمًا وعرض كل من اوجههِ ثلاثة بليثرات . ويزعم بعض الاغارقة ان هذا هو من عمل رودوبيس العاهرة وليس هذا بصواب ويظهر لي انهم لا يعرفون ايضًا هذه العاهرة ولو عرفوها لما نسبوا اليها بناء هرم كلف عدة ملايين من الوزنات بوجيز العبارة . وفضلًا عن ذلك لم تكن رودوبيس في عهد ميكيرينوس بل في عهد امسيس اي بعد وفاة الملوك الذين بنوا الاهرام بعدة سنين

و رودوبيس هذه ثراقية الاصل وهي أمة يدمون بن ايفستوبوليس من جزيرة ساموس وهي رفيقة في العبودية لصاحب الحكايات ايسوبوس لان ايسوبوس كان ايضًا عبدًا ليدمون وعلى ذلك دلائل من اعظمها ان اهل دلفي ارسلوا مناديًا يسأل بحسب امر الكهانة هل يريد احد ان يأخذ بثار ايسوبوس بعد قتلهِ «١» فلم يتقدم الا حفيد يدمون وكان اسمهُ كاسم جدهِ

❋ ١٣٥ ❋ وبعد ذلك نقل رودوبيس الى مصر زنثوس الساموسي لكي تتخذ مهنة العواهر فانتداها كارازوس الميتليني ابن سكاماندرومينوس واخو

١ ذلك لان ايسوبوس الذي نقل عنهُ لافنتان الفرنسوي حكاياتهُ قتلهُ اهل دلفي ظلمًا واهدر دمهُ فانهم القوهُ عن راس صخر شامخ لغير علة صحيحة فغضب عليهم الاله ❋ ل ❋

سابفو الذي بيدنا اشعاره بما لغ جسيمة فلما اطلق سبيلها لبثت في مصر وكانت بارعة في الجمال فحصلت من ذلك اموالاً تحسب وافرة بالنسبة الى امرأة نظيرها لكن ليست توازي ما يقتضى من النفقات لبناء هرم كذلك الهرم . ومع ذلك فيجب ان ينسب اليها اعمال حسنة عظيمة يشاهد الى الان عشرها . وذلك انها ارادت ان تبقي لها في اغريقية اثراً تذكر بهِ في الاجيال التابلة فاصطنعت شيئاً لم يبتكره احد ولا وقفهُ احد لهيكل ووقفتهُ لهيكل ذلفي فانها اصطنعت سفافيد من حديد تصلح لان يشوى بها ثور وكانت قيمتها توازي عشر املاكها وهو امر لم يكن قد خطر ببال احد ولم يكن احد قدَّم مثلهُ . وارسلت السفافيد الى هيكل ذلفي وهي توجد هناك حتى اليوم موضوعة بعضها فوق بعض خلف المذبح الذي اقامهُ اهل ساقص بازاء الهيكل نفسهِ

والعواهر في نوكراتيس حسان الصورة جدًّا بالاجمال والتي ذكرناها اشتهرت جدًّا حتى لم يبق احد في اغريقية الا وعرف اسمها . ووجدت عاهرة اخرى اسمها ارخيذيكي اشتهرت ايضاً بعدها في اغريقية لكنها كانت اقل صيتاً من تلك . ولما رجع كارازوس الى ميتيليني بعد ان افتدى رودوبيس من العبودية طعن فيهِ سابفو في اشعاره طعناً شديداً جدًّا . وهذا القدر كاف في ما يتعلق بهذه العاهرة

❊ ١٣٦ ❊ واخبرني الكهنة انهُ بعد وفاة ميكيرينوس ملك على مصر اسيخيس وبنى على اسم ڤلكانوس الدهليز الذي الى جهة الشرق وهو اكبر الدهاليز وافخرها . وكل اروقة هيكل الاله المذكور مزينة بصور متقنة النقش وبزخارف كثيرة اخرى كان من عادتهم ان يزينوا بها الابنية ولكن هذه تفوق الجميع كثيراً

واذ كانت التجارة في ايامهِ قليلة المادة المالية قيل لي انهُ سن شريعة يمنع بها القرض ما لم يرهن المقترض جسم ابيهِ عند صاحب المال . وزاد على هذه الشريعة ان يكون لصاحب المال حق السلطة على مقبرة المقترض حتى اذا امتنع عن ايفاء الدين الذي لاجلهِ يكون قد رهن ذلك الرهن الثمين لا يجوز بعد موتهِ ان يدفن في مقبرة آبائهِ ولا في غيرها وانهُ لا يستطيع بعد موت احد من انسبائهِ ان يدفنهُ في تلك المقبرة ولا في غيرها

ولكي يفوق هذا الملك جميع الملوك الذين سلفوهُ في مصر جعل لنفسهِ اثراً

هرمًا من آجرٍ محفورة على حجر فيهِ هذه الكتابة « لا تحقروني بمقابلتي بالاهرام « الحجرية فاني ارفع منها بمقدار ارتفاع جوبيتر عن سائر الالهة لاني بنيت من آجرٍ « مصنوع من طين المخرج من البحيرة » فهذا اشهر ما يذكر لاسيخيس من الاعمال

١٣٧ قال الكهنة وخلف هذا الملك رجل اعمى من مدينة انيسيس اسمهُ ايضًا انيسيس وفي ايامهِ اتى شاباق ملك الحبشة هاجمًا على مصر بعسكر كثيف فلجأ انيسيس الى المستنقعات ونجا فبقي شاباق مستوليًا على مصر خمسين سنة ولم يقتل احدًا في تلك المدة مهما ارتكب من الذنوب وكان يقضي على كل مجرم بان يشتغل في السدود والحواجز قرب المدينة التي ولد فيها وبهذه الواسطة ارتفعت مواقع المدن اكثر مما كانت قبلاً . وكانت قد ارتفعت على عهد سيسوستريس بشغل الذين حفروا الترع لكن ازدادت ارتفاعًا في زمان الحبشة . ومدينة بوبستي هي التي رفع موقعها اكثر مما سواها وذلك بامر شاباق

١٣٨ وفي هذه المدينة هيكل لبوبستي يستحق الذكر وتوجد هياكل اخرى اكبر منهُ وافخر لكن ليس منها ما يلذ النظرَ مثلهُ . وبوبستي هي نفس المعبودة التي يسميها الاغارقة ذيانة وهيكلها كشبه جزيرة ليس لهُ سبيل الا الذي يوصل منهُ اليهِ فان ترعتين من النيل لا تمتزجان تصلان الى مدخل الهيكل ومن هناك تنقسمان وتكتنفانهِ الواحدة من جهة والاخرى من جهة اخرى وعرض كل منها مئة قدم وتظللها الاشجار وعلوّ الدهليز عشر ارجيات وهو مزين بصور جميلة جدًا ارتفاعها ست اذرع وهذا الهيكل في وسط المدينة والذين يدورون حولهُ يرونهُ من كل جهة من اعلاه الى اسفلهِ لانهُ باقٍ في نفس الساحة التي بني فيها وارض المدينة رُفعت بما جمعوا اليها من التراب فصار يرى كلهُ من كل جهة . وهذا المحل المقدس يحدق بهِ سور حفرت عليهِ صور كثيرة وداخل السور خميلة من الشجر غرست حول الهيكل الكبير والاشجار عالية جدًا وتمثال المعبودة في الهيكل والمحل المقدس مساحتهُ استادة طولاً في واحدة عرضًا على التربيع والطريق المودية الى مدخل الهيكل تخترق الساحة العمومية . وتتجه شرقًا وتودي الى هيكل عطارد وطولها نحو ثلاث استادات وعرضها اربعة بليثرات وهي مبلطة وعلى جانبيها اشجار

كبيرة جدًّا

❋ ١٣٩ ❋ قال الكهنة وطريقة خلاص مصر من يد شاباق هي كما ياتي . بينما هو نائم راى روءيا دعتهُ الى الهرب . راى كان رجلاً يُشير عليهِ ان يجمع كل كهنة مصر ويقطع كل واحد منهم شطرين من الوسط . واذ تامل في هذه الروءيا قال انهُ شبّه لهُ ان الآلهة اظهروا لهُ علة ليخرق حرمة الاشياء المقدسة حتى يستحق العقاب اما عن يدهم او بواسطة الناس فلا يفعل ما امر بهِ في الروءيا واحب ان يهرب باسرع وقتًا ما يلزمهُ للخروج من مصر بعد ما ملكها بحسب انباء الوحي لانهُ بينما كان باقيًا في بلاد الحبشة استشار نبوات الحبشة فاجيب انهُ يجب ان يملك خمسين سنة في مصر واذ انتهت المدة المذكورة وفضلاً عن ذلك اضطرب بواسطة الروءيا عمد الى الخروج منها عن طيب خاطر

❋ ١٤٠ ❋ وحالما بارح مصر اقبل انيسيس (الاعمى) من المستنقعات وتسلم زمام الحكومة . وكان قد اقام خمسين سنة في جزيرة رفع ارضها بالرماد والتراب لانهُ حينما كان المصريون يذهبون لياتون لهُ بالطعام كلٌّ حسب مقدرتهِ كان يطلب اليهم ان ياتوهُ برماد على سبيل هدية محضة لكن من غير ان يعلم شاباق . وقبل اميرتيوس لم يقدر احد ان يجد هذه الجزيرة وبقي الملوك الذين سلفوهُ خمس سنوات يبحثون عنها فلم يهتدوا اليها . وتسمى جزيرة ألبو مساحتها عشر استادات

. . . . . . . . . . .

❋ ١٤١ ❋ وقيل لي ان الذي تولى الملك بعد انيسيس وهو احد كهنة فلكانوس واسمهُ سيثوس ولم يبالِ برجال الحرب بل احتقرهم كانهُ لم يكن محتاجًا اليهم ومن جملة الاهانات التي اوقعها عليهم انهُ سلبهم ما كان لهم من الارض كما وهبهم الملوك اسلافهُ اذ خص كلاًّ منهم بقطعة ومساحة تلك الارض اثنا عشر ارورًا«١»

١ الارور عبارة عن مئة ذراع مصرية . وكان لرجال الحرب امتياز خاص كما كان للكهنة ايضًا ولم يكن من القوانين ان الملك يكون من غير الكهنة او رجال الحرب لان اولئك ماهرون في سنن الدين وهؤلاء يستحقون الاعتبار لاهليتهم في المدافعة عن الوطن

لكن بعد ذلك لما اتى سنحاريب ملك العرب والاشوريين وهاجم مصر بجيش كثيف امتنع رجال الحرب من الدفاع عن الوطن فتحير الكاهن وارتبك جدًا فدخل الهيكل وجعل يبتهل وينوح امام تمثال الاله لما جرى عليهِ من هذا الخطر العظيم وبينما هو يشكو سوء حظهِ نام ورأى كأنَّ الاله تراءى لهُ وشجعهُ واكد لهُ انهُ اذا مشي للقاء العرب لا يلحقهُ شيء من الاذى وانهُ هو نفسهُ يرسل اليهِ نجدة

فوثق سيثوس بهذه الرؤيا ومشى في مقدمة الناس الذين ارادوا الحرب وعسكر بهم في بيلوسة التي هي مفتاح مصر . وكان العسكر المذكور مولفًا من تجار واصحاب صنائع وحرف ورعاع القوم ولم يصحبهم احد من رجال الحرب فلما وصل الجيش الى بيلوسة انتشرت كمية وافرة جدًا من اليرابيع في المكان الذي فيهِ جيش الاعداء وذلك ليلاً وقرضت الخوذ والقسي والسيور التي تعلق بها الترس حتى اصبح العرب وليس لهم سلاح وهلك اكثرهم بالهزيمة

ويشاهد حتى الآن في هيكل فلكانوس تمثال حجري يمثل الملك المذكور وعلى يده يربوع وهذه الكتابة «أيًا كنت تعلم من النظر اليّ ان تحترم المعبودات»

❋ ١٤٣ ❋ الى هذا المكان من تاريخي علمت من المصريين وكهنتهم انهُ من عهد اول ملك الى عهد كاهن فلكانوس الذي كان آخر الملوك يحسب ثلثمائة وواحد واربعون جيلاً وفي هذه السلسلة الطويلة من الاجيال كان عدد الملوك كعدد الكهنة الكبار فثلثمائة جيل عبارة عن عشرة الاف سنة لان ثلاثة اجيال تساوي مئة سنة والواحد والاربعون جيلاً الزائدة عن ثلثمائة تساوي الف وثلثمائة واربعون سنة . وقالوا ايضًا انهُ في هذه المدة التي هي احد عشر الفًا وثلثمائة واربعون سنة لم يظهر اله بصورة بشرية وانهم لم يروا شيئًا من ذلك لا في الازمنة السابقة لذلك العصر ولا في عهد الملوك الاخرين الذين ملكوا مصر في الاعصر المتاخرة . واكدوا لي ايضًا ان الشمس في هذه المدة الطويلة من السنين طلعت اربع مرات فقط خارجًا عن مكان طلوعها الاعتيادي ومن الجملة مرتين حيث تغيب الآن وانها غابت مرتين ايضًا في المكان الذي نراها تطلع منهُ الآن . وان

ذلك لم يحدث تغيرًا في مصر وان محاصيل الارض وفيضان النيل على ما كانت وانهُ لم يحدث زيادة في الامراض ولا في الوفيات

۞ ١٤٣ ۞ ولما كان المؤرخ ايكاتيوس في طيوة سابقًا كان يذكر لكهنة جوبيتر نسبهُ وانتهى في ذلك الى الهٍ كان بحسبهِ السادس عشر من اسلافهِ وهؤلاء الكهنة سلكوا معهُ المسالك الذي سلكوهُ معي من ثم وان كنت لم اذكر لهم شيئًا عن نسبي . فانهم مضوا بي الى داخل مكان كبير من الهيكل حيث اروني من تماثيل الخشب الكبيرة بقدر عدد الكهنة الكبار السابقين لان كل كاهن اعظم لا بد ان يضع لنفسهِ تمثالاً في الهيكل مدة حياتهِ . فعدوها امامي وبرهنوا لي بتمثال اخر من مات وبسردها متوالية حتى اروني اياها جميعها ان كل واحد من اصحاب التماثيل كان ابنًا للذي قبلهُ

قلت ان ايكاتيوس «١» كان يذكر للكهنة سلسلة نسبهِ وانهُ ينتهي الى اله بحسبهِ السادس عشر من اسلافهِ فعارضوه بسلسلة نسب الكهنة العظام بان عدّوهم لهُ بدون ان يسلموا ان رجلاً كان من سلالة الهٍ كما ذكر لهم وقالوا لهُ ان كل تمثال كان يمثل ابن كاهن اعظم ابوه ايضًا كاهن اعظم وتبعوا هكذا التماثيل المذكورة وعددها ثلثمائة وخمسة واربعون من الاخير الى الاول فاثبتوا لهُ ان كل واحد من اولاد الكهنة العظام هولاء كان ابنًا للآخر وانهم ليسوا من ذرية اله ولا ذرية بطل . واسم الكاهن الاعظم عند المصريين بيروميس ومعناهُ صالح وفاضل

۞ ١٤٤ ۞ فهكذا برهن لي هولاء الكهنة ان كل الذين تمثلهم تلك التماثيل لم يكونوا من سلالة الالهة بل كهنة عظامًا اولاد كهنة عظام وانهُ من الصحيح مع ذلك ان الالهة كانوا في الزمان السابق لهولاء الرجال قد ملكوا مصر وسكنوا

١ ايكاتيوس اسم مشترك بين عدة رجال والذي يذكرهُ هيرودوتس مؤرخ من مدينة ملطية وكان يلقب بالميليسي تمييزًا لهُ عن غيره . وكان قد رحل الى مصر . وقد يمكن ان يكون قد ولد في عهد قورش لانهُ دعي في ثورة اليونان على دارا بن قمبيز الى كل مجلس كان يعقد للمخابرة وكانوا لا يجمعون الاَّ المتقدمين في السن العارفين بمجاري الامور (بلنجي)

مع البشر وانهُ كان منهم دائمًا واحد استبد بالسلطان المطلق وان اوروس الذي يسميه الاغارقة ابلون اخر من مَلك منهم في مصر وانهُ لم يملك الاَّ بعد ان اخذ التاج من تيفون «١» واوروس هذا كان ابن اوسيريس الذي نسميه باخوس

❋ ١٤٥ ❋ وعند الاغارقة يحسب هرقليس وباخوس وبان احدث الالهة واما عند المصريين فالامرُ بالعكس فان بان يحسب قديمًا جدًّا ويجعلونهُ احد الثمانية الالهة الاولين وهرقليس يحسب من اصحاب الرتبة الثانية الذين يسمونهم بالاثني عشر الهًا وباخوس ممن اصحاب الرتبة الثالثة الذين تولدوا بواسطة الاثني عشر

وقد ذكرتُ انفًا كم يحسب المصريون من السنين من عهد هرقليس الى عهد الملك عمسيس ويقولون انهُ يوجد ايضًا عدد اكبر منذ عهد الاله بان واما منذ عهد باخوس فالعدد اقل ولو كانوا يحسبون ان من عهد باخوس الى عهد الملك المذكور احد عشر الف سنة . والمصريون يوكدون هذه الامور كأَن لا شك فيها لانهم كانوا يعتنون دائمًا بضبط حساب هذه السنين ويقيدونها في سجل مدقق فيقولون ان من عهد باخوس المولود على قولهم من سميلة بنت قدموس الى زماني نحو مئة وستين سنة ومن هرقليس بن الكمينى نحو تسعمائة سنة وبان الذي يحسبهُ الاغارقة ابن بنلوبة وعطارد كان قبل حرب ترْوادة ولا يحسبون من زمانهِ الى زماني الاَّ نحو ثمانمائة سنة

❋ ١٤٦ ❋ وكل انسان مخير بين هذين الرايين ان يقبل ما يراه اقرب الى الصحة اما انا فاكتفي بان اذكر رايي من هذا القبيل . فاقول اذا كان هولاء الالهة قد عُرفوا في اغريقية وقدم عهدهم فيها مثل هرقليس بن امفتريون وباخوس بن سميلة وبان بن بنلوبة امكن القول ايضًا انهم وان لم يكونوا الاَّ بشرًا

---

١ تيفون يحسب عند المصريين روح الشرّ كان قد سلب اخاه اوسيريس تاج الملك وقتلهُ واذ كان اصهب اصفر كان المصريون يمقتون معاشرة الذين على صفتهِ وفي زمان تقدميهم ذبائح بشرية كانوا يذبحون على ضريح اوسيريس كل اصهب او يحرقونهُ ❋ ل ❋

كانوا قد سموا باسماء آلهة ولدوا في القرون السابقة · والاغارقة يوكدون ان باخوس حالما ولد خاطهُ جوبيتر بفخذه وحملهُ الى نيسة مدينة من الحبشة فوق مصر واما بان فلا يقدرون ان يقولوا الى اي مكان نُقل بعد ولادتهِ فقد اتضح لي اذن ان الاغارقة علموا اسماء هولاء الآلهة بعد اولئك بزمان طويل وانهم لم يورخوا مولدهم الاَّ منذ سمعوا بهم · وهكذا هو ايضًا راي المصريين

١٤٧ وانا اذكر الان ما جرى في مصر بحسب اقرار المصريين الاجماعي وسائر الامم واضيف على ذلك ما شهدتهُ بنفسي

بعد موت سيتوس الذي كان ملكًا وكاهنًا لفلكانوس معًا تمتع المصريون بحريتهم ولكن اذ كانوا لا يقدرون ان يلبثوا برهة بلا ملك اختاروا اثني عشر ملكًا وقسموا مصر الى اثني عشر قسمًا جعلوا كل ملك لقسم منها . وصار الاتحاد بين هولاء الملوك بالزواج وتعاهدوا ان لا يضروا بعضهم بعضًا وان لا يطمع الواحد بملك الاخر وان يبقوا دائمًا متحدين بالمحبة الصادقة · وكانت الغاية من هذه المعاهدة ان يتقووا ويثبتوا بازاء كل خطر يعرض لانهُ منذ اول ملكهم بلغهم وحي مفادهُ ان من يقدم منهم سكيبًا في هيكل فلكانوس بكاس من نحاس يملك على كل مصر . ولذلك كانوا يجتمعون في كل الهياكل

١٤٨ وارادوا ايضًا ان يبنوا اثرًا على نفقتهم جميعًا فلما تم عزمهم بنوا بربي فوق بحيرة موريس بقابل وقرب مدينة التماسيح . وقد رايت هذا البناء فوجدتهُ يفوق وصف الواصفين . فكل اعمال الاغارقة وكل ابنيتهم لا تشبههُ لا من جهة الشغل ولا من جهة النفقة بل جميعها دونهُ بكثير . وهياكل افسس وساموس تستحق المدح واما الاهرام فهي فوق كل ما يقال عنها وكل واحد منها خصوصًا يمكن ان يقابل باعظم ابنية الاغارقة على ان البربي يفوق الاهرام نفسها فهو مولف من اثني عشرة دارًا تحدق بها اسوار ابوابها متقابلة ستة منها الى الشمال وستة الى الجنوب وكلها متلاصقة وحول الجميع سور واحد . ومنازلها مزدوجة منها الف وخمسمائة تحت الارض والف وخمسمائة فوق الارض والكل ثلثة الاف . وقد دخلت المنازل العليا وجلت فيها ولذلك اتكلم عنها بتحقيق لاني شاهدتها بعيني

واما التي تحت الارض فلا اعرف عنها الا ما قيل لي لان المصريين المتولين امرها لم يسمحوا لي ان اراها لانها على قولهم متخذة مدافن للتماسيح المقدسة والملوك الذين بنوا هذا البناء كلهُ. فلا اتكلم اذن عن المنازل السفلى الا نقلاً عن كلام الناس. واما العليا فقد رايتها واحسبها كاعظم ما عمل البشر في سالف الازمان

فلا يزداد الانسان الا تعجبًا من اختلاف المسالك المتعرجة المودية من الدور الى المنازل والمنافذ المودية منها الى دور اخر وكل مجموع من تلك المنازل مولف من غرف كثيرة تنتهي الى معابر يوصل منها الى منازل اخرى تجتاز غرفها للوصول الى دور اخر. وسقف كل مجموع منازل من حجر وكذلك الجدران وهذه كلها منقوشة بصور مسنمة

وحول كل دار صف من الاساطين حجرها ابيض متقنة الاحكام وفي الزاوية التي ينتهي بها البربي يوجد هرم علوهُ خمسون اورجية قد حفرت عليهِ صور كبيرة لبعض الحيوانات. ويوصل اليهِ بمدخل تحت الارض

❊ ١٤٩ ❊ ومهما كان هذا البربي عجيبًا فان بحيرة موريس القريبة اليهِ اعجب منهُ محيطها ثلاثة الاف وستمائة اسنادة عبارة عن ستين سخينة اي ان امتدادها بمقدار مساحة ساحل مصر كلها من جهة البحر. وهذه البحيرة الممتدة طولاً من الشمال الى الجنوب عمقها خمسون اورجية في اعمق موضع منها. وقد حفرت بايدي الناس والدليل منها نفسها فانهُ يشاهد في وسطها تقريبًا هرمان علو كل منهما فوق الماء خمسون اورجية وخمسون تحت الماء وعلى كل منهما تمثال ضخم جالس على عرش. فطول كل من هذين الهرمين مئة اورجية. فمئة اورجية تكون اسنادة اي ستة بليثرات لان الاورجية ست اقدام او اربع اذرع والقدم اربع قبضات والذراع ست قبضات

ومياه بحيرة موريس ليست من نبع لان الارض التي فيها جافة جدًّا وقاحلة بل يوتى بها من النيل بترعة بينهما فتجري من النيل الى البحيرة مدة ستة اشهر ومن البحيرة الى النهر ستة الاشهر الاخرى وفي مدة رجوع المياه منها الى النهر يكون من الصيد في البحيرة ضريبة للخزينة الملكية وزنة فضة كل يوم لكن في الستة الاشهر التي

تدخلها المياه من النيل لا تكون الضريبة الا عشرين منًّا«١» .

﴿ ١٥٠ ﴾ وللبحيرة عطفة من جهة الغرب وتجه الى وسط الارض على موازاة طول الجبل فوق منف وتفرغ مياهها لمنفعة اهالي البلاد في خليج سيرتة من ليبيا بواسطة قناة تحت الارض . ولكوني لم ارَ في موضعٍ ما استخرج من التراب عند حفر البحيرة وكنت مشتاقًا لمعرفة مكان وجوده سالت اهل البلاد الذين هم اقرب الى البحيرة من غيرهم فلم يصعب عليَّ تصديقهم اكثر مما صعب عليَّ تصديق الخبر عما فعل اهل نينوى مدينة الاشوريين من نحو هذا . وذلك ان لصوصًا ارادوا سرقة كنوز سردنابال ملك نينوى وكانت وفيرة جدًّا ومكنوزة في مكان تحت الارض فابتدأوا يحفرون الارض من موضع سكناهم وقد اتخذوا التدابير وعرفوا المسافة بتحقيق تام فاستمروا يحفرون الى ان وصلوا الى قصر الملك . وعند دخول الليل كانوا ياخذون التراب ويلقونه في دجلة وهو يجري على طول مدينة نينوى وبقوا هكذا في عملهم الى ان بلغوا غايتهم . وهكذا على ما سمعت عمل اهل مصر لكن الفرق انهم لم يكونوا يحفرون البحيرة ليلاً بل في النهار وكلما حفروا شيئًا كانوا ينقلون التراب ويلقونه في النيل فيبدّده . وعلى هذه الطريقة كان حفر البحيرة اذا صدق اهل البلاد .

﴿ ١٥١ ﴾ وكان الاثنا عشر ملكًا يسلكون سبيل العدل والانصاف وبعد زمان اذ قدموا قرابين في هيكل فلكانوس كانوا في آخر يوم من العيد عازمين على تقديم السكائب فقدم لهم الكاهن الاعظم كؤوسًا من ذهب كانت عادتهم ان يستخدموها في مثل هذا الوقت لكنه غلط بالعدد فعوض ان ياتي باثني عشر لم يعطهم الا احد عشر . وكان بسامتيخوس في الصف الاخير منهم وراى ان ليس له كاس مثلهم فاخذ خوذته وكانت من نحاس واستخدمها لتقديم السكيب . وكان من عادة سائر الملوك الاخرين ان يلبسوا خوذًا وكانت خوذة كل واحد على راسه فلم

---

١ مرّ آنفًا ان الوزنة عبارة عن ٥٤٠٠ درهم والمنا ٩٠ فيكون مدخول الصيد السنوي لخزينة ٢١٦٠٠٠ درهم وكانوا تنفق على حلي الملكة وعطرها ☆ ل ☆

يكن اذن لبساميتخوس مقصد مكر باستخدام خوذته

فلما تامل الملوك الاخرون صنيعهُ وذكروا قول النبوة ان من يقدم منهم سكيبة في كاس من نحاس يصير يوماً ملك مصر وحده فحصوا باطن هذا الملك فعرفوا من اجوبتهِ انهُ لم يفعل ذلك لمقصد اضمره. فاعتقدوا انهُ ليس من العدل ان يقتلوه لكنهم انتزعوا منهُ اعظم قسم من مملكتهِ ونفوه الى المستنقعات ومنعوه ان يخرج من هناك ويتعاطى شيئاً من المواصلات مع سائر مصر

❊ ١٥٢ ❊ وكان هذا الملك قبل ذلك قد فرَّ الى سورية هرباً من اضطهاد شاباق ملك الحبشة لانهُ كان قد قتل اباه نيكوس. فلما خرج شاباق من مصر استدعاه اهل ولاية صا بموجب رؤيا رأَوها ومن ثم جعل ملكاً لكن حدث لهُ ان ينفى الى المستنقعات لانهُ قدم سكيباً بخوذتهِ. وهذه ثاني مرة نفي بها. فتأَثر من هذه الاساءَة وعزم ان ينتقم من الذين نفوه فارسل الى بوتو يستشير كهانة لاتونة وهي اصدق كهانات مصر فاجيب ان رجالاً من نحاس يخرجون من البحر وياخذون بثاره

ففي اول الامر لم يقدر ان يتحقق ان رجالاً من نحاس ياتون لنجدتهِ لكن بعد مدة قليلة اقبل قوم من اليونان والكاريين كانوا قد ركبوا البحر لاجل السلب فاضطرهم الحال ان يرسوا في مصر فخرجوا الى البرّ وعليهم اسلحة من نحاس. فبادر احد المصريين واعلم بهم بساميتخوس وهو في المستنقعات. واذ كان ذلك المصري لم يرَ حتى ذاك الوقت رجالاً سلاحهم نحاس قال لهُ ان رجالاً من نحاس خرجوا من البحر وهم ينهبون البلاد. ففهم الملك من هذا الكلام ان النبوة قد تمت فاتحد مع اليونان والكاريين والزمهم بمواعد جليلة ان يتحزبوا لهُ وبمساعدة هذه الجيوش المساعدة والمصريين الذين بقوا محافظين على الامانة معهُ خلع الاحد عشر ملكاً

❊ ١٥٣ ❊ ولما صار بساميتخوس ملكاً على كل مصر بنى في منف اروقة هيكل فلكانوس التي هي من جهة الجنوب. وتجاه هذه الاروقة بنى لأبيس مكاناً يعولونهُ فيه عند ظهوره وهو رواق مزين بالصور وقائم على تماثيل ضخمة ارتفاع

الواحد اثنتا عشرة ذراعًا تنوب عن الاساطين. والاله ابيس هو الذي يسميه الاغارقة بلغتهم ابافوس

١٥٤ وكافأ بسمانيخوس جميل اليونان والكاريين بمنحهم ارضًا ومساكن متقابلة لا يفصل بينها الا النهر فسموها بالمعسكرات واعطاهم مع تلك الارض كل ما كان وعدهم به واسلم منهم ايضًا على اولاد مصريين لكي يعلموهم اللسان الاغريقي ومن سلالة هولاء الاولاد الذين تعلموا حينئذ ذلك اللسان التراجمة الموجودون الان بمصر

ومكث اليونان والكاريون زمانًا طويلاً في الاماكن التي جعلهم فيها بسمانيخوس وهذه الاماكن واقعة قرب البحر تحت بوبستي بقليل نحو مصب النيل المسمى بالبيلوسي . ولكن بعد ذلك نقلهم الملك عمسيس الى منف لكي يتخذهم حماة له من المصريين

ومنذ اقامتهم في مصر تعاطى معهم الاغارقة تجارة ضيقة النطاق جدًا حتى اننا نعرف منذ ابتداء ملك بسمانيخوس كل ما جرى في هذه البلاد معرفة محققة . فيكونون بالحقيقة اول شعب غريب اللسان قبلهم المصريون في بلادهم وكانت فرضهم وخربات بيوتهم باقية الى زماني في المكان الذي أخذوا منه .

وبهذه الطريقة صار بسمانيخوس صاحب مصر

١٥٥ ومع اني تكلمت كثيرًا عن كهانة هذه البلاد فاني لا ازال اذكرها ايضًا لانها تستحق الذكر . وهي مخصوصة بلاتونة في مدينة كبيرة واقعة عند المصب السبني من النيل يمرُّ بها الصاعد من البحر بذلك المصب

وهذه المدينة يقال لها بوتو وقد ذكرت اسمها قبلاً وفيها عدة هياكل منها هيكل ابلون وهيكل ذيانة وهيكل لاتونة الذي فيه يهبط الوحي وهو كبير وارتفاع اروقته عشر اورجيات ومن كل ما رأيت ضمن السور الموقوف للاتونة لم يكن ما يحملني على العجب الا هيكل المعبودة فهو حجر واحد ارتفاعًا وطولاً وجوانبه متساوية ومساحة كل من اوجهه اربعون ذراعًا وسقفه حجر واحد بارز عنه اربع اذرع

١٥٦ ومن كل ما يرى في جوار السور الموقوف للاتونة ليس

العجب على رايي من هذا الهيكل . وجزيرة خميس في الرتبة الثانية فهي في بحيرة عميقة فسيحة قرب هيكل لاتونة في بوتو . ويوكد المصريون ان هذه الجزيرة طافية واما انا فلم ارها طافية ولا لها حركة ولذلك قد اخذني الدهش بما سمعت من انهُ وجد بالحقيقة جزائر طافية . وفي هذه الجزيرة معبد كبير لابلون لهُ ثلاثة مذابح . والارض تنبت هناك بلا فلاحة كثيرًا من النخيل وغير اشجار مثمرة وغير مثمرة . والسبب الذي تحسب بهِ الجزيرة طافية هو هذا على راي المصريين

ان لاتونة واحدة من الالهة الثانية القديمة جدًا وكانت تسكن مدينة بوتو حيث الان كهانتها فسلمتها ايسيس ابلون وديعة فخبأتهُ في هذه الجزيرة التي يقولون لها الان الجزيرة الطافية وكانت قبلاً ثابتة وغير متحركة . وكانت قد خلصتهُ في الوقت الذي وصل فيهِ تيفون وهو يبحث في كل مكان عن ابن اوسيريس لانهم يقولون ان ابلون وذيانة ولدا من باخوس وايسيس وان لاتونة كانت مرضعتهما ومحافظة عليهما وابلون اسمهُ اوروس باللسان المصري وكيريس هي ايسيس وذيانة بوبستي

واسخيلوس بن اوفوريون اقتبس هذه القصة وبناءً عليها ذكر في اشعاره ان ذيانة كانت بنت كيريس وهذا الراي مخصوص بهِ وحده ولا يوجد في شعر غيره من الشعراء المتقدمين عليهِ . وبهذا السبب صارت هذه الجزيرة طافية . هكذا يقولون عن هذه الامور

❊ ١٥٧ ❊ وملك بسامتخوس في مصر اربعًا وخمسين سنة وحصر مدينة ازوتوس « ١ » مدينة عظيمة في سورية استمر على حصارها تسعًا وعشرين سنة ولم نسمع بمدينة سواها ثبتت هذه المدة

❊ ١٥٨ ❊ وولد لهُ ابن اسمهُ نيكوس (نخو) صار ايضًا ملك مصر وهو اول من باشر حفر الترعة الموصلة الى بحر اريثرية . ودارا ملك الفرس اكملها وطول هذه الترعة اربع مراحل في البحر وعرضها كافٍ لان تسير فيهِ ثلث سفن

١ هي مدينة اشدود التي كان فيها تمثال داجون . صارت اليوم حقيرة ❊ ح ❊

ذات مجاذيف الواحدة بجانب الاخرى . والماء الذي يملأها ياتي من النيل يدخلها فوق بوبستي بقليل وهذه الترعة تنتهي الى بحر اريثرية قرب باتوموس مدينة من بلاد العرب

شرعوا بحفرها في ذلك القسم من سهل مصر الذي هو الى جهة بلاد العرب والجبل الذي يمتد الى جهة منف والذي فيه المقالع هو فوق هذا السهل متصل به فالترعة المذكورة يكون اولها عند حضيض الجبل وتتجه اولاً في مسافة طويلة من الغرب الى الشرق ثم تمر بثقوب في هذا الجبل وتتجه جنوباً الى خليج العرب

ولكي يمضي الانسان من البحر الجنوبي (المتوسط) الى البحر الشمالي (البحر الاحمر) المسمى ايضاً بحر اريثرية ياخذ بالمسير من جبل قاسيوس الفاصل بين مصر وسورية . هذا اقرب الطرق . ومن الجبل المذكور الى خليج العرب ليس الا الف اسنادة ولكن الترعة اطول من ذلك بمقدار ما تكثر العطفات . وفي ايام الملك نخو هلك في حفرها مئة وعشرون الف رجل فوقف الملك العمل بناء على جواب من كهانة انبأته انه يشتغل للبربري والمصريون يسمون برابرة كل الامم التي لا تتكلم بلغتهم

﴿ ١٥٩ ﴾ ولما ترك نخو العمل في الترعة حول افكاره الى الغزو فعمل شواني في البحر الجنوبي وخليج العرب وبحر اريثرية والى الان باقية الترسانات التي اشتغلت فيها السفن وهذه السفن معدة في وقت الحاجة . وحارب نخو ايضاً براً جيش السوريين قرب مجدل وبعد ما انتصر استولى على قاديتس «١» مدينة عظيمة في سورية ووقف لابلون الثياب التي كان قد لبسها في غزواته وارسلها الى البرنخيذة في بلاد المليسيين . ومات بعد ذلك بعد ان ملك ست عشرة سنة وهي كل مدة ملكه وخلفه في الملك ابنه بسامبس

﴿ ١٦٠ ﴾ وعلى عهد هذا الملك اقبل سفراء الى مصر من قبل الايليين . وكانت هذه الامة تفتخر بانها سنت في الالعاب الاولمبية اعدل القوانين واحسنها

---

١ مدينة قادش وليس لها الان ذكر يذكر ＊ح＊

وكانت تظن إن المصريين انفسهم وإن كانوا احكم البشر لا يقدرون ان يبتدعوا احسن منها

فلما وصلوا الى بلاط الملك وبينوا له المقصد من قدومهم استدعى الملك من اشتهروا بين المصريين بالتفوق في الحكمة فلما اجتمعوا عرض عليهم الايليون القوانين التي ارتأوا انها موافقة وقالوا لهم انهم اتوا ليعلموا هل يقدر المصريون ان يتصوروا اعدل منها فتشاور المصريون بهذا الشان ثم سألوهم هل يقبل اهل بلدهم في المناظرة في تلك الالعاب فاجابهم الايليون انه يسمح لهم بذلك ولغيرهم من الاغارقة فقال المصريون ان هذه القوانين تنقض شريعة الانصاف نقضاً تاماً لانه لا بد لهم ان يجنحوا الى ابناء وطنهم لغلبة الاجانب ولكن اذا ارادوا ان يضعوا للالعاب قوانين يحفظ بها جانب العدل وكان هذا مقصدهم من المجيء الى مصر يشيرون عليهم ان يكون للغرباء فقط الحق بالمناظرة بموجب القوانين الجديدة ولا يسمح للايليين ان يجولوا في هذا الميدان. هذه هي المشورة التي اشارها المصريون على الايليين

﴿ ١٦١ ﴾ ولم يملك بساميس الا ست سنوات ومات على اثر غزوته في بلاد الحبشة وخلفه ابنه ابرياس . وكان هذا الملك بعد جده بسامتيخوس اسعد حظاً من كل من تقدمه من الملوك . ملك خمساً وعشرين سنة في اثنائها غزا صيدا وحارب ملك صور في البحر غير ان الدهر خانه اخيراً . وهنا اذكر بالاختصار في اي الظروف ابتدأت مصائبه . وابقي الاسهاب في ذلك الى حين اتكلم عن احوال ليبيا

كان ابرياس قد ارسل جيشاً لمحاربة القيروانيين فانكسر كسرة شنيعة فنسب المصريون هذا الويل اليه وثاروا به ظانين انه اضمر لهم مكيدة فارسلهم الى هلاك مبين حتى يهلكوا بدون ان يستفيدوا شيئاً ويكون له سلطان اقوى على الباقين من رعاياه . فالجيوش التي رجعت من الحرب واصحاب الذين هلكوا هناك غضبوا على الملك وجاهروا بالخروج عليه

﴿ ١٦٢ ﴾ فلما بلغ الخبر ابرياس ارسل عمسيس ليسكنهم لكن بينما

هو يرشدهم الى الرجوع للحق كان احد المصريين خلفهُ فوضع على راسهِ خوذة وقال لهُ هذا لكي تتولى اسّ الملك . فظهر من عمسيس بعد ذلك ان ما جرى لم يكن على غير رضاه لانهُ حالما اعترف العصاة بتملكهِ تهيأ للزحف على ابرياس . وحينئذٍ ارسل الملك بطربيس وهو من اشهر الرجال الذين بقوا على طاعتهِ وامرهُ ان ياتيهُ بعمسيس حيًّا . فلما وصل بطربيس الى معسكر العصاة دعا عمسيس وكان بالاتفاق راكبًا فرسًا فرفع فخذه واطلق ريحًا وامر بطربيس ان يحمل ذلك الى ابرياس . واذ بقي بطربيس يستعطفهُ ليمضي الى الملك لانهُ طالبهُ اجابهُ عمسيس انهُ كان في عزمهِ من زمان طويل ان لا يجعل لابرياس سبيلاً للتشكي منهُ . وانهُ يمضي اليهِ بلا انقطاع على سبيل الصداقة . ففطن بطربيس لمقاصدهِ من جوابه والاستعدادات التي كان يقوم بها فكرّ مسرعًا لينذر الملك في الحال

فحالما رآه ابرياس راجعًا وليس معهُ عمسيس قطع انفهُ واذنيه وهو في اول استشاطته ولم يمهل نفسهُ حتى يتروى . فهذه الاساءة القبيحة الى رجل ممتاز كهذا اضرمت نار الغضب في من بقي من المصريين على طاعتهِ فانحازوا من وقتهم الى عمسيس وسلموا انفسهم اليهِ

۞ ١٦٣ ۞ فلما علم بذلك ابرياس جمع جيوشهُ المساعدين وزحف على المصريين . وكان خروجهُ من صا حيث كان لهُ قصر عظيم فاخر ومشى في مقدمة ثلاثين الفًا من اليونان والكاريين ليخمد ثورة العصاة . وزحف عمسيس ايضًا بجيشهِ على الاجانب والتقى الجيشان في مومنفيس وعزموا على القتال

۞ ١٦٤ ۞ والمصريون منقسمون الى سبع رتب الكهنة ورجال الحرب والبقارون ورعاة الخنازير والتجار والتراجمة والنوتية او اصحاب البحر واسماؤهم ماخوذة من حرفهم والذين مهنتهم حمل السلاح يقال لهم جنود منظمة ورديف

۞ ١٦٥ ۞ وولايات الجنود المنظمة هي بوصيروصا واخميم وبابريميس وجزيرة بروسوبيتس ونصف ناتو . وهذه الولايات يجتمع منها على الكثير مئة وستون الف جندي كلهم حملة سلاح ولا يتعاطى احد منهم عمل الالات

۞ ١٦٦ ۞ واما الرديف فولاياتهم طيوة وبوبستي وافثيس وتنيس

ومنديس وسبنيس واتربيس وفريتيس وثموبس ولونوفيس وانيسيس وميكفوريس وهي جزيرة واقعة بازاء بوبستي · وهذه الولايات يجتمع منها اذا كانت ماهولة اكثر من غيرها مئتان وخمسون الف جندي ولا يسمح لهم ايضاً ان يتعاطوا عملاً غير حمل السلاح والابن يخلف اباه .

﴿ ١٦٧ ﴾ ولا يمكنني ان اثبت هل اتخذ الاغارقة هذه العادة من المصريين لاني اراها محفوظة عند الثراقيين والسكيثة والفرس والليديين وبالاختصار لان العادة عند اكثر البرابرة ان الذين يتعلمون فن الآليات حتى اولادهم يحسبون من سفلة الامة · على ان الذين لا يتعاطون فن الاليات وعلى الخصوص الذين لا شغل لهم الاّ حمل السلاح يحسبون من اشرافها وكل الاغارقة تربوا على هذه المبادي ولاسيما اللقدمونيين على اني استثني القرنثيين فانهم يهتمون كثيراً بالصنائع

﴿ ١٦٨ ﴾ ورجال الحرب عند المصريين لهم وحدهم باستثناء الكهنة امتيازات فان كل واحد منهم يعطى اثني عشر اروراً لا يوخذ عليها شيء من الضرائب ولا الاتاوة · والارور قطعة ارض مساحتها مئة ذراع مصرية على التربيع والذراع المصرية مساوية للساموسية وهذه القطعة من الارض تكون خاصة بصاحبها · ولهم ايضاً بالتداول امتيازات اخرى · فكل سنة يمضي مئة من المنظمة ومئة من الرديف الى بلاط الملك ويكونون حراساً وفي مدة خدمتهم كانوا يعطون كل يوم فضلاً عن الاثني عشر اروراً التي لكل واحد منهم خمسة منوات خبزاً ومنوين لحم بقر واربعة ارستيرات«١» خمراً · كانوا يعطون هذه الاشياء دائماً لكل طغمة الحرس

﴿ ١٦٩ ﴾ فالتقى ابرياس مع جنوده المساعدين وعمسيس مع المصريين في مومنفيس واشتبك القتال فحارب الاجانب ببسالة لكن لانهم كانوا اقل عدداً بكثير من اعدائهم انكسروا · وقيل ان ابرياس كان موقناً انه لا

١ الارستير مكيال مثل الكوتيل والكوتيل نصف سدسية ＊ ل ＊

ينذر ان يخلعهُ الله لشدة تصوره انهُ ثبَّت اركان ملكهِ . ومع ذلك فقد غُلب واسر واخذوه الى صا الى القصر الذي كان لهُ قبل ذلك بقليل وصار من بعده لعمسيس فعاش هناك مدة واعتنى بهِ عمسيس كثيرًا . غير ان المصريين لاموه اخيرًا لكونهِ لا يسلك سبيل العدل بابقاء عدوهم الاكبر في الحياة فسلم اليهم ذلك الملك المنكود الحظ فحالما صار بيدهم خنقوه ثم دفنوه في مدفن ابائهِ . ومقبرتهم هي في الساحة التي لمينرفة قرب الهيكل على يسار الداخل . واهل صا دفنوا في هذه الساحة كل الملوك الذين اصلهم من ولاية صا

وبناء عليهِ جعلوا فيها ضريح عمسيس لكنهُ ابعد عن الهيكل من ضريح ابرياس واضرحة ابائهِ . وفي دار المكان المقدس قاعة كبيرة مبنية بالحجارة المزينة باساطين على شكل النخل وزخارف اخرى وفي هذه القاعة مخدع لهُ باب بمصراعين فهناك وضعوا تابوتهُ

* ١٧٠ * ويشاهد ايضًا في صا مدفن من لا يسمح لي على ظني ان اسميه الان «١» وهو في الساحة المقدسة وراء هيكل مينرفة متصل بجدار الهيكل على طولهِ . وفي قطعة الارض هناك مسلآت حجرية وقرب هذه المسلآت بحيرة على شاطئها حجارة مرصوفة وهذه البحيرة مستديرة وعلى ما ظهر ليست اصغر من بحيرة ذيلوس التي تسمى تروخويذة

* ١٧١ * واذا كان الليل يمثلون على هذه البحيرة الحوادث التي جرت لمن لم ارَ ان اسميهُ . والمصريون يسمونها اسرارًا ومع اني اعرفها معرفة جيدة اتحاشى ان اكشفها وهكذا افعل بخصوص الاعمال السرية المتعلقة بكيريس التي يسميها الاغارقة ثسموفورية ولا اتكلم عنها الاَّ بمقدار ما تسمح الديانة «٢» وبنات ذاناوس هن اللواتي اتين بهذه الاسرار من مصر وعلمنها لنساء البلاسجة لكن بعد

---

١ المرجح انهُ اوسيريس * ل *

٢ كان الاغارقة يسمون كيريس ثسموفورة ايضًا وهذا العيد الذي يقبل فيهِ دخلاؤه في اسرار عبادتها منسوب اليها وكان ثلثة ايام ومدار الاحتفال بهِ على النساء وثالث يوم يكون قبول الدخلاء * ح *

ذلك طرد الدوريون سكان بلو بونيسة الاولين ففقدت هذه العبادة الا عند الارقاديين الذين بقوا في بيلو بونيسة ولم يمكن طردهم منها فهم وحدهم حافظوا عليها

١٧٢ وهكذا كان مهلك ابرياس وملك مكانهُ عمسيس من مدينة سيوف في ولاية صا . وفي اول ملكهِ كان الشعب لا يكترثون بهِ بل كانوا يحتقرونهُ لانهُ كان من العامة العصاة لا من اهل البيوتات لكنهُ عرف فيما بعد كيف يقودهم الى مرامهِ بحذقهِ وفطنتهِ

كان من جملة الاشياء الكثيرة الثمينة التي تخصهُ طست من ذهب كان من عادتهِ ان يغسل بهِ رجليهِ هو وكل الاكابر الذين ياكلون على مائدتهِ فكسره وصنعهُ تمثال معبود ووضعه في اظهر مكان من المدينة . فصار المصريون يجتمعون هناك ويقدمون للتمثال فروض العبادة . وعلم عمسيس بما كان يجرى فاستدعاهم واعلن لهم ان هذا التمثال الذي يوقرونهُ جدًّا اصلهُ ذاك الطست الذهبي الذي استعمل سابقًا لاحقر الاعمال . قال وهكذا الحال معي كنت من العامة واما الان فقد صرت ملكًا عليكم فانصحكم اذن ان تقدموا لي التشريف والاحترام اللائقين بمقامي . فبهذه الطريقة فاز بمحبة رعيتهِ وقد وجدوا من الحق اليقين ان يخضعوا لهُ

١٧٣ وعلى الاسلوب الآتي دبَّر اعمالهُ . من اول النهار الى ساعة امتلاء المجلس من الناس كان يجتهد ان ينظر في الدعاوي التي تاتي وبقية الوقت كان يقضيها على المائدة فيمزح مع مدعوّيهِ ساخرًا بهم وما كان همه الا التفكه والهزل والمجون والخلاعة . فساء اصحابهُ هذا السلوك فقدموا لهُ بعض نصائح قائلين انهُ لا تعرف ان تحافظ على شرف مقامك فتحتقر نفسك ولكونك رقيت باستحقاق الى عرش الملك كان يجب ان تصرف النهار في النظر الى مصالح المملكة فيعرف المصريون من اعمالك ان لهم ملكًا من اكابر الرجال ويحسن ذكرك بينهم واما سلوكك هذا فليس سلوك ملك

فقال لهم عمسيس الا تعلمون انهُ لا توتَر قوس الا عند الحاجة اليها وبعد

قضاء الغرض منها يحل وترها واذا بقيت موترة فقد تنكسر ولا يعود ممكنًا استخدامها عند الحاجة . وهكذا الانسان اذا بقي دائمًا مشتغلاً بالامور الجدية بلا فتور ولا شيء من المسرات بأول به الامر بطريقة لا يشعر بها وبدون ان يعلم بنفسهِ الى حال الجنون او البله واني قد عرفت هذه النتيجة فقسمت وقتي بين قضاء المصالح والملذات . هكذا اجاب اصحابهُ

١٧٤ ويقال ان عمسيس كان وهو مهمل قائم بنفسو يتجنب كل الاعمال الجدّية ولا يحب الا الشرب والهزل والمسرات فاذا خلا من الدراهم ولم يمكنهُ ان ينال مرامهُ من الاطعمة والملذات كان من عادتهِ ان يسرق من هنا وهناك فالذين يتهمونهُ بسرقة دراهمهم كانوا ياخذونهُ اذا انكر الى كهانة المكان فكان غالبًا يضطر الى الاعتراف وكثيرًا ما كان ايضًا يخلص متبرئًا . فلما جلس على سدة الملك احتقر الآلهة الذين اظهروا براءتهُ ولم يعتنِ بهياكلهم ولا اهتم باصلاحها ولا تزيينها حتى لم يرد ان يمضي اليها ويقدم القرابين لاعتقادهِ انهم لا يستحقون البلادة لكون نبواتهم كانت كاذبة . وبعكس ذلك كان حالهُ مع الالهة الذين يسوانهُ سارق والزوه ان يعترف فكان يبالغ في احترامهم ويعتقد انهم آلهة حقًّا لا يتنبأون الا بالصواب

١٧٥ وبنى في صا اكرامًا لمينرفة رواق هيكلها وهو بناء عجيب يفوق كثيرًا كل عمل من امثالهِ بارتفاعهِ ومساحتهِ وصنعة الحجارة التي اتخذت لبنائهِ وضخامتها . ووضع فيهِ تماثيل كبيرة جدًّا ومن جملتها ما يسمى اندرو سفنكس «١» وهي عجيبة الارتفاع وعلى امرهِ انوا بحجارة لاحدّ لقياسها لاصلاح الهيكل استخرجوا قسماً منها من المقالع التي قرب منف لكن اتوا باكثرها من مدينة الفنتين وهي تبعد عن صا عشرين يومًا في الماء

واما الذي زادني اعجابًا فهو بناء من حجر واحد أُتي بهِ من الفنتين اشتغل

---

١ شخص وحشي بدنهُ بدن اسد ووجههُ وجه انسان . على ان المصريين كانوا يمثلون ابا الهول وهو المسمى سفنكس ببدن اسد ووجه فتاة جميلة وكانوا يضعون هذه التماثيل امام الهياكل لتكون مثالاً للطبيعة الغزية واللاهوت المصري *ل*

بهِ الفا رجل كلهم اصحاب سفن ثلاث سنين حتى نقلوه . طولهُ من الخارج احدى وعشرون ذراعًا وعرضهُ اربع عشرة وعلوه ثمانٍ هذه هي المساحة من الخارج لهذا البناء الذي هو حجر واحد وطولهُ من الداخل ثماني عشرة ذراعًا وعشرون اصبعًا وعرضهُ اثنتا عشرة ذراعًا وارتفاعهُ خمسٌ . وهذا البناء موضوع في مدخل المكان المقدس قال المصريون ولم يدخلوه داخلهُ لانهم بينما كانوا يجرونهُ كان البنّاء قد تعب وضجر من هذا العمل الذي صرف عليهِ وقتًا طويلاً فتنهد تنهدًا عميقًا . فحسب عمسيس ذلك شوءمًا ولم يرد ان يتقدموا بهِ بزيادة

وبعضهم يقول ان واحدًا من الذين كانوا يساعدون على تحريكهِ بالعتلات هُرِس تحتهُ ولاجل ذلك لم يدخلوه المكان المقدس

﴿ ١٧٦ ﴾ وقدم عمسيس ايضًا لكل الهياكل الاخرى المشهورة اشغالاً معجبة بكبرها ومن جملتها تمثال ضخم طولهُ خمس وسبعون قدمًا وضعهُ امام هيكل فلكانوس في منف ملقى على ظهره . وهناك ايضًا تمثالان عظيمان واقفان مصنوعان من الحجر الحبشي الواحد في جهة من الهيكل والاخر في الاخرى وارتفاع كل منهما عشرون قدمًا . وفي صا تمثال آخر عظيم من حجر حجمهُ كالذي في منف ووضعهُ كوضعهِ وهذا الملك نفسهُ هو الذي بنى في منف هيكلاً لايسيس عجيبًا باتساعه وزخرفهِ

﴿ ١٧٧ ﴾ ويقال ان مصر لم تكن سعيدة ولا ناجحة في زمان كما كانت في ايام عمسيس من جهة الخصب الذي جعلهُ فيها النيل ومن جهة ريع الاراضي وكثرة غلاتها . وكان حينئذٍ في البلاد عشرون الف مدينة كلها غاصة بالسكان

وعمسيس ايضًا هو الذي سن هذه الشريعة التي بموجبها يؤمر كل مصري ان يقدم للوالي لائحة بالاسباب التي يتعيش منها فالذي لم يكن عملهُ موافقًا للقوانين او لم يقدر ان يبرهن انهُ كان يتعيش باسباب ادبية كان عقابهُ الموت . وسولون الاثيني اقتبس هذه الشريعة من مصر ووضعها في اثينا حيث هي سائدة الى الان لانها مبنية على الحكمة وليس فيها ما يعارَض

﴿ ١٧٨ ﴾ واظهر عمسيس توددًا كثيرًا للاغارقة وكان لهُ فضل

على كثيرين منهم وما فعل من الجميل لهم انهُ اذن لكل من يأتي منهم الى مصر ان يقيم في نوكراتيس واما الذين لم يريدوا ان يسكنوها ولم يكونوا يسافرون الا للاعمال التجارية فوهبهم امكنة ليقيموا للالهة هياكل ومذابح واكبر الهياكل التي اقامها هؤلاء الاغارقة في مصر وهو مع ذلك اشهرها واحسنها يقال لهُ الهيكل الهيلاني اي الاغريقي والمدن التي قامت بنفقاتهِ بالاشتراك هي من جهة اليونان سافس وتيوس وفوقية وكلازومني . ومن جهة الدوريين رودس وكنيذة وهاليكرناس وفاسيليس . ومن جهة الايوليين مدينة ميتيلينة فقط

فالهيكل الهيلاني يخص كل المدن ولها حق ان تجعل فيهِ قضاة واما سائر المدن التي تدَّعي انها اشتركت بالمساعدة بهِ فتدَّعي حقوقًا ليست لها . على ان الاجينيين بنوا لانفسهم خاصة هيكلاً على اسم جوبيتر واهل ساموس هيكلاً ليونون واهل ميليسية آخر لابلّون

﴿ ١٧٩ ﴾ وكانت نوكراتيس قبلاً المدينة الوحيدة التجارية في مصر فاذا دخل تاجر مصبًّا آخر من النيل غير الفنوبي كان عليهِ ان يحلف انهُ لم يفعل ذلك بقصد منهُ ولا بارادتهِ وبعد هذا الحلف كان عليهِ ان يمضي بسفينتهِ نفسها الى المصب الفنوبي او اذا ضادَّتهُ الريح كان عليهِ ان ينقل بضائعهُ في براميل حول الدلتا الى ان يصل الى نوكراتيس . هذه هي الامتيازات التي كانت لهذه المدينة

﴿ ١٨٠ ﴾ واتفق ان النار اضطرمت بغتة في هيكل دلفي القديم فاحترق فعيَّن الامفكتيونة « ١ » ثلثمائة وزنة لبناء الهيكل الحديث وكان اهل دلفي



١ جماعة من اهل اغريقية عمومًا يعقدون مجلسًا للمفاوضة في المصالح العمومية وهم مولفون من معتمدي كل الولايات . يجتمعون مرتين في السنة في الربيع في دلفي وفي الخريف في انتيلة قرب الترموبيلة . ويقال ان الذي انشأ هذا المجلس هو امفكتيون الذي كان مالكًا في الترموبيلة في القرن السادس عشر . ق . م . والترموبيلة عقبة بين الجبل والبحر من جهة ثساليا يصعب بها دخول الاجانب طولها ٧ كيلومترات وعرضها في ذلك الزمان كان نحو ٦٠ مترًا * ح *

قد خُصُّوا بدفع ربع هذا المبلغ فصاروا يطلبون اسعافًا من المدن فحصل لهم من ذلك هدايا كثيرة والتي اتتهم من مصر لم تكن اقل مما سواها . فاعطاهم عمسيس مئة وزنة من الشب والاغارقة القاطنون في مصر اعطوهم من ذلك عشرين منًا

☼ ١٨١ ☼ وهذا الملك لحم الصداقة بينهُ وبين اهل القيروان واتحد معهم اتحاد الهجوم والدفاع وعزم ايضًا ان يتخذ امراة من مدينتهم وذلك اما لان مشربهُ كان موافقًا لمشرب الاغارقة او لكي يبدي لاهل القيروان دليل وداده . فتزوج لاذيكي التي يقول البعض انها ابنة باطوس «١» بن أركيسيلاس . وقال البعض انها ابنة كريتوبولس وهو رجل معتبر صاحب وجاهة بين اهل بلده

واما هذه المراة فلم يكن بينهُ وبينها من الامانة كما بينهُ وبين سائر نسائهِ وطال الامر على هذا القدر كثيرًا . فقال لها يومًا يا لاذيكي انت اتخذت لي وسائل سحرية لكن يجب ان تعلمي ان لا شيء ينقذك من الموت وستاتين اشنع ميتة تمات بها امراة فحاولت كثيرًا تسكين غضبهِ باساليب واعمال مختلفة فلم يلن فلجأت الى الزهرة ونذرت وهي في هيكلها ان ترسل لها تمثالاً الى القيروان اذا رضي عنهـا عمسيس في الليلة القابلة . فهذا كان العلاج الشافي لتلك العلة التي كانت واقعة عليها . فانها بعد ان نذرت هذا النذر رضي عنها عمسيس وعاش معها بصفاء وذاق منها سرورًا لم ينقطع يومًا فاحبها حبًا شديدًا فوفت لاذيكي نذرها فانها اصطنعت تمثالاً وارسلته الى القيروان وهو باقٍ فيها الى الآن وهو متجه الى خارج المدينة . ولما استولى قمبيز على مصر وعلم من لاذيكي نفسها من هي ارجعها الى القيروان ولم يلحق بها اذًى

☼ ١٨٢ ☼ وقدم عمسيس ايضًا لاغريقية عدة تقدمات فارسل الى القيروان تمثالاً مذهبًا يمثل مينرفة ومعهُ صورتهُ وارسل الى مينرفة ايضًا في مدينة

---

١ باطوس رحل من جزيرة تيرا احدى جزائر ككلاذة ذهب بجماعة من المهاجرين الاغارقة الى افريقية بامر وحي دلفي وبنى مدينة القيروان سنة ٦٣٠ . ق . م . وملك اربعين سنة وخلفهُ جماعة من الملوك تسموا باسمهِ ولكن لم يشتهروا بشيء . وبالنظر الى تاريخ السنين لا تكون لاذيكي ابنة باطوس هذا حقيقة لان عمسيس ملك من سنة ٥١٠ الى ٥٢٦ . ق . م . *ح*

لينذة تمثالين من حجر وقميصاً من كتان يستحق ان ينظر اليه . والى هيكل يونون في ساموس ارسل تمثالين من خشب يمثلانها فوضعوهما في الهيكل الكبير وراء الابواب وهما باقيان هناك الى اليوم . وانما قدم هذه التحفة الى ساموس حباً ببوليكراتس بن أجكس «١»

ولم يكن هذا السبب هو نفس سبب تقدمته الهدايا لمدينة لينذة بل لانه قيل ان بنات ذاناوس لما وصلن الى هذه المدينة وهن هاربات من وجه اولاد اجبتوس بنين فيها هيكل مينرفة القائم هناك الى اليوم •

فهذه هي الهدايا التي قدمها عمسيس . وهو اول ملك استولى على جزيرة قبرص والزمها ان تدفع له الجزية



١ بوليكراتس هو طاغية ساموس الذي اشتهر بما كان عنده من الاموال والكنوز وما حظي به من السعادة والنعيم والفوز بكل عمل يباشره وسيأتي خبره قريباً * ح *

# الكتاب الثالث

## ثاليا

١ هذا هو الملك الذي زحف عليهِ قمبيز بن قورش بجيش مولف من الشعوب الخاضعة لطاعتهِ ومن جملتهم اليونان والايوليون . وكان الداعي الى هذه الحرب ما يأتي . كان قمبيز قد ارسل رسولاً الى عمسيس يخطب اليهِ ابنته . اشار عليهِ بذلك رجل مصري والحّ عليهِ لكي ينتقم من ملكهِ لانهُ اخذه من بين زوجتهِ واولاده ليرسلهُ الى بلاد فارس حينما طلب قورش الى عمسيس ان يرسل اليهِ احذق طبيب في مملكتهِ في امراض العينين

فلم تزل حزازة في صدر هذا الطبيب فاستمر يلتمس الى قمبيز ان يخطب بنت عمسيس لكي يذله اذا اجاب ويجعلهُ مكروهاً في عيني قمبيز اذا امتنع . وكان عمسيس يكره الفرس بمقدار ما كان يخاف سطوتهم فما استطاع ان يعزم على الاجابة ولا الامتناع لعلمهِ ان قمبيز لا يريد ان يتخذها زوجة بل سرية وبعد تبصر طويل سلك المسلك الآتي

كان في بلاطهِ ابنة لأبرياس سلفهِ وكانت مديدة القوام بديعة الجمال ولم يبقَ من بيت ابيها غيرها وكان اسمها نيتيتس فالبسها عمسيس ثوباً مذهباً وارسلها الى بلاد العجم كانها ابنته

و بعد مدة حيّاها قمبيز مسمّيًا اسم ابيها فقالت لهُ. لم تعلم يا مولاي ان عمسيس خدعك فانهُ ارسلني اليك بهذه الحالة النفيسة كاني ابنتهُ مع اني بنت ابرياس وكان هو سيده فثار عليهِ عمسيس والمصريون وقتلهُ . فلما سمع قمبيز هذا الكلام غضب غضبًا شديدًا ولكي ينتقم من هذا الملك عزم ان يشن الغارة على مصر

❋ ٢ ❋ هذا هو الداعي على راي الفرس واما المصريون فيدّعون ان قمبيز من سلائلهم فيزعمون انهُ كان ابن بنت ابرياس وليس هو الذي طلب بنت عمسيس بل قورش وليس هذا بصواب لان المصريين اكثر الامم علمًا بشرائع الفرس وعاداتهم فيعرفون اولاً ان الشريعة في فارس لا تسمح للولد الدعي ان يخلف اباه في الملك اذا وجد ولد شرعي . ثانيًا ان قمبيز كان ابن كاسندانة بنت فرناسب من الدولة الكيانية لا ابن الاميرة المصرية فيخالفون التاريخ بادعائهم هذه العلاقة بينهم وبين بيت قورش

❋ ٣ ❋ فيخبرون الخبر على الصورة الآتية لكني لا اجد فيهِ شيئًا من الصحة . وذلك ان امرأة وجيهة فارسية المولد ذهبت الى نساء قورش فتعجبت من جمال اولاد كاسندانة وطول قاماتهم وكانت قد رأَت كاسندانة بجانب تلك الاميرة فاظهرت لها اعجابها واطنبت في الثناء عليها فقالت لها كاسندانة مع ان اولادي بهذه الصفة من حسن الخلق لست ارى من قورش الا احتقارًا لي لكنهُ يكرم غاية الاكرام هذه الاميرة المصرية. وما قالت ذلك الا لانها كانت مغتاظة من نيتيتس . فحينئذٍ تكلم قمبيز بكر اولادها وقال يا امي متى صرت رجلاً خرّبت مصر من اسسها . ويقولون ان كلام هذا الامير الذي كان عمره حينئذٍ عشر سنوات كان موضوع تعجب للنساء وان قمبيز لما تذكر كلامهُ شن الغارة على مصر حالما بلغ مبلغ الرجال وصار ملكًا

❋ ٤ ❋ وحدث حادث آخر فهم منهُ ايضًا سبب هذه الغزوة وهي هذا - ان احد قواد جيوش عمسيس المساعد بن لسمى فانيس اصلهُ من مدينة هاليكرناس وكان رجلاً معتبرًا سديد الراي وبطلاً معدودًا . فاستاء مرة من عمسيس وفرّ من مصر بحرًا ليكلم قمبيز . واذ كان رفيع المقام بين الجيوش المساعدة

وصاحب خبرة باحوال مصر اجتهد عمسيس كثيرًا حتى يسترجعهُ ويصير في قبضتهِ فاركب آمن خصيانهِ سفينة ذات مجاذيف وامرهُ ان يتبعهُ فادركهُ الخصي في ليكيا واسرهُ ومع ذلك لم يرجع بهِ الى مصر فان فانيس اسكر حرَّاسهُ وافلت من يدهِ بحذقهِ ومضى الى بلاط فارس

وكان قمبيز حينئذٍ يتجهز للزحف على مصر لكنهُ كان مترددًا ومتأخرًا بسبب المفاوز التي يصعب على جيشهِ اجتيازها اذ ليس فيها ماء. وحينئذٍ وصل اليهِ فانيس فاعلمهُ باحوال عمسيس وما يتعلق باجتياز المفاوز واشار عليهِ ان يرسل الى ملك العرب يطلب اليهِ الاذن بالمرور في ارضهِ ويسهل لهُ الوسائط بحيث يكون في امان

﴿ ٥ ﴾ والحق انهُ لا يمكن المرور الى مصر الا بذلك المكان لان سورية فلسطين تمتد من فينيقية الى تخوم مدينة قاديتس ومن هذه المدينة وهي على رايي ليست اصغر من سرديس تكون كل الاماكن البحرية الى ينيسوس مختصة بالعرب . والبلاد من حدّ ينيسوس الى بحيرة سربونيس التي بقربها جبل قاسيوس الذي يمتد الى البحر تخص حديثًا سورية فلسطين . فمصر تبتدىء من بحيرة سربونيس التي قيل ان تيفون اختبأ فيها . فكل تلك السهول التي بين مدينة ينيسوس وجبل قاسيوس وبحيرة سربونيس مفاوز عظيمة مسيرة ثلاثة ايام وهي شديدة الجدب قاحلة

﴿ ٦ ﴾ وهذه هي الطريقة التي تُزال بها هذه الصعوبة . واني اتكلم بما يعلمهُ قليل من الناس ممن يذهبون بحرًا الى مصر . يحملون مرتين في السنة الى مصر من كل اقطار اغريقية وفضلاً عن ذلك من فينيقية كمية كبيرة من جرار الخزف مملوءة خمرًا ومع ذلك لا ترى فيها جرة واحدة . فاذا قيل ماذا يفعلون بها اقول . انهُ في كل مدينة يلتزم الديمرخوس ( الوالي ) ان يجمع كل ما يوجد فيها من الجرار ويرسلها الى منف ومن منف يرسلونها مملوءة ماء الى الاماكن القاحلة من سورية . وهكذا تكون كل الجرار التي تحمل الى مصر ويفرغونها تحت الحفظ مجلوبة من سورية ومضافة الى القديمة

﴿ ٧ ﴾ والفرس هم الذين سهلوا المرور المذكور بنقلهم الماء على الطريقة التي ذكرناها حالما استولوا على مصر ولكن اذ لم يكن في زمان تلك الغزوة شيء من الماء في ذلك المكان اتبع قمبيز مشورة فانيس الهاليكرنامي بان ارسل رسالة الى ملك العرب يطلب اليهِ التامين في المرور فاجابهُ الى ذلك بعد ان تحالفا

﴿ ٨ ﴾ وليس من الشعوب اصحاب دين ومحافظة على العهود مثل العرب والطريقة التي يتخذونها لذلك في هذه. اذا ارادوا عقد عهد يجب ان يكون ثالث اي وسيط فيقف الوسيط بين المتعاهدَين وبيده حجر حادٌ قاطع يجرح بهِ يد كل منهما في باطن كفهِ قرب الابهام ثم ياخذ قطعة من ثوب كل منهما ويغمسها بالدم ويفرك بها سبعة احجار تكون بينهما وهو ينطق بالدعاء الى باخوس واورانيا وبعد اتمام العمل فالذي يكون قد اعطى الذمام يعطي الغريب او ابن بلده اذا لم يكن غريب رهنًا من اصحابهِ وهولاء انفسهم يعتقدون انهُ من الانصاف احترام يمين العهد

ويعتقدون انهُ لا آله الا باخوس واورانيا ويحلقون رؤوسهم لانهم يزعمون ان باخوس كان يحلق راسهُ اي باستدارة وحول الاصداغ . ويسمون باخوس اوروتال واورانيا اليلة «١»

﴿ ٩ ﴾ ولما عقد ملك العرب عهده مع رسل قمبيز ملأ من الماء جلود جمال وحملها على كل الجمال التي كانت في ولايتهِ ولما تم ذلك اخذوها الى الاماكن القاحلة ومضى الى هناك ينتظر جيش قمبيز

وهذا الخبر يظهر لي اصدق من غيره لكني لا اضرب صفحًا عن ذكر الطريقة الاخرى وان كانت اقل تصديقًا

في بلاد العرب نهر كبير يسمونهُ كوريس يصب في بحر اريترية (البحر

---

١ اوروتال معناه الشمس والنور . واليلة معناه القمر اول لياليهِ وكان يسمى ايضًا البطة . هذا هو راي سكاليجر وسالدن ﴿ ل ﴾

وانا اقول ان اوروتال لا توجد كلمة في العربية مقاربة لها على ما نعلم واما اليلة فالظاهر انها محرفة عن الهلال وهو القمر اول لياليه وقد ابدلت اللام ياء في خط الافرنج ﴿ ح ﴾

الاحمر) فقيل ان ملك العرب عمل قناة من جلود البقر وغيرها من الحيوانات مخيطة بعضها ببعض وهي طرية ومدّها من النهر المذكور الى الاماكن القاحلة فكان الماء يجري فيها الى صهاريج كبيرة كانوا قد حفروها هناك ليستقي الجيش . ومن هذا النهر الى تلك الاماكن مسيرة اثنتي عشرة مرحلة وقيل ايضاً انهم جرّوا الماء الى ثلثة اماكن بثلث اقنية مختلفة

❊ ١٠ ❊ وعسكر بسميتيت بن عمسيس عند المصب البلوسي من النيل ينتظر العدوّ وكان قد خلف اباهُ عمسيس لانهُ كان قد مات حينما دخل قمبيز مصر . مات بعد ان ملك اربعاً واربعين سنة لم يصب في اثنائها بشيء من الاذى . وبعد ان مات حنطوهُ ووضعوهُ في ضريح كان قد عملهُ لنفسهِ في دار هيكل مينرفة المقدسة

وعلى عهد بسميتيت حدثت في مصر اعجوبة فان المطر سقط في طيوة مصر امر لم يحدث قبل ذلك الوقت ولم يحدث ايضاً من عهد ذلك الملك الى زماني على قول اهل طيوة انفسهم لان المطر لا يقع في مصر العليا ومع ذلك فقد وقع حينئذٍ

❊ ١١ ❊ ولما اجتاز الفرس المفاوز واقاموا معسكرهم قرب معسكر المصريين كانهم يريدون ان يحاربوهم نكدر الاغارقة والكاريون المتطوعون لبسميتيت لان فانيس جرّ الى مصر جيش قوم غرباء فانتقموا من ذلك الخائن باولادهِ لانهُ كان قد ابقاهم في مصر لما مضى الى بلاد العجم فانهم اخذوهم الى المعسكر ووضعوا بين المعسكرين على مرأى من ابيهم وعاء كبيراً واخذوا الاولاد الواحد بعد الآخر وذبحوهم على ذلك الوعاء . فلما قتلوهم بهذه الطريقة مزجوا بدمهم وهو في الوعاء خمراً وماء وشرب منهُ كل المساعدين واشتبك حينئذٍ القتال . وكان شديداً جداً هلك بهِ كثير من الناس من الجيش واخيراً ولّى المصريون الادبار

❊ ١٢ ❊ ورأيت في ميدان القتال شيئاً عجيباً نبهني اليهِ اهل تلك الناحية وذلك ان عظام الذين قتلوا في ذلك اليوم باقية حتى الان متفرقة لكن بعيد بعضها عن بعض بحيث انك ترى من جهة عظام الفرس ومن اخرى عظام المصريين في نفس الموضع الذي كانوا فيهِ من اول الامر وجماجم الفرس لينة جداً

حتى يمكن ثقبها اذا ضربت بحصاة واما جماجم المصريين فصلبة جدًّا حتى يصعب كسرها بالحجر وقد ذكروا لي السبب وسهل عليهم ان يثبتوا لي ذلك . فقالوا ان المصريين ياخذون بحلق رؤوسهم منذ حداثتهم فتصلب جماجمهم بهذه الواسطة بحرارة الشمس ولا يحدث لهم صلع ولذلك ترى قليلاً من الصُلع بين المصريين بالنسبة الى سائر الامم . واما الفرس فجماجمهم ضعيفة لانهم يعيشون في الظل منذ حداثتهم وتكون رؤوسهم دائمًا مغطاة بالقلانس . وقد رأيت مثل هذه الاشياء ولاحظت ايضًا في بربميس شيئًا مثل هذا فيما يخص عظام الذين كسرهم ابناروس ملك ليبيا وكان معهم كينية بن دارا

❊ ١٣ ❊ ولما انكسر المصريون ولوا الادبار وانهزموا مشتتين الى منف وحصروا انفسهم بها فارسل اليهم قمبيز منادياً فارسيًا ليجبرهم على المعاهدة معهُ فصعد الرجل النهر بسفينة ميتيلينية ولما رآه المصريون داخلاً منف خرجوا جميعهم من القلعة وكسروا السفينة وقطعوا الذي فيها وحملوا اعضاءهُ الى القلعة . فحصر الفرس المدينة واضطرّ المصريون اخيرًا الى التسليم

وخاف الليبيون جيران المصريين ان يصيبهم ما اصاب المصريين فاذّوا الطاعة بلا حرب ووضعوا على نفسهم جزية وارسلوا هدايا . واقتدى بهم اهل القيروان وبرقة بسبب الخوف ايضًا فقبل قمبيز الهدايا مسرورًا لكنهُ شكا هدايا اهل القيروان طبعًا لانها لم تكن كثيرة مثل الاخر لانها كانت لا تبلغ اكثر من خمسمائة منًا فضة فوزعها بيده على جيشهِ

❊ ١٤ ❊ وفي اليوم العاشر بعد اخذ قلعة منف أُرسل بسمينيت امر قمبيز وكان لم يملك الأسنة لشهر الى خارج المدينة ومعهُ بعض المصريين فعاملوهم بالاحتقار الشديد لكي يختبروهم فالبس قمبيز ابنة هذا الملك لبس الاماء وارسلها وبيدها كوز لتستقي ماء وكان يصحبها عدة بنات اخر اختارهنَّ من بنات الاشراف والبسهنَّ لبس بنت الملك

ولما مرّت البنات بقرب آبائهنَّ اجرينَ الدموع وولولنَ كثيرًا ولما رأى اولئك السادة بناتهم في تلك الحالة الحقيرة لم يجيبوهنَّ الا بسكب الدموع ولكن

بسمينيت غض طرفهُ عنهنَّ وقد رآهن وعرفهن

ولما خرجت البنات مر امامهُ ابنهُ مصحوبًا بالفي مصري من عمره في اعناقهم الحبال وفي افواههم اللجم وكانوا ماضين بهم ليقتلوهم بثار الميتيلينيين الذين قتلوا في منف وكسرت سفينتهم لان قضاة الملك حكموا ان كل رجل قتل في تلك الواقعة يقتل عوضهُ عشرة من اشراف المصريين . ورآهم بسمينيت مارّين صفًّا واحدًا وعرف ابنهُ وهو ماضٍ للقتل ولكن بينما كان المصريون الذين حولهُ يبكون ويلطمون بقي هو مستكينًا كما كان عند رؤية ابنتهِ

ولما مضى الفتيان راى شيخًا كان ياكل على مائدته وكان قد سُلب كل املاكهِ فلا يعيش الاَّ من الصدقات وكان يجتاز من صف الى اخر في المعسكر يستعطي حتى وصل الى بسمينيت والسادات الذين معهُ في الربض فلما راه الملك لم يقدر ان يمسك دمعهُ وجعل يلطم ويدعوه باسمهِ . وكان جماعة من الحرس اقيموا لترقب اعمالهِ فاعلموا قمبيز بكل ما كان يعمل كلما مر شيء من امامهِ فتعجب قمبيز من فعلهِ وارسل يستخبرهُ عن السبب فقال لهُ الرسول . يقول لك سيدك قمبيز لاي سبب ما صرخت واجريت دمعًا عندما رايت بنتك بزي امة وابنك يساق بهِ الى القتل ولكنك اكرمت هذا المتسول الذي لم يكن على ما علم نسيبًا لك ولا رفيقًا . فقال بسمينيت . يا ابن قورش ان مصائب بيتي كبيرة جدًا حتى لا يستطاع البكاء لاجلها واما ما اصاب هذا الرجل صديقي في اول شيخوختهِ من وقوعهِ في الفقر بعد ان كان كثير الاملاك والخيرات ظهر لي انهُ يستوجب البكاء

فوجد قمبيز في هذا الجواب تعقلاً وقال المصريون انهُ اجرى دموع كريسوس وكان قد صحب قمبيز الى مصر وكل ما كان حاضرًا من الفرس حتى تاثر قمبيز نفسهُ ورق فوادهُ فامر في الحال ان يخلص ابن بسمينيت من بين الذين حكم عليهم بالقتل وان ياتي ايضًا بسمينيت من المكان الذي كان فيهِ

❊ ١٥ ❊ فالذين مضوا لياتوا بالفتى وجدوه قد قتل لان الذين امروا بقتل الفتيان بدأوا بهِ . فمضوا من هناك لياخذوا بسمينيت فاتوا بهِ الى قمبيز

فاقام عندهُ سائر ايامهِ ولم يلحق بهِ اقل اذى . وكان ردّه الى ملكهِ لو لم يخف ان يسعى بالقاء الفتن في المملكة لان من عادة الفرس ان يحترموا ابناء الملوك وان يردوا اليهم ملكهم ايضًا الذي خسرهُ آباؤهم بالثورات. واقدر ان آتي بشواهد كثيرة تدل على هذه العادة لكني اكتفي بما جرى لثانيرأس بن ايناروس ملك ليبيا الذي ردّوا اليهِ الملك الذي كان لابيهِ . وبوسيرس بن امرتيوس الذي اعيد اليهِ ملك ابيهِ مع انهُ لم يكن ملك قد اساء الى الفرس اكثر من ايناروس وامرتيوس لكن لان بسمينيت سعى بالفساد نال جزاءهُ فانهُ طلب الى المصريين ان يثيروا الفتنة فاكتشفت دسيستهُ واقنعهُ قمبيز بذلك فامرهُ ان يشرب دم ثور فمات بهِ عن ساعتهِ . هكذا كانت آخرته التعيسة

⁂ ١٦ ⁂ ومضى قمبيز من منف الى صا ليفعل بجثة عمسيس ما كان قد قصد من الانتقام وحالما وصل الى قصر هذا الملك امر ان يخرّج جسده من القبر وحينما أُخرج امر ان يضرب بالعصي وينتفوا شعر بدنهِ وراسهِ وينخسوه بالخناجر وينكلوا بهِ اقبح تنكيل . لكن لما ملّ القائمون بذلك من اهانة جسد لم يتضرر بهم مع اجتهادهم ولم يقدروا ان يقتلعوا منهُ شيئًا لانهُ كان محنطًا امر قمبيز باحراقهِ غير مراعٍ احترام الدين . على ان الفرس يعتقدون ان النار اله وليس مسموحًا لهم لا بموجب شرائعهم ولا شرائع المصريين ان تحرق الموتى . فهذا ممنوع عند الفرس لان اعتقادهم انهُ لا يصح لالهٍ ان يُطعم جثة انسان وهذا المنع موجود ايضًا عند المصريين لانهم يؤكدون ان النار وحش ضارٍ يفترس كل ما يقدم لهُ وبعد ان يشبع منهُ يموت هو ايضًا مع الذي احرقهُ . ولا تسمح شرائعهم ان تترك الوحوش اجساد الموتى ولهذا السبب يحنطونهم خوفًا من ان ياكلها الدود اذا دفنت في التراب. فيكون قمبيز قد فعل في هذه المسألة امرًا منافيًا لشرائع الامتين

ومع ذلك اذا صدق المصريون لا يكون جسد عمسيس هو الذي فعل بهِ ما ذكر من التحقير بل جسد رجل آخر مصري يشبههُ بالقدّ فهو الذي نكل بهِ الفرس ظانين انهُ جسد عمسيس فانهم يقولون ان عمسيس اذ علم بواسطة وحي ما سيجري عليهِ بعد موتهِ تدارك الامر الذي سيحدث بانهُ وضع في ضريحهِ قرب الباب الجسد

الذي فعل بهِ قمبيز تلك الشناعة وامر ابنهُ ان يضع جسدهُ في داخل القبر المذكور بعيداً عن الباب . لكن لا اقدر ان اثبت ان عسبس امر مثل هذه الاوامر لا فيما يتعلق بدفنهِ ولا بخصوص هذا الرجل وانسب هذه الحكاية الى اكاذيب المصريين اذ ارادوا تحسين هذه الامور

﴿ ١٧ ﴾ وعزم قمبيز بعد ذلك ان يحارب ثلث امم مختلفة القرطاجنيين والامونيين والحبشة المكروبيين القاطنين في ليبيا الى جهة البحر الجنوبي . وبعد ان اجرى المخابرة في هذا الشان قر الرايّ ان يرسل فرقة في البحر الى القرطاجنيين وفرقة في البر الى الامونيين وان يرسل اولاً جواسيس الى الحبشة بعلة انهم آخذون هدايا الى الملك . فيتحققون وجود مائدة الشمس ويبحثون فضلاً عن ذلك عن سائر ما ترام رؤيتهُ في البلاد

﴿ ١٨ ﴾ وهذا هو المراد بمائدة الشمس . يوجد امام المدينة مرج مملوء من لحوم مسلوقة من كل انواع الحيوانات ذوات الاربع . ياتي بها الحكام ليلاً الى هناك . وعند طلوع النهار يكون كل انسان حرًّا ان ياتي ويتناول غداءه ويقول اهل البلاد ان الارض تخرج من نفسها كل هذه اللحوم . فهذا ما يسمونهُ مائدة الشمس

﴿ ١٩ ﴾ وحالما عزم قمبيز على ارسال جواسيس الى هذه البلاد ارسل يستدعي من مدينة أليفنتين جماعة من أكلة السمك يعرفون لغة الحبشة وفي اثناء غياب الرسل لياتوا بالجماعة جهَّز جيشاً بحريًّا الى قرطاجنة واما الفينيقيون منهم فامتنعوا لانهم كانوا متحدين مع القرطاجنيين باعظم الاقسام فاذا حاربوا اولاد انفسهم يكونون قد نقضوا عهود العلاقة الدموية والديانة . فلما امتنع الفينيقيون صار باقي الجيش غير كافٍ لاتمام هذه الغزوة فنجا القرطاجنيون من الربقة التي اعدَّها لهم الفرس . ولم يرَ قمبيز من العدل ان يجبر الفينيقيين لانهم كانوا قد تطوعوا لهُ ولان نفوذهم في العسكر البحري كان عظيماً . وكان اهل قبرص ايضاً قد تطوعوا للفرس وصحبوهم الى مصر

﴿ ٢٠ ﴾ ولما وصل اكلة السمك من اليفنتين امرهم قمبيز بما يجب ان

يقولوا وارسلهم الى الحبشة وارسل هدايا للملك وكانت ثوبًا من الارجوان وطوقًا من الذهب واساور واناء من الرخام مملوءًا اطيابًا وبرميلاً من نبيذ النخل. ويقال ان الحبشة الذين ارسل اليهم قمبيز هذه الرسالة هم اكبر الناس وانهم خلقًا وان لهم شرائع وعوائد مخالفة عما عند سائر الامم ومن ذلك انهم لا يرون من يستحق الملك الا الذي هو اكبر جثة من جميعهم ويكون قوته مناسبة لضخامة جثته

✻ ٢١ ✻ وحالما وصل آكلة السمك الى هولاء الشعوب قدموا هداياهم الملك وقالوا له هكذا. قمبيز ملك الفرس اراد ان يكون بينك وبينه صداقة واتحاد فارسلنا لنكلمك في ذلك وهو مقدم لك هذه الهدايا التي يسر باستعمالها كثيرًا

ولم يخف على الملك ان اكلة السمك هولاء كانوا جواسيس فاجابهم بهذا الكلام ليس حب عقد الصداقة بيننا الذي حمل ملك الفرس على ارسالكم اليّ بهذه الهدايا وانتم لا تقولون لي الحق بل انما انتم آتون لاختبار قوى مملكتي وسيدكم ليس رجلاً عادلاً ولو كان عادلاً لما كان يطمع الى بلاد لا تخصهُ ولا حاول ان يستعبد امة لم تضرهُ بشيء فخذوا له من عندي هذه القوس وقولوا له ملك الحبشة يشير على ملك الفرس ان يأتي ويحاربهُ بجيش اقوى حينما يصير الفرس قادرين ان يوتروا قوسًا كبيرة مثل هذه بالسهولة التي تكون لي ولكن فليتقدم في اثناء انتظاره الشكر للآلهة اذ لم يلهموا الحبشة الرغبة في تكبير بلادهم بفتوحات جديدة

✻ ٢٢ ✻ ولما قال هذا حلَّ القوسَ واعطاها للرسل وسألهم ما الارجوان وكيف يصنع فلما اعلمهُ أكلة السمك حقيقة الطريقة التي يصبغ بها الارجوان قال هؤلاء الناس خداعون وكذلك ثيابهم ثم سألهم عن الطوق واساور الذهب فاجابهُ آكلة السمك انها حليٌ فصار يضحك وظن انها سلاسل فقال لهم ان الحبشة عندهم اقوى منها ثم كلمهم ثالثة في شان الطيوب التي اتوا بها ولما افهموه طريقة تركيبها وكيفية استعمالها اجابهم بما اجاب بخصوص الارجوان ولكن لما اتصل الى الخمر وعرف كيفية عملها سرّ جدًا بهذا الشراب. ثم سألهم عن الاطعمة التي يأكلها الملك وما هي اطول الحياة عند الفرس فاجابهُ الرسل ان طعامهُ الخبز وشرحوا

له ماهية الحنطة وقالوا ايضاً ان اطول مدة الحياة عند الفرس ثمانون سنة فقال لهم حينئذٍ انهُ لا يتعجب من ان اناساً طعامهم الزبل تكون حياتهم قصيرة وانهُ متأكد انهم لا يعيشون كل هذه المدة لو لا انهم يعوضون قوتهم بهذا الشراب (يعني الخمر) وبذلك لهم امتياز على الحبشة

٭ ٢٣ ٭ ثم كان لآكلة السمك ان يسألوا الملك عن طول الحياة عند الحبشة وعن كيفية معيشتهم فاجابهم ان اكثرهم يدركون مئة وعشرين سنة وبعضهم اكثر عن ذلك ايضاً وانهم يعيشون من اللحوم المسلوقة وان شرابهم اللبن . فاظهر الرسل التعجب من طول الحياة عند الحبشة ثم اخذهم الى عين من خاصيتها ان الذين يغتسلون بها يخرجون مطيبين برائحة كرائحة البنفسج وجلودهم لامعة كانهم مرخوا بالزيت وقال الرسل ان ماء تلك العين كان خفيفاً جداً حتى لا يطفو عليهِ شيء ولا الخشب وما هو اخف منهُ من المواد بل كل ما يلقى فيه يغرق . فاذا كان هذا الماء هو كما قالوا حقاً يكون طول حياتهم على ما يظهر مسبباً عن استمرارهم على عادة الاغتسال بهِ

ثم سار بهم الملك من العين الى السجن فكان كل المسجونين مقيدين بقيود ذهبية لان النحاس عند الحبشة كغيره من المعادن النادرة اثمن من غيرها وبعد ان زاروا السجن اروهم ما يسمونهُ بمائدة الشمس

٭ ٢٤ ٭ واخيراً اروهم توابيت الحبشة وهي مصنوعة على ما يقال من الزجاج وهذه طريقة عملها . يجففون اولاً الجسد على طريقة المصريين او طريقة اخرى ثم يطلونهُ كلهُ بالجص ويصبغونهُ بحيث يشبه على قدر الامكان نفس الشخص وبعد ذلك يضعونهُ في اسطوانة جوفاء شفافة من الزجاج الحفري يسهل عملهُ ويستخرج بكثرة من مناجم البلاد ويري الميت من خلال هذه الاسطوانة التي يكون موضوعاً في جوفها ولا تكون لهُ رائحة كريهة ولا شيء اخر مكروه وادنى اقارب الميت يحفظون هذه الاسطوانة عندهم سنة كاملة وفي تلك المدة يقدمون لهُ ذبائح وباكورات كل شيء ثم يخرجونها خارجاً ويضعونها في مكان حول المدينة

٭ ٢٥ ٭ ورجع الجواسيس بعد ما فحصوا كل شيء فعلى تقريرهم غضب

قمبيز غضباً شديداً وزحف على الحبشة من ساعته ولم يامر ان يجهزوا الاقوات للعسكر ولا افتكر انهُ غازٍ بلاداً في طرف الارض . فقد سلك مسلك الحمق والغضب لانهُ حالما سمع تقرير اكلة السمك اخذ في المسير آخذاً معهُ كل عسكره البري ولم يبق في مصر الا الاغارقة الذين صحبوه . فلما بلغ طيوة انتخب نحو خمسين الف رجل وامرهم ان يستعبدوا الامونيين ويضرموا النار حالاً في هيكل جوبيتر الذي يهبط فيهِ وحيهُ واما هو فاتمّ سيرهُ في طريق الحبشة مع بقية الجيش

ولم يقطع عسكره خمس الطريق حتى نفدت الاقوات دفعة واحدة فاكلوا حيوانات الحمل وبعد قليل نفدت ايضاً فلو عدل قمبيز عن عزمهِ حينما علم ذلك وبعد الخطا الذي ارتكبهُ اولاً ورجع بعسكره لكان سلوكهُ سلوك رجل حكيم لكن لم يبال بشيء واتمّ السير متقدماً فصار العسكر ياكل العشب على قدر ما وجدوا في الارض ولكن لما بلغوا الرمال حمل الجوع بعضهم على الاعمال الفظيعة فانهم كانوا يجتمعون عشرة عشرة ويلقون القرعة فالذي تقع عليهِ يأكلونهُ . وعلم قمبيز بهذا فخاف ان ياكل بعضهم بعضاً فعدل عن غزو الحبشة وعاد في طريقهِ ووصل الى طيوة بعد ان خسر جانباً من جيشهِ ومن طيوة اتى الى منف وهناك صرف الاغارقة واذن لهم ان يركبوا البحر . هكذا كان نجاحهُ في غزو الحبشة

﴿ ٢٦ ﴾ والكتائب التي أُرسلت الى الامونيين خرجت من طيوة ومعها الادلاء ومن المؤكد انهم وصلوا الى الواحة وهي مدينة يسكنها اهل ساموس الذين يقال انهم من سبط من رعاع اليونان وهي على سبع مراحل من طيوة ولا يمكن المضي اليها الا بطريق رملية وهذه البلدة يقال لها باليونانية جزائر السعداء

فيقال ان عسكر الفرس ذهب الى هناك ولكن لا يعلم احد ماذا جرى لهُ بعد ذلك الا ان يكون الامونيين ومن علموا منهم . والمحقق ان العسكر لم يصل الى بلاد الامونيين ولا رجع الى مصر . ويقول الامونيون ان هذا العسكر لما خرج من الواحة وقطع بين الرمال نحو نصف الطريق التي بينهم وبين هذه المدينة هبت وهو على الطعام ريح شديدة غمرتهُ بجبال من الرمال واخفتهُ جميعهُ . هكذا

ملك هذا العسكر على رواية الامونيين «١»

❋ ٢٧ ❋ ولما رجع قمبيز الى منف ظهر للمصريين المعبود ابيس الذي يسميه الاغارقة ابافوس «٢» وحالما ظهر لبسوا الفخر ثيابهم وقاموا بافراح عظيمة . وشهد قمبيز تلك الاحتفالات فظن انهم فرحوا لعدم نجاح عساكره فاستدعى بحكام منف ولما صاروا بحضرته سالهم لماذا لم يظهروا الفرح اول مرة راوه في مدينتهم بل اظهروا فرحاً شديداً بعد رجوعه وقد خسر نصف عسكره فقالوا له ان الههم لم يظهر منذ مدة طويلة وقد ظهر في تلك الايام وان المصريين لذلك يفرحون فرحاً عظيماً ويقومون باحتفالات . فلما سمع قمبيز كلامهم هذا ظن انهم يواربون ويخفون الحقيقة فحكم بموتهم كانهم حاولوا هلاكه

❋ ٢٨ ❋ وبعد ما قتلهم دعا بالكهنة فسمع منهم نفس الكلام فقال لهم اذا كان احد الآلهة يظهر للمصريين عادةً فلا يجوز ان يخفى امره عليه واذ ذاك امرهم ان يأتوا بابيس ليشاهده فمضوا من ساعتهم واتوا به

وابيس هذا المسمى ابافوس عجل صغير لا تحبل امه بغيره والمصريون يقولون انه يتنزل عليها برق من السماء ومن هذا البرق تحبل بالاله ابيس . وهذا العجل الصغير الذي يسمونه ابيس يعرف ببعض علامات . فيكون شعره اسود وعلى جبهته بقعة بيضاء مثلثة وعلى ظهره صورة نسر وتحت لسانه صورة جُعَل وشعر ذنبه مضاعف

❋ ٢٩ ❋ وحالما جاء الكهنة بابيس عمل قمبيز عمل الغضوب فانه استل خنجره ليشق بطنه . لكن ضربه في فخذه ثم التفت الى الكهنة وقال متهكماً ايها اللصوص هل تكون الآلهة من لحم ودم وهل تشعر باصابة السلاح وهذا الاله لا

١ هذا قريب جداً الى الصواب لان الرياح والرمال هناك تفعل اعظم مما ذكر . راجع الفصل الرابع من مجاهل افريقية *ح*

٢ كان ابافوس ابن يو بنت اناخوس فالاغارقة الذين يدعون كل شيء لانفسهم يزعمون انه كان نفس الاله ابيس . واما المصريون فيدفعون هذا الزعم كانه حكاية ويقولون ان ابافوس كان قبل ابيس بمئات من القرون (ل)

شك انهُ جدير بالمصريين ولكن لا ادعكم تسخرون بي وتنجون من العقوبة . وعند ذلك امر ان يضربهم بالعصي الذين لهم عادة ان ينفذوا مثل هذه الاوامر وان يُقبض على كل المصريين الذين يوجدون في حالة الفرح بعيد ابيس فبطلت الافراح حينئذٍ وعوقبت الكهنة . واما ابيس فاعتل مدة في الهيكل من الجرح الذي في فخذه ثم مات . فدفنتهُ الكهنة على غير علم من قمبيز

❊ ٣٠ ❊ وعلى رواية المصريين ان هذا الملك لم يبطىء حتى صار مجنونًا قصاصًا لهُ عن جريرتهِ وقد كان في ذلك الوقت خاليًا من الحس الحسن واول ذنب ارتكب قتل سمرديس اخيهِ لابيهِ وامهِ . كان قد ارسلهُ الى فارس اذ حسدهُ لانهُ اوتر على قيد اصبعين القوس التي اتى بها اكلة السمك من عند ملك الحبشة امر لم يكن احد من الفرس قادرًا عليهِ . وبعد رحيل سمرديس رأى قمبيز في الحلم ساعيًا قادمًا من جهة الفرس يخبره ان سمرديس جلس على العرش ونطح بهامهِ السحاب فخاف من هذه الرؤيا ان اخاه يقتلهُ ويستبد بالملك فارسل اليهِ فرساسب وكان يثق بهِ اكثر من سائر الفرس وامرهُ ان يهلكهُ فلما وصل فرساسب الى سوسن انفذ امر قمبيز فقال البعض انهُ خرج بسمرديس الى الصيد وقال اخرون انهُ مضى بهِ الى شاطىء بحر اريثرية والقاه فيهِ . هذا على ما قيل كان اول ذنب ارتكبهُ قمبيز

❊ ٣١ ❊ وكان ثاني ذنب انهُ قتل اختهُ من ابيهِ وامهِ وكانت قد سارت معهُ الى مصر وكانت ايضًا زوجةً لهُ . وهاك السبب في صيرورتها زوجة لان الفرس لم يكونوا يتزوجون اخواتهم قبل ذلك

كان قمبيز قد شغف بحب احدى شقائقهِ واراد ان يتزوجها وذلك لم يسبق اليهِ فاستدعى بقضاة الملك وسألهم هل توجد شريعة تسمح للاخ ان يتزوج اختهُ اذا كان يشتهي ذلك . وكان هؤلاء القضاة مختارين من كل الفرس ويبقون في وظائفهم الى آخر حياتهم ما لم يتحقق منهم شيء من المظالم وهم مفسرو الشرائع وقضاة الدعاوي وكل المصالح تنتهي الى مجلسهم فلما سألهم قمبيز اجابوه جوابًا يامنون بهِ الخطر بدون ان يمس جانب العدالة بضرر . فانهم قالوا انهُ لا توجد

شريعة تسمح للاخ ان يتزوج اخته ولكن توجد شريعة تسمح لملك الفرس ان يفعل كل ما يريد . فبجوابهم هذا لم ينقضوا حكم الشرع مع انهم كانوا خائفين من قمبيز ولكي لا يعرّضوا انفسهم للهلاك بمنعه وجدوا سنة اخرى تسمح للملك بمشتهاه من تزوج اخته فعلى هذا الجواب تزوج قمبيز التي يحبها وبعد قليل من الزمان اتخذ زوجة ايضاً واحدة اخرى من شقائقه وهي اصغرهنّ سنا فهذه هي التي مضت معهُ الى مصر وقتلها

۞ ٣٢ ۞ وللناس في قتلها قولان كما قيل في مقتل سمرديس . فالاغارقة يقولون ان هذه الاميرة شهدت صراع شبل وكلب كان قمبيز قد امر بهِ فغلب الشبل الكلب فقطع اخوه رباطهُ وكان اصغر منهُ لياتي لنجدتهِ فلما اجتمع الكلبان غلبا الشبل . وكان هذا الصراع يسرّ قمبيز جدًّا واما اختهُ فبكت بسببهِ وكانت جالسة بالقرب منهُ فلحظ منها الملك ذلك وسألها عن السبب فقالت لهُ ما قدرت ان امسك عبرتي حينما رأيت الكلب الصغير اتى لنجدة اخيهِ فاني تذكرت بذلك نكبة سمرديس اذ أعلم انهُ لا احد ياخذ بثاره . فاذا صدق الاغارقة يكون قمبيز قد قتلها بهذا السبب

واما المصريون فيقولون انها كانت على المائدة مع قمبيز فتناولت خسّة ونزعت كل ورقها وسالت زوجها الملك قائلة اتحسب هذه الخسة احسن مما لو كان ورقها باقيًا فاجاب تكون احسن بورقها فقالت لهُ ياسيدي لكونك انقصت من بيت قورش قد عملت نفس الذي عملتهُ انا بهذه الخسة . فعند ذلك غضب قمبيز وسطا عليها وجعل يرفسها برجليهِ فاجهضت الجنين الذي كان في بطنها وماتت على اثر ذلك

۞ ٣٣ ۞ هذه هي الفظائع التي ارتكبها قمبيز في بيت ابيهِ سواءٌ عد ذلك الغضب فيهِ قصاصًا لهُ عما اساء الى ابيس او حدث لهُ من غير وجه كالامراض الكثيرة التي تصيب الجنس البشري اعتياديًا . لانهُ قيل انهُ كان منذ طفوليتهِ قابلاً للصرع الذي يسميهِ البعض الداء المقدس فلا عجب اذا كان الجسم مصابًا بمثل هذا المرض العظيم ان يكون العقل مختلاً

❊ ٢٤ ❊ ولم يكن غضبة على سائر الفرس اقل من ذلك لانهُ قيل انهُ خاطب فرساسب الذي كان يعتبره كثيرًا وكان يقدم لهُ الرقاع والعرائض وكان ابنهُ سقاءً عندهُ وهي وظيفة من اهمّ وظائف البلاد. فقال لهُ يومًا ما يتكلم عني الفرس وما يقولون فقال لهُ يا مولاي انهم يبالغون في الثناء عليك لكن يعتقدون انك تكثر من معاقرة المدام . فاستشاط الملك غضبًا وقال افيقول الفرس اني احب الخمر كثيرًا حتى تذهب بصوابي وتجعلني غضوبًا فالمدح الذي كانوا يقولونهُ قبل ذلك ليس اذن صادقًا

وفي ذات يوم سال قمبيز كريسوس وكبراء الفرس الذين كانوا يعقدون مجلسهُ ما يظن الناس فيهِ وهل يعتقدون انهُ حري بان يعدل اباه فاجابهُ الفرس انهُ فاق اباه لانه بقي مالكًا لكل البلاد التي ملكها ابوه وزاد عليها فتوح مصر ومملكة البحر . واما كريسوس فلم يكن من رايهم فقال لهُ لا يظهر لي انك تشبه اباك لانهُ ليس لك حتى الان من الاولاد كالولد الواحد الذي كان لهُ حينما مات . فسرّ قمبيز بهذا الجواب وصوّب راي كريسوس

❊ ٢٥ ❊ وتذكر الملك اذ ذاك كلام الفرس فقال لفرساسب وهو غضبان تعلّم الان هل كان كلام الفرس صادقًا او ليسوا هم الذين فقدوا الصواب اذ تكلموا هكذا عني فاذا رميت ابنك هذا الواقف في هذا الدهليز في وسط قلبهِ ثبت لديك ان الفرس مخطئون لكن اذا طاش سهمي يتضح انهم يقولون الحق واني فقدت صوابي

قال هذا واوتر قوسهُ ورمى ابن فرساسب فسقط الفتى فشق قمبيز صدره ليرى اين وقع السهم فوجدهُ في وسط القلب . فحينئذٍ سرّ الملك وقال لابي الفتى وهو يضحك قد رأيت جليًا اني لست مختلاً ولكن الفرس هم الذين فقدوا صوابهم فقل لي في الحال هل رايت احدًا يرمي الغرض ويصيب كما اصبت انا . فعلم فرساسب انهُ يكلم مجنونًا وخاف على نفسهِ فقال يا مولاي ما اظن ان الاله نفسهُ يرمي ويصيب هكذا . هكذا كان تصرفهُ مع فرساسب . ولكن في مرة اخرى امر بدفن اثني عشر من اعظم الفرس احياء الى حد رؤوسهم بلا سبب

❋ ٣٦ ❋ وكان كريسوس شاهداً لهذه الفواحش فراى ان يشير عليهِ بما فيهِ الصلاح فقال لهُ يامولاي لا تطع غضبك ولا تسلم نفسك الى طيش صبائك بل املك نفسك واحفظ ذاتك في حدود الاعتدال فمن واجبات الملك ان يحسب لمستقبل الامور ومن شيمة الحكيم ان ينهج منهج التعقل . فانك تقتل كثيرًا من اهل بلادك ظلمًا وتقتل ايضًا اولادًا فاحذر بملك هذه الاعمال الشديدة ان تحمل الفرس على العصيان واني رأيت نفسي ملتزمًا ان اشير عليك بهذا لان اباك الملك كان قد اوصاني بالحاح ان اقدم لك النصائح الحسنة واعلمك بما ارى فيهِ مصلحتك ومنفعتك

فهذا الكلام كان ناتجًا عن احتفاظ كريسوس بهِ لكن قمبيز اغتاظ منهُ فقال لهُ وانت ايضًا تتجاسر ان تقدم لي نصائح انت الذي احسنت الحكم في مملكتك انت الذي اشرت على ابي على سبيل النصيحة ان يجتاز الرسَّ لينازل المساجيتة في ارضهم عوض ان ينتظرهم في ارضنا حيث ارادوا العبور . فقد خسرت مملكتك بسوء احكامك وهلك قورش باتباع رايك ولكن لا يصح ان يتجاوز عن خطائك هذا وكنت من زمان طويل اطلب علة للاخذ بثار ابي

قال هذا واخذ سهماً ليرمي كريسوس لكنهُ فرَّ بخفة من وجه غضبهِ ورأى قمبيز انهُ لا يدركهُ فامر اتباعه ان يقبضوا عليهِ ويقتلوه . لكن اذ كانوا يعلمون سرعة تحوُّلهِ عن طبعهِ اخفوا كريسوس على قصد ان يظهروهُ اذا ندم الملك وسال عنهُ . وكانوا يأملون ايضًا ان ينالوا جزاء لانقاذهم حياتهُ ومع ذلك كان عزمهم ان يقتلوه اذا لم يندم الملك على ما امر بهِ . ولم يطل الوقت حتى تاسف قمبيز على كريسوس وعرف منهُ ذلك جماعة فاعلموه انهُ باقٍ حيًّا فسرَّ بذلك لكن قال انهُ لا يصح الابقاء عليهم لانهم ابقوا عليهِ فامر بقتلهم

❋ ٣٧ ❋ وفي مدة اقامتهِ في منف جرت منهُ عدة اعمال جنونية كهذه اما بحق الفرس او بحق المتحدين فانهُ امر بفتح القبور القديمة ليشاهد الموتى . ودخل ايضًا هيكل فلكانوس واكثر من الاهانات لتمثالهِ وهذا التمثال يشبه كثيرًا البطائقة التي يضعها الفينيقيون في مقدم شوانيهم ولكي نوضح معنى البطائقة لمن لا

يعرفها نقول انها شبه القزم «١» ودخل ايضًا هيكل الكابيرة التي تمنع شرائعهم دخولهُ لكل احد الاّ الكاهن. وبعد اهانات وتهكمات كثيرة احرق تماثيلها وهي تشبه تمثال فلكانوس ويقال على ذلك ان الكابيرة اولاد هذا الاله

* ٣٨ * وقد تحققت من كل هذه الاعمال ان قمبيز كان مجنونًا لانهُ لو لم يكن كذلك لما خطر لهُ قط ان يعبث بالدين والشرائع . وبنفس الامر لو عرض على الناس ان يختار واحسن شريعة من الشرائع المحفوظة في البلدان المختلفة لكان من الموكد بعد الفحص وامعان النظر ان كل انسان يختار شريعة بلاده لان من المحقق ان كل انسان موقن ان شريعتهُ افضل من غيرها فلا يظهر مطلقًا ان رجلاً رزينًا عاقلاً يبدي لها هذا الاحتقار

وكونُ كل الناس لهم هذا الراي بخصوص الشرائع والعادات حقيقةٌ يمكن اثباتها بجملة ادلة ومن جملتها هذا . دعا الملك دارا يومًا ما بجماعة من الاغارقة الخاضعين لهُ وسألهم كم تطلبون من المال لكي تاكلوا جثث آبائكم الموتى فاجابوهُ كلهم انهم لا يفعلون ذلك ولو اعطوا من الفضة ما يمكن اعطاؤهُ . ثم استدعى الغلاطية وهم من شعوب الهند ياكلون آباءهم وسألهم بحضور الاغارقة وقد اقام تراجمة يفسرون لهم ما يقال من الطرفين كم يطلبون من الفضة لكي يحرقوا آباءهم بعد موتهم فتصايح الهنود لما سمعوا هذا السوال والتمسوا منهُ ان لا يكلمهم بهذا الكلام الممقوت ذلك لشدة ما للعادة من القوة . ولذلك لا ارى احق من هذه الكلمة التي توجد في اشعار بنداروس وهي «ان الشريعةَ ملك يحكم على كل شيء»

* ٣٩ * وبينما كان قمبيز يحارب في مصر كان اللقدمونيون يحاربون

١ اما الطائفة فلا نعلم ما هي وبحسب الظواهر لا يمكن ان تعلم ولم يذكرها من المؤرخين سوى هيرودوتس ولا يعميها آلهة فجريت مجراه وان كان ابسجوس في ترجمة تاريخ هيرودوتس لقبها آلهة والدليل على كونها ليست آلهة ان الاقدمين كانوا يضعون تماثيل الآلهة في موخر السفن لا في المقدم لانهم يضعون على المقدم صور حيوانات تسمى السفن بها * ل *

واما القزم (يعني باليونانية) فهم امة يقال انهم قصار القامات لا يتجاوز طول الواحد منهم ذراعًا وباسم الذراع (يعني) سماهم اليونان * ح *

اهل ساموس وطاغيتها بوليكراتس بن اجكس الذي كان قد اثار فتنة واستولى على هذه الجزيرة . وكان قد جعلها اولاً ثلثة اقسام وقسمها بينهُ وبين اخويه بنطاغنوتس وسيلوسونس ولكن بعد ذلك قتل بنطاغنوتس وطرد سيلوسونس وهو الاصغر وملكها كلها ولما صارت في حوزتهِ عقد مع عمسيس ملك مصر معاهدة حبية اثبتت بينهما بالهدايا المتواصلة . فزادت قوتهُ حالاً في مدة وجيزة وانتشر صيتهُ على الفور في كل يونيا وسائر اغريقية وكان السعد يخدمه في كل حروبهِ وكان لهُ مئة سفينة في الواحدة خمسون مجذافًا والف رجل رماة . وكان ينازل كل الناس ويكتسح كل بلاد على السواء ويقول انهُ يسرّ صديقهُ اكثر اذا ارجع اليهِ ما سلبهُ اياه مما لو لم يسلبه شيئًا . وملك عدة جزائر واستولى على مدن كثيرة في البرّ وفي موقعة بحرية استظهر على اهل لسبوس وكانوا قد اتوا بكل قواهم نجدة للميليسيين واسرهم وكبلهم بالقيود وجعلهم يحفرون الخندق المحيط باسوار ساموس

✵ ٤٠ ✵ وعلم عمسيس بوفور نجاح بوليكراتس فاشتغل بالهُ لاجلهِ واذ كان النجاح لايزال في نموّ وازدياد كتب اليهِ بهذه الرسالة

من عمسيس الى بوليكراتس

يلذّ لي جدًّا ان اعلم بنجاح صديق وحليف ولكن لكوني اعرف حسد الآلهة قد ساءني هذا الفوز العظيم واني افضل لنفسي ولمن تهمني مصلحتهم تارة السعة وتارة الضيق وان تكون الحياة مقسومة بين الامرين اولى من ان تكون في نعيم مستمرّ ليس فيهِ شقاء لاني ما سمعت قط يقال عن رجل انهُ كان سعيدًا في كل شيء الاَّ وكانت لهُ آخرة تعيسة جدًّا . فبناء على ذلك اذا كنت تثق بكلامي فضادّ سعادتك بما اشير عليك . انظر اي الاشياء الذ اليهِ اشد ميل واعتبار بحيث يسوءك فقدهُ اكثر من فقد غيره . فاذا وجدت هذا فالقهِ بعيدًا عنك بحيث لا يمكن ان يوجد بعد ذلك فاذا رأيت السعد باقيًا لك بعد ذلك من كل وجه بدون ان يشوبهُ شيء من الاكدار فلا تبطئ عن استعمال هذا العلاج الذي ذكرتهُ لك

✵ ٤١ ✵ فلما قرأ بوليكراتس الرسالة فكّر طويلاً في مشورة عمسيس فوجد فيها الصواب وعزم ان يجري بموجبها فبحث بين نفائسهِ عن شيء يغمهُ فقده

اكثر من غيره فوقف على خاتم ذهب فصهُ زمردة نفيسة كان يختم بها وهي من صناعة ثيودورس الساموسي ابن تيلكليس . فقصد ان يفقده فجهز سفينة وركبها وامر ان يسار بهِ في عرض البحر فلما ابعد عن الجزيرة اخرج الخاتم من اصبعهِ ورماه في البحر على مرأى كل من استصحبهم وبعد ذلك رجع الى البر

❊ ٤٢ ❊ وحالما دخل قصره ظهر عليهِ الغم من هذه الخسارة وبعد خمسة او ستة ايام اصطاد صياد سمكة كبيرة فرأى انها تليق ببوليكراتس فحملها الى القصر وطلب ان يكلم الملك فاذن لهُ فقدمها لهُ السمكة وقال يا مولاي هوذا سمكة قد اصطدتها ومع اني اعيش من عمل يدي لم أرَ ان احملها الى السوق لانها لا تليق الا بك وانت ملك قدير فالتمس منك قبولها

فسرَّ بوليكراتس بكلامهِ كثيرًا وقال لهُ قد احسنت يا صاحبي بكونك اتيت لي بصيدك وسرَّتني هديتك ومثل ذلك سرَّني كلامك فادعوك للعشاء معي . فعاد الصياد الى منزلهِ وهو في غاية الطرب من اقبال الملك عليه بالانس . ثم ان الطهاة شقوا السمكة فوجدوا في جوفها خاتم بوليكراتس فمضوا اليهِ بالعجل فرحين واعلموه بكيفية وجوده . فتصوَّر بوليكراتس ان في ذلك شيئًا الهيًا فكتب الى عمسيس بكل ما عمل وكل ما جرى لهُ وارسل بكتابهِ رسولاً يوصلهُ بالعجل الى مصر

❊ ٤٣ ❊ فلما قرأ عمسيس الكتاب عرف انه لا يمكن انقاذ رجل مما قدّر عليه وان بوليكراتس لا يمكنه ان ينهي حياته بسعادته لان التوفيق خدمه في كل شيء حتى وجد ما طرحهُ بعيدًا عنه . فارسل اليه رسولاً الى ساموس يعلمه انهُ ينقض عهد الاتحاد . وقد فعل ذلك لانه خاف ان يشترك معه بالمصائب اذا قُدّر ان يصيبه شيء منها لانه صديقه وحليفه

❊ ٤٤ ❊ فعلى هذا الملك الذي وفقه الدهر كثيرًا زحف اللاكدمونيون بطلب من جماعة من اهل ساموس انشأوا من ثمَّ في كريت مدينة كيذونية . وكان قمبيز حينئذٍ يجهز جيشًا لمحاربة المصريين فارسل بوليكراتس يطلب اليه ان يمدَّ لهُ نجدة فاجاب قمبيز طلب بوليكراتس وطلب جيشًا بحريًا يصحبه في غزوة مصر . فاختار الملك من اهل البلد من يظن فيهم ميلاً الى الثورة وجعلهم في اربعين سفينة

واوصى قمبيزان لا يدعهم يرجعون الى ساموس

❊ ٤٥ ❊ فيقول البعض ان هولاء الساموسيين الذين ارسلهم بوليكراتس لم يذهبوا الى مصر لكن لما صاروا في البحر الكرباثي «١» تشاوروا فيما بينهم وقرّ الراي ان لا يتقدموا اكثر من ذلك. ويزعم البعض انهم وصلوا الى مصر لكن اذ رأوا ان العيون عليهم فرّوا واقلعوا الى جهة ساموس وان بوليكراتس مشى للقائهم وحاربهم فانكسر وانهم نزلوا الجزيرة بعد الظفر فانكسروا في حرب برّية واضطروا ان يعودوا الى سفنهم ويمضوا الى لقدمونية

وبعض الناس يوكدون ان هولاء المغتاظين انتصروا على بوليكراتس بعد رجوعهم من مصر ولكني ارى ان هذا الراي فاسد لانهم لو كان لهم وحدهم هذه القوة للانتصار عليه لما احتاجوا الى استنجاد اللقدمونيين وفضلاً عن ذلك لا يصدق ان ملكًا مثل هذا له مقدار عظيم من الجيوش المساعدين والرماة من امته ينكسر امام شرذمة من الساموسيين كانوا عائدين الى وطنهم وزد على ذلك ان نساء الساموسيين رعيته واولادهم كانوا في قبضة يد بوليكراتس لانه كان قد حبسهم في مكلات مسكورة «٢» حتى يحرقهم والسفن ايضًا اذا بدا من الساموسيين خون وانضموا الى الذين كانوا راجعين الى الجزيرة

❊ ٤٦ ❊ فالساموسيون الذين طردهم بوليكراتس وصلوا الى اسبرطة وقابلوا القضاة وكلموهم كلامًا طويلاً كما هي عادة المتوسلين. ففي الجلسة الاولى اجابهم اللقدمونيون انهم نسوا اول الكلام فلم يفهموا آخره. وفي الجلسة الثانية اتخذ الساموسيون جرابًا وقالوا لهم فقط ان هذا الجراب خالٍ من الدقيق فاجابهم اللقدمونيون ان هذا الكلام زائد لا معنى له ومع ذلك عزموا ان يعطوهم نجدة

❊ ٤٧ ❊ فلما تأهبوا مضوا الى ساموس فادعى الساموسيون انهم انجدوهم هذه المرة جزاء لهم عما انجدوهم قبلاً بمراكبهم على المسينيين. ولكن اذا صدق ما يقول اللقدمونيون يكون انجادهم المنفيين على الاكثر انتقامًا من اهل

---

١ نسبة الى جزيرة كرباثوس المسماة الان سكربنتو وهي في البحر المتوسط بين رودس وكريت ❊ ح ❊ ٢ المكلأ مثل المرفإ والمسكور الذي له سكر اي سدّ

ساموس لانهم سلبوهم الجام الذي قدموه لكريسوس . وايضاً الصدرة التي كان عمسيس ملك مصر قد اهداهم اياها من مدة سنة . لا حبًّا بانجادهم مجرّدًا

والصدرة المذكورة كانت من الكتان مزينة بصور حيوانات كثيرة منسوجة بالذهب والقطن وكل خيط من هذه الصدرة يستحق الاعتبار الخاص فان الخيوط مع دقتها العظيمة كل واحد منها مفتول من ثلثمائة وستين خيطـاً وكلها ظاهرة جليًّا . وهكذا كانت تلك الصدرة الاخرى التي اهداها عمسيس لمينرفة ليندة

❊ ٤٨ ❊ والقرنثيون شاركوا ايضاً بهمة عظيمة في غزوة الاسبرطيين لساموس وكان اهل ساموس قد اهانوهم قبل تلك الحرب بجيل وعلى الخصوص وقت سلب الجام

وكان بريانذروس بن كيبسيلوس مرسلاً الى الياطس في سرديس ثلثمائة صبي من احسن بيوتات كوركيرة ليجعلهم خصياناً فالقرنثيون الذين كانوا ذاهبين بهم وصلوا الى ساموس فعلم الساموسيون حالاً المقصد من ذهابهم باولئك الصبيان الى سرديس فعلموهم اولاً ان يلجأوا الى هيكل ذيانا بصفة متوسلين وبعد ذلك لم يسمحوا باخراجهم من الهيكل فمنع القرنثيون ان يقدم لهم طعام فوضع الساموسيون عيداً يحتفلون به الى اليوم بطريقة واحدة

ونظموا جماعة مغنين من فتيان وفتيات كانوا عند دخول الليل في كل مدة اقامة الفتيان الكوركيريين في الهيكل يحملون اقراصاً من سمسم وعسل . وضعوا هذا الاحتفال حتى ياخذ اولئك الفتيان الاقراص ويقتاتوا بها . وبقي تنظيم هذه الجماعة المغنين الى ان انصرف القرنثيون الموكلون بهولاء الاولاد وبعد ذلك ارجعهم الساموسيون الى كوركيرة

❊ ٤٩ ❊ وبعد وفاة بريانذروس حصلت محبة بين الكوركيريين والقرنثيين فهذا كان داعياً لمنع القرنثيين من مساعدة المتقدم ذكرهم ولكن منذ انشأ القرنثيون كوركيرة كانت العداوة مستمرة بين هولاء الشعوب وان كانوا من اصل واحد

وبهذا السبب كان القرنثيون يتذكرون الاهانة التي اوقعها عليهم الساموسيون

واما برياندروس فكان قصده بارسال الفتيان الثلثمائة الى سرديس لكي يخصوا ان ينتقم من الكوركيريين لانهم كانوا قد اساءوا اليهِ اولاً

﴿ ٥٠ ﴾ ولما قتل برياندروس امرأتهُ مايسة شغب هذا الويل ويل آخر. فكان لهُ منها ولدان الواحد عمرهُ سبع عشرة سنة والآخر ثماني عشرة. وكان بروكليس جدهم لامهم قد استحضرهما اليهِ واحسن اليهما كما هو من طبع الاب ان يحسن الى ابناء بنتهِ. ولما ارجعهما قال لهما وهو يشيعهما. يا ولديَّ اتعلمان من الذي قتل امكما

فلم يبالِ البكر بهذا الكلام ولكن الاصغر واسمهُ ليكوفرون حزن جدًّا حتى انهُ بعد رجوعهِ الى قرنثية لم يشأ ان يسلم على ابيهِ لانهُ كان يحسبهُ قاتل امهِ ولان يحدثهُ ولان يجاوبهُ على اسئلتهِ فاغتاظ برياندروس وطرده من بيتهِ

﴿ ٥١ ﴾ وبعد هذه القساوة سأَل البكر عما قال لهما جدهما فاخبره بحسن التفاته اليهما لكن لم يقل لهُ شيئًا من كلامهِ الاخير عند ما ارجعهما لانهُ كان لم ينتبه الى كلامهِ حتى يذكره. فاظهر لهُ برياندروس انهُ لا يمكن الاَّ ان يكون قد قد اشار عليهما بشيء. والح عليه بالاسئلة فتذكر الفتى كلام بروكليس الاخير وذكره لابيهِ. فتبصر برياندروس في ذلك وعزم ان لا يعود الى الشفقة على ابنه وارسل يقول لمن التجأَ اليهم ان لا يقبلوه. فكان ليكوفرون اذا طرد من مكان قصد آخر لكن بواسطة تهديد برياندروس كانوا حالاً يخرجونهُ من هناك. فلذلك كان يخرج من بيت صديق الى بيت اخر فكانوا يقبلونهُ وان كانوا يخافون سطوة برياندروس فان هذا الفتى ابنهُ

﴿ ٥٢ ﴾ واخيرًا اعلن برياندروس ان كل من يقبلهُ في بيتهِ او يكلمهُ يغرم بشيء يقدمهُ لهيكل ابلون وذكر نوع الغرامة في الاعلان فلم يجسر احد بعد ذلك ان يقبلهُ ولا يكلمهُ. ورأَى ليكوفرون نفسه انهُ لا يصح ان يحاول خرق امر ابيهِ فكان يلجأُ دائمًا الى الاروقة. وفي اليوم الرابع رآه برياندروس مهملاً في كل احوالهِ الخارجية ويكاد يموت جوعًا فرقَّ لهُ فؤاده وتلين وتقرب اليهِ وقال لهُ. كيف ترى يا ولدي ما الاحسن على رايك الحال التي انت فيها الحصول

على السيادة المطلقة والخيرات التي اتمتع بها ويكون لك منها نصيب اذا اطعتني ومع انك ابني وملك قرنثية الغنية قد اخترت عيشة التجوُّل والدناءة بكونك اغضبت بعنادك وغضبك من كان يجب عليك ان لا تغيظهُ . فاذا كان قد حصل بهذه المسألة ويل داخلك منهُ ريبٌ في تصرفي فان هذا الويل عليَّ قد وقع وانا اشعر بهِ اكثر لاني انا فاعلة . واما انت فاذ عرفت بالاختبار ان الشفقة افضل بكثير من الحسد والى اي شيء يؤدي الغضب على الاب ولاسيما الاب الذي بيده القوة فارجع الى القصر

وهكذا كان بر ياندروس يجتهد ان يرجع ابنهُ الى نفسهِ لكن الولد اكتفى بان يقول لهُ انهُ التزم الغرامة لكونه كلمه . ففهم برياندروس من هذا ان شرَّ ابنهِ قد بلغ حده وانه لاشيء يقنعه فابعده من حضرته واركبه البحر الى كوركيرة لانها كانت تحت سلطانه. فلما نفاه برياندروس الى مكان بعيد عنه زحف على حميه بروكليس لانهُ كان اصل وبلات بيتهِ فاستولى على مدينة ابيذاوروس واسر بروكليس لكنه ابقى عليه فلم يقتله .

❊ ٥٣ ❊ وبكرور الزمان شاخ برياندروس وشعر انهُ غير قادر ان يناظر على الامور وان يحكم بنفسهِ فارسل يطلب ليكوفرون ليسلم اليهِ زمام الملك لان ابنهُ البكر كان ابلهَ ولم ير فيهِ شيئاً من الخير واما ليكوفرون فلم يشأ ان يجيب اباه على رسالتهِ لكن اذ كان برياندروس يحبهُ حباً شديداً ارسل اليهِ اختهُ وكانت ابنتهُ من صلبهِ آملاً ان لكلامها نفوذاً في عقلهِ فلما وصلت الى كوركيرة قالت لهُ أتحب يا اخي ان ترى سلطتنا تنتقل الى يد اجنبية وتتبدد خيرات ابيك ام الاصوب ان تعود وتستولي عليها . فعد الى بيت ابيك واقلع عن اذية نفسك فالغيرة رزق مكدَّر فلا تحاول معالجة داء بآخر وكثير من الناس يؤثرون سبل السلامة والوداعة على سبل العدل . وكثيرون منهم اذ سعوا في حقوق امهاتهم خسروا ما كانوا يرجون من آبائهم فالملك شيء سريع الانفلات وكثير من الناس يطمحون اليهِ . وقد شاخ برياندروس فلا تترك للغير رزقاً يخصك

وكان ابوها قد علمها فكلمت ليكوفرون اقوى كلام لاقناعهِ لكنهُ اجابها انهُ

لا يمضي الى قرنثية ما دام عالمًا ان بريانذروس حيّ . فعادت الاميرة واعلمت اباها بجواب ليكوفرون . فارسل اليهِ بريانذروس ثالثة مرة رسولاً يقول لهُ ان مرادهُ الانصراف الى كوركيرة وانهُ يمكنهُ ان يرجع الى قرنثية ويستولي على المملكة . فرضي الفتى بذلك وعزم الاب ان يمضي الى كوركيرة والابن الى قرنثية . واذ بلغ الكوركيريين ماجرى خافوا من وجود بريانذروس في جزيرتهم فقتلوا ابنهُ . وهذا السبب هو الذي حمل بريانذروس على الانتقام منهم

❋ ٥٤ ❋ ولما وصل اللقدمونيون الى ساموس باسطول قوي حصروا المدينة ودنوا من الاسوار وقد تركوا وراءهم البرج القائم على شاطئ البحر قرب الربض ولكن في الحال هجم عليهم بوليكراتس بنفسهِ ومعهُ قوات عظيمة فاضطروا الى التقهقر . وفي الوقت نفسهِ خرج المساعدون وبصحبتهم جم غفير من الساموسيين من البرج الاعلى الواقع على سفح الجبل وانقضوا على اللقدمونيين فهربوا بعد ثبات قليل ولحقهم الظافرون وقتلوا فيهم قتلاً ذريعًا

❋ ٥٥ ❋ ولو تصرف اللقدمونيون في هذه الموقعة كما تصرف ارخياس وليكوباس لاخذت ساموس فان هذين البطلين اذ هجما على الساموسيين وهزماهم دخلا المدينة مختلطين بالمنهزمين وان كان لم يصحبهما احد آخر ولكن اذ قطعوا عليهما الطريق وما قدرا على الخروج من المدينة هلكا بها

وكنت يومًا ما مع ارخياس آخر وهو ابن ساميوس وحفيد ارخياس المقدم ذكرهُ وكان ذلك في بيتانة وهي قرية وُلد بها وكان يعتبر الساموسيين اكثر من سائر الاجانب واخبرني انهم سموا اباه ساميوس لانهُ ابن ارخياس المار ذكره الذي قتل في ساموس وهو يحارب محاربة الابطال وقال ايضًا انهُ كان يحترم الساموسيين خصوصًا لانهم احتفلوا بجنازة جدهِ احتفالاً جليلاً على نفقة العموم

❋ ٥٦ ❋ ورأى اللقدمونيون ان مدة الحصار تطول وانهم لم يروا بابًا للنجاح بعد اربعين يومًا فرجعوا الى البيلوبونيسة . ويقال ولكن بلا سند ان بوليكراتس اعطاهم كمية كبيرة من نقود رصاص مذهبة مضروبة بسكة البلاد واذ استمالهم بهذه الهدية رجعوا الى بلادهم . وهذه كانت اول غزوة اللقدمونيين

للدوريين في اسيا

❋ ٥٧ ❋ والذين من الساموسيين كانوا قد باشروا هذه الحرب على بوليكراتس اذ راوا ان اللقدمونيين على وشك تركهم ركبوا البحر ايضًا واقلعوا الى سفنوس لانهم لم يكن معهم نقود وكان اهل سفنوس حينئذٍ في نجاح وسعة واغنى من كل اهل الجزائر وكان في جزيرتهم كثير من معادن الذهب والفضة حتى انهم من عشر المدخول الحاصل منها قدموا الذلفي كنزًا يمكن تشبيهه بانفس الكنوز الموجودة في الهيكل وكانوا كل سنة يقتسمون فيما بينهم حاصل تلك المعادن . وبينما هم يشتغلون في ذلك الكنز استشاروا كهانة ذلفي وسالوها هل يقدرون ان يحفظوا مدة طويلة الخيرات الحاضرة فاجابتهم الكاهنة اذا ابيضَّ بريتانيوم «١» سفنوس وصار منظر الساحة العمومية ابيض ايضًا تحتاجون حينئذٍ احتياجًا شديدًا الى رجل فطن حكيم لكي يحميكم من مكيدة خشبية ورسول احمر

❋ ٥٨ ❋ وكان البريتانيوم والساحة العمومية في سفنوس مصنوعين حينئذٍ من مرمر باروس «٢» ولم يفهم اهل سفنوس معنى النبوة لا في وقت أُنبئوا بها ولا بعد وصول الساموسيين . فهؤلاء حالما قربوا من سفنوس ارسلوا احدى سفنهم وفيها الرسل . وكانت السفن في ذلك الزمان تدهن بالزنجفر وهذا ما انبأت به الكاهنة السفنوسيين ان يحذروا مكيدة من خشب ورسولاً احمر . فلما وصل الساموسيون طلبوا الى السفنوسيين ان يقرضوهم عشر وزنات فأَبوا فاكتسح الساموسيون ارضهم فتبادر السفنوسيون حالاً الى سلاحهم وحاربوهم فانكسروا وقطعت الطريق على كثيرين منهم فلم يقدروا ان يدخلوا المدينة . وبعد هذه الكسرة طلب الساموسيون منهم مئة وزنة

---

١ البريتانيوم عبارة عن ساحة فسيحة تحيط بها ابنية كثيرة اصل منشإها في اثينا كانوا يجتمعون فيها للمفاوضات في امور مختلفة من مصالح الدولة وغيرها . ويخزنون فيها ذخائر القمح وغيره من الحبوب ويولمون فيها الولائم للذين يعيشون من مال الدولة ❋ ح ❋

٢ احدى جزائر ككلاذة كانت مشهورة بجودة مرمرها ولا سيما المستخرج من جبل مرسوس . واسمها الان بارو ❋ ح ❋

✻ ٥٩ ✻ واذ نال منفيو ساموس من الهرمونيين عوض الفضة جزيرة هيدريا الماسة للبلوبونيسة جعلوها رهنًا بيد التريزينيين ومن هناك اقلعوا الى كريت حيث بنوا مدينة كيذونية على انهم لم يمضوا الى هناك بهذه الغاية بل ليطردوا الزاكنثيين من الجزيرة . فاستوطنوها واستمر نجاحهم بنمو مدة خمس سنوات حتى انهم بنوا هيكل ذكتينة فضلاً عن الهياكل الكثيرة الموجودة الى اليوم في كيذونية

وفي السنة السادسة غلبهم الاجينيوّن في حرب بحرية واستعبدوهم وانصارهم الكريتيين ونزعوا السلاح من مقدمات سفنهم والخنازير التي كانت مزينة بها وقدموها لاجينة في هيكل مينرفة. والذي حمل الاجينيين على الايقاع بالساموسيين ما كان في بواطنهم من الضغينة عليهم فان الساموسيين كانوا قد اوقعوا بهم اولاً في زمان تملك امفكراتس على ساموس واساؤوا اليهم كثيرًا ولكن الاجينيين وفّوا لهم الكيل

✻ ٦٠ ✻ وانما اطلت الكلام عن الساموسيين لانهم عملوا ثلثة اعمال تحسب من اعظم ما وجد في كل اغريقية ففي ساموس جبل ارتفاعهُ مئة وخمسون اورجية فقد نقروه من حضيضهِ وفتحوا فيهِ طريقًا لها منفذان وطول هذه الطريق سبع استادات وعرضها ثماني اقدام وكذلك علوّ سقفها وعلى طول الطريق حفروا ترعة تفرق كل الجبل عمقها عشرون ذراعًا وعرضها ثلاث اقدام . تصل بها الى المدينة بانابيب مياه عين كبيرة

والمهندس الذي باشر هذا العمل كان من ميغاري واسمهُ اوبالينوس بن ناوستروفوس . فهذا احد اعمال الساموسيين الثلثة . واما الثاني فهو عبارة عن سدّ اي حاجز عظيم في البحر قرب الميناء ارتفاعهُ عشرون اورجية وطولهُ اكثر من استادتين . والعمل الثالث هو هيكل يحسب اكبر الهياكل التي عرفناها واول مهندس لهذا البناء هو رجل من البلاد اسمهُ روكوس بن فيلبوس . ولسبب هذه الاعمال اسهبت في الكلام عن الساموسيين

✻ ٦١ ✻ وبينما كان قمبيز بن قورش يعمل في مصر تلك الفظائع كان أخوان من المجوس قد انتهزا الفرصة ليخرجا عن طاعتهِ . فانهُ كان قد ابقى

احدهما في فارس ليهوس ارزانة وهو كان صاحب الخروج عليهِ . وكان هذا المجوسي عالمًا بموت سمرديس وانهُ باقٍ مكتومًا الاَّ عن خواص الفرس وان اكثرهم كانوا يحسبوا انهُ حي . فوافق موتهُ الظروف التي انا مزمع ان اتكلم عنها فعزم المجوسي ان يستولي على سرير الملك . وكان لهُ اخ مشارك لهُ في الخروج كما ذكرت يشبهُ سمرديس بن قورش شبهًا تامًا واسمهُ كاسمهِ . وكان اسم الاول فتزيت فاجلس اخاه على سرير الملك وقد اكد لهُ انهُ يسهل كل الصعوبات

ولما تم ذلك ارسل رسلاً الى كل الولايات وخصوصًا مصر ينعون الجيش من طاعة قمبيز ويامرونهم ان لا يعترفوا من ذلك الوقت الاَّ بسمرديس بن قورش

❋ ٦٢ ❋ فاعلن الرسل ذلك والذي توجه الى مصر التقى بقمبيز وجيشهِ في اغبطانة من سورية فنادى في المعسكر بما كان حاملاً من اوامر المجوسي فلما سمع قمبيز نداءهُ وظن انهُ يقول الصدق تحقق ان فرساسب خانهُ وانهُ لم ينفذ امره بقتل سمرديس . فقال لهُ وقد احدق بهِ بصره اهكذا يافرساسب انفذت امري فقال لهُ ياسيدي لا تصدق شيئًا مما يقول هذا المنادي فان اخاك سمرديس لن يخرج عن طاعتك ولا يكون بينك وبينهُ اقل خلاف فاني انا بنفسي اجريت ما امرتني بهِ ودفنتهُ بيدي فاذا كان الموتى يقومون من القبور فتوقَّع خروج استياجس المادي عليك ولكن اذا كان الزمان الحاضر كالزمان الماضي فكن متاكدًا انهُ لا يصيبك ضرر ابدًا . على الاقل من جهة سمرديس . ومع ذلك فرايي ان يدعى هذا المنادي ويسال من اي قبيل اتى الينا وقال لنا ان نطيع اوامر الملك سمرديس

❋ ٦٣ ❋ فاستصوب قمبيز راي فرساسب وارسل حالاً وراء المنادي فاتوا بهِ الى المعسكر فسالهُ فرساسب قائلاً تقول يا صاحبي انك آتٍ من قبل سمرديس بن قورش . فاصدقنا الان لنرسلك بلا اذية هل رأيت سمرديس وهل امرك هو نفسهُ بما ذكرت ام امرك احد وزرائهِ . فقال المنادي ما رأيت سمرديس بن قورش منذ رحيل الملك قمبيز لغزو مصر ولكن المجوسي الموكل

بااملاك قمبيز هو الذي امرني بما اتيت بهِ وهو الذي قال لي ان سمرديس بن قورش يامرني ان آتي وأُخبركم بهذا . هكذا تكلم المنادي ولم يلبّس الحقيقة

فحينئذٍ قال قمبيز لفرساسب قد انفذت اوامري كرجل امين فلست الومك بشيءٍ ولكن من ترى من الفرس انتحل اسم سمرديس وخرج عليَّ . فاجاب فرساسب وقال يا مولاي اظن اني عرفتُ ما جرى فان المجوس قد خرجوا عليك . فتحزيت الذي ابقيتهُ في فارس وكيلاً على مصالح بيتك واخوه سمرديس هما القائمان بذلك

٦٤ فلما سمع قمبيز اسم سمرديس انجلت لهُ حقيقة كلام فرساسب وصحة تلك الرؤيا التي رآها اي ان مناديًا اتى يخبره ان سمرديس جلس على سرير الملك ونطح بهامهِ السماء . واذ علم انهُ قتل اخاه بلا سبب بكى عليهِ . وبعد ان سكب عليهِ الدموع وشكا فرط شقائهِ ركب فرسهُ بسرعة لكي يمضي حالاً الى سوسن ليوقع بالمجوسي ولكن عند ما وثب على الفرس سقط غمد خنجره وبقي الخنجر معلقًا مجردًا فجرحهُ في فخذه في نفس الموضع الذي طعن بهِ قبل ذلك الوقت ابيس اله المصريين . فاذ رأى ان جرحه قتال سأل عن اسم المدينة التي كان فيها حينئذٍ فقيل لهُ اسمها اغبطانة

وكان قد أُنذر بنبوءة مدينة بوتو ان ايامهُ تنتهي في اغبطانة فتوهم انهُ يموت هرمًا في اغبطانة مادي حيث كانت كنوزه لكن المراد من النبوءة كان اغبطانة سورية . فلما علم اسم هذه المدينة وقد احزنهُ جدًّا خروج المجوس وألم جراحتهِ استفاق على نفسهِ وفهم معنى النبوءة فقال هنا يجب ان قمبيز بن قورش يفارق حياتهُ بحسب امر القدر

٦٥ ولم يقل حينئذٍ اكثر من هذا ولكن بعد نحو عشرين يومًا استدعى خواص الفرس الذين كانوا في العسكر وقال لهم ايها الفرس قد اتصلت الامور الى درجة لا استغني بها ان اكاشفكم بما كنت اجتهد حتى الان ان ابقيهُ مكتومًا كل الكتمان . حينما كنت في مصر رأيت رؤيا وانا نائم ويا ليتني لم أرَها فقد رأيت كانَّ رسولاً آتيًا من بلاطي يعلمني ان سمرديس جلس على سرير الملك ونطح براسه

السحاب فخفت من هذه الرؤيا ان اخي يسلبني الملك فاتخذت تدابير كان فيها للعجلة تقدم على الفطنة لانه ليس في استطاعة البشر ان يغير وأمر القدر . ففعلت فعل المجنون بان ارسلت فرساسب الى سوسن لكي يقتل سمرديس فلما انفذ امري كنت مطمئنًا لا اخاف شيئًا ولم يخطر ببالي أني بعد ما تخلصت من اخي يخرج عليّ رجلٌ اخر لكن اني الدهر بخلاف ما كنت احسبْ فاني قد سفكت دم اخي دمًا لم يكن يصح لي ان اسفكهُ ومع ذلك فقد خرج الملك من يدي . فان سمرديس المجوسي الذي اراني اياه الالهة في الرؤيا هو الذي قدّر ان يخرج عليّ وقد قضي الامر فان سمرديس بن قورش مات والمجوسي فجزيت الذي ابقيتهُ في داري لسياسة املاكي واخاه سمرديس استوليا على الملك والذي كان عليه خصوصًا ان ينتقم لي من عملهما القبيح قد قتل بيد ادنى اقاربه الدنسة لكن اذ لم يبق في الوجود ما بقي لي الآن اصدر لكم اوامري واني مجبور ان اعلمكم بما احب ان تعملوا بعد موتي

فانا استحلفكم ايها الفرس بالآلهة حافظي الملوك . استحلفكم وخصوصًا انتم ايها الكيانية الحاضرون هنا ان لا تسلموا برجوع الملك الى الماديين . فاذا كانوا قد استولوا عليه بالحيلة فاسترجعوه ايضًا بالحيلة وان بالقوة فالبقوة . فاذا عملتم ما اوصيكم بهِ وحافظتم على حريتكم فلتخرج لكم الارض ثمارها بوفور وتلد لكم نساؤكم اولادًا كثيرين وتكثر مواشيكم بنموّ سعيد لكن اذا لم تسترجعوا الملك او لم تجتهدوا لاسترجاعهِ فلست ادعو عليكم فقط عكس الدعاء لكني اطلب لكل الفرس ايضًا على الخصوص آخرة مثل آخرتي .

❋ ٦٦ ❋ فلما تكلم قمبيز بهذا الكلام ندب سوء حظهِ ورأى الفرس دموعهُ تجري فمزقوا ثيابهم وناحوا معولين وبعد وقت قصير سوّس العظم وامتدت الغنغرينا في كل الفخذ بسرعة ثم مات قمبيز بعد ما كانت مدة ملكهِ سبع سنين وخمسة اشهر مات ولم يعقب لا ذكرًا ولا انثى . والفرس الذين كانوا حاضرين لم يصدقوا ان المجوس استولوا على الملك وكانوا يظنون بالحري ان ما قالهُ قمبيز عن موت سمرديس كان نتيجة بغضهِ لهُ حتى يثور بهِ كل الفرس ويحاربوه . ولذلك كانوا يحسبون ان سمرديس بن قورش بالحقيقة هو الذي خرج على

اخيهِ وكانوا على يقين من ظنهم لان فرساسب انكر باجتهاد قتلهُ لسمرديس لانهُ بعد موت قمبيز ما كان يامن على نفسهِ ليعترف بانهُ قتل ابن قورش بيده

❊ ٦٧ ❊ وبعد موت قمبيز بقي المجوسي مالكًا باطمئنان بموافقة اسمهِ لاسم ابن قورش سبعة الاشهر الباقية لتمام السنة الثامنة من ملك سلفهِ . وفي هذه المدة افاض المواهب على رعيتهِ حتى ان جميع اهل اسيا ما عدا الفرس اسفوا عليهِ بعد موتهِ . فمن ابتدا ملكهِ نشر في كل الولايات اوامر بها يعفي كل رعاياه مدة ثلاث سنوات من كل جزية واتاوة ومن العسكرية ايضًا

❊ ٦٨ ❊ وفي الشهر الثامن عرف بالطريقة التي اذكرها . كان في البلاط سيد اسمهُ اوتان بن فرناسب وكان بغناه ونسبهِ يقارن اشهر سادات الفرس . فهذا المولى هو اول من داخل فكره ان الملك الجديد ليس سمرديس ابن قورش بل المجوسي كما كان الامر حقًا وبنى ظنهُ هذا على ان الملك ما كان يخرج من القلعة ولا كان يدعو اليهِ احدًا من اكابر الفرس . فخالج ضميره انهُ مختلس وفعل ما ياتي لكي يكشف امره

كان قمبيز قد تزوج ابنةً فديمة فصارت للمجوسي هي وسائر نساء الملك المتوفَّى فارسل اوتان يسالها من هو الذي هي مقيمة معهُ هل هو سمرديس بن قورش او رجل اخر فاجابت فديمة انها لا تعرف وانها لم ترَ سمرديس بن قورش قط ولا عرفت الذي جعلها في عداد نسائهِ فارسل اوتان ثانيًا يقول لها اذا كنت لا تعرفين سمرديس بن قورش فاسألي اتوسة مَن هذا الرجل المقيم معكما فهي تعرف اخاها سمرديس طبعًا فاجابت قائلة لست اقدر ان اقابل اتوسة ولا غيرها من النساء فان هذا الرجل أيًا كان من حين استولى على الملك فرَّقنا في مقاصير متفرقة

❊ ٦٩ ❊ فبهذا الجواب بدا لاوتان زيادة وضوحٍ فارسل ثالثة الى فديمة يقول لها يا ابنتي يجب ان امرأة شريفة مثلك تعرض نفسها للخطر وابوك هو الذي يامرك بهذا ويجبرك عليهِ فاذا لم يكن هذا الملك هو سمرديس بن قورش بل الذي انا مرتاب بهِ فلا يوافق ان تكوني زوجتهُ ولا ان يستولي على الملك بلا

عقوبة فانهُ يستوجب القصاص فاتيني اذن مشورتي واعملي ما انا آمرك بهِ . متى نام عندك ورأيتهِ قد استغرق في النوم فجسّي اذنيهِ فاذا وجدتِ لهُ اذنين فهو ابن قورش والاّ فيكون سمرديس المجوسي

فاجابت فديمة انها تعرّض نفسها لخطر عظيم وانهُ لاشك في ان الملك اذا لم يكن لهُ اذنان وشعر بها وهي تجسّهُ يقتلها في الحال . ولكن افعل ما انت امرتني . ومما يجب ان ينتبه اليهِ ان قورش بن قمبيز كان في مدة ملكهِ قد قطع اذني سمرديس لاجل قضية مهمة .

ومن عادة نساء الفرس ان تنام كل واحدة مع رجلها مرة على التداول فلما كانت نوبة فديمة فعلت ما وعدت بهِ اباها فانها لما رأت المجوسيَّ مستغرقاً في نومهِ وضعت يدها على مكان اذنيه فعرفت بسهولة انهُ فاقد الاذنين فلما طلع النهار اعلمت اباها

٧٠ فاخذ اوتان معهُ اسباطين وغبرياس وكانا اوّلين بين الفرس وكان يعتمد على صدقهما فاخبرهما بكل ما علم فسهل عليهما تصديقهُ لانهما ايضاً كانا مرتابين بهذه المسأَلة . فاتفق الثلثة ان كل واحد يدعو لمشاركتهِ واحداً سوسن من الفرس يثق بهِ كثيراً

فضمَّ اوتان الى نفسهِ انتافرن وغبرياس مغابيس واسباطين هيدرن فكانوا ستة عند ما رجع دارا بن هستاسب من فارس حيث كان ابوهُ والياً ووصل الى سوسن وفي حال وصولهِ ادخلوه معهم .

٧١ فاجتمع هؤلاء السادة السبعة وتحالفوا على الوفاء وتشاوروا فيما بينهم فلما كانت نوبة دارا ليبدي رأيهُ قال كنت اظن اني انا وحدي عرفت بموت سمرديس بن قورش وان المجوسي ملك مكانهُ ولهذا السبب عينهِ اتيت الى هنا مسرعاً لاهلاك المجوسي ولكن حيث قد كشفتم انتم ايضاً هذا السر ولست انا وحدي عارفاً بهِ يجب في الحال بلا مهلة ان نتم العمل والاّ وقع الخطر . فاجابهُ اوتان وقال يا ابن هستاسب لكونك ابن رجل شجاع ومشهور قد ابديت انك لست اقل منهُ في شيء فاحذر ان تسلك سلوك العجلة بلا تروٍ واتخذ مرشدك

الحذق. اما انا فرايي ان لا نباشر العمل قبل ان يكثر عددنا. فاجاب دارا وقال ايها الفرس اذا اتبعتم مشورة اوتان تحقق هلاككم فتموتون انعس ميتة فرُبَّ رشوة الزمت احدًا ان يرفع امركم الى المجوسي فيكون من الواجب ان تتمموا العمل وحدكم بدون اعلام احد ولكن حيث قد استصوبتم ان تخبروا بذلك كثيرين وان تجعلوني انا ايضًا من الجملة فلنتم العمل اليوم لانهُ اذا مضى هذا اليوم اصرّح لكم اني لا انتظر منكم علمًا بل اسبقكم اليهِ واذهب بنفسي واخبر بكم المجوسي

❋ ٧٣ ❋ فلما رأى اوتان حماسة دارا قال لهُ لانك تجبرنا ان نسرع في اتمام مقاصدنا ولا تسمح لنا ان نؤجلهُ الى وقت آخر فاخبرنا كيف نقدر ان ندخل القصر ونبطش بالمختلس لانك تعرف انت نفسك كما نعرف نحن ان الحرّاس واقفون في الجهتين وان كنت لم ترَهم فلا بد انك قد سمعت بهم فكيف نقدر ان ندخل

فقال دارا ان امورًا كثيرة يا اوتان لا يمكن الحكم عليها بمجرّد الكلام بل بالفعل وتوجد امور اخرى بعكس ذلك يسهل ايضاحها ولا ينتج منها شيء يذكر. وانت تعلم انهُ لا يصعب المرور بين الحراس فاولًا لا احد منهم يتجاسر ان يمنع جماعة مثلنا من الدخول اما مهابة او احترامًا. ثانيًا لي حجة صحيحة للدخول فاني اقول اني قادم من بلاد فارس ولي شيء اكلم بهِ الملك من قبل ابي. لان الكذب عند الاضطرار ليس ما يلتفت اليهِ حقيقة فالذين يكذبون يقولون ما يقول الذين يصدقون ويكذب الانسان املًا ان يحصل على فائدة ويصدق ليفوز ايضًا بمنفعة. ولكي يكون للناس فيهِ ثقة عظمى. فنحن وان لم نسلك نفس السبيل فاننا نقصد غاية واحدة لانهُ لو لم يكن شيء نربحهُ لم يكن فرق بين ان الصادق يؤثر الكذب والكاذب يؤثر الصدق. واما حرّاس الابواب فالذي ياذن لنا بالدخول بسهولة يكون حظهُ بعد ذلك حسنًا والذي يقصد صدّنا فلنعاملهُ في الحال معاملة عدوّ. فلندخل داخل البلاط ونتم ما باشرنا بهِ

❋ ٧٤ ❋ ثم قال غبرياس ما اعظم الشرف الذي ننالهُ يا اصحابي اذا استرجعنا الملك واذا لم ننجح فاي مجد يكون لنا بان نموت وسلاحنا بايدينا. وما

اعظم عار الفرس بان يخضعوا لرجل مادي مجوسي وايضًا مقطوع الاذنين . وانتم كلكم الذين كنتم مع قمبيز مدة مرضهِ لا يمكنكم ان تنسوا ما لعن بهِ الفرس عند ما شعر بقرب اجلهِ اذا لم يجتهدوا في استرجاع الملك وحينئذٍ كنا لا نصدق كلامهُ بل كنا نظن انهُ لم يتكلم كذلك الاَّ ليجعل اخاهُ مكروهًا لدينا . واما الان فرايي ان انبع مشورة دارا واستنتج انهُ لايجب ان ننفض هذا المجلس الالنمضي راسًا الى المجوسي فاستصوب الجميع راي غبرياس

❊ ٧٤ ❊ وبينما هولاء يتخابرون اتفق ان المجوس ايضًا كانوا يتشاورون فيما بينهم وعزموا ان يستميلوا اليهم فرساسب لان قمبيز كان قد اساء اليهِ اساءة شديدة على غير استحقاق بكونهِ قتل ابنهُ بسهمٍ ولكونهِ هو وحده كان يعلم بموت سمرديس بن قورش لانهُ قتلهُ بيده وفضلاً عن ذلك كان الفرس بوجه العموم يحترمونهُ . فاستدعوهُ وبذلوا جهدهم حتى استمالوهُ وطلبوا منهُ ان يحلف لهم بابقاء هذا الخداع الذي خدعوا بهِ الفرس مكتومًا ووعدوهُ بقسمٍ ان يبذلوا لهُ المال الكثير فاخذ فرساسب على نفسهِ ان يجيبهم الى طلبهم .

فلما رآه المجوس مقتنعًا عرضوا عليهِ ان يرقى برجًا ويخبر الفرس الذين عزموا ان يدعوهم للحضور تحت جدران القصر ان المالك عليهم هو في الحقيقة سمرديس ابن قورش لا سواه . وكانوا قد امروهُ بذلك لنفوذ كلامهِ في عقول الفرس لانهُ كثيرًا ما صرَّح لهم سابقًا ان سمرديس بن قورش حيٌّ وان خبر مقتلهِ لاصحة لهُ

❊ ٧٥ ❊ فاجاب فرساسب انهُ مستعد لان يفعل ما يريدون فدعا المجوس الفرس واصعدوهُ برجًا ليخطب عليهم . ولكن فرساسب تناسى مطلوبهم فشرع بذكر نسب قورش مبتدئًا بكينية الجد الاعلى ولما انتهى الى قورش صار يعدد الخيرات التي منحها للفرس وبعد ذلك كشف الحقيقة التي كان قد ابقاها مكتومة لانهُ رأى خطرًا عليهِ ان يعترف بما جرى ولكن في الظروف الحاضرة رأى نفسهُ مضطرًا الى الاقرار . ثم اثبت لهم انهُ قتل سمرديس بن قورش بامر قمبيز وان الملك الحالي مجوسي . وفي ذاك الوقت اصدر لعنات كثيرة على الفرس اذا تقاعدوا عن استرجاع ملكهم ولم ينتقموا من المجوس . وللحال طرح نفسهُ من اعلى البرج

وراسهُ الى اسفل . فهكذا هلك فرساسب وقد كان كل حياتهِ متمتعاً بصيت رجل فاضل

❋ ٧٦ ❋ وكان السبعة من الفرس لما عزموا على البطش بالمجوس في الحال وبلا تأخر قد خرجوا يسعون بعد ان صلوا الى الآلهة ولم يكونوا يعلمون شيئاً من حادثة فرساسب لكن علموها وهم في نصف الطريق وعند ذلك تنحّوا لينشاوروا ايضاً . وكان اوتان برنايي دائماً تاجيل العمل مع ان الامور كانت مقاربة الانتهاء واما دارا فتقدم بلزوم المسير في الحال وانجاز العمل بلا إرجاء . وبينما هم يبحثون في القضية رأوا سبعة ازواج من البزاة تتبع زوجين من الغربان وتمزقها بمناسرها ومخالبها فلما رأى الجماعة ذلك اتفقوا على رأي دارا وقد وثقوا بهذا الفال فمضوا الى القصر

❋ ٧٧ ❋ فلما صاروا على الابواب كان ما حسبهُ دارا فان الحرّاس احترموهم لرفعة مقامهم ولم يرتابوا بسوء نياتهم فتركوهم يدخلون ولم يسألوهم شيئاً فكانوا يمشون بارشاد الآلهة فلما دخلوا دار القصر صادفوا خصياناً معهم رقاع يقدموها للملك فسألهم الخصيان ماذا يطلبون وفي نفس الوقت يهددوا الحراس لانهم تركوهم يدخلون وبذلوا جهدهم لكي يمنعوهم من الدخول فاولئك السبعة شجع بعضهم بعضاً واوقعوا بالخصيان وخناجرهم بايديهم فقتلوهم وتبادروا في الحال الى منزل الرجال وكان المجوسيان هناك وهما يتحدثان حينئذٍ بصنيع فرساسب

❋ ٧٨ ❋ فبلغت الجلبة وصياح الخصيان اليهما فارتكضا واذ رأيا ما هو جارٍ تحرّزا لانفسهما فاحدهما اخذ قوساً والآخر رمحاً واشتبك القتال واذ كان الاعداء على مقربة منهما لم يستفد صاحب القوس شيئاً واما الآخر فكان يدافع عن نفسهِ بالرمح فجرح اسباطين في فخذهِ وطعن انتافرن في عينهِ فذهبت عين انتافرن لكن لم يمت من ذلك . فاحد المجوسيين جرح اثنين من المخالفين واما الاخر فاذ لم يرَ من القوس منفعة هرب الى غرفة كانت تتصل بمنزل الرجال واراد ان يغلق الباب فانقضّ عليهِ دارا وغبرياس فامسك غبرياس المجوسي في جسمهِ لكن اذ كان ذلك في الظلام خاف دارا ان يطعن غبرياس فارتبك فشعر

غبرياس بسكوته فقال له لماذا لا تعمل بيدك قال دارا اخاف ان اجرحك فقال غبرياس اضرب ولو اصبتني فضرب دارا ولحسن الاتفاق لم يصب الا المجوسي

٧٩ وبعد ان قتلوا المجوسيين قطعوا راسيهما وتركوا في القلعة من جرح منهم من وجه ليحرسوها ومن آخر لعجزهم عن اتباعهم واما الاخرون فخرجوا وبيدهم الراسان وكانوا يصيحون صياحًا شديدًا ويضجون ونادوا الفرس بصوت عالٍ واخبروهم بما جرى واروهم راسي المختلسين وفي نفس الوقت قبضوا على كل من ظهر لهم انه من المجوس

فلما علم الفرس بعمل السبعة المتحالفين وبخيانة المجوس رأوا ان يقتدوا بهم فاستلوا سيوفهم وقتلوا كل المجوس الذين التقوا بهم ولولا ان الليل اوقف القتال لم يفلت منهم احد. واحتفل الفرس بذلك اليوم احتفالاً عظيماً . وهذا العيد الذي هو من اعظم اعيادهم يسمى ماغوفونيا ( اي قتل المجوس ) ففي ذلك اليوم لا يسمح للمجوس ان يظهروا بين الناس بل يبقون في منازلهم

٨٠ وبعد سكون الاحوال بخمسة ايام اجتمع السادة السبعة الذين قاموا على المجوس وتشاوروا في شان الامور الحاضرة . وبعض الاغارقة قد لا يصدقون احاديثهم على انها صحيحة فان اوتان اشار عليهم ان يجعلوا زمام الحكم في يد العموم فقال اني اعتقد انه لا لزوم بعد الآن ليسلم تدبير المملكة الى رجل واحد لان الحكم الملكي ليس مقبولاً ولا حسنًا وقدرايتم درجة الوقاحة التي اتصل اليها قمبيز وقد اختبرتم بانفسكم وقاحة المجوسي فكيف يمكن اذن ان الحكم الملكي يكون حسنًا فان الملك يعمل ما يريد غير مبالٍ بتصرفه وافضل رجل اذا ارتفع الى رتبة عالية يفقد حالاً كل سجاياه الجيدة لان الحسد يتولد في كل انسان والمزايا التي يتمتع بها الملك تودي به الى الوقاحة فكل من كانت فيه هاتان الرذيلتان تجتمع فيه كل الرذائل فانه يفعل افظع الافعال وهو سكران بخمرة الوقاحة تارة وبشر الحسد اخرى. فالملك المستبد يجب ان يكون خاليًا من الحسد على الاقل لانه متمتع بكل انواع الخيرات ولكن الحال بالعكس ورعاياه يعرفون ذلك جيدًا بالاختبار فانه يبغض اكرم الناس ويظهر حزينًا لبقائهم وليس حسنًا الا بازاء اردائهم . يصغي الى

الوشاة عن طيب خاطر ويلتفت الى النمامين ولكن الاغرب من ذلك انهُ يغتاظ اذا مدح بادب واذا طلب باهتمام يغتاظ ايضًا ولا يسر الا باخس التدليسات واخيرًا ان اشدَّ المخالفات هولاً انهُ يدوس شرائع الوطن ويثلم شرف النساء ويقتل كل من اراد بدون مراعاة قانون. وليس الامر كذلك في الحكم الجمهوري فاولاً يسمونهُ ايسونوميا ( اي مساواة الشرائع ) وهو اجمل الاسماء ثانيًا لا يفعل فيهِ شيء من الامور المخلة التي هي من لوازم الحكم الملكي والقاضي ينتخب بالقرعة ويحمل مسئولية اعمالهِ وتجري المخابرات بين الجمهور . فرايي اذن ان ارفض الحكم الملكي واقيم الجمهوري لان كل شيء في الامة . هذا كان راي اوتان

﴿ ٨١ ﴾ وتكلم بعدهُ مغابيس واشار عليهم باقامة حكم الاعيان فقال ان فكري كفكر اوتان بالغاء الحكم الاستبدادي واصوّب كل ما قال بهذا المعنى لكن باشارتهِ علينا ان نجعل زمام الحكم في يد الامة قد شرد عن سبيل الصواب فلا اشد حماقة ولا سفاهة من الجمهور العام فنجتنب وقاحة الملك المستبد نقع في استبداد امة لا قياد لها فهل شيء اعظم من هذا مما لا يطاق اذا كان الملك يباشر عملاً فانما يفعل بمعرفة واما الامة فبعكس ذلك اذ لا فطنة لها ولا راي ومن اين للامة ذلك وهي لم تتعلم ولم تتادب ولا تعرف الجميل والاديب ولا القبيح والسفيه . ترمي بنفسها في عمل وهي منكسة الراس لا حكم لها كانها سيل يجرّ كل ما يصادفهُ بطريقهِ عسى ان اعداء الفرس يتخذون الحكومة الجمهورية واما نحن فلننتخب افاضل الرجال ونضع زمام الحكومة في يدهم ونكون نحن ايضًا من الجملة وبحسب الظواهر لا تكون آراء رجال عقلاء متنورين الاّ حسنة

﴿ ٨٢ ﴾ هذا كان راي مغابيس واما دارا فتكلم ثالثًا وابدى رايهُ بهذا الكلام . ان راي مغابيس بنفي الجمهورية يظهر لي انهُ صواب ومبني على التعقل وهكذا الامر في ما ابداهُ هو ايضًا بخصوص حكومة الاعيان . فانواع الحكومة الثلثة التي يمكن عرضها اي الجمهورية وحكم الاعيان والملكية اذ كانت كلها كاملة بمقدار ما يستطاع اقول ان الملكية افضل بكثير من النوعين الآخرين لانهُ من المحقق انهُ ليس احسن من حكم رجل واحد اذا كان رجل خير فرجل مثل هذا لا يقدر

الا ان يسوس رعيته سياسة لا لوم فيها وتكون المفاوضات سرّية ولا يكون للاعداء اقل اطلاع عليها وليس هكذا الحال في حكومة الاعيان لانها بتالفها من عدة اشخاص يجتهدون في الفضيلة لخير العموم تولد بينهم ضغائن خصوصية شديدة كلٌّ منهم يحب السيادة كل منهم يحب ان يكون رايهُ الافضل فمن ذلك تكون البغضاء بينهم ومن الشقاق والشغب يودي الامر الى القتل ومن القتل يعاد الى الحكم الملكي عادة فهذا دليل على افضلية سيادة رجل واحد على كثيرين . ومن جهة اخرى اذا كانت السيادة للامة فلا يمكن الا ان يقع خلل كثير في المملكة فان الفساد اذا حصل في العموم لا يولد البغضاء بين الاشرار بل يضم بعضهم الى بعض بعلائق محبة متينة لان الذين يخسرون المملكة يسلكون باتفاق ويتعاضدون فيستمرون على عمل الشر حتى يقوم رجل عظيم ويردعهم بسيادتهِ على الامة فيثنى على هذا الرجل وبذلك يصير ملكًا وهذا ما يويد ايضًا ان الحكومة الملكية افضل من غيرها ولكن حتى نقول كل شيء بوجيز العبارة نقول من اين اتصلنا الى الحرية ومن حصلنا عليها امن الامة ام من الاعيان ام من ملك فحيث ان الحق اننا بواسطة رجل واحد نجونا من العبودية نستنتج انهُ يجب ان نجعل الحاكم رجلًا واحدًا وفضلًا عن ذلك لا يصح ان تنقض شرائع الوطن اذا كانت مبنية على الحكمة لان في ذلك خطرًا

❋ ٨٣ ❋ هذه كانت الآراء الثلثة التي أُبديت والرأي الاخير صوّبهُ الاربعة من السبعة الذين لم يبدوا رايًا فحينئذٍ اذ راى اوتان وقد كان يشتهي بشوق شديد اقامة الحكومة العامة ان رايهُ لم يصادف قبولًا قام في وسط الجماعة وتكلم قائلًا ايها الفرس حيث ان واحدًا ما يجب ان يكون ملكًا سواء ملك بالقرعة او باختيار الامة او بطريقة اخرى فلا اكون انا متفقًا معكم . لا اريد ان آمر ولا ان اطيع واترك لكم المملكة وامضي لشاني لكن بشرط ان لا اكون تحت سلطة احد منكم لا انا ولا اتباعي ولا ذريتي الى الابد

فاجابهُ الستة الى طلبهِ فخرج من بين الجماعة وما دخل معهم في الاتفاق ولذلك بقي بيتهُ الى الان وحده في بلاد الفرس متمتعًا بحرية مطلقة لا يخضع الا

متى اراد لكن على ان لا يتعدى بشيء شرائع البلاد

❊ ٨٤ ❊ والستة الباقون تشاوروا معًا في كيفية انتخاب ملك باعدل طريقة فاجمعوا اولاً لان الملك قد خص بواحد منهم على ان يعطوا اوتان كل سنة على سبيل الاكرام ولنسله الى الابد ثوبًا على الطرز المادي ويقدموا له الهدايا التي يحسبها الفرس اشرف من سواها وقد منحوه هذا الامتياز لانه اول من ارتأى خلع المجوسي وجمعهم لاتمام العمل . وكانت هذه التشريفات مختصة به وحده ولكن وضعوا هم لنفسهم قوانين عامة فقرروا اولاً ان كل واحد من الستة يكون له مطلق الحرية بدخول البلاط بدون ان يستاذن الا اذا كان الملك في سريره مع امرأته . ثانيًا ان الملك لا يقدر ان يتخذ زوجة الا من بيت واحد من الذين خلعوا المجوسي

واما كيفية انتخاب الملك فقرروها على ان يخرجوا صباحًا على خيولهم الى خارج المدينة فالذي يصهل فرسه اولاً عند طلوع الشمس يكون هو الملك

❊ ٨٥ ❊ وكان عند دارا سائس حاذق اسمه اوبارس فلما خرج من الجمعية قال له يا اوبارس صار الاتفاق بيننا ان نخرج غدًا على الخيل فالذي يصهل فرسه اولاً عند بزوغ الشمس ينصب ملكًا . فابذل اذن كل حذقك لاتصل الى هذا المنصب السامي مفضلاً عن سواي . فقال له اوبارس يا سيدي اذا كان انتخابك لا يتوقف الا على هذا فقوِّ قلبك ولا تتعب نفسك . لا يختار احد عليك فعندي سرٌّ لا يخطئ . فقال دارا اذا كان عندك هذا السرّ حقيقة فهذا وقت اجرائه لا مهلة بعد الان فغدا تُصيب حظّنا

فبناءً على هذا الرأي حالما صار المساء اخذ اوبارس من اناث الخيل حِجْرًا كان حصان دارا يحبها اكثر من غيرها ومضى بها الى ربض المدينة وربطها وادنى منها فرس سيده وصار يقوده حولها تكرارًا ذهابًا وايابًا ثم سمح له ان يغشاها

❊ ٨٦ ❊ فلما كان الغد اول طلوع النهار ركب الستة على الاتفاق وتوجهوا الى الميعاد واذ كانوا سائرين في جهات مختلفة وهم في الربض فحالما قربوا من المكان الذي ربطت فيه الحِجْر في الليلة البارحة اركض حصان دارا الى

ذلك المكان وصار يصهل وفي نفس الوقت راوا وميض برق وسمعوا قصف رعد مع ان الجو كان حينئذٍ صافيًا . فهذه العلامات التي حدثت كان الجو موافق لدارا كانت في عين هذا الامير بمثابة فأل فترجل الخمسة الباقون عن خيولهم وسجدوا لديه وسلموا عليه بالملك

❋ ٨٧ ❋ هذه على راي البعض الطريقة التي استخدمها او بارس لكن البعض ذكر الحادثة بخلاف ذلك لان الفرس يذكرونها على وجهين فيقولون ان او بارس امرّ يده على حياء الحجْر وخباها تحت جبته وانهُ في وقت ابتداء بزوغ الشمس كان اول جري الخيل للسير فاخرج يده وادناها من انف حصان دارا فلما شمّ رائحة الحجر صار ينخر ويصهل

❋ ٨٨ ❋ ونودي باسم دارا بن هستاسب ملكًا وكل شعوب اسيا الذين كانوا خاضعين لقورش ثم لقمبيز خضعوا لهُ الاَّ العرب لان العرب لم يخضعوا حقيقة للفرس بل كانوا متحدين معهم وفتحوا طريقًا لقمبيز لكي يذهب الى مصر ولو اعترضوه لم يستطع العسكر الفارسي مطلقًا ان يدخلها

واول من اتخذ دارا زوجات لهُ نساء الفرس . تزوج ابنتي قورش اتوسة وارتستونة وكانت اتوسة زوجة اخيها قمبيز ثم زوجة المجوسي وكانت ارتستونة عذراء ثم تزوج برميس بنت سمرديس بن قورش وفديمة بنت اوتان التي كشفت خيانة المجوسي

فلما استتب لهُ الملك من كل وجه شرع في نصب تمثال لهُ حجري راكب على حصان وعليه هذه الكتابة «دارا بن هستاسب اتصل الى ملك بلاد فارس بسليقة حصانه (وكان اسمهُ مذكورًا في الكتابة) وحذق سائسهِ او بارس»

❋ ٨٩ ❋ ولما تم ذلك قسم مملكته الى عشرين ولاية يسميها الفرس دهقانيات وفي كل منها جعل واليًا ورتب الجزية التي على كل امة ان تؤديها اليهِ ولاجل ذلك اضاف الى كل امة الشعوب المتاخمة لها ومرارًا يجتاز الذين كانوا مجاورين ويجعل من ولاية واحدة شعوبًا يبعد بعضهم عن بعض

وعلى هذه الطريقة فرق الدهقانيات ورتب الجزية التي على كل واحدة منها ان

تؤديها كل سنة وأصدر الاوامر ان كل الذين عليهم ان يؤدوا الاتاوة فضة يؤدونها بحساب الوزنة البابلية والذين يؤدونها ذهبًا بحساب الوزنة الاوبية فالوزنة البابلية تساوي سبعين منًا اوبيًا «١»

وعلى عهد قورش وعهد قمبيز ايضًا لم يكن شيء مرتبًا بخصوص الجزية فكانوا يعطون الملك عطية مجانية فمسالة الجزية وما شاكلها من التنظيمات جعلت الفرس يقولون ان دارا تاجر وقمبيز كان سيدًا وقورش أبًا فالاول لانه كان يجمع الدراهم من كل وجه والثاني لانه كان صارمًا وكثير الاهمال والثالث لانه كان وديعًا وعمل لرعيته من الخير اكثر من غيره بقدر ما استطاع

﴿ ٩٠ ﴾ وكان اليونان والمغنيسة في آسيا والابوليون والكاربون والليكيون والملطيون والبمفيليون يؤلفون الولاية الاولى ويدفعون معًا اربعمائة وزنة فضة . والميسيون والليديون واللاسونيون والقباليون والهيجنيون كان عليهم خمسمائة وزنة فضة وهم اهل الدهقانية الثانية . واهل الهلسبنطس الذين على اليمين للذاهب بحرًا من تلك الجهة والفريجيون وثراقيو اسيا والبفلاغونيون والماريندينيون والسوريون كانوا اهل الولاية الثالثة ويدفعون ثلثمائة وسبعين وزنة . والكيليكيون كانوا يدفعون كل يوم فرسًا ابيض وفي السنة ثلثمائة وستين وفوق ذلك خمسمائة وزنة فضة منها مئة واربعون توزع للخيالة الذين كانوا حرّاسًا لتلك البلاد والثلثمائة وستين وزنة الاخرى تدخل صندوق دارا. وهذه هي الولاية الرابعة «٢»

﴿ ٩١ ﴾ والتالية لها مبتدئًا من مدينة بوسيديوم المبنية على حدود كيليكية وسورية بامر امفيلوخس بن امفياراوس الى مصر باستثناء بلاد العرب التي كانت معفاة من كل جزية فكان عليها من الجزية مئة وخمسون وزنة . وهذه الولاية نفسها كانت تشمل ايضًا كل فينيقية وسورية وفلسطين وجزيرة قبرص

---

١ الوزنة الاوبية عبارة عن سبعين منًا اي ٧٠٠٠ درهم اسكندري وكذلك البابلية *ل*

٢ لا عجب من كون هذه الولاية على كونها الصغرى تدفع هذه الجزية الفاحشة لانها كانت غنية جدًا ونهر بكتول الذي يروي ليديا كان يجر شذور الذهب *ل*

ومن مصر والليبيين جيران مصر والقيروان وبرقة وهما مدينتان داخلتان في ولاية مصر كان مدخول الملك من الجزية سبعمائة وزنة فضلاً عن مدخول الصيد في بحيرة موريس وسبعائة وزنة من الحنطة لانهم كانوا يحصلون منها مئة وعشرين الف كيل للفرس الحارسين في قلعة منف البيضاء والجيوش المساعدة التي كانت تعيش على نفقتهم . وهذه الدهقانية كانت السادسة . واما السابعة فهي تشمل السطاجيدة والغندارية والداديكية والابلوبتة . فهذه الامم كانت من ولاية واحدة وكان عليها مئة وسبعون وزنة . وسوسن وسائر بلاد الكيسيين عبارة عن الولاية الثامنة وتودي الملك ثلثمائة وزنة

✻ ٩٢ ✻ ومن بابل وبقية اشور كان يدخل له الف وزنة فضة وخمسمائة خصيّ شباناً . وهذه الولاية التاسعة . ومن اغبطانة وسائر بلاد مادي والباريكانية والارثوكوريبنطية وذلك عبارة عن الولاية العاشرة كان يخرج له اربعمائة وخمسون وزنة . واهل قزوين والبوسيكة والبنطياتيه والدارية كانوا يولفون الولاية الحاديه عشرة وكانوا يدفعون جميعهم مئتي وزنة . وكل البلاد من حد بقطرية الى بلاد الايغلة كانت تولف الولاية الثانية عشرة وتودي من الجزية ثلثمائة وستين وزنة

✻ ٩٣ ✻ والولاية الثالثة عشرة كانت تعطي اربعمائة وزنة وكانت تمتد من بكتيكة وارمينية والبلاد المجاورة الى بحر بنطس . والساغرتيون والسارنجيون والثامانيون والاوتيون والميكيون والشعوب سكان جزائر بحر اريثرية حيث يرسل الملك الذين ينفيهم كانوا يدفعون جزية ستمائة وزنة وهم داخلون في الدهقانية الرابعة عشرة . والخامسة عشرة تشتمل على الساقة والا ··· وكانوا يدفعون مئتي وزنة . والبرثيون واهل خوارزم والصغد والاريانة كانت جزيتهم ثلثمائة وزنة . وهذه الدهقانية هي السادسة عشرة

✻ ٩٤ ✻ والباريكانية والحبشة الاسيون كانوا يدفعون اربعمائة وزنة وهم يولفون الولاية السابعة عشرة . والثامنة عشرة كانت تشمل المتيانية والسابيرة والالارودية وكانت جزيتهم مئتي وزنة . والموسكة والتيبارينية والمكرونية والموسينيكة

والماردة كانوا يدفعون ثلثمائة وزنة وهم اهل الولاية التاسعة عشرة · والهنود هم اكثر عدداً من كل الشعوب التي نعرفها وكانوا يدفعون من الجزية مقدار ما يدفع كل الآخرين معاً وكانت جزيتهم ثلثمائة وستين وزنة من شذور الذهب وهذه هي الولاية العشرون

✻ ٩٥ ✻ فاذا اردنا تحويل كل هذه الفضة التي كانت تعطى بالوزنة البابلية الى الوزنة الاوبية يحصل لنا تسعة آلاف وثمانمائة وثمانون وزنة واذا جعلنا ثمن الذهب ثلاثة عشر ضعف ثمن الفضة بتحويلهِ ايضاً الى الوزنة الاوبية يحصل لنا اربعة آلاف وستمائة وثمانون وزنة شذوراً ذهبية . فاذا جمعنا كل هذه المبالغ نرى انَ دارا كان ياخذ من الجزية كل سنة اربعة عشر الفاً وخمسمائة وستين وزنة اوبية هذا فضلاً عن مبالغ اخرى اقلّ منها ضربت عنها صفحاً

✻ ٩٦ ✻ هذه كانت مداخيل دارا من اسيا وقسم صغير من ليبيا ثم وضع جزية على الجزائر وعلى الامم القاطنة اوروبا الى تساليا . والملك يضع مداخيلهُ في خزائنهِ على الطريقة الآتية يذيب الفضة والذهب في اوعية خزفية فمتى امتلأت يوخذ المعدن من الاناء ومتى احتاج الى دراهم يضرب منها مقدار ما يلزمهُ

✻ ٩٧ ✻ هذه هي الولايات المختلفة والجزية المفروضة عليها وبلاد فارس هي الولاية الوحيدة التي اخرجتها من عداد الولايات التي عليها جزية فان اهلها يستغلون من ارضها ولا يدفعون جزية ولكن مع كونهم معفين من الجزية يعطون عطايا مجانية وهكذا كان الحال مع الحبشة جيران مصر التي اخضعها قمبيز في غزوتهِ للحبشة المكروبيين وساكني مدينة نيسة المقدسة الذين يعيدون لباخوس وهولاء الحبشة وجيرانهم يحافظون على العوائد التي عند الهنود القلاطية فيما يتعلق بالاموات . ومنازلهم تحت الارض وهاتان الامتان كانتا تحملان الى الملك كل ثلاث سنين عشرين ناب فيل كباراً ومئتي جذع من الابنوس وشنيكتين من التبر وزيادة عن ذلك كانوا يقدمون لهُ خمسة فتيان حبشيين وهذه العادة كانت باقية الى زماني

وشعوب كلخيدة كانوا يضعون الجزية على انفسهم فيقدمونها لهُ على سبيل

المدينة وهكذا جيرانهم الى جبل قوه قاف لان كل البلاد الى ذلك الجبل كانت خاضعة للفرس واما الشعوب القاطنين شمالي قوه قاف فليس عليهم للفرس شيء

فكان من عادة اولئك الشعوب ان يرسلوا على سبيل الهدية كل خمس سنوات مئة فتىً ومئة فتاة وهذه الهدية التي فرضوها على انفسهم كانت تقدم في زماني ايضاً والعرب كانوا يعطون الملك ايضاً كل سنة الف وزنة بخور . فهذه كانت هدايا اولئك الشعوب المختلفين فضلاً عن الجزية التي ذكرناها

❋ ٩٨ ❋ واما تلك الكمية من شذور الذهب التي يقدمها الهنود جزية لملك الفرس كما ذكرنا فيحصلون عليها بهذه الطريقة. ان القسم من بلاد الهند الممتد الى جهة الشمس الطالعة هو رملي . لاننا لا نعرف من كل الامم التي نعرفها ونسمع عنها شيئاً محققاً امة اقرب الى الفجر ومطلع الشمس من الهنود فهم من هذا الوجه اول سكان اسيا . ففي الشرق تجعل الرمال الارض قفراء وينطوي تحت اسم الهنود عدة امم لا تتكلم بلغة واحدة بعضهم رحّالون وبعضهم مقيمون ومنهم من يسكن في المستنقعات المؤلفة بفيضان النهر ويقتاتون بالسمك النيء يصطادونه من تحت قواربهم المصنوعة من القنا والقصب يقطعون القناة من كعب الى كعب وكل قطعة يعمل منها قارب صغير. وهؤلاء الهنود يلبسون ثياباً منسوجة من نبت ينبت في الانهر فيجمعونه ويخبطونه ويحيكونه على شكل حصير ويلبسونه كانه درع

❋ ٩٩ ❋ والهند الاخرون القاطنون شرقي هولاء هم رحالون ويقتاتون باللحم النيء ويسمونهم باديين وهذه هي الشرائع المنسوبة اليهم ان من يمرض منهم اذا كان رجلاً يقتله ادنى اقاربه واعز اصحابه ويحتجون عن ذلك بان المرض يهزل بدنه فيصير لحمه اقلّ لذة ويشدّد في انكار كونه مريضاً فلا يسمعون له بل يذبحونه وياكلون لحمه واذا مرضت امرأة تفعل بها ادنى قريباتها كما يفعل الرجال فيما بينهم . ويقتلون من يتقدم في العمر وياكلونه ولكن قلما يوجد بينهم شيوخ لانهم مجتهدون دائماً في قتل كل من يمرضون

❋ ١٠٠ ❋ ومن الهنود قوم آخرون عوائدهم مخالفة جداً لما تقدم فانهم لا يقتلون حيواناً ولا يزرعون شيئاً ولا لهم بيوت ويعيشون من العشب وعندهم

الصوف الذي يجمعونهُ من تلك الاشجار

❊ ١٠٧ ❊ ومن جهة الجنوب آخر المعمور بلاد العرب وفيها وحدها يوجد البخور والمرّ والقرفة والدارصيني واللاذن والعرب يجنون كل هذه الاشياء بتعب جزيل الاّ المرّ. ولكي يجنوا البخور يحرقون تحت الاشجار التي تولّده صمغاً يسمى ميعة ياتي بهِ الفينيقيون الى الاغارقة فيحرقون هذا الصمغ ليشرّدوا كمية كبيرة من الحيات الطيارة المختلفة الانواع تكون في تلك الاشجار ولا تذهب منها الا بدخان الميعة . وهذه الحيات هي تلك التي تطير الى جهة مصر اسراباً

❊ ١٠٨ ❊ ويقول العرب ان هذه الحيات لولا انهُ يحدث لهـــا نفس الشيء الذي نعلم انهُ يحدث للافاعي لكانت البلاد تمتلىء منها فهذه هي العناية الالهية التي شاءت حكمتها كما هو الحق ان كل الحيوانات الضعيفة والتي تُتخذ طعاماً للبشر تكون كثيرة نامية لئلا تبيد انواعها بكثرة ما يوكل منها و بعكس ذلك ان تكون كل الحيوانات المضرة الضارئة اقلّ نموًّا بكثير

فالارانب لها اعداء في كل مكان فالوحش والطيور والناس يطاردونها ومع ذلك هي كثيرة النمو جدًّا والانثى هي وحدها من سائر الحيوانات تحمل وهي حبلى فيكون في جوفها في وقت واحد صغار منها ما يكسو وبرهُ جلده ومنها ما لم يخرج وبرهُ . ومنها ما هو في اول تكاملهِ وهي مع ذلك حبلى بصغار اخرى

واما اللبوءة فبعكس ذلك فمع انها قوية ضارئة لا تحبل الا مرّة في حياتها ولا تلد الاّ شبلاً واحدًا لان رحمها تخرج مع ولدها والسبب هو هذا حالما يبتدئ الشبل في التحرّك وهو في بطن امهِ فلكون روؤس مخلبهِ احدّ مما في سائر الوحوش يمزق الرحم وكلما نما كثر تمزيقهُ لها وعند اقتراب وقت الوضع لا يبقى من الرحم شيء سليماً

❊ ١٠٩ ❊ فلو كانت الافاعي وحيات بلاد العرب الطيارة لا تموت الا الموت الطبيعي لكان يستحيل على البشر ان يعيشوا لكن عند اجتماعها والمباشرة تاخذ الانثى بعنق الذكر وتتمسك بهِ تمسكًا شديدًا ولا تتركهُ حتى تفترسهُ فهكذا يهلك الذكر. واما الانثى فانتقي جزاءها فان صغارها حين تصير على اهبة الخروج

تقرض رحمها وبطنها تخرق لها ممرًّا وهكذا تاخذ بثار ابيها . واما الحيات الاخرى التي لا تؤذي الانسان فتبيض بيضًا يخرج منها كمية كبيرة من الصغار - وتوجد الافاعي في كل الارض ولكن ليس حية مجنحة الاّ في بلاد العرب وهي هناك كثيرة جدًا

﴿ ١١٠ ﴾ وعلى هذه الطريقة يجني العرب البخور ولكن طريقة جنى القرفة هي هذه حينما يذهبون في طلبها يغطون ابدانهم ووجوههم ايضًا الاّ العيون بجلود الثيران والماعز . والقرفة تنبت في بحيرة قليلة العمق وعلى هذه البحيرة وحولها توجد حيوانات من جنس الطير تشبه الخفافيش فتصيح صياحًا شديدًا حادًّا هائلاً وهي قوية جدًّا فيجتهد العرب بدفعها ويقون عيونهم وبهذا التحفظ يجنون القرفة

﴿ ١١١ ﴾ واما الدارصيني فيجنى بطريقة اعجب من الاولى . والعرب انفسهم لا يعرفون من اين ياتي ولا من اي بلاد يحصل فالبعض يزعمون انهُ ينبت في البلاد التي تربى فيها باخوس ورايهم مبني على تخمينات صحيحة ويقولون ان طيورًا كبيرة تمضي وتاتي بهذه العيدان التي نسميها بالدارصيني وهو اسم تعلمناه من الفينيقيين وان هذه الطيور تحملها الى اعشاشها التي تبنيها بالطين في جبال مستوعرة حيث لا يقدر انسان ان يصل فلكي تنال هذه العيدان الدارصيني يزعمون ان العرب يتخذون هذه الحيلة . ياخذون لحم بقر وحمير وغير ذلك من الحيوانات الميتة ويقطعون اللحم بضعًا كبارًا جدًّا ويحملونها الى قرب العش بقدر ما يستطيعون من الدنوّ ثم يبعدون عنها فتنقضّ الطيور على هذا الصيد وتحملهُ الى اعشاشها لكن لكون الاعشاش غير متينة بحيث تحمل تلك البضع تسقط بها محطمة فياتي العرب ويجمعون الدارصيني ويرسلونهُ الى بلاد اخرى

﴿ ١١٢ ﴾ واما اللاذن فيجنى بطريقة اعجب ايضًا من طريقة الدارصيني فمع كونهِ طيب الرائحة يكون في اماكن لها رائحة كريهة جدًّا لانهم يجدونهُ في لحى التيوس والاعناز كالعفن الذي يتولد على الخشب فيدخلونهُ في تركيب طيوب كثيرة والعرب يتطيبون باللاذن خصوصًا . وبهذا القدر كفاية عن المواد العطرة

❋ ١١٣ ❋ وتستنشق في بلاد العرب رائحة ذكية جدًّا والعرب عندهم نوعان من الغنم يستحقان الاعتبار ولا يوجدان في غير بلاد فالنوع الواحد اذنابهُ طويلة جدًّا على الاقل ثلث اذرع فإذا تركوها تجر وراءها تتقرح لان الارض تقشرها وتتلفها ولكن الان كل رعاة هذه البلاد يعرفون عمل عجلات صغيرة يعلقون على الواحدة منها الية خروف . والنوع الآخر عرض اليتهِ ذراع

❋ ١١٤ ❋ وبلاد الحبشة تمتدّ غربي بلاد العرب باتجاه الى الجنوب وهذه آخر البلاد المعمورة ويحصل منها كثير من الذهب وفيلة ضخمة جدًّا وكل انواع الاشجار البرية والابنوس . والرجال فيها كبار الابدان حسان الصورة كاملوا البنية ويعمرون طويلاً

❋ ١١٥ ❋ فهذه هي اطراف اسيا وليبيا واما اطراف اوروبا من جهة الغرب فلا اقدر ان اقول عنها شيئًا محققًا لاني لا اوافق على ان البرابرة يسمون اريدان نهرًا يصب في بحر الشمال ومنهُ على ما يقال ياتينا العنبر . ولا اعرف ايضًا جزائر كاسيتريدة التي يؤتى لنا منها بالقصدير واسم النهر نفسهُ دليل على ما ارتأيت . فاريدانوس ليس اسمًا بربريًّا بل هو اسم اغريقي اخترعهُ بعض الشعراء وفضلاً عن ذلك لم اجد احدًا يقول لي بشهادتهِ العيانية ما هو هذا البحر الذي يجعلونهُ في ذلك القطر من اوروبا . والمحقق ان العنبر والقصدير ياتياننا من ذلك الطرف من الدنيا

❋ ١١٦ ❋ ومما يظهر ثابتًا ان في جهة شمال اوروبا كمية وافرة من الذهب لكني لا اقدر ان اذكر بالتحقيق كيفية حصولهم عليهِ على انهُ يقال ان الاريمسبة ياخذون هذا الذهب من العنقاء وان هؤلاء الاريمسبة لهم عين واحدة ولكن لا يمكنني ان احقق ان اناسًا يولدون بعين واحدة واما في باقي اجسامهم فيشبهون الناس شبهًا تامًّا . وعلى كل حال يظهر ان اطراف الارض فيها ما نعدهُ اجمل واندر الاشياء

❋ ١١٧ ❋ وفي اسيا سهل يكتنفهُ جبل لهُ خمسة منافذ وهذا السهل كان يخص سابقًا الخوارزمية وهو واقع على تخومهم وتخوم المرقانيين والبرثيين

والسارنجيين والثامانيين ولكن من حين استيلاء الفرس على السلطة المطلقة صار بحص الملك

ومن هذا الجبل الذي ضمنهُ السهل المذكور يجري نهر اسمهُ اكيس وكان سابقاً يجري من كل واحد من تلك المنافذ الخمسة ويتفرق في كل جهة ويروي اراضي الشعوب التي ذكرتها ولكن منذ صاروا تحت طاعة الفرس جرى لهم ما ياتي ذكره . عمل الملك لكل من منافذ الجبل ابواباً اي سدوداً . فلم يجد الماء منفذاً فامتد في كل السهل الذي ضمن الجبل فصار بحراً كبيراً فاولئك الشعوب ما عاد في مكنتهم الانتفاع بتلك المياه التي كانوا يستخدمونها قبلاً وصاروا في حالة مكدّرة . نعم ان الاله ينزل المطر في الشتاء عندهم كما عند سائر الامم لكن في الصيف يحتاجون الى الماء عند ما يزرعون الورْس والسمسم فلا يكون لهم ماء فاذ رون انهم لا يُعطَونهُ يذهبون بنسائهم الى الفرس ويقفون على باب قصر الملك ويصيحون معولين فحينئذٍ يامر الملك بفتح السدّ من جهة الذين يحتاجون الى الماء فمتى رويت ارضهم ريّاً كافياً يسكرون السدّ . ثم يصدر امر بفتح السدود للذين حاجتهم الى الماء معجّلة لكن على ما سمعت يطلب الملك لفتح السدود مبالغ جسيمة من الفضة فضلاً عن الجزية الاعتيادية

✵ ١١٨ ✵ وفعل انتافرن احد السبعة من الفرس الذين تآمروا على المجوسي قباحة استوجب بها الموت وذلك انهُ على اثر قيام الفرس على المجوسي اراد ان يدخل البلاط ليكلم الملك لانهُ كان الاتفاق بين السبعة الذين اتحدوا على المجوسي انهم يكونون احراراً في الدخول على الملك بدون أن يستأذنوا ما لم يكن الملك مع امرأتهِ في سريره . فاراد انتافرن ان يدخل على داراً معتقداً انهُ لا لزوم لان يستاذن لانهُ كان واحداً من السبعة . فحرّاس الباب والحاجب منعوهُ من الدخول قائلين ان الملك مع احدى نسائهِ . فتوهم انتافرن انهم كاذبون فاستلّ خنجره وقطع انوفهم وآذانهم وعلقها في لجام فرسهِ ثم لف اللجام على اعناقهم وتركهم يمضون

✵ ١١٩ ✵ فحضروا امام الملك وقالوا لهُ لاي سبب اسيءَ اليهم هكذا

فخاف دارا ان هذه القباحة تكون بمواطأة بين الخمسة الآخرين فاستدعاهم الواحد بعد الآخر وسبر افكارهم كل واحد على حدةٍ لكي يعلم هل يوافقون على ما حدث فلما تحقق ان ذلك جرى بدون مشاركتهم كما كانت الظروف تاذن ان يظن ان انتافرن كان يحاول ان يثور هو واقاربهُ امر بالقبض عليهِ وعلى اولاده وسائر عائلتهِ ولما تاكد انهم هم انفسهم اوثقهم بالقيود وحكم عليهم بالموت

فكانت زوجة انتافرن تمضي كل يوم الى ابواب البلاط اسيفة تصيح وتنحب فتحركت عواطف دارا بمواظبتها ونواحها فاتى من قبلهِ من يقول لها . ان الملك دارا يهبك احد الاسرى فاختاري من بين ذويك من تريدين انقاذه من الهلاك فبعد تروٍّ قليل اجابت . اذا كان الملك يهبني حياة احد اقاربي فاني اختار اخي على الآخرين . فتعجب دارا من ذلك فارسل يقول لها ما الداعي لكونك اخترت اخاك على زوجك واولادك مع انهُ ليس اقرب اليك من اولادك ولا بد ان يكون اقل معزة من زوجك عندك . فاجابت قائلة ايها الملك الاعظم اذا شاء الله اقدر ان اجد زوجًا ويكون لي اولاد آخرون متى فقدت هؤلاء لكن ابي وامي ماتا فلا يمكن ان يكون لي الى الابد اخ اخر . وهذا هو سبب اختيارهِ عليهم . فوجد دارا جوابها مملوءًا فطنة وعقلاً واستحلاه فردّ اليها لا اخاها فقط بل ابنها البكر ايضًا . واما الاخرون فامر بقتلهم كلهم . فهكذا هلك منذ الابتداء احد السبعة

❋ ١٢٠ ❋ وحدث نحو ذلك تقريبًا في زمان مرض قمبيز حادث لا يجب ان اترك ذكره . وذلك ان اوربتاس الفارسي الاصل الذي كان قورش قد جعلهُ واليًا على سرديس اضمر بمكره ان يقبض على بوليكراتس الساموسي ويقتلهُ مع انهُ لم يكن قد اساء اليه بشيءٍ لا قولاً ولا فعلاً حتى انهُ لم يكن قد رآه قط ولكن السبب الذي يورده اكثر الذين يخبرون هذا الخبر هو هذا

كان اوربتاس يومًا ما في دار متروباطس والي ذسكيليوم ومن حديث الى حديث انصلا الى اللوم واذ كان جدالهما دائرًا على الشجاعة قال متروباطس لاوربتاس انت حقًا رجل ثابت الجنان انت الذي حتى الآن ما قدرت ان تستولي على جزيرة ساموس مع انها ملاصقة لولايتك وسهلة الاخذ حتى ان واحدًا

من سكانها اخذها ومعهُ فقط خمسة عشر جنديًّا وهو الآن صاحبها . فقيل ان اوريتاس تاثر من هذا الكلام حتى انهُ اهتمَّ باهلاك بوليكراتس لانهُ هو المسبب في التهكم عليهِ اكثر مما اهتم بالانتقام من الذي تهكّم

✻ ١٢١ ✻ فيقول البعض وهم القليلون ان اوريتاس ارسل الى ساموس رسولاً يطلب منهُ شيئًا ولم يذكروا ما كان فلما وصل الرسول كان ذلك الملك على اريكة في منزل الرجال وبجانبهِ اناكريون التاوسي فتقدم الرسول ليكلمهُ وكان وجه بوليكراتس الى الحائط اما ان جلوسهُ هذا كان على سبيل الاتفاق او انهُ فعل ذلك عمدًا لاظهار احتقاره لاوريتاس فلم يشأ ان يدير وجههُ ولا ان يجيب الرسول

✻ ١٢٢ ✻ فيذكرون في موت بوليكراتس هذين السببين وكل انسان لهُ الخيار حرّ ان يصدق الذي يرى انهُ اصوب . كان اوريتاس في مغنيسيا على نهر ميندر وارسل الى ساموس رجلاً ليديًّا اسمهُ ميرسوس بن جيجيس يقصد بوليكراتس وكان يعرف طبعهُ فان بوليكراتس هو اول واحد بين الاغارقة الذين نعرفهم كان في مرامهِ ان يستولي على البحر ما عدا مينوس الكنوسي او آخر اقدم من هذا المشترع لو فرض انهُ وجد واما بالنظر الى ما يسمى بالعصر التاريخي فان بوليكراتس هو اوّل من سوّلت لهُ نفسهُ بلذة الامل ان يستولي على يونية والجزائر . فعلم اوريتاس بمقاصدهِ فارسل اليهِ هذه الرسالة

هكذا يقول اوريتاس لبوليكراتس

علمت انك قصدت مقاصد جليلة متسعة الدائرة لكن اموالك لا تكفي لاجلها فاذا قبلت نصيحتي فتبصر في امورك واجعلني في أمن من كل خطر لان قمبيز قاصد ان يقتلني وقد علمت ذلك عن ثقة فاجعل لي عندك ملجأً واقبلني انا وكنوزي فيكون لك نصفها ولي نصفها وبذلك تقدر ان تستولي على كل اغريقية ومع ذلك فاذا كان عندك شك في كثرة كنوزي فارسل من قبلك ثقة اريهِ اياها

✻ ١٢٣ ✻ فابتهج بوليكراتس بهذه التقدمة من اوريتاس فاجابهُ الى طلبهِ عن طيب خاطر لانهُ كان شديد الميل الى المال فارسل اليهِ اولاً

مايندريوس كاتم لسراره وهو ابن رجل يسمى باسمه نفسه وكان مايندروس هذا ساموسيا وهو الذي وضع في هيكل يونون بعد ذلك الاثاث الثمين الذي في منزل بوليكراتس

واذ علم اورتياس ان رسولاً ياتي ليرى كنوزهُ ملأ ثمانية صناديق كبيرة حجارة الى قرب حافتها ثم ستر الحجارة بقطع ذهبية ثم اغلق الصناديق بواسطة عقدة وجعلها مهياة . ووصل مايندريوس وراى الكنوز وعاد فاعلم بوليكراتس

✻ ١٢٤ ✻ فسافر بوليكراتس قاصدًا اورتياس غير مبالٍ بانذار العرّافين ولا بنصيحة اصحابهِ . وفضلاً عن ذلك كانت ابنتهُ قد رات رؤيا كانّ اباها معلق في الجو مبلل بماء السماء وممسوح بالشمس . فارتاعت من هذه الرؤيا وبذلت جهدها لكي تحوّلهُ عن السفر واذ كان على اهبة ركوب سفينة ذات خمسين مجذافًا ذكرت لهُ اموراً تدلّ على التشوم فتوعدها حينئذٍ انهُ لا يزوجها الى زمان طويل اذا عاد سالمًا من هذا السفر فقالت لهُ اني اتمنى ان ينجز ما توعدت بهِ فاحبّ اليّ ان ابقى عذراء زمانًا طويلاً من ان اكون فاقدة ابي

✻ ١٢٥ ✻ فبوليكراتس لم يكترث بالنصائح التي كانت تقدّم لهُ وركب البحر ليمضي الى اورتياس ومعهُ جماعة من اصحابهِ ومن جملتهم الطبيب ذيموكيذس ابن كاليفون من مدينة كروتونة وهو احذق رجل في زمانهِ بصناعتهِ . فلما وصلوا الى مغنيسيا هلك بوليكراتس بطريقة قبيحة جدًّا لا تليق بمقامهِ وعظمة نفسهِ . وفي الواقع ليس في كل الملوك الذين ملكوا في المدن الاغريقية الا ملوك سرقوسة من تستحق عظمتهُ ان تقابل بعظمة بوليكراتس . فاماتهُ اورتياس بطريقة أرتاع من ذكرها «١» وعلقهُ على الصليب وارسل الى الساموسيين الذين صحبوه وقال لهم ان يشكروا فضلهُ لانهُ ابقى عليهم . واما الغرباء والاجانب الذين صحبوا بوليكراتس فامسكهم في العبودية ارقاء . فرُفع بوليكراتس في الجوّ وبللهُ ماء السماء ومسحتهُ الشمس

١ لا بد ان يكون اورتياس قد سلخهُ حيّاً وهي طريقة كانت شائعة في بلاد العرس ✻ وسان ✻

لان حرارتها كانت تخرج الرطوبات من جسده فتم كل ما رآه ابنته في الحلم

❋ ١٣٦ ❋ ولم يطل الزمان حتى أُخذ بثار بوليكراتس من اوريتاس فان المجوس استولوا بعد موت قمبيز على الملك وكان اوريتاس مقيماً في سرديس لا يقدر ان ينفع الفرس بشيء بعد اخذ الماديين الملك من يدهم فانتهز الفرصة بين الشغب والاضطراب واهلك مترو باطس والي ذسكيليوم الذي كان قد لامه بخصوص بوليكراتس واهلك ايضاً ابنه كراناس مع ان كليهما من الوجهاء بين الفرس . وفضلاً عن ذنوب اخرى كثيرة ارتكبها ورد اليه رسول من دارا وابدى له اوامر لم ترضه فوضع له كميناً يقاتلونه على الطريق وهو راجع فقتلوه وقتلوا فرسه ايضاً واخفوا شلويهما

❋ ١٣٧ ❋ وحالما جلس دارا على سرير الملك عزم ان يعاقب اوريتاس لاجل تلك الذنوب وعلى الخصوص قتل مترو باطس وابنه لكنه رأى انه لا يوافق ارسال عسكر اليه رأساً في ابتداء ملكه وفي زمان كانت الاحوال فيه في هيئة مشوشة لعلمه ان اوريتاس كان عنده قوات عظيمة . وفي الواقع كان حرسه مؤلفاً من الف فارسي وولايته تشتمل على فريجيا وليديا ويونية . فدبر التدبير الآتي

جمع اخص اعيان الفرس وقال لهم ايها الفرس من منكم يأذن لي ان اعمل عملاً لا يقام به الا بالحذق ولا يصح ان تستخدم فيه القوة وكثرة العدد لان القوة لا تفيد حيث لا يصح الا الحذق . من منكم يقتل اوريتاس او ياتيني به حياً هذا الذي لم ينفع الفرس بشيء في زمانه وقد ارتكب عدة ذنوب فقد اهلك منا اثنين مترو باطس وابنه ولم يكتف بهذا فقتل كل الرسل الذين ارسلتهم اليه ليدعوه اليّ فهذه اهانة لا تطاق فلنتدارك بقتله شروراً اعظم من هذه قد يسعى بها على الفرس

❋ ١٣٨ ❋ فعند ذلك تقدم لاجابته ثلاثون فارسياً بالتغابر فلكي ينهي تغايرهم امر بالقاء القرعة ليتعين احدهم فالقوا القرعة فوقعت على باجيوس بن ارتنتاس فدبر كما ياتي . كتب عدة رسائل في مصالح مختلفة وختمها بخاتم دارا ومضى بها الى سرديس . وفي حال وصوله قصد اوريتاس واعطى الرسائل لكاتم اسرار الملك الواحدة بعد الاخرى لكي يقراها لان كل حكام الولايات عندهم كاتم

اسرار الملك وباعطاء الرسائل كان قصد باجيوس ان يختبر حرس الوالي ليرى هل يعولون على التخلي عنهُ . فلاحظ انهم احترموا كثيرًا تلك الرسائل واكثر من ذلك الاوامر المتضمنة فيها فاعطى رسالة اخرى هذا منطوقها

ايها الفرس ان الملك دارا ينعكم من البقاء على حراسة اورتياس . فحينئذٍ القوا حرابهم في الحال فتشجع باجيوس بطاعتهم واعطى كاتم الاسرار آخر رسالة وهذا منطوقها · الملك دارا يامر الفرس الذين في سرديس ان يقتلوا اورتياس فحينئذٍ استل الحرس خناجرهم وقتلوا الوالي في مكانهِ . فهكذا أُخذ بثار بوليكراتس الساموسي من اورتياس الفارسي

١٢٩ فحجزت املاك اورتياس ونقلت الى سوسن وحدث بعد زمان قصير ان دارا كان في الصيد فوثب عن ظهر حصانهِ الى الارض فالتوت رجلهُ وكان الالتواء شديدًا حتى انخلع كعب رجلهِ · وكان في مصر دارا احذق الاطباء الذين وجدوا في مصر فسلم نفسهُ اليهم اولاً فبرموا رجلهُ بقوة عظيمة حتى ازدادت العلة فبقي الملك سبعة ايام وسبع ليالٍ لم يغمض لهُ جفن من شدة الالم وثامن يوم اذ وجد نفسهُ في حالة سيئة جدًّا تقدم اليهِ واحد كان وهو مقيم في سرديس قد سمع شيئًا عن صناعة ذيموكيذس الكروتوني فاخبره عن هذا الطبيب فاستدعاه دارا بسرعة فوجدوه مختلطًا بعبيد اورتياس كرجل لا يبالى بهِ فقدموه للملك وعليه الثياب البالية وفي رجليه القيود

١٣٠ فسألهُ دارا هل يعرف الطب فلم يعترف ذيموكيذس لئلا تسدَّ عليهِ طريق اغريقية الى الابد اذا اظهر نفسهُ فلحظ دارا انهُ موارب بقولهِ انهُ ليس طبيبًا مع انهُ في الحقيقة طبيب فامر الذين اتوا بهِ ان ياتوا بالسياط والمناخس فلم يرَ ذيموكيذس ان يكتم نفسهُ بعد ذلك فقال انهُ ليس لهُ معرفة تامة في صناعة الطب لكنهُ تعلم شيئًا بمباشرتهِ لاحد الاطباء . فعلى هذا الاقرار سلم الملك نفسهُ اليهِ فعالجهُ ذيموكيذس على طريقة الاغارقة فعوّض عن الادوية القوية بالادوية اللطيفة المسكّنة فاتصل الى ان يجلب لهُ النوم وفي وقت قصير شفاه ومع ان الملك كان قد يئس من استخدام رجلهِ بعد ذلك . فلما انتهت المعالجة قدم لهُ دارا هدية زوجين

من قيود ذهبية فسألهُ ذيموكيذس هل مرادهُ في ذلك ان يضاعف مصابهُ جزاء لهُ عن شفائهِ فسرّ الملك من كلامهِ وارسلهُ الى نسائهِ

فالخصيان الذين مضوا بهِ قالوا لهنّ انهُ هو الذي ارجع الحياة الى الملك . فالنساء اهدين ذيموكيذس دنانير دارية كنّ يغرفنها من الصناديق بالصحون وكانت هذه الهدية عظيمة جدًّا حتى ان الخادم الذي كان قد تبعهُ واسمهُ سكيتون جمع مبلغًا جسيمًا من الدنانير التي كانت تسقط من الصحون ويلتقطها

⁂ ١٢١ ⁂ وعلى الكيفية الاتية كان خروج ذيموكيذس من كروتونة مسقط راسهِ واتصالهِ الى بوليكراتس . كان ابوهُ شرس الطباع غضوبًا فما عاد يقدر ان يحتمل طبعهُ فمضى الى ايجينة واقام هناك . ومن اول سنة فاق احذق الاطباء مع انهُ لم يستعدّ ان يتعاطى هناك صناعتهُ وليس معهُ شيء من الاوراق اللازمة . وفي السنة الثانية اعطاه اهل ايجينة وزنة اجرة لهُ من الخزينة العمومية . وثالث سنة اعطاه الاثينيون مئة منًا . وفي الرابعة قدم بوليكراتس لهُ وزنتين وبهذه الحيالة استحضره الى ساموس . وبواسطتهِ نال اطباء كروتونة الجانب الاعظم من شهرتهم . وفي مدة من الزمان حسبوهم اول اطباء كل اغريقية والقيرونيين في الدرجة الثانية . وفي ذلك الزمان كان اهل ارغوس يحسبون امهر الموسيقيين في اغريقية

⁂ ١٢٢ ⁂ ولما تم شفاء دارا على يد ذيموكيذس اعطوهُ دارًا كبيرة في سوسن وكان ياكل على مائدة الملك ولا ينقصهُ شيء الاّ حرّية الرجوع الى اغريقية . ونال من الملك عفوهُ عن المصريين الذين كانوا قبلاً اطباءهُ المالوفين فلكونهم جعلوا طبيبًا اغريقيًّا يفوقهم في فنهم حكم عليهم الملك بان يُصلبوا . وكذلك سعى في اطلاق سبيل عرّاف ايليّ كان قد اتى بصحبة بوليكراتس وجعل من جملة الارقاء ولم يكترثوا بهِ . واخيرًا صار ذيموكيذس عند الملك فائزًا باعتبار عظيم جدًّا

⁂ ١٢٣ ⁂ وحدث بعد قليل من الزمان ان اتوسة بنت قورش وزوجة دارا خرج لها ورم في ثديها وانفتح وتزايد كثيرًا . وكانت في مدة احتمال

العلة تكتمها حياء ولم تقل عنها كلمة لاحد ولكن لما رأت انها صارت ذات خطر استدعت ذيموكيذس وارته الورم فوعدها انه يشفيه لكن طلب منها بقسم ان تكافئه بشيء يسالها اياه بعد الشفاء موكداً لها مع ذلك انه لا يلتمس منها شيئاً تستحي به

✵ ١٣٤ ✵ ولما شفيت اتوسة بعلاج ذيموكيذس عزمت ان تفي له بوعدها فلما كانت في السرير مع دارا قالت له ما ياتي بحسب ما علمها ذيموكيذس اني متعجبة يا سيدي من ان عندك هذا المقدار من الجيوش تحت ارادتك وتبقى ساكناً في قصرك لا تفتكر بفتح بلاد جديدة وتوسيع حدود مملكتك مع انه من الموافق للملك فتى صاحب اموال وافرة ان يشتهر باعمال يعرف بها رعاياه ان لهم رجلاً شجاعاً يملك عليهم فينبغي لك لسببين ان نسمع مشورتي الاول تبين للفرس ان لهم ملكاً مملوءاً شجاعة ورفيع القدر والثاني لكي لا تحملهم البطالة بعد ان قاسوا مشقات كثيرة على ان يقوموا عليك فاسع اذن ببعض المآثر الكبرى وانت في ريعان الصبا فالنفس تنمو مع الجسد فكلما شاخ الجسد تشيخ النفس ايضاً وتصير غير قادرة على كل شيء . هكذا تكلمت اتوسة بحسب ما علمها ذيموكيذس

فاجابها دارا وقال ان حديثك موافق لمقاصدي فقد عزمت ان ازحف على السكيثة وابني لاجل ذلك جسراً لاعبر من برّنا الى برّهم ولا يلزمنا الاّ قليل من الزمان لبلوغ الغاية فقالت له اتوسة ياسيدي اتوسل اليك ان لا تبتدىء بالسكيثة بل ازحف بالحري على الاغارقة لاني يا سيدي على ما سمعت يقال عن نساء تلك البلاد صرت لا اشتهي شيئاً بمقدار ما اشتهي ان تكون في خدمتي نساء لقدمونيات وارغوسيات واثينيات وقرنثيات وعندك رجل هو اقدر الناس على افادتك بما يتعلق باغريقية ويكون لك مرشداً في هذه الغزوة وهو الذي شفاك من علتك

فقال دارا حيث ان رايك ان نبتدىء باغريقية يظهر لي قبل كل شيء ان من الموافق ان نرسل جماعة من الفرس مع الرجل الذي ذكرته لكي يقفوا بالتدقيق على احوال البلاد ومتى رجعوا واعلموني بكل ما رأوا وعلموا اسرع في المسير

✵ ١٣٥ ✵ وحالما قال هذا الكلام باشر العمل فعند طلوع النهار

دعا بخمسة عشر من خواص الامة وامرهم ان يصحبوا ذيموكيذس ويتعرفوا معهُ كل البلاد البحرية في اغريقية وحذرهم خاصة من ان يفرّ منهم وان يرجعوا به ولو جرى ما جرى . وبعد اصدار هذه الاوامر استدعى ذيموكيذس وطلب اليهِ ان يرجع بعد ما يري الفرس كل اغريقية وامره ايضًا ان يستصحب كل امتعتهِ لكي يقدمها هدية لابيهِ واخوتهِ واعدًا اياه ان يعوّضها عليهِ مئة ضعف وفوق ذلك قال لهُ انهُ يرسل معهُ سفينة شحن مشحونة بهذه الامتعة وكل انواع النفائس . وكان وعد هذا الملك على ما اعتقد صادقًا لارياء فيهِ . على ان ذيموكيذس اذ خشي ان يكون قصده امتحانهُ قبل كل هذه المواهب بدون ان يظهر على نفسهِ الاهتمام بها . واما الامتعة ونحوها مما يخصهُ فقال انهُ يبقيها في سوسن لكي يجدها بعد رجوعه واكتفى بسفينة الشحن التي وعده بها الملك لكي يحمل عليها الهدايا التي يقدمها لاخوتهِ

✻ ١٣٦ ✻ ولما اصدر لهُ دارا اوامره سالهُ ان يمضي مع الفرس على ساحل البحر . فلما وصلوا الى فينيقية مضوا الى صيدا حيث جهزوا سفينتين بالمجاذيف وسفينة كبيرة للشحن ملأوها من كل انواع النفائس . ولما انتهوا من الاهبة ذهبوا الى اغريقية فطافوا سواحلها واخذوا رسمها وبعد معرفة اشهر اماكنها اقلعوا الى ايطاليا ونزلوا على تارنتة . فامر ملكها ارستوفيليذس اكرامًا لذيموكيذس ان تنزع الدفات من سفن الماديين «١» والقبض على الفرس كانهم جواسيس . وبينما هم محبوسون مضى ذيموكيذس الى كروتونة فلما وصل الى منزله اطلق ارستوفيليذس الفرس وردّ لهم ما كان قد نزعه من سفنهم

✻ ١٣٧ ✻ ولما اقلع الفرس لحقوا ذيموكيذس ووصلوا الى كروتونة وقبضوا عليهِ في الساحة العمومية حيث صادفوه فالخوف من سطوة الفرس حمل قسمًا من الكروتونيين ان يسلموه اليهم ولكن الآخرين خلصوه من ايديهم وطردوهم بالعصيّ



١ يراد بالماديين عند الاغارقة نفس الفرس مع انهم خلافهم كما هو مشهور والفرس اخذوا مُلكهم ✻ ميوت ✻

فقال لهم الفرس ايها الكروتونيون احذروا مما تفعلون . الذي تريدون ان تخلصوه منا هو عبد آبق وهو يخص الملك . افتظنون ان دارا يحتمل هذه الاهانة ولا يعاقبكم عليها وتظنون انكم عملتم حسنًا بتخليصكم ذيموكيذس من يدنا أفلا تكون مدينتكم اول مدينة ننازلها ونجتهد ان نسترق اهلها

فلم تجدِ هذه التهديدات نفعًا فان الكروتونيين لم يبالوا بها ولم يكتفوا بتخليص ذيموكيذس منهم بل سلبوهم ايضًا سفينة الشحن التي اتوا بها في صحبتهم . فلما فقد الفرس دليلهم رجعوا الى آسيا ولم يحاولوا ان يتقدموا في داخلية اغريقية ليتعرفوا البلاد

واما ذيموكيذس فكلفهم قبل مسيرهم ان يقولوا لدارا انه كان خاطبًا بنت ميلون . وكان اسم هذا المصارع مشهورًا في بلاط الفرس . واني اظن انه عجل الاقتران بها وانفق على ذلك مبالغ جسيمة لكي يظهر لدارا انه حائز في بلاده ايضًا اعتبارًا عظيمًا

١٢٨ فلما رفع الفرس المراسي شردتهم الرياح عن طريقهم ودفعتهم الى يابيجية فهناك أُسروا غير ان جيلوس وهو رجل تارنتي منفيٌّ انقذهم واتى بهم الى دارا فمكافاة لصنيعهِ عزم دارا ان يمنحهُ كل ما يسأل فاخبره جيلوس بتعاسة حالهِ وطلب اليهِ ان يرجعهُ آمنًا الى تارنتة لكن لكي لا ياتي الرعب والاضطراب في اغريقية لان ذلك يحدث اذا ارسل بسببهِ اسطولاً كبيرًا الى ايطاليا قال ان اهل كنيذة بهم وحدهم الكفاية لايصالهِ آمنًا الى وطنهِ ولكونهم اصدقاء التارنتيين كان متحققًا ان وساطتهم تكفي لكي لا يتعسر عليهِ الرجوع الى المدينة . فوعده دارا بذلك ولم يجعل في المدة مهلة بل ارسل في الحال رسولاً الى كنيذة بامر اهلها ان ياخذوا جيلوس الى تارنتة . فاطاع الكنيذيون الامر لكن لم يقدروا ان يفوزوا من التارنتيين بطائل ولم يكن لهم قوة كافية لاجبارهم . هكذا جرت الامور وهؤلاء الفرس هم اول من اتوا من آسيا الى اغريقية ليتعرفوا البلاد

١٢٩ وبعد هذه الحوادث استولى دارا على ساموس وهذه المدينة بين سائر المدن الاغريقية والبربرية هي اول مدينة نازلها للاسباب التي

اذكرها الان . كان كثيرون من الاغارقة قد صحبوا قمبيز بن قورش في غزوته الى مصر . فالبعض منهم على ما يظن لكي يتعاطوا التجارة والبعض ليخدموا وبعضهم على سبيل الفضول ليتفرجوا على البلاد . ومن جملة هولاء كان سيلوسون وهو رجل ساموسي منفي وهو ابن اياكيس واخو بوليكراتس . فحدث له حادث ساعده على نوال الغنى فانه كان يمشي يوماً في ساحة منف وعلى مكبيه جبة ارجوان وكان دارا في ذلك الوقت من جملة الحرس الملكي لمحمد قمبيز ولم يكن اذ ذاك من اصحاب الوجاهة. فرآه وتمنى جبتهُ فتقدم الى هذا الغريب وتوسل اليهِ ان يبيعهُ اياها فلحظ سيلوسون ان دارا في غاية الاشتهاء لها فاجابهُ كانَّ الهًا اوحى اليهِ وقال باي ثمن تدفعهُ اليَّ لا ابيعها لكن لكون الامور يجب ان تكون هكذا افضل ان اقدمها لك هبة . فدح دارا كرمهُ وقبل الجبة

١٤٠ واعتقد سيلوسون انهُ خسر جبتهُ بسهولة اجابتهِ لكن بعد زمان مات قمبيز والفرس خلعوا المجوس وجلس دارا احد السبعة المتآمرين على سرير الملك . وعلم سيلوسون ان الملك وقع للذي اعطاهُ جبتهُ في مصر لشدة الحاجة فرحل الى سوسن وتوجه الى البلاط وجلس في الدهليز وقال انهُ حمل دارا فضلاً في احد الايام السابقة. فحارس الباب الذي سمع هذا الحديث اخبر بهِ الملك فقال في نفسهِ وقد تعجب من يكون هذا الاغريقي الذي اعلمني بجميله. لم استول على الملك الاَّ منذ مدة قريبة وفي هذه المدة لم يكد واحد يدخل بلاطي من اغريقية واما انا فلست اعهد ان احدًا من الاغارقة اعارني شيئًا لكن ليدخل فارى ما مرادهُ بهذا فمضى الحارس وادخل سيلوسون وسألهُ التراجمة من هو وما هو الجميل الذي يفتخر بكونهِ صنعه لدارا . فحكى سيلوسون كل ما جرى بخصوص الجبة وقال انهُ هو الذي اعطاه اياها . فقال لهُ دارا يا اكرم الناس افانت هو الذي قدم لي تحفة في وقت لم اكن صاحب شيء من السياده فهذه الهدية وان كانت قليلة بحد ذاتها قد حسبتها لك فضلاً عظيماً كاني أُهديت بها اليوم هدية جليلة جدًا ولكي اكافئك على صنيعك اعطيك من الذهب والفضة ما لا تندم بسببهِ على ما عملت من المعروف لدارا بن هستاسب . فقال سيلوسون ايها الملك العظيم لست اسالك

ذهبًا ولا فضة بل ان ترجع اليَّ ساموس وطني وتخلصها من الاضطهاد . فمنذ قتل اوريتاس اخي بوليكراتس استولى عليها احد عبيدنا فهذا الوطن هو الذي اسالك اياه فرده اليَّ يامولاي بدون سفك دم ولا تسمح ان يصير الى العبودية

❊ ١٤١ ❊ فمنحهُ دارا طلبتهُ فانهُ ارسل جيشًا تحت امرة اوتان احد السبعة الذين خلعوا المجوسي وامره ان يفعل كل ما يطلب اليهِ سيلوسون . فتوجه اوتان على سواحل البحر واركب جيوشهُ السفن

❊ ١٤٢ ❊ وكان المستبد بجزيرة ساموس حينئذٍ مايندريوس بن مايندريوس وكان بوليكراتس قد اقامهُ عليها وكيلاً عنهُ فاراد ان يظهر نفسهُ اعدل الناس لكن الظروف لم تسمح لهُ فانهُ لما علم بموت بوليكراتس بنى اولاً هيكلاً لجوبيتر المنقذ وخط حول هذا الهيكل الفسحة المقدسة التي تشاهد الى اليوم في ربض ساموس ثم عقد مجلسًا من كل اهل البلد وكلهم قائلاً قد علمتم ايها الساموسيون ان بوليكراتس سلم اليَّ صولجانهُ وسلطتهُ واليوم لم يبق لي الا ان اكون السائد عليكم ولكن بحسب استطاعتي لست اعمل ما انهي عنهُ غيري فاني لمت بوليكراتس لانهُ ساد على اقرانهِ واني لا استصوب هذه الطريقة في رجل آخر على انهُ اخيرًا نفذ فيهِ المقدر واما انا فاني اتنازل عن السلطة واقيم المساواة فاطلب اليكم ان تخولوني فقط بطريقة الامتياز الذي احسبهُ عدلاً ست وزنات من فضة بوليكراتس واسمحوا لي ايضًا ان احفظ لنفسي ولذريتي الى الابد سدانة جوبيتر المنقذ الذي اقمت لهُ هيكلاً واردّ اليكم حريتكم القديمة

هذه هي المطاليب التي طلبها مايندريوس والمواعد التي وعدها غير ان رجلاً ساموسيًا قام في وسط الجماعة وقال لهُ لست مستحقًا ان تسود علينا انت الذي كنت دائمًا شريرًا ولصًا ويجب بالاحرى ان تجري لنا حساب الفضة التي حصلت لك من الادارة المالية . والذي تكلم هكذا كان يسمى تيليسرخوس وكان صاحب وجاهة سامية بين اهل بلاده

❊ ١٤٣ ❊ فوجد مايندريوس بالتبصر انهُ اذا تخلى عن السيادة يستبد بها غيره ويقوم مقامهُ فعزم على ان لا يتخلى عنها . فحالما دخل القلعة استدعى

باهل البلد الواحد بعد الاخر كانهُ اراد ان يجري لهم حساب الادارة المالية لكنهُ قبض عليهم وقيدهم وبينما هم في الحبس مرض ما يندريوس فاعتقد اخوه ايكاريتس انهُ لا يشفى ولكي يختلس بسهولة السلطة في ساموس قتل كل المحبوسين لانهُ واضح على ما يظهر ان الساموسيين يحسبون عاراً عليهم ان يخضع الحرّ لطاعتهِ

❋ ١٤٤ ❋ ولذلك لما وصل الفرس الذين كانوا آخذين سيلوسون الى ساموس لم يجدوا اقل مقاومة فان حزب مايندريوس ومايندريوس نفسهُ اعلنوا انهم مستعدون للتسليم والخروج من الجزيرة فقبل اوتان ما عرضوا عليه ولما عقدت المعاهدة احضر اخص اعيان الفرس كراسيّ وجلسوا امام القلعة

❋ ١٤٥ ❋ وكان للطاغية مايندريوس اخ اسمهُ خاربليوس ولم يكن عقله سليماً تماماً وكانوا قد حبسوه مقيداً في مطبق لذنب ارتكبه . فعلم خاربليوس بما جرى ورأى من نافذة في السجن الفرس جالسين مطمئنين فصار يصيح ويقول انه يريد ان يكلم اخاه فسمعه مايندريوس وامر ان تفك قيوده ويؤتى بهِ فحالما اتوا بهِ بالغ في شتم اخيه وتعييره واجتهد ان يجبره على الفتك بالفرس وكان مما قال له يا اذل الرجال كلهم قد قسا قلبك الى حدّ ان تقيدني وتطرحني في مطبق وانا اخوك ولم استوجب هذه الاساءة بشيءٍ من الذنوب . وليس لك شجاعة ان تنتقم من الفرس الذين طردوك من بيتك ومن وطنك مع انه يسهل عليك ان تتغلب عليهم لكن اذا كنت ترهب جانبهم فاعطني جيوشك المساعدة وانا اجعلهم يندمون على مجيئهم الى هنا واما انت فاني مستعد ان اخرجك من هذه الجزيرة

❋ ١٤٦ ❋ هكذا تكلم خاربليوس واما مايندريوس فلم يغتظ من كلامه ومع ذلك لم يكن على رأيٍ ضعيف الفكر حتى يتصور انه يقدر بتلك القوات ان يتغلب على الملك لكنه حسد سيلوسون على ما نال من الحظ باسترجاع مدينة ساموس بلا عناء وهو يراها ناجحة وبدون ان يقع فيها شيء من العيث . وباغضابه الفرس اراد ان يضعف قوة الساموسيين ولا يسلمهم الاّ في تلك الحالة وكان في الحقيقة متيقناً ان الفرس اذا أُسيء اليهم يحنقون على الساموسيين . وفضلاً عن ذلك كان لهُ سبيل امين ليخرج من الجزيرة متى اراد لانهُ كان قد فتح تحت

الارض طريقًا تودي من القلعة الى البحر. وفي الواقع انهُ خرج من ساموس بتلك الطريق واقلع . وفي اثناء ذلك فرّق خاربلبوس السلاح على الجيوش المساعدة وفتح الابواب وخرج على الفرس وكانوا لايتوقعون هذا العدوان بل كانوا يعتقدون ان الامور قد انتظمت . فاوقع المساعدون بهولاء الفرس الاعيان وهم جالسون وقتلوهم وبينما هم يعملون فيهم السيوف اتى من بقي من عسكر الفرس لنجدتهم ودفعوا المساعدين دفعة شديدة حتى اضطروا ان يحصروا انفسهم في القلعة

❋ ١٤٧ ❋ وكان اوتان قد تذكر الى ذلك الوقت الاوامر التي اعطاه اياها دارا عند سفره بان لا يقتل ساموسيًا ولا يستعبد احدًا وان يرد جزيرة ساموس الى سيلوسون بدون ان يسمح بالعيث فيها لكن لما راى مقتلة الفرس نسي تلك الاوامر فامر العسكر ان يوقع بكل ما يصادفهُ في الطريق ولا يبقوا على رجل ولا ولد . فهكذا بينما كان قسم منهم محاصرًا القلعة كان القسم الآخر يعمل السيف في كل من يصادفهم في الاماكن المقدسة والمدنسة

❋ ١٤٨ ❋ وكان مايندريوس قد نجا من ساموس واقلع الى لقدمونية فلما دخلها بالكنوز التي اتى بها اخرج من صناديقهِ جامات الفضة والذهب وجعل خدمهُ ينظفونها وفي اثناء ذلك مضى الى كليومينس بن اناكسندريدس ملك اسبرطة وحدثهُ واستجرهُ الى بيتهِ بطريقة لطيفة فلما راى هذا الملك تلك الجامات تعجب جدًا واكبر امرها فالحّ عليهِ ان ياخذ منها مقدار ما يشاء ويرسلها الى قصره

فاظهر كليومينس على نفسهِ في تلك الحالة انهُ اعدل الناس واقلهم اهتمامًا بمصلحة نفسهِ فمع ان مايندريوس الحّ عليهِ مرتين وثلاثًا لم يرد مطلقًا ان يقبل هباتهِ لكن لما علم ان هذا الساموسي كان يهدي تلك الجامات لاهل البلد وبهذه الواسطة كان يحصل منهم على اعانة ذهب الى الافورة واراهم انهُ من مصلحة الجمهورية اخراج هذا الغريب من البلوبونيسة لئلاَّ يغرّني انا نفسي وغيري من البلديين فاستصوب الافورة راي كليومينس وارسلوا الى مايندريوس رسولاً يشير اليهِ ان يخرج من ارض الجمهورية

❊ ١٤٩ ❊ ولما اخذ الفرس كل اهل ساموس كأنهم في شبكة سلموا المدينة الى سيلوسون لكن قفراء غير ماهولة وبعد زمان ارجع اوتان اهل الجزيرة اليها بداعي روءيا رآها في الحلم وداء اصابهٔ في اعضاء التوليد

❊ ١٥٠ ❊ وبينما كان العسكر البحري متوجهًا الى ساموس ثار البابليون بعد ان اخذوا الاهبة الكافية ففي مدة ملك المجوسي وبينما كان السبعة من الفرس قائمين عليه انتهزوا فرصة الاضطرابات التي حدثت في تلك المدة لكي يتخذوا احتياطات الحصار بدون ان يعلم الفرس بشيء وبعد ان جاهروا بخلع الطاعة اتخذوا التدابير الآتية . من النساء اللواتي كنَّ في بابل ابقى كل رجل فضلاً عن امه المرأة التي يحبها اكثر من نساء بيته واما البواقي فجمعوهنَّ في مكان واحد وخنقوهنَّ والتي ابقاها كل واحد لنفسه كان عليها ان تهيء له الطعام وخنقوا البواقي لكي توفر المؤونة

❊ ١٥١ ❊ ففي اول اعلان عصيانهم جمع دارا كل قواته وزحف عليهم فلما وصل الى امام المكان وضع الحصار لكن البابليين اظهروا قلة الاكتراث بذلك وصعدوا على اسوارهم وصاروا يرقصون ويلعبون تهكمًا على دارا وعسكره وقال لهم واحد منهم هذا الكلام المشهور « ايها الفرس لماذا تضيعون الوقت هكذا امام اسوارنا الاحرى بكم ان تنصرفوا وستاخذون بابل اذا خرج للبغال نسل » هكذا تكلم رجل بابلي وهو لا يظن ان بغلة تلد مطلقًا

❊ ١٥٢ ❊ ومضت سنة وسبعة اشهر ودارا وعسكره مقيمون على حصار بابل ولا يقدرون ان يفتحوها فحزن لذلك كثيرًا وعبثًا اتخذ كل انواع الحيل وعمل ايضًا الحيلة التي عملها قورش ونجح بها غير ان البابليين كانوا حاذرين لانفسهم فما كان يمكن ان يغلبوا

❊ ١٥٣ ❊ وفي الشهر العشرين من الحصار حدثت الاعجوبة عند زوبير بن مغابيس الذي اتحد مع السبعة المتحالفين وخلعوا المجوسي فان بغلة من البغال التي كان يستخدمها لحمل اقواته ولدت جحشًا فلم يشأ اولاً ان يصدق لكن لما تحقق بنفسه منع جماعته منعًا خاصًا ان يذكروا ذلك ثم جعل يتبصر في هذه

الاعجوبة فتذكر الكلام الذي قالهُ البابلي في اول الحصار انهم يأخذون المدينة اذا ولدت البغال مع انها مشهورة بالعقم . فاعتقد استناداً على هذا الفال انهُ يمكن اخذ بابل وان البابلي نطق بذلك بسماح الهي وان البغلة ولدت لاجلهِ

❋ ١٥٤ ❋ فاذ عرف ان التقادير حققت لهُ اخذ المدينة مضى واتى دارا وسالهُ هل يتمنى من كل قلبهِ فتح هذا المكان فاجابهُ الملك انهُ يشتهي ذلك كل الاشتهاء فعقد مجلساً للمخابرة في كيفية الاستيلاء عليها لكي لا ينسب اخذها الا اليهِ وحدهُ . فان الفرس يعتبرون في الحقيقة كثيراً من الاعمال الجليلة . وعندهم ان ذلك آمن واسطة للوصول الى اعلى مراتب الشرف . وخطر ببالهِ انهُ لا يقدر ان ياخذ ذلك المكان الا بقطع بعض اعضائهِ لكي يمضي الى العدوّ بصفة لائذ مستجير فلم يتردد دقيقة ولم يبالِ بالتشويه الذي لا يمكن اصلاحهُ بعد ذلك فقطع انفهُ واذنيهِ وحلق دائر راسهِ بهيئة معيبة وامر ان يجلد حتى يسيل دمهُ وفي هذه الحالة تقدم الى الملك

❋ ١٥٥ ❋ فاغتاظ دارا جدًّا من تلك الاساءة الشديدة التي وقعت على رجل مثل هذا رفيع المقام ونهض حالاً عن سريرهِ وسالهُ بلهفة من الذي فعل بهِ ذلك ولاي سبب فاجاب زوبير قائلاً ليس احد سواك يا مولاي يقدر ان يفعل بي ما ترى فلم تفعل بي يد غريبة هذا بل انا نفسي فعلتهُ لاني وجدت عاراً باستهزاء الاشوريين بالفرس . فقال دارا يا اشقى البشر بقولك انك فعلت بنفسك ما لا دواء لهُ بسبب المحصورين تحاول ان تستر بصيت حسن اعيب عمل . يا احمق هل يستسلم الاعداء حينما يرونك بهذه الحالة القبيحة وبك الم تكن فاقداً عقلك حينما فعلت بنفسك هذا الفعل . فاجاب زوبير وقال يا مولاي لو كنت اطلعتك على مقصدي لما سمحت لي ان اعمل ما عملت فلذلك لم استشر الا نفسي . فبابل تكون لنا اذا بقيت انت في هذه الحالة التي تراني عليها اذهب الى المدينة بصفة مستجير . واقول للبابليين ان هذا الفعل قد وقع عليَّ بامرك فلي الامل اذا نجحت باثبات ذلك لهم ان يكون لي قيادة قسم من الجيوش . واما انت يامولاي فبعد عشرة ايام من قبولي في بابل اختر الف رجل لا يهمك فقدهم واجعلهم امام باب

سميراميس وبعد سبعة ايام اجعل الفين قرب باب نينوى واصبر عشرين يومًا وارسل اربعة آلاف رجل الى قرب باب الكلدانيين ولكن لا يجب ان يكون مع احد من هوءلاء واولئك من الاسلحة الا السيوف . وفي اليوم العشرين بعد ذلك قدّم بقية الجيش راسًا الى المدينة ليهجموا دفعة واحدة ولكن ضع لي الفرس خصوصًا امام الباب البليدي والباب الكيسي فاني متحقق ان البابليين اذا راوا اعمالي العظيمة يسلمون اليّ في جملة ما يسلمون مفاتيح هذين البابين فحينئذٍ نجتهد انا والفرس ان نفعل ما يلزم

﴿ ١٥٦ ﴾ ولما فرغ من هذا الكلام هرب الى جهة ابواب المدينة وهو يلتفت مرة بعد اخرى كانهُ مستجير حقًّا فالذين كانوا حرّاسًا على الابراج نزلوا بسرعة وفتحوا كوّة في الباب وسالوه عن نفسه وعما يطلب فاجابهم انهُ زوبير وقد اتى مستسلمًا للبابليين فلما سمعوا كلامهُ مضوا بهِ الى مجمع الامة وحال وصولهِ اخذ يشكو مصابهُ ونسب الى دارا ما فعلهُ بنفسهِ من الاساءة وقال لهم ان الملك جعلهُ في تلك الحالة لانهُ اذ لم يرَ من الظواهر ما يدل على امكانية اخذ البلد عنوةً اشار عليهِ ان يرفع الحصار . ثم قال لهم . فالآن اتيت اليكم ايها البابليون من جهة لاقامة منفعتكم العظمى ومن اخرى لاجراء الويل الاعظم على دارا وعسكره والفرس فاني عالم بكل مقاصده فلا اغض الطرف عن الاخذ بثاري بعد هذه الاساءة القبيحة

﴿ ١٥٧ ﴾ فلما راى البابليون رجلاً فارسيًّا من ارفع مقام مقطوع الانف والاذنين مهشم الجسد من الضرب ودمهُ يسيل اعتقدوا انهُ صادق وانهُ اتى ليعاونهم فعزموا ان يمنحوه كل ما يطلب فسالهم جيشًا فاعطوه فعمل كل ما اتفق عليهِ هو ودارا

ففي اليوم العاشر من وصولهِ خرج في مقدمة الجيش الذي سلّم اليهِ البابليون قيادتهُ وهجم على معسكر الالف الذين ارسلهم دارا بمشورتهِ وقتلهم عن آخرهم فراى البابليون ان اعمالهُ مطابقة لاقوالهِ ففرحوا بهِ فرحًا شديدًا وصمموا النية على طاعتهِ في كل شيء

وصبر زوبير حتى انقضت الايام التي اتفق عليها مع دارا وخرج في مقدمة نخبة الجيوش البابلية وهجم دفعة ثانية فقتل الفي رجل وشهد البابليون هذا العمل وصار حديثهم يدور على زوبير

وبعد هذا العمل الثاني لبث حتى انقضت الايام المتفق عليها وخرج مرة ثالثة واخذ جيشة الى المكان الذي قال لدارا ان يرسل اليهِ اربعة آلاف رجل فهجم عليهم وقتلهم فتكاذريعًا فبهذا الظفر الجديد صار السيد القدير بين المحاصرين فكان لديهم القطب الاعظم وسلموا اليهِ كل شيء قيادة الجيش وحراسة الاسوار

❊ ١٥٨ ❊ واخيرًا في اليوم المعين ارسل دارا جيوشة في كل جهة ليهجموا دفعة واحدة وحينئذٍ كشف زوبير خديعتهُ فبينما البابليون على الاسوار يدافعون عن انفسهم بازاء عسكر دارا فتح زوبير الباب الكيسي والباب البليدي وادخل الفرس البلد فالذين شعروا بذلك من البابليين هربوا الى هيكل جوبيتر بعلوس ولكن الذين لم يشاهدوا ذلك ثبتوا في اماكنهم حتى عرفوا ايضًا انهم سلموا الى الاعداء

❊ ١٥٩ ❊ فهكذا كان وقوع بابل ثانية بيد الفرس فلما استولى عليها دارا هدم اسوارها وقلع كل ابوابها وكان قورش لما اخذها قبله لم يفعل هذا ولا ذاك ثم علق على الصلبان نحو ثلثة آلاف رجل من خواص اهل بابل واما الباقون فاذن لهم ان يستوطنوا المدينة كما كانوا وفي الوقت نفسهِ بادر الى اعطائهم نساء ليأهلوها ثانية لان البابليين كانوا قد خنقوا نساءهم كما ذكرنا في اول الكلام لتوفير المونة . فامر الشعوب المجاورة ان يرسلوا نساء الى بابل وعين على كل امة عددًا فكانت جملة النساء خمسين الفًا ومن هؤلاء النساء البابليون الموجودون اليوم

❊ ١٦٠ ❊ ولم يقم في بلاد الفرس على ما ارتأى دارا لا في اقدم القرون ولا في الازمنة الاخيرة من فاق زوبير باعمالهِ الجليلة «١» الا قورش الذي

١ لا نلوم هيرودوتس اذ نسي خبر قصير الاجدع المشهور في تواريخ العرب او لم

لم يكن احد من الفرس بحسب انهُ مستحق ان يشبه بهِ . وقيلَ ان دارا كان كثيرًا ما يقول انهُ كان احب اليهِ ان زوبير لم يفعل بنفسهِ تلك الاساءة الجائرة من ان يصير صاحب عشرين مدينة مثل بابل ومنحهُ اعظم الاكرام فكل سنة كان يهديهِ ما يحسبهُ الفرس اشرف الاشياء واقطعهُ مدينة بابل ولم يطلب منهُ خراجًا لكي يتمتع بها سائر حياتهِ وزاد عليها اشياء اخر كثيرة . وولد لزوبير ولد اسمهُ مغابيز قاد الجيوش في مصر على الاثينيين والمتحدين معهم . وولد لمغابيز ولد سمي زوبير ايضًا فهذا ترك الفرس ومضى الى اثينا عن طيب خاطر ..

---

يسمع بهِ لانهُ لم يبحث على ما يظهر في اخبار العرب كما دقق البحث في تواريخ سائر امم الشرق فان قصيرًا المذكور فعل بنفسهِ نحو فعل زوبير حتى احتال على الزباء ملكة الجزيرة ومشارف الشام وادخل اليها الرجال بالصناديق على الجمال فاخذوا حصنها عنوة وقتلوها . وقصير هذا عبد وقيل نسيب لعمرو بن عدي بن نصر وعمرو هو ابن رقاش اخت جذيمة الابرش والمثل المضروب في قصير الاجدع لهذا السبب اشهر من ان يذكر

* ح *

انتهى الكتاب الثالث

# الكتاب الرابع

## ملبوميني

❊ ١ ❊ بعد اخذ بابل زحف دارا بنفسه على السكيثة وكانت آسيا حينئذٍ غنية كثيرة السكان في حالة اعظم النموّ . وكان هذا الملك يرغب كثيرًا ان ينتقم من السكيثة لما اسلفوا من الاهانة للماديين بدخولهم بلادهم بقوة السيف ولانهم بعد ظفر تام صاروا مستقلين باسيا العليا مدة ثماني وعشرين سنة كما سبقت فقلت . وكانوا قد دخلوها بلحاقهم القمريين واستولوا على المملكة من يد الماديين الذين كانوا يملكونها قبل وصولهم

وبعد غياب ثماني وعشرين سنة اراد السكيثة ان يعودوا الى مواطنهم ولكنهم وجدوا في ذلك من الصعوبة ما وجدوا في دخولهم بلاد مادي وذلك ان عسكرًا كثيفًا قام في وجههم واراد منعهم من الدخول لان النساء ضجرن من طول غيبة الرجال فبذلن انفسهنّ للعبيد

❊ ٢ ❊ والسكيثة يفقأون عيون كل عبيدهم ليستخدموهم في حلب اللبن وهو شرابهم الاعتيادي وعندهم منفخات من عظم على شكل الصفّارة يجعلونها في حياء الفرس فينفخ بها العبيد بافواههم وآخرون منهم يحلبون . فيقال انهم

يستخدمون هذه الوسيلة لان النفخ ينفخ عروق الفرس ويدلي اخلافها

ومتى استخرجوا الحليب يصبونهُ في قصاع من خشب يصطف حولها العبيد ليمخضوه فياخذون زبدتهُ وهم يحسبونها اطيب واحسن من الفضلة التي تبقى منهُ ولاجل هذا العمل يفقأ السكيثة عيون كل اسراهم لانهم لا يتعاطون الفلاحة لكنهم رحَّالة

✻ ٣ ✻ ومن هؤلاء العبيد والنساء السكيثيات ولد كثير من الشبان واذ علموا بحقيقة مولدهم اعترضوا السكيثة وهم راجعون من مادي فشرعوا اولاً بقطع الطريق بحفر خندق عريض من عند جبال طورس الى بالوس ميوتيس وهي مسافة بعيدة ثم مضوا وعسكروا بازاء السكيثة وهم يحاولون دخول البلاد وحاربوهم وكانت بينهم مناوشات متواترة لم يفز بها السكيثة شيئًا من الفوز. فقال واحد منهم ايها السكيثة ماذا نفعل. اذا قتلوا واحدًا منا ينقصون عددنا وان قتلنا احدهم ننقص نحن عدد عبيدنا فاذا سمعتم لي فلندع قسيّنا وحرابنا ونزحف عليهم وفي يد كل منا السوط الذي يستخدمهُ لسوق فرسهِ فما داموا يرون سلاحنا معنا يتصورون انهم مساوون لنا في الاصل ولكن اذا رأوا السياط دون السلاح يعلمون انهم عبيد ويحققهم خمول اصلهم لا يجسرون ان يثبتوا امامنا

✻ ٤ ✻ فاتبع هذا الراي وتعجب العبيد فهربوا حالاً ولم يخطر لهم ان يحاربوا وهكذا دخل السكيثة بلادهم وقد طردهم الماديون من آسيا بعد ان كانوا قد ملكوها . فجهز دارا عليهم عسكرًا كثيفًا لينتقم منهم عن تلك الغارة

✻ ٥ ✻ ويقول السكيثة انهم احدث الامم في العالم وان بدء امرهم كان كما اذكره . كانت سكيثية اولاً بلادًا مقفرة وكان اول رجل ولد فيها يسمى ترجيطاوس ويزعمون انهُ ابن جوبيتر من فتاة بورسثينية . وهذا لا يظهر لي مطلقًا انهُ صحيح لكن هكذا يدعون في اصلهم . وولد لترجيطاوس هذا ثلاثة بنين اسم البكر ليبوكسايس والثاني اربوكسايس والاصغر كولوكسايس

وفي ايام ملكهم سقط من السماء في بلاد السكيثة محراث ونير وفاس وطبق من ذهب فرآها البكر اولاً وتقدم اليها لياخذها ولكن صار الذهب محرقًا في الحال

فرجع ليبوكسايس واتى الثاني بعده فالتهب الذهب ثانيةً فابتعد هذان الاخوان عن الذهب المحرق وتقدم الاصغر فوجد الذهب بارداً فاخذهُ وحملهُ الى منزلهِ فلما علم اخواه بذلك سلما اليهِ المملكة بتمامها

﴿ ٦ ﴾ والذين من السكيثة يُدْعون اوكاتة هم على ما يقال ذرية ليبوكسايس والذين يسمون كاتيارة وتراسبية من سلالة اربوكسايس ثاني الاخوة الثلاثة ومن الاصغر الذي صار ملكاً تسلسل البارالاتة وكل هولاء الشعوب عموماً يسمون سكولوتة من لقب ملكهم لكنَّ اختار الاغارقة ان يسميهم سكيثة

﴿ ٧ ﴾ هكذا يخبر السكيثة عن اصلهم ويقولون ايضاً انهُ من عهد ذلك الاصل وعهد ترجيطاوس ملكهم الاول الى زمن دخول دارا بلادهم لا يكون اكثر من الف سنة ولكن المحقق انهُ لا اقل منها . واما الذهب المقدس فالملوك يحفظونهُ بعناية تامة وكل منهم يستحضره كل سنة الى ولايتهِ ويقدم لهُ ذبائح عظيمة استرضاء لهُ . والذي يكون حافظاً لهذا الذهب اذا نام يوم الموسم في العراء يموت في نفس تلك السنة على زعم السكيثة . وانهُ لاجل مكافأتهِ وارش ما يرتكب من الخطر يعطى من الارض ما يقدر ان يدور حولهُ بفرسهِ في نهار كامل . ولكون بلاد السكيثة متسعة جداً قسمها كولوكسايس الى ثلاث ممالك فالمملكة التي يحفظ بها الذهب الساقط من السماء كانت الكبرى . واما الاقطار الواقعة الى جهة الشمال وفوق آخر سكان البلاد فيقول السكيثة ان النظر لا يقدر ان يخرقها وانهم لا يقدرون ان يدخلوها بسبب الريش الذي يقع بها في كل جهة فالجو مملوءٌ منهُ والارض مكسوَّة «١» وهذا الذي يمنع البصر ان يخترقها

﴿ ٨ ﴾ هذا ما يقول السكيثة عن انفسهم وعن البلاد الواقعة فوق بلادهم واما الاغارقة القاطنون في سواحل بحر بنطس فيقولون ان هرقليس سار ببقر جيرون ووصل الى البلاد التي يسكنها الان السكيثة وكانت حينئذٍ مقفرة وان جيرون كان ساكناً وراء البنطس في جزيرة يسميها الاغارقة اريثية واقعة قرب



١ لم يكن ذلك الريش الا كسفاً من الثلج لانهُ يقع غزيراً في تلك البلاد كما سيظهر من الفقرة ٣١ * ل *

قادس في الاوقيانوس وراء اعمدة هرقليس ويزعمون ايضاً ان الاوقيانوس يبتدي من الشرق ويحيط الارض بمائهِ لكنهم يكتفون ان يؤكدوا ذلك غير مستندين الى برهان

ويقولون ايضاً ان هرقليس لما خرج من تلك البلاد وصل الى التي تعرف اليوم باسم سكيثية فدهمهُ هناك نوءٌ شديد وبرد عظيم فنشر جلد الاسد الذي معهُ والتف بهِ ونام وان افراسهُ التي اطلقها من مركبتهِ لترعى اختفت في اثناء نومهِ بسماح الهي

۞ ٩ ۞ فلما استيقظ هرقليس طلبها وطاف كل البلاد فوصل اخيراً الى ناحية اسمها هيلية فهناك وجد في كهف وحشاً مركباً من طبيعتين امرأة من الراس الى ما تحت الوسط وبقية الجسد حية فدهش من منظره لكنهُ سألهُ هل رأى افراسهُ في بعض الجهات فقال لهُ الوحش انها عندي لكن لا اعطيك اياها ما لم تقم عندي مدة فاجاب هرقليس تلك المرأة الى طلبها وكانت هي تماطلهُ بدفع افراسهِ لكي يطول تمتعها ببقائهِ واما هرقليس فكان يتمنى ان ياخذ افراسهُ ليرجع في الحال واخيراً دفعتها لهُ وكلمتهُ بهذا الكلام . لما اتت افراسك الى هنا حفظتها لك فنلت جزائي وقد حبلت منك بثلاثة اولاد لكن ما يجب ان اعمل متى كبروا هل ابقيهم في هذه البلاد التي انا ملكتها ام تريد ان ارسلهم اليك

فقال هرقليس على عادة الاغارقة متى ادرك هؤلاء الاولاد سن البلوغ وجربت بحسب ما انا مخبرك بهِ فلا تخافي ان تخدعي فالذي منهم يقدر ان يشدّ هذه القوس كما افعل ويتشح بهذا الوشاح فابقيهِ في البلاد لكي يستوطنها والذي لا يقدر ان يفعل الامرين اللذين امرت بهما اخرجيهِ من البلاد فبذلك يكون لك الرضى وتعملين ارادتي

۞ ١٠ ۞ ولما انتهى هرقليس من هذا الكلام اخرج احدى قوسيهِ لانهُ كان معهُ اثنتان الى ذلك الوقت واعطاها لتلك المرأة واراها ايضاً الوشاح وفي مكان تعليقهِ كان معلقاً جاماً ذهبيًّا وقدمهُ لها ايضا وبعد ذلك رحل . فلما ادرك اولاده سن البلوغ سمّت المرأة البكر اغاطرسوس والثاني جيلونوس والاصغر

سكيثيس وتذكرت ايضًا اوامر هرقليس واجرتها فالاكبران وجدا الامتحان المأمور به فوق قوتهما فاخرجتهما امهما فمضيا واقاما في بلاد اخرى واما سكيثيس الاصغر بين الثلثة ففعل ما امر به ابوه وبقي في وطنه . فمن سكيثيس هذا ابن هرقليس خرج كل الملوك الذين خلفوه في سكيثية . والى اليوم يحمل السكيثة تحت وشاحاتهم جامًا لسبب الجام الذي كان معلقًا بذلك الوشاح . هذا ما خطر ببال امه لاجله وعلى هذا الاسلوب يذكر هذه القصة الاغارقة القاطنون في سواحل بحر بنطس

❊ ١١ ❊ ويذكرون خبرًا اخر يحسن ان اورده . لما ثقلت على السكيثة الرحالين القاطنين في آسيا وطأة المساجيتة الذين كانوا يحاربونهم عبروا نهر الرس ودخلوا قمرية لان البلاد التي يملكها السكيثة الان كانت على ما يقال تخص اولًا القمريين . فلما رآهم هؤلاء قد نزلوا ارضهم تشاوروا فيما بينهم بشان هذا الهجوم فاختلفت بينهم الاراء وتجاوز الحزبان الاعتدال فكان راي الملوك هو الاحسن فكان راي الشعب ان يخرجوا من البلاد ولا يعرضوا انفسهم بلا تبصر لمحاربة جم غفير واما الملوك فكانوا يريدون منازلة الذين هجموا عليهم فما اراد الشعب ان يسلم براي الملوك ولا الملوك ان يسلموا براي رعاياهم وكان راي الشعب ان يرتحلوا بلا حرب ويسلموا البلاد الى الذين اكتسحوها وبعكس ذلك كان راي الملوك فانهم رأوا ان الاحسن ان يموتوا في وطنهم ولا يهربوا مع الشعب . فمن جهة كانوا يتصورون المنافع التي تمتعوا بها الى ذلك العهد ومن اخرى كانوا يحسبون المصائب المزمعة ان تقع عليهم قطعًا اذا تركوا وطنهم

واصرَّ كلٌّ من الحزبين على عزمه الاول فتفاقم الشقاق بينهما واذ كانوا متساوين في العدد اضرموا نار الحرب فكل الذين قتلوا في ذلك الوقت دفنهم حزب الشعب قرب نهر تيراس حيث ترى قبورهم حتى اليوم وبعد ان انتهوا من الاحتفال بدفنهم خرجوا من البلاد فوجدها السكيثة قفرة مهجورة فاستولوا عليها

❊ ١٢ ❊ وتوجد في سكيثية حتى الان مدينتا قمريوم وبرطية القمريتان ويشاهد فيها ايضًا بلاد بقي لها اسم قمرية وبوغاز يقال له القمري ويظهر من المؤكد ان القمريين لما فرّوا من وجه السكيثة وارتحلوا الى آسيا استوطنوا شبه

الجزيرة التي نرى فيها الان مدينة اغريقية اسمها سينوب . ويظهر من المؤكد ايضاً ان السكيثة ضلوا في لحاقهم ودخلوا مادي . وكان القمريون في فرارهم قد اتبعوا شاطىء البحر واما السكيثة فعاكسوهم وكان قوه قاف على يمينهم في مسيرهم حتى وصلوا باتباع طريق واحدة وبمسيرهم في وسط البر الى مادي

❊ ١٣ ❊ فهذه الطريقة الاخرى بذكر هذا الخبر مقبولة عند الاغارقة والبرابرة على السواء ولكن ارستيوس البروكونيسي ابن كايستروبيوس يذكر في ملحمته انه بوحي من فيبوس ذهب الى ارض الايسيدونة وانه فوق هذه الامة امة الاريمسبة الذين لهم عين واحدة و وراءهم الغريفونة الذين يحرسون الذهب وابعد منهم ايضاً مواطن الايبربوريين تحارب كل منها جارتها ابتداء من الاريمسبة وان الاريمسبة طردوا الايسيدونة من بلادهم والايسيدونة طردوا السكيثة والسكيثة طردوا القمريين الذين مواطنهم سواحل بحر الجنوب . فعلى هذا لا يكون ارستيوس موافق السكيثة انفسهم على ذكر ذلك القطر

❊ ١٤ ❊ فقد علمنا من اي بلاد ارستيوس هذا مؤلف التواريخ التي ذكرناها لكن لا يصح ان اضرب صفحًا عما سمعت يقال عنه في بروكونيسة وكيزيكة كان ارستيوس سليل احسن عيال بلاده فيقال انه مات في بروكونيسة في دكان قصّار كان قد دخله اتفاقاً وان القصار اغلق دكانه ومضى في الحال يعلم اهل الميت فانتشر الخبر حالاً في كل المدينة وكان رجل كيزيكي قادماً من ارتاكي فناقض هذا الخبر واكّد انه رأى ارستيوس ذاهبًا الى كيزيكة وكلمه وبينما هو يحقق خبره مضى اهل الميت الى دكان القصار ومعهم كل ما يلزم لينقلوه الى المقبرة ولكن حالما فتحوا المكان لم يروا ارستيوس لا حيًّا ولا ميتًا وانه بعد سنين ظهر في بروكونيسة ونظم بها ملحمته التي يسميها الاغارقة اليوم اريمسبية وانه اختفى على اثر ذلك مرة ثانية . هذا ما يقول عن ارستيوس مدينتا بروكونيسة وكيزيكة

❊ ١٥ ❊ لكن هاك ما علمت انه جرى للمتابنطية في ايطاليا بعد اختفاء ارستيوس ثانية بثلثمائة واربعين سنة كما اظن بحسب ما سمعت يقال في بروكونيسة ومتابنطة . فيقول المتابنطيون ان ارستيوس ظهر لهم وامرهم ان يبنوا

مذبحًا لابلون وان ينصبوا عند ذلك المذبح تمثالاً يسمونهُ ارستيوس البروكونيسي وقال لهم انهم الشعب الوحيد في ايطاليا الذي زارهُ ابلون وانهُ هو نفسهُ الذي هو الان ارستيوس كان يصحب الاله حينئذٍ بصورة غراب . وبعد هذا الحديث اختفى ويقول المتابنطية ايضًا انهم ارسلوا الى دلفي يسألون الاله من يكون ذلك الطيف فامرتهم الكاهنة ان يجروا كل ما امرهم بهِ فيكونوا في احسن الاحوال وبهذا الجواب جروا بموجب الاوامر التي امروا بها . ويشاهد حتى الان في ساحة متابنطة قرب تمثال ابلون تمثال آخر مكتوب عليهِ اسم ارستيوس وحولهُ اشجار من الغار وهذا القدر كفاية عن ارستيوس

﴿ ١٦ ﴾ ولا يعرف شيء مؤكد عما وراء البلاد التي في عزمنا ان نتكلم عنها . اما انا فلم اجد احدًا رآها وارستيوس الذي ذكرت خبره لم يذهب الى ما وراء الايسيدونة كما يقول في قصيدتهِ المار ذكرها ويعترف انهُ اقتبس من الايسيدونة ما اخبرهُ عن البلاد البعيدة عنها وانهُ لايذكر ما يذكر عنها الاَّ بناء على تقريرهم . وعلى كل حال فانَّا قد استقصينا البحث على قدر امكاننا ونحن نذكر كل ما علمنا مما هو اكثر تأكدًا بحسب الاخبار التي قُصّت علينا

﴿ ١٧ ﴾ بعد فرضة البورسثينية القائمة تمامًا في وسط سواحل سكيثية جميعها اول امة تصادفها هي الكاليبيذة وهم اغارقة سكيثية وفوقهم الالازونة فهؤلاء والكاليبيذة يحافظون في عدة امور على نفس عوائد السكيثة لكنهم يزرعون القمح ويأكلون البصل والثوم والعدس والدخن وفوق الالازونة مواطن السكيثة الفلاحين الذين يزرعون القمح لا لكي يقتاتوا بهِ بل لكي يبيعوه . ووراء هؤلاء السكيثة امة النورة . فعلى مقدار ما استطعنا معرفتهُ نعلم ان النسم الشمالي من بلادهم غير ماهول فهذه هي الامم القاطنة على طول نهر هيبانيس غربي البورسثينس

﴿ ١٨ ﴾ فاذا عبرت نهر بورسثينس تجد اولاً بلاد هيلية الى جهة سواحل البحر وفوق هذه البلاد السكيثة الزراعون والاغارقة القاطنون على ضفاف هيبانيس يسمونهم بورسثينة وهم يسمون انفسهم اولبيوبولينة وبلاد هؤلاء السكيثة

الزراعيين مساحتها الى جهة الشرق ثلاثة ايام سيرًا وتمتد الى نهر بنتيكابس ولكن بلادهم التي الى جهة الشمال الشرقي مساحتها مسيرة احد عشر يومًا في الماء بصعود البورسثينس . واذا تقدمت تجد مفاوز متسعة ووراءها مواطن الانذر وفاجة وهي امة خاصة لاشيء فيها من السكيثة وفوق الانذر وفاجة ليس بالحقيقة الا القفار حيث لا يوجد شيء من الشعوب على ما امكن ان نعلم

✻ ١٩ ✻ وشرقي هولاء السكيثة الزراعيين ووراء بنتيكابس تجد السكيثة الرحالين الذين لا يزرعون ولا يفلحون وكل هذه البلاد ما عدا هيلية خالية من الشجر . وهولاء الرحالون مواطنهم في جهة الشرق بلاد مساحتها مسيرة اربعة عشر يومًا الى نهر جروس

✻ ٢٠ ✻ ووراء جرُّوس بلاد السكيثة الملكيين وهولاء السكيثة هم اقوى الامة واكثرها عددًا ويحسبون الآخرين عبيدًا لهم وهم منتشرون من جهة الجنوب الى توريدة من الشرق الى الخندق الذي حفره اولاً العبيد العميان والى كرمنة وهي مدينة تجارية على بالوس ميوتيس . ومن هذه الامة نفسها قسم ينتشر الى تنايس . والى جهة الشمال فوق السكيثة الملكيين مواطن امة الميلنخلينة وهم ليسوا سكيثيين ووراء الميلنخلينة ليس الا مناقع وبلاد غامرة على ما قدرنا ان نعلم

✻ ٢١ ✻ والبلاد التي وراء تنايس لاتخص السكيثة وتنقسم الى عدة نواحٍ الاولى للسورومانة اولهم في طرف بالوس ميوتيس ويسكنون البلاد الشمالية وهي مسيرة خمسة عشر يومًا وليس فيها شجر مثمر ولا بري والناحية الثانية فوق السورومانة اهلها امة البودينة وفيها كل انواع الشجر بكثرة ولكن فوق البودينة وشماليهم اول بلاد يدخلها الانسان هي بيداء واسعة مسيرة سبعة ايام

✻ ٢٢ ✻ وبعد هذه البيداء بميلة الى الشرق مواطن الثياجيتة وهي امة خاصة كثيرة العدد لا تعيش الا من الصيد وتجاورهم الايريكة وهم يسكنون نفس البلاد ولا يعيشون الا من القنص على الطريقة الآتية . في كل الارض هناك احراش فيصعد الصياد شجرة ليرصد الوحش وينتظره ولكل واحد منهم فرس يعلمونه ان يزحف على بطنه لكي يظهر صغيرًا وياخذون معهم كلبًا وحالما يرى الصياد من

الشجرة الوحش قريبًا منهُ يرميهِ بسهم ويركب فرسهُ وبجفنهُ ومعهُ كلبهُ لا يفارقهُ
ووراء الايربكة الى جهة الشرق تجد سكيثة آخرين خلعوا طاعة السكيثة الملكيين واتوا فاستوطنوا ذلك القطر

❊ ٢٣ ❊ وكل البلاد التي تكلمت عنها الى بلاد السكيثة مستسهلة وتربتها جيدة قوية ولكن وراء ذلك تكون الارض جاسية صخرية فاذا قطعت قسمًا كبيرًا منها تجد اممًا تسكن في حضيض الجبال الشاهقة ويقال انهم صُلعٌ خلقةً رجالاً ونساء وانهم مفالطح وذقنهم مستطيلة ولهم لغة خاصة ولكن لبسهم على زي السكيثة ويعيشون من ثمر نوع من الشجر يقال لهُ البنطي . وحجم هذه الشجرة قريب من حجم التينة وتحمل ثمرًا نوويًا في حجم الفولة فاذا نضجت الثمرة يعصرونها في قطعة ثياب ويستخرجون منها سائلاً اسود ثخينًا يسمونهُ اسكي فيمصون هذا السائل ويشربونهُ ممزوجًا باللبن واما الدردي الشديد القوام فيجعلونهُ كتلاً يقتاتون بها لان مواشيهم قليلة لعدم وجود المراعي الحسنة

ويقيمون كل السنة كل واحد تحت شجرة فاذا كان الشتاء يسترون الشجرة بثوب ابيض من صوف ملزَّز النسج ومقصور ويرفعونهُ بالصيف ولا يشتمهم احد فيحسبونهم مقدسين وليس لهم شيء من سلاح الهجوم وجيرانهم يستقضونهم فيما يقع بينهم من الخلاف وكل من لجأ الى بلادهم يكون فيها آمنًا ولا يجسر احد ان يهجم عليهِ . ويسمونهم اغريبية

❊ ٢٤ ❊ فلنا معرفة تامة بكل البلاد الى البلاد التي يسكنها هؤلاء الناس الصلع وبكل الامم التي قبلهم ولا يصعب ان تعرف اخبارهم بواسطة السكيثة الذين يذهبون الى بلادهم واغارقة المدينة التجارية الواقعة على بورسثينس واهل سائر المدن التجارية الواقعة على بحر بنطس . وهؤلاء الامم يتكلمون سبع لغات مختلفة فالسكيثة الذين يذهبون الى بلادهم يحتاجون الى سبعة تراجمة ليتجروا فيها

❊ ٢٥ ❊ فنعرف اذن كل هذه البلاد حتى بلاد هؤلاء الصلع لكن لا نقدر ان نقول شيئًا محققًا عن البلاد التي فوقها لان جبالاً شاهقة لا ترتقى تحول دون دخولها على ان الاغريبية يخبرون انها مأهولة بامة يقال لها الجيسوذة اي

ارجلهم كارجل الماعز لكن يظهر لي ان ذلك لا يستحق شيئًا من التصديق «١» ويقولون ايضًا ان من تقدم بعيدًا يجد امة اخرى تنام ستة اشهر من السنة واما انا فلا استطيع مطلقًا ان اصدق هذا . والذي نعرفه ان البلاد التي الى شرقي الاغريبية تسكنها الايسيدونة ولكن التي فوقها من جهة الشمال لا يعرفها الاغريبية ولا الايسيدونة ولا يذكرون عنها الّا ما اوردنهُ نقلاً عنهم

﴿ ٢٦ ﴾ وهذه هي العادات المحفوظة عند الايسيدونة على ما يقال اذا فقد ايسيدوني اباه ياتيه كل اقاربه بماشية فيذبحونها ويقطعونها قطعًا ويقطعون ايضًا جثة والد الذي يدخلون بيتهُ ويخلطون كل اللحوم معًا ويولمون منها وليمة واما الراس فينزعون منهُ الوبر والشعر وينظفونهُ جيدًا ويذهبونهُ ويستخدمونهُ اناء ثمينًا في الاحتفالات بالذبائح التي يقدمونها كل سنة . هذه هي طريقتهم في الجنائز لانهم يحافظون عليها اكرامًا لوالديهم كما يحتفل الاغارقة بالتذكار السنوي لموت آبائهم . وفضلاً عن ذلك يحسبون محبيّ العدل والنساء عندهم ما للرجال من السيادة

﴿ ٢٧ ﴾ فقد عرفنا اذًا هذه الامة ايضًا واما البلاد التي فوقها فنعرف بشهادة الايسيدونة ان سكانها لهم عين واحدة والغريفونة التي تحرس الذهب والسكيثة علموا ذلك من الايسيدونة ونحن من السكيثة ونسميهم اريمسبة بلغة السكيثة ومعنى اريما بهذه اللغة واحد ومعنى سبو عين

﴿ ٢٨ ﴾ وفي كل هذه البلاد التي تكلمت عنها يكون الشتاء شديدًا جدًّا والبرد لا يطاق مدة ثمانية اشهر كاملة وبصب الماء على الارض لا يحدث وحل بل باضرام النار والبحر نفسهُ يجمد في ذلك الاقليم الشديد البرد وكذلك كل البوغاز القمري والسكيثة الخرسونيسيون يمرّون جيوشًا فوق ذلك الجليد ويجرّون عجلاتهم ليمضوا الى بلاد السند . والشتاء يستمر على ذلك ثمانية اشهر كاملة



١ ان تعوُّد اولئك الناس ان يتسلقوا الجبال المتوعرة والقنان العالية كالماعز دعا الاغريبية ان يشبهوا ارجلهم بارجل الماعز فظن هيرودوتس ان كلامهم على سبيل الحقيقة لا المجاز ＊ ل ＊

وفي الاشهر الاربعة الباقية يكون برد ايضاً . والشتاء في تلك الاقطار مختلف عما في سائر البلدان فلما يقع المطر في هذا الفصل حتى لا يستحق الذكر واما في الصيف فلا ينقطع المطر ولا يكون رعد في وقت يكون الرعد في غير بلاد ولكن الرعد في الصيف كثير فاذا سمع في الشتاء عدّ من خوارق العادة وكذلك القول في الزلازل واذا حدث منها في سكيثية في الصيف او الشتاء عدّ من العجائب التي تلقي الرعب في القلوب . والخيل فيها تحتمل البرد واما البغال والحمير فلا تستطيع مطلقاً مع ان الخيل في غيرها اذا عرض لها الجليد هلكت واما البغال والحمير فتبقى بلا عناء

❊ ٢٩ ❊ واظن ان شدة برد الاقليم مانع لنبت قرون البقر واوميروس يشهد بصحة رأيي في الاوذيسفس ،حينما يتكلم هكذا « وليبيا حيث القرون تنبت بسرعة في الغنم » فهذا يظهر لي صواباً لان القرون تنبت في البلاد الحارة في وقت قريب في الحيوانات واما في الشديدة البرد فلا تنبت لها قرون واذا نبت شيء منها فببطء عظيم

❊ ٣٠ ❊ ففي هذه البلاد سبب ذلك هو البرد ولكن اقول في عرض الكلام كما هي عادتي من اول هذا التاريخ ان استطرد اني اتعجب من كون البغال لا تولد في كل بلاد أليذة مع ان الاقليم ليس بارداً ولا يمكن التعليل عن ذلك بسبب آخر محسوس . ويقول اهل أليذة ان عدم توليد البغال عندهم مسبب عن لعنةٍ ما ومتى اشتهت الافراس الفحول ياخذونها الى بلاد اخرى ويتركون عليها الحمير فاذا حملت يعودون بها

❊ ٣١ ❊ واما الريش الذي يذكر السكيثة ان الجو مملوءٌ منهُ حتى لا يستطاع ان يرى ما وراءه ولا ان تدخل البلاد الذي يقع فيها فهذا رايي فيهِ . ان الثلج يقع دائماً في الاقطار الواقعة فوق بلاد السكيثة والحق ان وقوعهُ في الصيف اقل ما في الشتاء ومن راى الثلج من قرب يقع كسفاً كبيرة يفهم بسهولة ما قلتهُ فانهُ في الواقع يشبهُ الريش فاظن اذن ان هذا القسم من البرّ الواقع في الشمال لا يسكنهُ بشر لشدة البرد وان السكيثة وجيرانهم اذا ذكروا الريش يكون ذلك منهم على سبيل التشبيه بالثلج . هذا ما يقال عن تلك البلاد البعيدة

جدًا

﴿ ٣٢ ﴾ ولا يذكر الايربوريين السكيثة ولا امة اخرى في تلك الاقطار البعيدة الا ان تكون الايسيدونيين على ما يظن وهولاء انفسهم على ما ارى لا يذكرون عنهم شيئًا ولو كان ذلك لذكرهم ايضًا السكيثة مثلاً عنهم كما ذكروا الامة التي ليس لها الا عين واحدة على ان ايسيودس يذكرهم وكذلك اوميروس في الابيغونة اذا فرضنا انه هو ناظم هذه القصيدة؛

﴿ ٣٣ ﴾ واما اهل ذيلوس فيذكرونهم بزيادة اسهاب فيخبرون ان تقدمات الايربوريين كانت ترد اليهم ملفوفة في تبن الحنطة فكانت تمر اولاً بالسكيثة ثم تنقل من شعب الى آخر فكانت تحمل الى اقصى ما يمكن من جهة الغرب الى بحر الادرياتيك ومن هناك كانوا يرسلونها الى جهة الجنوب واهل ذوذونة اول الاغارقة الذين تصل اليهم ومن ذوذونة تنزل الى الخليج المالي ومنه توصل الى اوبي ومن بلد الى آخر الى كاريستة ومن هناك يحملها الكاريستيون الى تينوس بدون ان يمروا باندروس واهل تينوس ياخذونها الى ذيلوس . فاذا صح كلام اهل ذيلوس تكون هذه طريقة وصول هذه التقدمات الى جزيرتهم . ويقولون ايضًا ان الايربوريين في الزمان الاول ارسلوا هذه التقدمات مع فتاتين بكرين اسم احداها على قولهم ايبروخة والاخرى لاوذيكة ولكي تكون الفتاتان في امن كان الايربوريون يرسلون معها خمسة من اهل البلد يسمونهم الان برفيرة ويكون لهم في ذيلوس اكرام عظيم ولكن الايربوريين اذ لم يروهم قد رجعوا وحسبوا امرًا مكدرًا اذا اتفق لهم ان لا يروا ابدًا بعد ذلك الجماعة الذين ارسلوهم عزموا ان يحملوا الى تخومهم تقدماتهم ملفوفة بتبن الحنطة . ثم يسلمونها الى جيرانهم ويطلبون اليهم بالحاح ان يمضوا بها الى امة اخرى . فهكذا على قول اهل ذيلوس تمر من امة الى اخرى حتى تصل اخيرًا الى جزيرتهم . وقد لاحظت بين نساء ثراقة وبيونيا عادة تقرب كثيرًا من العادة التي يحافظ عليها الايربوريون بما يتعلق بتقدماتهم فانهن لا يقدمن قربانًا للديانة الملكية ما لم يستخدمن تبن الحنطة

﴿ ٣٤ ﴾ والفتيان من اهل ذيلوس من الرجال والنساء يقصون

شعورهم اكراماً للفتاتين الايبربوريتين اللتين توفيتا في ذيلوس . تكرمهما العذارى بذلك قبل التزوج باخذ ن خصلة من شعرهن ويلففنها على مغزل ويضعنها على ضريح الفتاتين الموجود في المكان الموقوف لذيانة على يسار الداخل . وعلى هذا الضريح توجد زيتونة نبتت من نفسها والفتيان الذيلوسيون يلفون شعرهم على بعض الاعشاب ويضعونهُ ايضاً على ضريح الايبربوريتين . هذا هو الاكرام الذي يقوم بهِ اهل ذيلوس لاجل تينك البكرين

☀ ٣٥ ☀ ويقول ايضاً اهل ذيلوس انهُ في نفس زمان قدوم اولئك الوفد الى ذيلوس كانت عذرا وان اخريان ايبربوريتان اسم احداهما ارجي والاخرى اوبيس قد وفدتا قبل ايبروخة ولاوذيكة فهاتان اتتا الى ايليثية (لوكينة) بالجزية المكلفتين بتقديمها لاجل سرعة وتوفيق ولادة نساء بلادهما لكن ارجي واوبيس وصلتا بصحبة الالهين نفسهما (ابلون وذيانة) ولذلك يقدم لهما الذيلوسيون اكراماً آخر ونساؤهم يجمعن لاجلهما الصدقات ويعظمن اسمهما باغنية نظمها لاكرامهما اولينوس الليكي

ويقول ايضاً الذيلوسيون انهم علموا اهل الجزائر واليونان تعظيم اسم اوبيس وارجي وذكرهما في اناشيدهم وان يجمعوا لهما الصدقات . واولينوس هذا الذي اتى من ليكية الى ذيلوس هو الذي نظم بقية الاناشيد القديمة التي ترتل في تلك الجزيرة . ويقول الذيلوسيون انفسهم انهُ بعد احراق افخاذ الذبائح على المذبح ينثرون رمادها على ضريح اوبيس وارجي وانهم يستخدمونهُ كلهُ لهذه العادة . وهذا الضريح هو وراء هيكل ذيانة الى جهة الشرق وقرب القاعة التي يؤلم فيها اهل كيوس ولائمهم

☀ ٣٦ ☀ وهذا القدر كفاية عن الايبربوريين ولست اتعرض بالحقيقة لذكر ما يقال عن اباريس الذي كان على ما يقال ايبربوريًّا وطاف بلا طعام كل الارض محمولاً على سهم . ومع ذلك اذا وجد ايبربوريون يجب ان يوجد ايضاً ايبرونوتيون . واما انا فلا اقدر ان امنع نفسي عن الضحك حينما ارى بعض الناس من وصفوا استدارة الارض يزعمون بلا دليل العقل ان الارض مستديرة

كانها صُنعت بالتدوير وان الاوقيانوس يكتنفها من كل جهة وان آسيامساوية لاوروبا لكني اذكر بكلام وجيز كبرَ كل من هذين القسمين من العالم واصف شكلها

﴿ ٣٧ ﴾ البلاد التي يسكنها الفرس تمتد الى البحر الجنوبي المسمى بحر اريثرية وفوقهم الى جهة الشمال مواطن الماديين وفوق الماديين السايبرة ووراء السايبرة الكلخيديون الملاصقون للبحر الشمالي (بحر بنطس) حيث يصب نهر فاسس . فهذه الامم الاربع منتشرة من بحر الى آخر

﴿ ٣٨ ﴾ ومن هناك باتجاه الى جهة المغرب يوجد شبها جزيرتين متقابلتان تنتهيان الى البحر وانا اذكر صفتها . الواحدة من جهة الشمال تبتدىء من نهر فاسس وتمتد الى جهة البحر على طول بحر بنطس . ومن الهلسبنطس الى راس سيجيوس في ترواده . ومن جهة الجنوب شبه الجزيرة هذه نفسها تبتدىء من الخليج المريَندري المماس لفينيقية على طول البحر الى راس تريبيوم وشبه الجزيرة هذه تسكنها ثلاثون امة مختلفة

﴿ ٣٩ ﴾ وشبه الجزيرة الاخرى تبتدىء من ارض الفرس وتمتد الى بحر اريثرية «١» وعلى طول هذا البحر فتشمل بلاد الفرس ثم اشور وبلاد العرب وتنتهي لكن بطريقة اشتراعية الى الخليج العربي حيث اوصل دارا ترعة آتية من النيل . ومن فارس الى فينيقية تكون البلاد كبيرة واسعة ومن فينيقية تمتد شبه الجزيرة نفسها على طول البحر المذكور شاملة سورية وفلسطين ومصر حيث تنتهي فلا تتضمن الاَّ ثلاث امم . هذه هي البلاد الاسيوية غربي فارس

﴿ ٤٠ ﴾ والبلاد من جهة الشرق فوق الفرس والماديين والسايبرة والكلخيديين يحدها من هذه الجهة بحر اريثرية (الخليج العجمي) ومن جهة الشمال بحر قزوين ونهر الرس الذي يجري الى جهة الشمس الطالعة . واسيا ماهولة الى الهند ولكن من هذه البلاد الى ما وراءها توجد في الشرق مفاوز لا يعرفها احد ولا

---

١ يجب ان نعلم ان اسم اريثرية يطلق على خليج العرب وخليج العجم وما بينهما من الاوقيانوس الهندي ＊ ل ＊

يمكن ان يقال عنها شيء محقق . هذه هي البلاد التي تشتمل عليها اسيا وهذه هي مساحتها

❋ ٤١ ❋ وليبيا تلي مصر متصلة بها وتكون من ضمن شبه الجزيرة الثانية التي هي ضيقة في نواحي مصر فمن هذا البحر (المتوسط) الى بحر اريثرية (البحر الاحمر) ليس الا مئة الف اورجية عبارة عن الف استادة ولكن من هذا المكان الضيق تصير شبه الجزيرة واسعة وتسمى ليبيا

❋ ٤٢ ❋ واني اتعجب على الذين وصفوا ليبيا واسيا واوروبا وعينوا حدودها على ما بين هذه الاقسام الثلثة من الارض من الاختلافات الكثيرة لان اوروبا تزيد في الطول عن القسمين الاخرين لكن لا يظهر لي انها تكون مشابهة لها في العرض . ويظهر ان ليبيا نفسها محاطة بالبحر الا من جهة اتصالها باسيا ونخو ملك مصر هو اول من نعلم انه اثبت ذلك بالبرهان فانه لما توقف عن حفر الترعة التي كان المراد منها ايصال مياه النيل الى الخليج العربي ارسل جماعة من الفينيقيين في المراكب وامرهم ان يدخلوا في رجوعهم في البحر الشمالي مارّين باعمدة هرقليس وبهذه الكيفية يرجعوا الى مصر

فركب الفينيقيون بحر اريثرية وسافروا في البحر الجنوبي . فلما دخل الخريف نزلوا في المكان من ليبيا الذي وُجدوا فيه وزرعوا القمح وانتظروا وقت الحصاد وبعد الاستغلال ركبوا البحر فسافروا هكذا سنتين . وفي السنة الثالثة اجتازوا اعمدة هرقليس ورجعوا الى مصر . واخبروا عند وصولهم ان الشمس كانت عن يمينهم وهذا الامر لا يظهر لي مطلقًا انه يصدّق لكن ربما ظهر كذا لاخرين «١» وهكذا عرفت ليبيا اول مرة

❋ ٤٣ ❋ ويذكر القرطاجنيون انه بعد ذلك الزمان أُمر ساتاسب ابن تياسبيس من سلالة الدولة الكيانية ان يدور حول ليبيا لكن لم يتم دورته فقد

---

١ لو علم هيرودوتس انهم طافوا حول افريقية لصدّق ان الشمس تكون على يمينهم بعد اجتياز خط الاستواء كما هو معروف عند علماء الهيئة ❋ ل ❋

هاله طول السفر بحرًا وخاف من القفار التي مرَّ بها في طريقهِ فعاد في طريقهِ من غير ان يتم العمل الذي امرتهُ بهِ امهُ

وكان ساتاسب قد اغتصب فتاة وهي بنت زوبيرين ميغابيز . فلما كاد يعلَّق على الصليب بامر زارش شفعت فيهِ امهُ وهي اخت دارا واعدة انها تقاصهُ قصاصًا اشد من القصاص الذي كان الملك يريدهُ وانها تجبره ان يطوف حول ليبيا حتى يصل الى الخليج العربي فاجابها زارش الى طلبها على هذا الشرط فاتى ساتاسب الى مصر واخذ سفينة ونوتية من البلاد وركب البحر واقلع مارًّا باعمدة هرقليس فلما اجتازها مرَّ براس سولويس وتوجه نحو الجنوب ولكن بعد ان قضى عدة اشهر في قطع مسافة فسيحة جدًّا من البحر وراى ان امامهُ مسافة اكبر منها يجب ان يجتازها رجع على اعقابهِ ودخل مصر ومن هناك مضى الى بلاط زارش فاخبر انهُ راى على ابعد سواحل البحر التي مرَّ بها رجالًا صغارًا لباسهم خوص النخل وكانوا قد هجروا مدنهم ليلجأُوا الى الجبال حالما راوهُ دنا من البر بسفينتهِ وانهُ دخل مدنهم ولم يؤْذهم بشيء واكتفى باخذ بعض المواشي منها . وقال ايضًا انهُ لم يتم دورتهُ حول ليبيا لان سفينتهُ توقفت ولم تستطع ان تتقدم

فعلم زارش يقينًا انهُ لم يصدق فاجرى عليهِ الحكم الاول فصلب لانهُ لم يتم العمل الذي أُمر بهِ . وكان عند ساتاسب خصي فحالما علم بموتهِ هرب الى ساموس ومعهُ كنوز وافرة استولى عليها رجل ساموسي . وانا اعرف اسمهُ لكني احب ان اضرب عنهُ صفحًا

❋ ٤٠ ❋ واكبر قسم من اسيا اكتشفهُ دارا لان هذا الملك اراد ان يعلم في اي مكان من البحر يصب نهر السند الذي ليس نهر غيرهُ بعد النيل توجد فيهِ تماسيح فارسل في السفن رجالًا امناء صادقين ومن جملتهم سكيلاس الكاريندي فرحلوا من كسباتيرة في بكتيكية ونزلوا في النهر شرقًا الى البحر ومن هناك سافروا غربًا فوصلوا اخيرًا في الشهر الثلاثين من سفرهم الى نفس الفرضة التي سافر منها الفينيقيون الذين ذكرتهم آنفًا بامر ملك مصر ليدوروا حول ليبيا . وبعد هذا السفر البحري اخضع دارا الهنود واستخدم ذلك البحر وهكذا عرف ان آسيا ما عدا القسم الشرقي

منها تشبه ليبيا في كل شيء

❊ ٤٥ ❊ واما اوروبا فلا يظهر ان احدًا عرف حتى الآن هل هي محاطة بالبحر من الشرق والشمال . ولكن المعلوم انها تزيد في الطول عن القسمين الآخرين من الارض «١» ولا اقدر ان اخمن لاي سبب وضعوا للارض وهي واحدة ثلاثة اسماء هي اسماء نساء ولماذا يجعلون حد اسيا نهر النيل وهو في مصر ونهر فاسس وهو نهر كلخيدة او على مذهب البعض نهر تنايس وبالوس ميوتيس ومدينة البرنمية في قرية . واخيرًا لست اعلم ما اسم هولاء الذين قسموا الارض ولا من اين اخذوا الاسماء التي سموها بها . واكثر الاغارقة يقولون ان ليبيا مسماة باسم امراة من نفس تلك البلاد كان اسمها ليبيا وان اسيا سميت باسم امراة بروميثيوس ولكن الليديين يدّعون لانفسهم هذا الاسم الاخير ويؤيدون انه آت من اسياس بن كوتيس وحفيد مانيس الذي اخذ اسمه سبط من سرديس يقال له اسيادس

واما اوروبا فلا يعرف احد هل يحيط بها البحر ولا يظهر ايضًا انهم عرفوا من اين اخذت اسمها ولا من سماها به الّا ان نقول انها سميت باسم اوروبة الصورية لانها لم يكن لها اسم في الزمان الاول كما لم يكن للقسمين الآخرين من الدنيا . والمحقق ان اوروبة كانت اسيوية وانها لم تات قط الى هذه البلاد التي يسميها الاغارقة الآن اوروبا ولكنها مضت فقط من فينيقية الى كريت ومن كريت الى ليكية . وهذا القدر كفاية في هذا الشان ونحن نعتمد في ذلك على الآراء التي عرفناها

❊ ٤٦ ❊ وبلاد البنطس التي اكتسحها دارا هي دون سائر البلاد الارض التي فيها امم كثيرة جاهلة واستثني مع ذلك السكيثة وبين الامم القاطنة امام بحر بنطس لاتقدر ان نذكر واحدة ظهرت عليها لوائح الفطنة والحذق ولا خرج منها رجل صاحب معارف الا ان تكون امة السكيثة وانا خرسيس . فالسكيثة بين كل الامم التي نعرفها هم الذين وجدوا آمن الوسائط ليحفظوا افضل الامتيازات ولكني

---

١ لم تكن لهيرودوتس معرفة صحيحة باقسام الارض على ما هو معروف الان فانه ادخل في اوروبا بلادًا داخلة بالحقيقة في اسيا ولذلك توهم انها اطول من اسيا التي كان يجهل كثيرًا منها وافريقية التي لم يكن يعرف منها الّا القسم الشمالي

لا اعرف عندهم شيئًا اخر يستحق المدح . والامتيازات المذكورة قائمة بانهم لا يدعون من يغزوهم يعود سالمًا فهم حاذقون في رمي السهام على الخيل ولا يعيشون من ثمار الزراعة بل من المواشي وليس لهم منازل الا عجلاتهم فكيف لا يكون شعب مثل هذا قويًا تصعب غلبتهُ وكيف يسهل لقوم أن ينازلوهم في ارضهم

✻ ٤٧ ✻ وقد اتخذوا هذه الطريقة من المعيشة من جهة لان سكيثية موافقة جدًّا لها ومن جهة اخرى لان انهرهم تصلح لها وتكون بمثابة متاريس فبلادهم بلاد سهلية كثيرة المراعي والمياه وفي الواقع ان الانهر فيها ليست اقل من الترع في مصر . ولست اذكر الا اشهرها التي يمكن مسير السفن فيها صعودًا من البحر وهي نهر ايستر ولهُ خمسة مصبات ثم نهر تيراس وهيبانيس وبورستينس وبنتيكابس وهيباكيرس وجرُوس وتنايس . وانا اذكر صفة مجراها

✻ ٤٨ ✻ ان الايستر هو اكبر الانهر التي نعرفها وهو دائمًا على حال واحدة صيفًا وشتاء واول ما يصادف في سكيثية غربي الانهر الاخرى وهو اكبرها لانهُ ينصب اليهِ عدة انهر اخرى ومن الانهر التي تصب اليهِ فتزيده خمسة كبار تشق سكيثية وهي النهر التي تسميهِ السكيثة بوراتا والاغارقة بيرتوس . وتيارنت واراروس ونابارِيس واُردِسوس . فالاول من هذه الانهر كبير يجري شرقًا ويمتزج بالايستر والثاني اعني تيارَنت اصغر منهُ ويجري بالاكثر غربًا والثلثة الاخيرة اراروس ونابارِيس واردسوس تجري بين الآخرين وتصب ايضًا في الايستر . هذه هي الانهر التي تخرج من سكيثية وتزيد الايستر

✻ ٤٩ ✻ ونهر ماريس يجري من بلاد الاغاثرسة ويصب في الايستر ومن قمم جبل هيموس تخرج ثلثة انهر اخرى كبيرة اتلاس واوراس وتيبيسيس تجري شمالاً وتصب في النهر نفسهِ وتاتي ثلاثة انهر اخرى من ثراقة وبلاد الثرافيين الكروبيزيين وتجري الى الايستر وهذه الانهر هي اثريس ونويس وارتانيس . ونهر كيوس ياتي من بيونية ومن جبل رودوبس ويشق جبل هيموس من الوسط وينصب في النهر نفسهِ . وانغروس يجري من ايليريا شمالاً ويمر في السهل التربالي ويصب في برونغوس وهذا في الايستر بحيث ان الايستر يصب فيهِ

معًا نهران كبيران .وكريس والبس يخرجان من البلا د التي فوق الأمبريين ويجريان شمالاً ويصبان في النهر نفسه . ومع ذلك فلا يجب ان نعجب من ان الايستر تصب فيه انهر كثيرة لانه يشق كل اوروبا . ومخرجه في بلاد الناط (وهم اخر ام اوروبا من جهة الغرب ما عدا الكينيتة ) وبعد ان يشق اوروبا كلها يدخل سكيثية من احد اطرافها

✻ ٥٠ ✻ فيجتمع كل هذه الانهر التي ذكرتها وكثير غيرها يجعل الايستر اكبر الانهر ولكن اذا قوبلَ وحده بالنيل يفضل عليه نهر مصر لان هذا لا ينصب فيه نهر ولا عين فيزيد «١» واما الايستر فكما ذكرت هو على حال واحدة صيفًا وشتاء والسبب على ما يظهر هو هذا . في الشتاء لا يكون اكبر مما كان عادة او على الاقل لا يكون اكبر مما يجب ان يكون طبعًا لان المطر في هذا الفصل يكون قليلاً جدًا في البلاد التي يمر فيها وان كل الارض تكون مكسوة بالثلج . وهذا الثلج الذي يقع بكثرة في الشتاء اذ يذوب في الصيف يجري الى الايستر . فذوب الثلج والامطار المتوالية الغزيرة التي تحدث في هذا الفصل مما يساعد على تعاظمه فاذا كانت الشمس في الصيف تجذب اليها من المياه اكثر مما في الشتاء فالمياه التي تجري الى هذا النهر تكون ايضًا على النسبة اكثر في الصيف مما في الشتاء فينتج من هذه المناقضة تعويض يظهر به النهر المذكور على حال واحدة دائمًا

✻ ٥١ ✻ فالايستر هو اذن احد الانهر التي تجري في سكيثية . ثم يكون نهر تيراس ياتي من الشمال ويخرج من بحيرة كبيرة تفصل بين سكيثية ونوريدة والاغارقة الذين يسمّون تيريتس قاطنون عند مصبه

✻ ٥٢ ✻ وهيبانيس هو الثالث ياتي من سكيثية ويجري من بحيرة كبيرة ترعى حولها خيول بيضاء برّية والبحيرة تدعى بحق ام هيبانيس وهذا النهر

---

١ المراد بذلك في الحقيقة بعد ان يدخل النيل مصر ولكن قبل ذلك تصب فيه عدة انهر كبيرة ✻ ل ✻

الذي يخرج من هذه البحيرة هو صغير وماؤه عذب في مسافة خمسة ايام من السفر فيه لكن بعد ذلك وعلى مسافة اربعة ايام من البحر يصير شديد المرارة وهذه المرارة حاصلة من نبع يجري اليه وهو نبع مرّ جدّاً حتى انه مع شدة صغره يفسد كل مياه هذا النهر الذي هو كبير بين الانهر الصغيرة . وهذا النبع على تخوم بلاد السكيثة الفلاحين والألازونة ويسمى باسم المكان الذي يخرج منهُ . فيسمى باللغة السكيثية آكسمبيوس ومعناه بلغة الاغارقة الطرق المقدسة . وتيراس وهيبانيس يتقاربان في بلاد الألازونة ولكن بعد ذلك يتباعدان حالاً وتصير بينهما مسافة شاسعة

❋ ٥٣ ❋ وبورستينس هو النهر الرابع واكبر انهر هذه البلاد بعد الايستر وهو ايضاً على رأيي اغزر كل الانهر لا انهر سكيثية فقط بل انهر كل الدنيا ايضاً ما عدا النيل الذي لا يدخل نهر آخر معهُ في سبيل التشبيه . وهو ينتج للمواشي مراعي حسنة جيدة ويصطادون منهُ بكثرة كل انواع الاسماك الطيبة وماؤه لذيذ جداً للشرب وهو دائماً صافٍ زلال مع ان الانهر المجاورة له موحلة وتجنى عن ضفافهِ غلال حسنة وفي الاماكن التي لا تزرع يعلو الحشيش جداً ويكون غزيراً وعند مصبهِ يتبلور الملح من نفسهِ ويكون وافراً جداً وتخرج منهُ اسماك كبيرة ليس لها سلسلة فقرية يدعونها ويسمونها انتاكيه . وتوجد فيهِ ايضاً اشياء كثيرة تستحق المدح

ومن هناك الى البلاد المسماة جرّوس اربعون مرحلة في الماء ويعرف ان هذا النهر آتٍ من الشمال ولكن لا تعرف البلاد التي يمر بها فوق ذلك ولا الامم القاطنة فيها ومع ذلك فالدلائل كثيرة على انهُ يجري في خلال بلاد مقفرة حتى يصل الى السكيثة الفلاحين . وهؤلاء يسكنون على ضفتهِ على مسافة عشرة ايام من المسير فيهِ . وهذا النهر والنيل هما النهران الوحيدان اللذان لا اقدر ان اعين منابعهما ولا اظن ان احداً من الاغارقة يعرف اكثر مني . واذا اقترب البورستينس من البحر تمتزج بهِ مياه هيبانيس ويصبان في مستنقع واحد . ولسان الارض الذي بين هذين النهرين يقال له راس هيبولاوس . وبنوا فيهِ هيكلاً لكيريس . ووراء

هذا الهيكل الى جهة ضفة هيبانيس مواطن البورسثينية . وهذا القدر كفاية عن هذين النهرين

❋ ٥٤ ❋ وبعد ذلك ياتي نهر بنتيكابس وهو النهر الخامس وهو ياتي ايضًا من الشمال يخرج من بحيرةٍ ويدخل هيلية وبعد ان يجتازها يمزج مياهه بمياه بورسثينس والسكيثة الفلاحون قاطنون بين هذين النهرين

❋ ٥٥ ❋ والسادس هو هيباكيريس يخرج من بحيرة ويشق ارض السكيثة الرحالين من وسطها ويصب في البحر قرب مدينة الكركينية وتكون عن يمينه بلاد هيلية وما يسمى بميدان اخيلفس

❋ ٥٦ ❋ والنهر السابع هو جرُّوس ينفصل عن بورسثينس عند المكان الذي منهُ تبتدئ معرفة هذا النهر من حد بلاد جروس التي سمي باسمها . وفي جريهِ الى البحر يفصل بين السكيثة الرحالين والسكيثة الملكيين ويصب في هيباكيريس

❋ ٥٧ ❋ والثامن والاخير هو تنايس ياتي من بلاد بعيدة جدًا ويخرج من بحيرة كبيرة ومنها يجري الى بحيرة اكبر منها تسمى ميوتيس تفصل بين السكيثة الملكيين والسوروماتة ونهر هيرجيس يصب في تنايس

❋ ٥٨ ❋ هذه هي الانهر الكبيرة التي تمتاز سكيثية بالارتواء منها . والكلأُ الذي تنبتهُ هذه البلاد هو احسن الكلإِ للمواشي واكثر الكلإِ مائيةً على ما نعرف كما يشاهد اذا شقت المواشي التي تقتات بهِ فالسكيثة عندهم اذن الزم الاشياء المعيشة بكثرة

❋ ٥٩ ❋ واما شرائعهم الاخر وعاداتهم فهي هذه على ما هي موضوعة عندهم . انهم يحاولون ان يكونوا مرضيين لفستا على الخصوص ثم لجوبيتر وللارض التي يعتقدون انها زوجة جوبيتر وبعد هذه المعبودات الثلث يعبدون ابلون والزهرة السماوية وهرقليس والمرّيخ . كل السكيثة يعرفون هذه المعبودات ولكن السكيثة الملكيون يذبحون ايضًا لنبتون وفي اللغة السكيثية اسم فستا تابيتي وجوبيتر

باباوس وهو اسم موافق لهُ جدًا على ما ارى «١» والارض ابيا وابلون ايتوسيروس والزهرة السماوية ارغمباسا ونبتون تاميا ساداس . ويبنون هياكل ومذابح للمريخ وينصبون لهُ تماثيل ولا يفعلون ذلك الا لهُ وحده

❊ ٦٠ ❊ ويقدم السكثية ذبائحهم على طريقة واحدة في كل الاماكن المقدسة وتقديم الذبائح يكون كما يأتي . تكون الذبيحة واقفة يداها مربوطتان بحبل والذي يذبحها يقف وراءها ويجر اليهِ طرف الحبل ويوقعها وبينما هي تقع يدعو الاله الذي تذبح لهُ ثم يضع حبلاً في رقبتها ويشدهُ بقضيب يديرهُ وهكذا يخنقها بدون اضرام نار ولا تقديم سكائب ولا احتفال اخر واستعدادي ومتى اختنقت الذبيحة يسلخها الذابح ويعزم على طبخها

❊ ٦١ ❊ واذ ليس حطب في سكيثية قد اتخذوا الطريقة الاتية لطبخ الذبيحة . بعد ان يسلخوها يتزعون كل اللحم الذي على عظمها ويضعونهُ في خلاقين اذا وجدت عندهم . وخلاقين هذه البلاد تشبه كثيرًا طواجن لسبوس الاَّ انها اكبر منها بكثير ويضرمون تحتها النار بعظام الذبيحة . ولكن اذا لم يكن عندهم خلاقين يضعون كل اللحم مع ماء في جوف الحيوان «٢» ويحرقون العظام تحتهُ وهذه العظام تكون نارها جيدة جدًا والجوف يحفظ بسهولة اللحم المجرد عن العظم فهكذا يطبخ الثور من نفسهِ وبقية الذبائح تطبخ ايضًا كل واحدة نفسها فاذا نضج الكل يقدم الذابح باكورة اللحم والاحشاء بالقائها امامهُ ويذبحون ايضًا حيوانات اخرى ولا سيما الخيل

❊ ٦٢ ❊ فهذه هي انواع الحيوانات التي يذبحها السكثية لهؤلاء الآلهة وهذه هي طقوسهم . ولكن هوذا الطقوس التي يحافظون عليها بخصوص الاله المريخ . في كل ولاية يقيمون لهُ هيكلاً بالطريقة الاتية في حقل معد لاجتماع الامة

---

١ اذ يمكن ان يراد بها الاب في لغة السكيثة لان هذه اللفظة ولفظة بابا شائعتان بين الامم ✱ ل ✱

٢ اي في جلده لان هذه العادة كانت معروفة عند الامم المتوحشة قبل اختراع الخلاقين ✱ ل ✱

يجمعون حزمًا من دقيق الحطب ويجعلونها بيلة «١» مساحتها ثلاث اسنادات طولاً وعرضًا واقل من ذلك علوًا وفوق هذه البيلة يصنعون شبه سطح مربع لا يوصل اليهِ من ثلاث جهات واما الجهة الرابعة فتكون منحدرة بحيث يرقى منها وكل سنة يرصفون مئة وخمسين حمل عجلة من دقيق الحطب لكي يرفعوا تلك البيلة التي تنخفض بعوارض الفصول وفي اعلى كل بيلة تغرس كل طائفة سكيثية شاكرية عتيقة تكون بمثابة تمثال للمريخ «٢» وكل سنة يقدمون لهذه الشاكرية ذبائح من خيل وغير حيوانات ويذبحون له ذبائح اكثر مما يذبحون لغيره من سائر الالهة ويذبحون له ايضًا جزءًا من مئة من كل الاسرى الذين ياخذونهم من اعدائهم لكن لا بنفس طريقة ذبح الحيوانات فان الاحتفال بهذا يختلف كثيرًا . يقدمون اولاً سكائب من خمر يسكبونها على رؤوس هذه الذبائح البشرية ثم يذبحونهم فوق اناء ويحملون هذا الاناء الى اعلى البيلة ويصبون الدم على الشاكرية وبينما هم يحملون هذا الدم الى اعلى البيلة يقطع الذين يكونون اسفل الايدي اليمنى مع الاكتاف من كل الذين ذبحوهم ويرمونها في الهواء وبعد ان ينتهوا من ذبح سائر الذبائح ينصرفون واليد تبقى حيث تقع ويبقى الجسم مطروحًا في مكان اخر

✻ ٦٣ ✻ هذه هي الذبائح المرتبة بين هؤلاء الشعوب لكنهم لا يذبحون الخنانيص مطلقًا ولا يريدون ايضًا ان يربوها في بلادهم

✻ ٦٤ ✻ واما من جهة الحرب فهذه هي العوائد التي اصطلحوا عليها . السكيثي يشرب من دم اول رجل يقتله ويقطع رؤوس كل الذين يقتلهم في الحرب ويحملها الى الملك فاذا قدم له راس عدو يكون له نصيب من كل الغنيمة والاَّ يحرم منها . ولكي يسلخ السكيثي الراس يصنع اولاً شقًا على دائرةٍ من جهة الاذنين ثم يمسكهُ من اعلاهُ ويهزه فينتزع جلدته ثم يعرك الجلدة بين يديهِ بعد ان

---

١ البيلة معربة من اليونانية ومعناها الكومة المجتمعة من اشياء مرصوفة بعضها فوق بعض وقد وردت في تاريخ الاندلس للمقري المعروف بنفح الطيب وقد ناقض هيرودوتس بهذا ما قاله اولاً عن عدم وجود الحطب في سكيثية ✻ ح ✻

٢ كانت الشاكرية رمزًا عند بعض البرابرة عن المريخ لانه اله الحرب ✻ ل ✻

يترع منها كل اللحم بضلع ثور . ومتى لينها جيدًا يستخدمها بمثابة فوطة فيعلقها في لجام الفرس الذي يركبهُ ويفتخر بها لانهُ كلما كثرت هذه الفوط عند السكيثي يزداد اعتباره بالشهامة والشجاعة . وكثيرون منهم يخيطون جلود البشر بعضها ببعض على شكل كبوت الراعي ويلبسونها وكثيرون منهم ايضًا يسلخون الايدي اليمنى من الذين قتلوهم حتى الاظافر فتبقى مع الجلد ويجعلون ذلك اغطية لخوذهم . وجلد الانسان طبعًا سميك وبياضهُ اكثر لمعانًا من كل الجلود تقريبًا . ومنهم من يسلخ الانسان من رجليهِ الى راسهِ ويمدُّون الجلد على قطعة خشب ويحملونهُ على الخيل . هذه هي العوائد المصطلح عليها بين هوءلاء الشعوب

❋ ٦٥ ❋ ولا يستعمل السكيثة نفس الطريقة التي آتي على ذكرها لكل انواع الروُّوس على السواء بل يفعلون ذلك انهم برؤوس اكبر اعدائهم وذلك ينشرون الجمجمة من تحت الحواجب وينظفونها فالفقراء يكتفون بان يلبسوها من الخارج قطعة من جلد ثور بدون إعداد واما الاغنياء فلا يلبسونها قطعة جلد الثور فقط بل يذهبونها من الداخل ايضًا ويتخذها الجميع الاغنياء والفقراء قدحًا للشرب وهكذا يفعلون برؤوس اقاربهم اذا انتصروا عليهم على اثر خصام جرى امام الملك فاذا اتاهم غريب لهُ مقام يقدمون له هذه الرؤُوس ويخبرونهُ كيف ان اصحاب هذه الرؤوس قاتلوهم مع انهم اقاربهم وكيف انتصروا هم عليهم فيفتخرون بذلك ويدعونهُ عملًا جليلًا

❋ ٦٦ ❋ وكل والٍ يولم كل سنة وليمة في ولايتهِ تسقى فيها الخمر ممزوجة بماء في الجامات فكل الذين قتلوا من اعدائهم يشربون من تلك الخمرة والذين لم يفعلوا شيئًا من ذلك لا يذوقونها بل يجلسون في ناحية وهم في حالة الخجل وهذا عار عظيم عليهم . وكل الذين قتلوا عددًا غفيرًا من الاعداء يشربون في جامين معًا مقرونين الواحد بالاخر

❋ ٦٧ ❋ والعرافون كثيرون بين السكيثة ويستخدمون قضبانًا من الصفصاف ليعملوا اعمال العرافة . فياتون بحزمة من القضبان ويضعونها على الارض ويحلونها ويضعون كل قضيب وحده ويتنبأُون بالمستقبل وبينما هم يتنبأُون ياخذون

القضبان الواحد بعد الاخر ويجمعونها معاً. وقد تعلموا هذه الطريقة من اجدادهم والاينارية الذين هم رجال في طباع النساء يقولون انهم منحوا هذه الموهبة من الزهرة ولكي يعلموا عملهم يستخدمون قشور الزيزفون يشقون القشرة ثلاثة اقسام ويلفونها على اصابعهم ثم يحلونها ويخبرون بالمستقبل

☼ ٦٨ ☼ واذا مرض ملك السكيثة يستدعون ثلاثة من اشهر هولاء العرافين يعملون عملهم بالطريقة التي ذكرناها ويجيبونه عادة بان فلاناً وفلاناً ويذكرون اسم كل واحد حنثا باليمين اذ حلفا بلارة البلاط «١» وفي الواقع ان من عادة السكيثة ان يقسموا كثيراً بلارة البلاط اذا ارادوا ان يحلفوا اعظم الايمان

فعند ذلك يقبض على المتهم اثنان الواحد من جهة والاخر من اخرى ثم يأتون به لدى الملك ويقولون انهم تحققوا بواسطة العرافة انه حلف يميناً كاذبة اذ حلف بلارة البلاط ولذا يكون هو سبب مرض الملك فاذا انكر المتهم واغتاظ من القاء التهمة عليه يستدعي الملك بضعفين من عرافين آخرين فاذا اثبتوا له الحنث بقوانين العرافة يقطعون راسه في الحال وتحجز املاكه لافادة العرافين الاولين واذا اعترف العرافون المدعوون ثانية انه بريء يدعى اخرون ثم اخرون ايضاً فاذا برأه العدد الاكثر يرفع عنه الحكم ويوقع على العرافين الاولين بالموت

☼ ٦٩ ☼ وطريقة قتلهم هي هذه يملأون عجلة من دقيق الحطب ويقطرون بها ثيراناً ويضعون العرافين بين الحزم وارجلهم موثقة وايديهم مربوطة خلف ظهورهم وفي فم كل منهم شبام . ثم يضرمون النار في الحطب ويزجرون الثيران لتركض فيحترق كثير منها مع العرافين وقد ينجو بعضها من الموت وقد احترق بعضه بعد ان تفني النار منطرة العجلة . هكذا يحرقون العرافين لا لاجل هذا الذنب فقط بل لاسباب اخرى ويدعونهم عرافين كذابين

١ اللارة ارواح بيتية يقال في الميتولوجيا انها كانت مكلفة بحماية كل بيت وكل عائلة قيل انها تولدت من عطارد والجنية لارة بنت النهر ألمو وكانوا يعملون لها تماثيل صغيرة يضعونها عند المواقد وبينها يكون كلب اشارة الى الملازمة والامانة ☼ح☼

❃ ٧٠ ❃ والملك يقتل الذكور من اولاد الذين يحكم بموتهم لكنهُ يبقي على البنات. واذا عقد السكيثة مع احد معاهدة أيًا كان يصبون خمرًا في كوب كبير من الخزف والمتعاهدون يهرقون فيهِ من دمهم بعد ان يجرحوا ابدانهم جراحًا خفيفة بسكين او سيف ثم يغمسون في الكوب شاكرية وسهامًا وفاسًا وحربة. وبعد هذا الاحتفال يتلون صلاة مستطيلة ثم يشربون شيئًا ما في الكوب ويشرب بعدهم الممتازون بينهم

❃ ٧١ ❃ وقبور ملوكهم في بلاد جرُّوس حيث يبتدىء البورسثينس ان يصير صالحًا لمسير السفن. فحينما يموت الملك يحفرون في ذلك الموضع خندقًا كبيرًا مربعًا وبعد ما ينتهي حفر الخندق يطلون الجثة بالموم ويشقون البطن وبعد ان ينظفوهُ ويملأُوهُ من السُّعد المسحوق والطيوب وحب الكرفس والانيسون يخيطونهُ. ثم يحملون الجثة على عجلة الى ولاية اخرى يقطع اهلها شيئًا من اذانهم كالسكيثة الملكيين ويحلقون ما احاط برؤُوسهم من الشعر ويجرّحون سواعدهم ويخدشون جباههم وانوفهم ويخرقون ايديهم اليسرى بسهام. ومن هناك يحملون جثة الملك الى ولاية اخرى من المملكة ويتبعهُ اهل الولاية التي حمل اليها اولاً. ومتى طافوا بهِ كل الولايات والشعوب الخاضعة لهُ يصلون بهِ الى بلاد جرّوس في طرف سكيثية ويضعونهُ في مكان مدفنهِ على فراش من الحشيش وورق الشجر المجموع ثم يغرزون حولهُ مزاريق ويضعون فوقهُ قطعًا من الخشب ويغطونها باغصان الصفصاف ويضعون في المكان الفارغ من ذلك الخندق احدى سراري الملك ويكونون قد خنقوها وساقيهُ وطاهيهُ وسائسهُ ووزيره وواحد خدمه وبعض الخيول وبالاختصار اوائل بقية كل الاشياء التي يستخدمها وجامات الذهب. وهم مع ذلك لا يعرفون الفضة ولا النحاس. وبعد الفراغ من هذا العمل يملأُون الخندق ترابًا ويشتغلون كلهم بالتغاير برفع تلة عالية جدًّا فوق مدفنهِ

❃ ٧٢ ❃ وبعد انقضاء السنة ياخذون من بقايا خدم الملك من كان منهم اكثر نفعًا. وهؤلاء الخدم كلهم سكيثيون والملك لا يكون لهُ عبيد مشترون بالمال بل يستخدم من رعاياه من يريد ثم يخنقون نحو خمسين من اولئك

الخدم ومثلهم من احسن خيله . ويستخرجون الاحشاء وينظفون البطون ويملأُونها تبنًا ويخيطونها ويضعون على خشبتين نصف دائرة منقلبة ثم نصف دائرة على خشبتين اخريين وكثيرًا غيرها وهلمّ جرًّا يعلقونها على نمط واحد . ثم يرفعون على انصاف الدوائر الخيل بعد ان ينفذوا فيها اوتادًا على طول البدن حتى الرقبة فانصاف الدوائر الاولى تلقى عليها اكتاف الخيل والبقية بطونها وموّخرها بحيث تبقى القوائم سائبة اذ لا تلقى على شيء ثم يضعون لها لجمًا وشكائم ويجرون اللجام الى الامام ويعلقونه في وتد وبعد ذلك ياخذون الشبان الخمسين الذين خنقوهم ويضعون كلاً منهم على فرس بعد ان ينفذوا في بدنه من المقعدة الى الرقبة وتدًا يغرز اسفله في ظهر الفرس متصلاً بالوتد الذي في جوفه وبعد ان يرتبوا هوءلاء الخمسين فارسًا حول القبر ينصرفون

❊ ٧٣ ❊ هذه هي الاعمال التي يقومون بها في جنائز ملوكهم واما بقية السكيثة فاذا مات واحد منهم يضعهُ اقاربهُ الادنون على عجلة ويطوفون بهِ من بيت الى اخر من بيوت اصحابهم فيستقبلهُ اولئك الاصحاب ويعدّون كل واحد وليمة لمن يصحب جثتهُ ويهيئون ايضًا للميت من كل الوان الاطعمة التي تقدم للاخرين . وهكذا يتناولون من جهة ومن اخرى جثث الخواص مدة اربعين يومًا ثم يدفنونها . ومتى دفن السكيثة ميتًا يتطهرون بالطريقة الاتية . يفركون روؤسهم بشيء منقٍ ويغسلونها ثم يعملون بابدانهم ما اذكره . يحنون ثلاثة اوتاد الواحد نحو الاخر وعلى هذه الاوتاد ينشرون ثيابًا من صوف متصور بربطونها ويضيقونها بقدر مكنتهم ثم يضعون بين الاوتاد والثياب وعاء يجعلون فيهِ حجارة محماة بالنار الى الحمرة

❊ ٧٤ ❊ وفي سكيثية ينبت قنّب يشبه الكتان كثيرًا لكنهُ اغلظ واكبر وبهذا يفضل عليهِ كثيرًا وهذه النبتة تنبت من نفسها ومن البزر واهل ثراقة يصنعون منها ملابس تشبه كثيرًا ملابس الكتان حتى لا يفرق بينها الاّ الخبير . واما الذي لم يكن قد راى القنب فيظنها ثياب كتان

❊ ٧٥ ❊ فالسكيثة ياخذون بزر القنب وينسأُون تحت تلك الخيام

المصنوعة من الصوف المقصور و يضعون من هذا البزر على الحجارة المحماة بالنار فاذا ابتدأ يحترق ينتشر منهُ بخار كثيف حتى لا يكون في اغريقية مدخن اعظم قوّةً منهُ . فيصيب السكيثة الدوار من هذا البخار ويصيحون صياحًا مختلطًا وهذا يكون لهم بمثابة الحمام لانهم لا يستحمون مطلقًا. واما نساؤهم فيسحقنّ على حجر خشن خشب السرو والارز والشجرة التي تحمل البخور فاذا تم سحق الجميع يخلطنهُ بماء ويعملن منهُ عجينة يفركن بها وجوههن وسائر اجسادهنّ وهذه العجينة تجعل لهنّ رائحة طيبة وفي الصباح ينزعنها وقد نظفنا وزاد جمالهنّ رونقًا

❋ ٧٦ ❋ والسكيثة يبتعدون ابتعادًا عجيبًا عن العادات الاجنبية حتى ان اهل ولاية لا يستعملون عوائد ولاية مجاورة لها ولكن ليس من العوائد ما يبتعدون عنها ابتعادهم عن عوائد الاغارقة ومن اناخرسيس وسكيلاس بعده برهان قاطع. كان اناخرسيس قد طاف بلادًا كثيرة وظهرت حكمتهُ في كل مكان فركب سفينة في الهلسبنطس ليعود الى بلاده فلما نزل في كيزيكة وقتما كان اهلها مشغولين باحتفال عظيم لعيد ام الآلهة نذر انهُ اذا عاد سالمًا الى وطنهِ يقدم لهذه المعبودة ذبائح على نفس الطريقة التي راى الكيزيكيين يقدمون بها وان يضع اكرامًا لها موسمًا في ليلة عيدها . فلما وصل الى هيلية وهي ناحية من سكيثة مكسوة كلها بالاشجار من كل نوع وواقعة قرب ميدان اخيلئس احتفل بعيد المعبودة وقد علق على جسده تماثيل صغيرة واخذ بيده طبلةً فرآه على هذه الحالة رجل سكيثي فمضى ووشى بهِ الى الملك سوليوس . فمضى الملك بنفسهِ الى المكان وحالما راى اناخرسيس مشتغلاً بالعيد رماه بسهم فقتلهُ . وحتى الان اذا ذكر اسم اناخرسيس للسكيثة يتظاهرون بعدم معرفتهِ لانهُ كان قد رحل الى اغريقية واستعمل عوائد اجنبية. وقد سمعت يقال لتمنيس وصيّ اريابيثيس ان اناخرسيس كان عمّ ايدنثيرس ملك السكيثة وانهُ كان ابن غنوروس حفيد ليكوس وابن حفيد سبرغابيثيس . فاذا كان اناخرسيس من هذه العائلة فلا شك ان الذي قتلهُ هو اخوهُ . لان ايدنثيرس ابن سوليوس وسوليوس هو الذي قتل اناخرسيس

❋ ٧٧ ❋ على اني سمعت يقال عنهُ بخلاف ذلك لبعض البيلوبونيسيين

فيقولون ان اناخرسيس ارسلهُ ملك السكيثة الى البلاد الاجنبية فصار تلميذًا للاغارقة ولما رجع الى وطنهِ قال للملك الذي ارسلهُ ان كل شعوب اغريقية يجتهدون في العلوم والفنون الّا اللقدمونيين غير ان هؤلاء فقط يمارسون فن التكلم والاجابة بفطنة واعتدالٍ لكن هذه القصة محض اختراع من الاغارقة . فقد قتل اناخرسيس اذن كما قلنا وجرى عليهِ هذا المصاب لانهُ استعمل عوائد اجنبية وتاجر مع الاغارقة

❊ ٧٨ ❊ وبعد عدة سنين حدث لسكيلاس بن اريابيثيس ملك السكيثة نفس الحادث . كان لاريابيثيس عدة اولاد لكن ولده سكيلاس من امرأة اجنبية من مدينة إسترية فعلمتهُ لغة الاغارقة وفنونهم وبعد زمان قُتل اريابيثيس بخيانة قتلهُ سبرغابيثيس ملك الاغاثيرسة فجلس سكيلاس على سرير الملك وتزوج اوبيا وهي سكيثية وامرأة ابيهِ وكان الملك المتوفَّى قد رزق منها ولدًا اسمهُ اوريكوس ومع ان سكيلاس كان ملك السكيثة كانت عوائد سكيثية لا تعجبهُ مطلقًا وكان يشعر باكثر ميل الى عوائد الاغارقة لانهُ كان قد تربى عليها منذ حداثتهِ . فكانت طريقة سلوكهِ هكذا . كلما كان ياخذ العسكر السكيثي الى مدينة البورستينية التي يقول اهلها انهم متاصلون من ملطية كان يبقيهِ امام المدينة وحالما يدخلها هو كان يامر باغلاق الابواب فيخلع حينئذٍ اللبس السكيثي ويلبس ثوبًا اغريقيًّا وحينما يلبس اللبس المذكور يتمشى في الساحة العمومية بلا حرس في صحبتهِ ولا شخص آخر . وفي ذلك الوقت كانوا يخفرون الابواب لئلا يراه احد السكيثة بهذا اللبس وكان يستعمل عوائد اخرى اغريقية كثيرة وكان يحافظ ايضًا على احتفالاتهم في الضحايا التي كان يقدمها للآلهة وبعد ان يقيم في تلك المدينة شهرًا او اكثر كان يعود الى اللبس السكيثي ويمضي فينضم الى عسكره . وكثيرًا ما كان يعمل نفس هذا العمل وبنى لنفسهِ ايضًا قصرًا في بورستينة وتزوج بها امرأة من اهلها

❊ ٧٩ ❊ فقضى القدر بهلاكهِ بالسبب الآتي ذكره . تمنى سكيلاس ان يشترك في اسرار باخوس فلما شرعوا بالاحتفال وكادوا يسلمون اليهِ الاشياء المقدسة حدثت اعجوبة عظيمة . كان لهُ في بورستينة قصر قد ذكرتهُ آنفًا وكان

بناء عظيمًا فسيح الجوانب حوله تماثيل ابي الهول والعنقاء من الرخام الابيض فرماه الاله بسهامه فاصبح رمادًا فبقي سكيلاس يتم الاحتفال الذي شرع به . والسكيثة يلومون الاغارقة في طريقة التعبيد لباخوس ويظنون انهُ مخالف للعقل تصوّر اله يدفع الناس الى الفواحش فلما اشترك سكيلاس باسرار باخوس مضى رجل بورسثيني سرًا الى عسكر السكيثة وقال لهم انتم تسخرون بنا لاننا في التعبيد لباخوس يكون الاله سائدًا علينا فقد ساد هذا الاله على ملككم ايضًا فان سكيلاس يعيّد لباخوس والاله يقلقهُ ويخلط عقلهُ وان لم تصدقوني فاتبعوني وانا اريكم اياه . فتبعهُ رؤوس الامة فوضعهم البورسثيني سرًا في برج رأوا منهُ سكيلاس مارًّا بموكبه معيدًا لباخوس فحسب السكيثة هذا السلوك شيئًا محزنًا جدًّا للامة فقروا لدى العسكر كل ما رأوا

⁕ ٨٠ ⁕ وبعد ذلك رحل سكيلاس عائدًا الى بلاده فخلعت رعيتهُ طاعتهُ ونصبوا مكانهُ اخاهُ اوكتاماساذس ابن بنت تيراس فلما علم هذا الملك بالثورة وما كان الداعي لها هرب الى ثراقة واذ بلغ الخبر اوكتاماساذس مشى في مقدمة عسكر ولحقهُ الى الملجاءِ فلما وصل الى ضفاف الايستر اتى الثراقيون لملتقاهُ واذ كانوا على وشك اثارة الحرب ارسل سيتلكاس رسولاً لاوكتاماساذس وامرهُ ان يقول لهُ ما الحاجة للواحد والآخر الى محاولة صدفة الحرب انت ابن اختي واخي في قبضتك فاذا رددتهُ اليَّ سلمت اليك سكيلاس ولا نعرض انفسنا لتقادير الحرب . وكان سيتلكاس قد هرب في الواقع لاجئًا الى اوكتاماساذس

فهذا الملك قبل ما عرض عليهِ وسلم خالهُ الى يد سيتلكاس بدلاً عن اخيهِ سكيلاس وحالما صار اخو سيتلكاس في قبضتهِ رجع بجيشهِ وحالما رُدَّ سكيلاس ضرب اوكتاماساذس عنقهُ في نفس المكان. هذا هو التدقيق الباطل عند السكيثة في المحافظة على شرائعهم وعوائدهم والتشديد الذي بهِ يقاصون من يمارس عوائد اجنبية

⁕ ٨١ ⁕ واما كمية سكان سكيثية فقد اخبروني عنها اخبارًا مختلفة ولم اقدر قط ان اعلم شيئًا محققًا فقال لي البعض ان هذه البلاد كثيرة السكان والبعض الآخر اذا لم يحسب غير السكيثة الحقيقيين انها قليلة السكان . ولكن هوذا ما رايت

بنفسي

بين بورستينس وهيبانوس قطر يسمى اكسمبية وقد نوهت عنهُ آنفاً عندما ذكرت النبع الذي مياههُ شديدة المرارة حتى ان مياه هيبانوس الذي يصب فيه ذلك النبع تفسد الى حد انهُ لا يكون شربها ممكناً . وفي هذه البلاد وعاء من نحاس اكبر ست مرات من الجام الموجود في مدخل بحر بنطس الذي وقفهُ هناك بوسانياس بن كليومبروتس وانا اذكر حجمهُ للذين لم يروهُ . هذا الوعاء النحاسي الذي في سكيثية يسع بسهولة ست امفورات وسمكهُ ست اصابع وقال لي اهل البلاد انهُ صُنع من رؤوس السهام وان ملكهم اريانتاس اذ اراد معرفة عدد رعاياه امر كل السكيثة ان كل واحد ياتي براس سهم والذي لا يفعل يقتل فاتوه بكمية عجيبة واستصنع منها هذا الوعاء النحاسي ووقفهُ في المكان المسمى اكسمبية كأثر يبقى بعدهُ لذريتهِ هذا ما علمتهُ من عدد سكان سكيثية

⁂ ٨٢ ⁂ وليس في سكيثية شيء عجيب الاَّ الانهر التي تروبها فهي كبيرة جداً وكثيرة العدد ولكن مع قطع النظر عن انهرها وسهولها الفسيحة يشاهد فيها شيء اخر يستحق الذكر وهو اثر قدم هرقليس على صخرة قرب تيراس وهذا الاثر يشبه اثر قدم رجل لكن طولهُ ذراعان . ولنعد الان الى الموضوع الذي عزمت ان انكلم عنهُ في اول هذا الكتاب

⁂ ٨٣ ⁂ فعمل دارا تجهيزات عظيمة ليزحف على السكيثة . ارسل سعاة الى كل الجهات ليامروا البعض ان يجمعوا عسكراً برّياً والاخرين ان يجهزوا اسطولاً وآخرين ايضاً ان يبنوا جسراً من القوارب على البسفور التراقي . على ان اردوان بن هستاسب واخو دارا لم يكن قط من رايهِ ان الملك يباشر اثارة الحرب في سكيثية واظهر لهُ فقر السكيثة لكن لما رأى ان نصائحهُ على انها حكمية ليس لها اقل تأثير في عنادهِ لم يلح بزيادة. فلما اكملت التجهيزات رحل دارا من سوسن في مقدمة جيشهِ

⁂ ٨٤ ⁂ وحينئذٍ طلب الى دارا رجل فارسي اسمهُ ايوبازوس كان ابناؤه الثلثة في هذه الغزوة ان يبقي عنده واحداً منهم فاجابهُ الملك كما يجيب صديقاً كان طلبهُ بالانصاف انهُ يبقيهم لهُ جميعهم فابتهج الفارسي بهذا الجواب وطابت نفسهُ

يكون اولاده الثانية يؤذن لهم با لبقاء غيران الملك امر رؤساء هذه الغزوة ان يقتلوا كل اولاد ايوبازوس . وبعد قتلهم تركوهم في ذلك الموضع نفسه

❋ ٨٥ ❋ وتوجه دارا من سوسن الى خلكيدونية على البسفور حيث عملوا الجسر فركب السفن واقلع الى جهة جزائر كيانية التي كانت سابقًا سابحة اذا صدق قول الاغارقة . فجلس في الهيكل ومن هناك اخذ يلاحظ بحر بنطس وهو من بين كل البحور البحر الذي يستحق ثناءنا اكثر من غيره طولهُ احد عشر الفًا ومائة استادة وعرضهُ ثلاثة الاف وثلثمائة في اعرض موضع منهُ ومدخل هذا البحر عرضهُ اربع استادات وطولهُ نحو مئة وعشرين استادة . وهذا المختنق اي البوغاز يدعى البسفور وهناك كانوا قد وضعوا الجسر . ويمتد البسفور الى بروبنتيس واما البروبنتيس فعرضهُ خمسمائة استادة وطولهُ الف واربعمائة ويفيض في هلسبنطس الذي لا يكون عرضهُ في اقل موضع عرضًا منهُ الا سبع استادات وطولهُ اربعمائة استادة والهلسبنطس يتصل ببحر فسيح يسمى بحر ايجيوس

❋ ٨٦ ❋ وقد قاسوا هذه الابحر بالطريقة الآتية . في الايام الطويلة تسير السفينة سيرها الكامل نحو سبعين الف اورجية من المسافة وستين الف اورجية ليلاً فمن مدخل بحر بنطس الى نهر فاسس وهو معظم طولهُ مسيرة تسعة ايام وثماني ليال فتكون المسافة الف الف ومائة وعشرة الاف من الاورجيات اي احد عشر الفًا ومئة استادة . ومن سنديكة الى تيمسكيرة الواقعة على نهر ثرمودون وهو معظم عرض بحر بنطس مسيرة ثلاثة ايام وليلتين وذلك عبارة عن مئة وثلاثين الف اورجية اي ثلاثة الاف وثلثمائة استادة . هكذا اخذت مساحة بحر بنطس والبسفور والهلسبنطس وهذه الابحر هي طبعًا كما بينتها وبالوس ميوتيس يفيض في بحر بنطس وهو ليس اصغر من هذا البحر ويسمونهُ بحر بنطس ايضًا «١»

---

١ البسفور اسم بوغازين احدهما بين بحر ازوف والبحر الاسود كان يسمى البسفور القمري وهو بوغاز يكي قلعه الحالي والآخر البسفور التراقي بين البحر الاسود وبحر مرمرا وهو بوغاز القسطنطينية . وجزائر كيانية في البسفور الاخير كان اليونان يزعمون انها تنفصل تارة وتنطبق بعضها على بعض اذا مرّت سفينة بينها ثم بطلت حركتها بعد مرور سفينة

﴿ ٨٧ ﴾ فلما تامل دارا في بحر بنطس رجع في البحر الى جسر القوارب الذي كان مدبرهُ مندروكليس الساموسي وفحص ايضاً البسفور وعلى شاطئ هذا البوغاز اقاموا بامره عمودين من حجر ابيض وحفر على احدهما بالحرف الاشوري وعلى الآخر بالحرف الاغريقي اسماء كل الامم التي كانت من اتباعه فكان معهُ في هذه الحرب كل الشعوب الذين كانوا خاضعين لهُ فكان عدد هذا العسكر سبعمائة الف رجل ومن جملتهم الخيالة فضلاً عن الاسطول الذي كان عدده ستمائة سفينة .

وبعد غزوة الفرس لسكيثية نقل البيزنطيون هذين العمودين الى مدينتهم واستخدموها في هيكل ذيانا الارثوسية الاحجراً واحداً تركوه قرب هيكل باخوس في بيزنطية وهو كلهُ مغشى بالحروف الاشورية ومع ذلك فالموضع من البسفور الذي ألقى فيهِ دارا الجسر هو على ما يظهر لي وعلى مقدار ما اقدر ان اخمن في نصف الطريق من بيزنطية الى الهيكل الذي يرى في مدخل بحر بنطس

﴿ ٨٨ ﴾ واذ ارتضى دارا من هذا الجسر قدم تقدمات نفيسة لمندروكليس الساموسي الذي كان مدبر عملهِ فاستخدم مندروكليس باكورات هذه التقدمات لعمل صورة يتمثل بها جسر البسفور والملك دارا جالساً على عرشهِ يشاهد مرور جيوشهِ وقدم هذه الصورة لهيكل يونون و زاد عليها كتابة هذا منطوقها

" مندروكليس وقف ليونون هذا الاثر شكراً لما صادف من النجاح برضى الملك دارا لعمل جسر على البسفور وبهذا العمل قد نال تمام المجد وجعل اسم

---

الارغونوط . والبروبنتيس بحر مرمرا والهلسبنطس هو بوغاز الدردنيل بين بحر مرمرا وبحر الجيوس الذي هو بحر الارخبيل . وبالوس ميوتيس هو بحر ازوف وهو اصغر من البحر الاسود خلافاً لقول هيرودوتس . وسنديكة قسم من سكيثية واقعة على البحر الاسود تمتد من بوغاز يكي قلعه الى اخاثية الاسيوية . وثيمسكيرة هي مدينة طرمة الحالية في غرب بلاد بنطس على مصب نهر ترمودون وهو نهر صغير يجري في القطر المسمى ببلاد الامازونة ويصب في البحر الاسود *ح* والاستادة التي يريدها المؤرخ في هذا القياس عبارة عن قصبة الاستادة الاولانية كما توهم البعض *ل*

"ساموس وطنهِ خالدًا"

هذا هو الاثر الذي ابقاه مَن ناظر على بناء هذا الجسر

❋ ٨٩ ❋ ولما كافأ دارا مندروكليس مرّ الى اوروبا وكان قد امر اليونان ان يقلعوا في بحر بنطس الى الايسر و يبنوا جسرًا على هذا النهر متى وصلوا اليهِ وينتظروهُ في ذلك الموضع فاليونان والابوليون واهل هلسبنطس كانوا يدلون العسكر البحري على الطريق فاجتاز الاسطول جزائر كيانية واقلع راسًا الى الايسر وبعد ما صعد النهر مدة يومين من البحر الى حيث ينقسم الى عدة فروع في عبارة عن مصبات اجتمع كل العسكر البحري وبنى هناك جسرًا فلما اجتاز دارا البسفور على جسر القوارب سار في طريقهِ من ثراقة ولما بلغ ينابيع تيارس عسكر ثلثة ايام

❋ ٩٠ ❋ فالشعوب الساكنون على ضفتيهِ يزعمون ان مياهه جيدة لشفاء علل كثيرة وعلى الخصوص لشفاء الناس والخيل من الجرب وينابيعهُ تخرج من صخر واحد وعددها ثمانماتة وثلاثون وبعضها حارّ و بعضها بارد وهي على مسافة واحدة من مدينة هيراوم التي هي بقرب يرنثة وابلونية وهي مدينة واقعة على بحر بنطس اي على مسيرة مرحلتين من هذا الموضع ومن ذاك . ويصب نهر تيارس في كنتادسدوس وكنتادسدوس في اغريانيس واغريانيس في هيبر وهيبر في البحر قرب مدينة اينوس

❋ ٩١ ❋ فلما وصل دارا الى ينابيع تيارس جعل هناك معسكرهُ وسرّ جدًّا بمشاهدة ذلك النهر حتى نصب في نفس موضعهِ عمودًا عليهِ هذه الكتابة

« ينابيع تيارس تخرج احسن مياه العالم واجملها . ودارا بن هستاسب احسن « كل الرجال واجملهم ملك الفرس وكل الارض الثابتة لما زحف على السكيثة وصل الى ضفتيهِ »

❋ ٩٢ ❋ ورحل دارا من هناك ليمضي الى نهر آخر يسمى ارتسكوس يخترق بلاد الاودريسة فلما وصل الى ضفتيهِ دلّ جيوشهُ على موضع وامر كل جندي ان يضع حجرًا وهو مارّ فانفذ الامر كل العسكر فابقى دارا في ذلك الموضع

رُدها كبيرة من الحجارة واتمّ السير مع جيوشهِ

✻ ٩٣ ✻ وقبل ان يصل الى الايستر كان الجيتة الذين يقولون عن انفسهم انهم خالدون اول قوم اخضعهم وثراقيو سلميدسّة والذين يقطنون فوق ابلونية ومدينة موسمبرية الذين يسمون سكيرمياذة ونبسية سلموا اليهِ انفسهم بلا حرب ولا اقل مقاومة واما الجيتة فبعناد الحمق دافعوا عن انفسهم لكن في الحال استعبدوا وهولاء الشعوب هم ابسل الثراقية واحدثهم

✻ ٩٤ ✻ والجيتة يعتقدون انهم خالدون ويظنون ان الذي يموت يذهب الى لقاء الههم زلموزيس الذي يعتقد بعضهم انهُ نفس جبيليزيس · وكل خمس سنين ياخذون بالقرعة واحدًا من امتهم ويرسلونهُ باخبارهم الى زلموزيس ويامرونهُ ان يذكر لهُ حوائجهم · وهذه طريقة ارسالهِ . يكلف ثلاثة منهم ان يحمل كل واحد حربة راسها الى الاعلى ويكون آخرون قد امسكوا الذي يراد ارسالهُ الى زلموزيس بيديهِ ورجليهِ فيهزّونهُ ويقذفون بهِ في الهواء بحيث يقع على روءوس الحراب فاذا مات من جراحهِ يعتقدون ان الاله راضٍ عنهم واذا لم يمت ينهونهُ بكونهِ شريرًا . ومتى انتهوا من امر النهمة يرسلون غيره ويامرونهُ ايضًا بتلك الاوامر وهو حيّ . وهولاء الثراقيون انفسهم يرمون سهامًا في الجوّ اذا حدث رعد وبرق كانهم يتهددون الاله الذي يرمي الصواعق وهم متاكدون ان ليس اله الا الذي يعبدونهُ

✻ ٩٥ ✻ ومع ذلك سمعت ما يقال للاغارقة القاطنين هلسبنطس وبنطس ان زلموزيس هذا كان رجلًا وكان في ساموس عبدًا لفيثاغورس بن منيسرخوس وانهُ اعتق فجمع اموالًا وافرة عاد بها الى بلاده فلما شاهد عيشة الثراقيين التعيسة الخشنة وكان قد تعلم عوائد اليونان واخذ عن الاغارقة ولا سيما فيثاغورس وهو احد اشهر فلاسفة اغريقية عادة التعمق في الفكر اكثر من اهل وطنهِ بنى قاعة كان يولم فيها اروءساء امتهِ وفي اثناء الغداء يخبرهم انهُ لا يموت هو ولا المدعوون ولا ذراريهم الى الابد لكنهم يذهبون الى مكان يتمتعون فيهِ الى الابد بكل انواع الخيرات . وبينما كان يعامل هكذا اهل وطنهِ ويحدثهم بمثل هذا

الكلام كان اناس يعلمون له منزلاً تحت الارض . فلما تم هذا المنزل اختفى عن عيون المراقبين ونزل الى ذلك المنزل تحت الارض واقام فيهِ نحو ثلاث سنين فاسفوا عليهِ و بكوه كانهُ مات. وفي السنة الرابعة ظهر وبهذه الحيلة جعلهم يصدقون كل الكلام الذي كلمهم بهِ

❋ ٩٦ ❋ ولست انفي ولا اقبل ما يقال عن زلموزيس ومنزلهِ تحت الارض ولكني اظن انهُ اقدم من فيثاغورس بعدة سنين ومع ذلك سواء كان زلموزيس رجلاً او كان احد معبودات الجيتة فقد كفى ما ذكرنا عنهُ . والجيتة الذين يعلمون ذلك العمل الذي ذكرنهُ لما خضعوا للفرس تبعوا العسكر

❋ ٩٧ ❋ ولما وصل دارا الى ضفاف الايستر مع عسكره البرّي امرهُ ان يمرّ الى الجهة الاخرى من النهر وحينئذٍ امر اليونان ان يقطعوا الجسر وان يصحبوه برّاً مع كل جيوش الاسطول ولكن بينما هم عند الجسر ليقطعوه انفاذاً لاوامره تكلم مع دارا كويس بن اركسندروس الذي كان اميرًا على الميتيلينيين بالكلام الآتي بعدما استأذنهُ بالكلام ليظهر لهُ رايهُ «ايها المولى لكونك قاصداً المحاربة في بلاد ليس «فيها ارض محروثة ولا مدن دع الجسر باقيًا على حالهِ لكن مر فقط الذين بنوه «ان يبقوا عندهُ ليحرسوهُ فبهذه الواسطة سواء وجدنا السكيثة وظفرنا بحسب املنا او لم نقدر ان نجدهم نقدر ان نرجع آمنين . ليس اني اخاف ان يهاجمنا السكيثة «ويكسرونا لكن اخشى اذا لم نجدهم ان يحدث لنا في القفار حادث مكدر وربما «قيل اني اتكلم لاجل نفسي واحب ان ابقى هنا ولكن يا مولاي لكوني اكتفي ان «ابدي لمشورتك الراي الذي اجدهُ اكثر منفعة . انا مستعد ان اتبعك . والنعمة «التي التمسها منك هي ان لا تدعني هنا»

فابتهج دارا بهذا الكلام وقال لهُ . ياضيفي اللسبوسي اذا رجعت بعد غزوتي سالمًا الى مملكتي فاياك ان لا تحضر اليَّ لكي اكافئك كما تستحق لاجل هذه النصيحة التي قدمتها لي

❋ ٩٨ ❋ فلما تكلم هكذا عقد في سير ستين عقدة واستدعى ملوك اليونان وكلمهم بهذا الكلام ايها اليونان قد غيرت رايي بخصوص الجسر خذوا هذا

السير واجتهدوا ان تتمموا اوامري متى رأيتموني مضيت الى سكيثية فابتدئوا ان تحلوا كل يوم عقدة من هذه العقد فاذا لم ارجع بعد ان تحلوها جميعًا تعودون الى وطنكم ولكن حيث غيرت رايي فاحرسوا الجسر الى ذلك الوقت ولا تهملوا شيئًا من جهة المدافعة عنهُ ومن جهة حفظهِ وبذلك يكون لكم معي خدمة جوهرية . ولما تكلم دارا هكذا تقدم

❊ ٩٩ ❊ وثراقة امامها القسم من سكيثية الذي ينتهي الى البحر وفي الموضع الذي فيهِ ينتهي خليج ثراقة اول سكيثية والايستر يخترق قسمًا منها و يصب في البحر من جهة الجنوب الشرقي

وانا اذكر ما يكون بعد الايستر ومساحة القسم من سكيثية الذي هو وراء هذا النهر من جهة البحر . ان سكيثية القديمة واقعة في جهة الجنوب الى مدينة كركينيتس والبلاد فيما وراء هذه المدينة باتجاه الى نفس ذلك البحر هي جبلية وسكانها الامة التوريدية الممتدة الى مدينة خرسونيسة الثراخية وهذه المدينة هي على شاطئ البحر الذي في الشرق فيكون لسكيثية قسمان من التخوم يحد الاول منهما تلي مثال اتيكة البحر الذي الى الجنوب والثاني البحر الذي الى الشرق. فالتوريديون هم بالنسبة الى هذا القسم من سكيثية في نفس المركز الذي يكون بالنسبة الى الاثينيين لشعب آخر موطنة طرف راس سونيوم الذي يمتد من قرية ثوريكة الى قرية انافليستة ويتقدم كثيرًا في البحر . هكذا هو موقع توريدة اذا صح ان تشبه الاشياء الصغيرة بالكبيرة . ولكن لاجل الذين لم يجتازوا قط سواحل هذا القسم من اتيكة انا اوضح ذلك بطريقة اخرى . فليفرض ان امة غير امة اليابيجة ساكنة في راس يابيجية ابتداء من فرضة برنتيسيوم ومنقطعة او منفصلة من ذلك الموضع الى تارنتوم ومع ذلك فبذكر هذين الراسين كاني اتكلم عن عدة رؤوس اخرى على مثالها تشبهها توريدة

❊ ١٠٠ ❊ ووراء توريدة يوجد السكيثة الذين يسكنون البلاد التي فوق التوريديين التي تمتد الى جهة البحر الذي الى الشرق وكذلك سواحل البسفور القمري الغربية وبالوس ميوتيس الى تنايس وهو النهر الذي يصب في

جون من بالوس المذكور فاذا ابتدأنا من الايستر وصعدنا في وسط الارض يكون حد سكيثية اولاً بلاد الاغاثيرسة ثم بلاد النوريدة ثالثاً بلاد الاندروفاجة واخيراً بلاد الميلنخلينة

❋ ١٠١ ❋ وسكيثية مثلثة الزوايا واثنان من سواحلها يمتدان على طول البحر فالمسافة التي هي فيها في وسط الارض مساوية تماماً لمسافتها على طول السواحل فيكون من الايستر الى البورسثينس مسيرة عشر مراحل ومن البورسثينس الى بالوس ميوتيس عشر ايضاً ومن البحر بالصعود الى في وسط الارض الى بلاد الميلنخلينة الذين يسكنون فوق السكيثة مسيرة عشرين يوماً وفي حسابي ان مسيرة كل مرحلة مئتا استادة فتكون مساحة سكيثية مسيرتار بعة الاف استادة على طول السواحل واربعة الاف ايضاً اذا مشينا راساً في وسط الارض . هذه هي مساحة هذه البلاد

❋ ١٠٢ ❋ ووجد السكيثة بالتبصر انهم لايقدرون بمجرد قواهم ان يغلبوا في الحرب بالاصطفاف عسكراً عديداً كعسكر دارا فارسلوا وفداً الى جيرانهم فاجتمع ملوك تلك الامم وتشاوروا في شان هذا العسكر الذي اتى ليكتسح سكيثية وهولاء الملوك كانوا ملوك النوريدين والاغاثيرسة والنوريدية والاندروفاجة والميلنخلينة والجيلونة والبودينة والسوروماتة

❋ ١٠٣ ❋ والذين من هولاء الامم يسمون توريدين لهم عادات خاصة . يذبحون لابفجينية «١» على الطريقة التي اذكرها الغرباء الذين يقعون على سواحلهم وكل الاغارقة الذين يتزاولونها من البحر ويقعون في ايديهم . وبعد القيام بالاعمال المالوفة عندهم يصرعونهم بضرب النبابيت على روءوسهم ويقول البعض انهم يقطعون روءوسهم بعد ذلك ويعلقونها على الصليب ويطرحون الاجساد

١ هي بنت الملك اغاممنون اراد ان يقدمها ذبيحة لديانا اجابة لطلب هذه المعبودة لكنها رضيت عنها بعد ان سلمها ابوها الى الامراء المتحدين ليذبحوها وقدمت عوضها غزالة ونقلت الاميرة الى توريدة وجعلتها كاهنة لها ❋ ح ❋

من فوق الصخر المبني عليهِ الهيكل

والبعض يعترفون بما يعمل بالرؤوس لكنهم يؤكدون انهم يدفنون الاجساد ولا يطرحونها من اعلى الصخر . والتوريديون انفسهم يقولون ان الالهة التي يقدمون لها هذه الذبائح هي افيجينية بنت اغامنون . واما من جهة اعدائهم فاذا اسر التوريدي رجلاً في الحرب يقطع راسهُ ويحملهُ الى بيتهِ ثم يضعهُ في طرف عصا ويجعلها فوق بيتهِ وعلى الخصوص فوق مكان الموقد هكذا يقطعون رؤوس اسراهم لكي يحرس الراس كل البيت ويحميهِ على زعمهم ويعيشون من الغنيمة التي يغتنمونها في الحرب

✻ ١٠٤ ✻ والاغاثيرسة يلبسون في اكثر الاوقات حليًا ذهبية وهم اشد الناس تخنثًا والنساء بينهم مشتركات حتى يكون الجميع متحدين بصلة الرحم وبناء عليهِ لا يحسبون الاَّ عائلة واحدة لا يكونون موضعًا للبغضاء ولا الحسد . واما بقية عوائدهم فهي تطابق كثيرًا عادات التراقيين

✻ ١٠٥ ✻ والنوريدية يحافظون على نفس عادات السكيثة . وقبل غزوة دارا بجيل اجبروا على الخروج من بلادهم بسبب كمية من الحيات ظهرت فيها وقد اتى عدد وافر منها ايضًا من القفار التي فوقهم فاصيبوا بها كثيرًا حتى هجروا وطنهم ومضوا الى البودينة

ويظهر ان هؤلاء الشعب سحرة وعلى قول السكيثة والاغارقة المقيمين في سكيثية ان كل نوريدي ينقلب ذئبًا مرة في السنة ويبقى كذلك اياماً ثم يعود الى صورتهِ الاولى وكثيرًا ما يقول السكيثة هذا لكني لا اصدق مثل هذه الحكايات لا لكونهم لا يؤكدون هذا حتى انهم يحلفون على صحتهِ «١»

✻ ١٠٦ ✻ وليس من الناس من لهم عوائد اكثر وحشية من

١ النوريدية هم قوم سكيثيون يلبسون في اشتداد البرد جبة مصنوعة من جلد ذئب فاذا صار البرد معتدلاً يطرحونها . هذا هو السرّ الذي لم ينتبه اليهِ هيرودوتس فظن ان المراد بهذه الكناية آية سحرية يستحيل بها القوم الى ذئاب . وقد مرّ بهِ مثل هذا الوهم في الكلام عن الايجيبوذة اي الذين لهم ارجل كارجل المعزى . راجع الفقرة ٢٠ ✻ ل ح ✻

الاندروفاجة ( آكلة الناس ) لا يعرفون شريعة ولا عدلاً وهم رحال وثيابهم تشبه ثياب السكيثة ولكن لهم لغة خاصة وبين كل الشعوب التي ذكرتها هم وحدهم يأكلون لحم البشر

﴿ ١٠٧ ﴾ والميلخلينة يلبسون كلهم ثياباً سوداً ومن ذلك اسمهم ويتعودون عوائد السكيثة واصطلاحاتهم

﴿ ١٠٨ ﴾ والبودينة عبارة عن امة كبيرة عديدة يزرّقون اجسادهم كلها بالازرق والاحمر وفي بلادهم مدينة مبنية كلها بالخشب ويقال لها جيلونوس واسوارها كلها من الخشب وهي عالية ومساحتها من كل وجه ثلاثون اسنادة طولاً . وبيوتهم وهياكلهم من الخشب ايضاً وفي هذه البلاد ايضاً هياكل على اسم معبودات الاغارقة وهي مبنية على الطرز الاغريقي ومزينة بالتماثيل والمذابح والمعابد الخشبية وكل ثلاث سنوات يحتفلون باعياد باخوس ومن هذا يعلم ان اهل جيلونوس اصلهم من الاغارقة . كانوا قد طردوا من المدن التجارية «١» فاقاموا في بلاد البودينة ولغتهم خليط من الاغريقية والسكيثية

﴿ ١٠٩ ﴾ وليس البودينة كالجيلونيين في لغتهم ولا طريقة المعيشة وهم اصليون في بلادهم رُحل وهم وحدهم في تلك الاقطار يأكلون القمل والبراغيث ونحوها وبعكس ذلك الجيلونة فانهم يحرثون الارض ويعيشون من القمح ولهم بساتين ولا يشبهون البودينة لا في هيئة الوجه ولا في اللون والاغارقة لا يفرقون بينهم واسم الجيلونة عندهم يراد به البودينة لكنهم في غلط من هذا الوجه

وبلادهم كلها مكسوة بالاشجار من كل نوع وفي القطر الذي لا يوجد فيه شجر توجد بحيرة كبيرة فسيحة ومستنقع تحدق به القصباء ومن هذه البحيرة يصطادون ثعلب الماء وكلب الماء وغير حيوانات مربعة الخراطيم . ومن جلودها تصنع طرازات للثياب وخصيها نافعة جداً للامراض الموروثة

﴿ ١١٠ ﴾ واما السورومانة فهوذا ما يقال عنهم لما حارب الاغارقة

---

١ المراد بالمدن التجارية التي على شاطئ بحر بنطس ومدينة بورسنينة ايضاً * ل *

الامازونة «١» اللواتي يسمين السكيثة آيو رباطة وهو اسم جملة الاغارقة في لغتهم اندروكتونة (اي الذين يقتلون البشر) لان آيور باللغة السكيثية معناه رجل وباطا معناه قتل . قلنا لما حاربهن الاغارقة واستظهروا عليهن على ضفاف ترمودون قيل انهم جلبوا معهم في ثلاث سفن كل اللواتي قدروا ان يأسروهن فلما حصلوا في وسط البحر هجمت الامازونة على الاغارقة وفتكن بهم فتكًا ذريعًا لكن لكونهن لا يعرفن تسيير السفن ولا استخدام الدفة ولا القلوع والمجاذيف فبعد ان قتلن الرجال سلمن بانفسهن الى تسيير الامواج والرياح فوصلن الى كرمنة على بالوس ميوتيس . وكرمنة هي من بلاد السكيثة الاحرار فلما نزلت الامازونة من السفن في ذلك الموضع تقدمن في وسط الارض المأهولة واستولين على اول اصطبل وجد في طريقهن وركبن الخيل ونهبن بلاد السكيثة

✻ ١١١ ✻ ولم يكن السكيثة يقدرون ان يعرفوا من هولاء الاعداء ولم يعرفوا لغتهن ولا لباسهن ولا من اي امة هن وتعجبهم منهن لم يعرفوا من اين اتين واخذ عوا بمناسبة قدودهن فظنوهن اولًا رجالًا وبناء على ذلك حاربوهن لكنهم عرفوا من القتلى بعد المعركة انهن نساء فعقدوا مجلسًا وتشاوروا فعزموا ان لا يقتلوا واحدة منهن بعد ذلك بل ان يرسلوا لهن من فتيانهم عددًا وافرًا ليجعلوا معسكرهم بقرب الامازونة ويعملوا كما يرونهن يعملن لعلهم يعرفوا شيئًا من حالهن وان لا يحاربوهن ولو هاجمنهم بل يهربوا ثم يرجعوا متقربين الى معسكرهن بعد رجوعهن عن ملاحقتهم هكذا عزم السكيثة لانهم ارادوا ان يكون لهم اولاد من اولئك النساء المتمردات

✻ ١١٢ ✻ فاتبع الفتيان هذه الاوامر فلما عرفت الامازونات انهم لم ياتوا ليلحقوا بهن اذية تركنهم باطمئنان وكان كل من المعسكرين يدنو من الآخر كل يوم اكثر فاكثر ولم يكن مع فتيان السكيثة الا سلاحهم وخيلهم على صفة الامازونات

١ هولاء النساء امة قائمة براسها وقد صح خبرها بشهادة كثيرين من المؤلفين الكبار اثبتوا ان هرقليس غزا الامازونة وغنم وشاح ملكتهم واتى به الى اغريقية

وكانوا يعيشون نظيرهن من الصيد وما يقدرون ان يغنموه

❋ ١١٣ ❋ وبعد الظهر كانت الامازونات ينعدون عن المعسكر واحدة واحدة او اثنتين اثنتين انضاء الحاجات الطبيعية . وشعر السكيثة منهن بذلك ففعلوا فعلهنّ . وتقدم احدهم من واحدة منهنّ قد انفردت فلم تصدّهُ بل مختلة مرغوبه واذ لم تكن تعرف لغته قالت له بالاشارة ان يعود ثاني يوم الى ذلك المكان وبصحبته واحدٌ من رفاقه وانها تعود ايضاً ومعها واحدة من رفيقاتها . فعاد الفتى السكيثي الى المعسكر وحكى ما جرى له وثاني يوم رجع مع سكيثي آخر الى نفس المكان فوجد الامازونة في انتظاره ومعها واحدة اخرى

❋ ١١٤ ❋ ولما علم الفتيان الآخرون بذلك الفوا بقية الامازونات ثم انضم العسكران واقام الجميع معاً واتخذ كل من السكيثيين امرأة له الامازونة التي حظي بها اولاً . ولم يستطع الفتيان ان يتعلموا لغة صواحبهم لكن الامازونات تعلمن لغة ازواجهن فلما ابتدأوا يفهمون كلٌّ كلام الاخر كلمهن السكيثة بهذا الكلام

«لنا اقارب وارزاق فلنعش عيشة اخرى وننضم الى بقية السكيثة ونعش معهم «ولا يكون لنا نساء غيركن» فاجابهم الامازونة هكذا «لا نستطيع ان نعيش مع «نساء بلادكم لان عاداتهن لا تشبه عوائدنا في شيء نحن نرمي بالقسيّ ونطلق «المزاريق ونركب الخيل ولم نتعلم قط الاعمال المختصة بجنسنا ونساؤكم لا يعملن «شيئاً مما ذكرنا ولا يعملن الاّ اعمال النساء فلا يتركن عجلاتهن «٢» ولا يذهبن الى «الصيد ولا الى مكان آخر خارج البلاد فلا يمكن مطلقاً ان نكون في اتفاق «معهن لكن اذا شئتم ان تتخذونا زوجات لكم وتظهروا لنا العدل فامضوا الى «اباءكم واطلبوا انصباءكم من الارزاق ثم عودوا الينا بها ونعيش عيشة مستقلة»

---

٢ لان العجلات كانت مثل البيوت للنساء ومعلوم ان نساء الاغارقة قلما كنَّ يخرجن من عجلاتهن. لكن يخشى هنا ان يكون هيرودوتس قد نسب الى نساء السكيثة عادات نساء الاغارقة ❋ ل ❋

❋ ١١٥ ❋ فقنع الفتيان السكيثيون وفعلوا ما اشتهت نساؤهم ولما حصلوا على انصبائهم من املاك آبائهم وعادوا اليهن قلن لهم بعد ان حرمناكم آباءكم وافسدنا في بلادكم صرنا نخشى سوء العواقب اذا بقينا في هذه البلاد ولكن اذ اردتم ان تتخذونا نساء لكم فلنخرج جميعًا باتفاق عام فنمضي ونقيم وراء تنايس

❋ ١١٦ ❋ فارتضى السكيثة بذلك وعبروا تنايس واذ مشوا ثلاثة ايام شرقًا ومثلها من بالوس ميوتيس الى جهة الشمال وصلوا الى البلاد التي هي مواطنهم الى الان واقاموا بها ومن ذلك حصل ان نساء السورومانة بقين محافظات على عاداتهن القديمة يركبن الخيل ويذهبن الى الصيد تارة وحدهن وتارة مع ازواجهن ويصحبنهم ايضًا الى الحرب ويلبسن لباسهم

❋ ١١٧ ❋ والسورومانة يتكلمون باللغة السكيثية لكن من الاصل لم يتكلموا بها محضة لان الامازونات لم يتعلمنها كما هي تمامًا . واما مسألة الزواج فقد جعلوا لها قانونًا بموجبه لا تستطيع فتاة ان تتزوج ما لم تكن قد قتلت عدوًّا ولذلك يكون بينهم من لا تقدر ان تقتل احد الاعداء فتبقى غير متزوجة الى ان تموت وقد شاخت

❋ ١١٨ ❋ فلما قُبِل وفد السكيثة في جمعية ملوك الامم التي ذكرناها اعلموا اولئك الملوك ان دارا بعد ان اخضع الاخضاع التام البرّ الاخر ( آسيا ) اجتاز الى ارضهم على جسر من القوارب امر بانشائه في اضيق موضع من البسفور وانه بعد ذلك اخضع التراقيين وعبر الايستر على جسر بقصد ان يستولي على بلادهم . قالوا ولم يكن من العدل انكم بلزومكم الحيادة تتركوننا نهلك باغضائكم عنا فلنزحف اذن باتفاق على العدو الذي اتى يكتسح وطننا فاذا رددتمونا وجدنا انفسنا متضايقين هجرنا البلاد واذا بقينا فيها فيكون بقاؤنا بموجب الشروط التي يضعها علينا الفرس لانه هل من واسطة اخرى لنا اذا لم تسعفونا ولا تقولوا بانفسكم انكم تكونون آمنين مما يصيبنا وانكم اذ تسرون باستعبادنا لا تكونون تحت طائلة الفرس فان غزوتهم تصيبكم كما تصيبنا وهوذا برهان لا يمكنكم ان تنقضوه لو لم يكن للفرس مقصد الا اخذ الثار لكوننا استعبدناهم سابقًا لكانوا اكتفوا بان يزحفوا علينا

بدون ان يحاربوا الشعوب الاخرى وبذلك يكونون قد اظهروا لكل الناس انهم لا يطلبون الاّ السكيثة لكنهم حالما دخلوا هذا البرّ اوجبوا الطاعة على كل الشعوب التي وجدت في طريقهم وقد اخضعوا التراقيين والجينة جيراننا

❋ ١١٩ ❋ فلما انتهى وفد السكيثة من كلامهم تشاور الملوك في امرهم فاختلفت الآراء فان ملوك الجيلونة والبودينة والسورومانة اتفقوا على ان وعدوا السكيثة بالنجدة واما ملوك الاغاثيرسة والتوريدة والاندروفاجة والملنخلينة والنوريدة فاجابوهم هكذا لو لم تبدأوا الفرس بالحرب اعتداء لوجدنا طلبكم الينا عدلاً وانصافاً وكان اهتمامنا بكم يلزمنا ان نسعى مسعاكم ولكنكم اكتسحتم بلادهم بدون مشاركتنا وابقيتموهم في الاستعباد الى ما شاء الاله . واليوم اذ كان هذا الاله قد حثّ الفرس عليكم فيجازونكم باعمالكم واما نحن فلم نسيء اليهم اولاً فلا نكون اليوم اول المعتدين ومع ذلك اذا اتوا واكتسحوا بلادنا وبدأونا بالخصومة فنعرف كيف ندفعهم ولكن حتى ذلك الوقت نبقى ساكنين لانهٔ يظهر لنا ان الفرس لا يقصدون غيركم لانكم بدأتموهم بالاساءة

❋ ١٢٠ ولما علم السكيثة بتقرير وفدهم انهٔ لا يصح لهم الاستناد على نجدة الملوك المجاورين لهم عزموا ان لا يلقوا حرباً مع الفرس ولا ان يهاجموهم علناً بل ان يتركوا البلاد شيئاً فشيئاً متقدمين الى الداخلية ويعطلوا الآبار والعيون التي يجدونها على طريقهم ويتلفوا الكلأ ولاجل هذا عزموا ان ينقسموا قسمين واتفقوا ايضاً على ان السورومانة يتجهون الى بلاد سكوباسيس فاذا اتجه الفرس الى تلك الجهة يرتحلون بالتدريج الى جهة تنايس على طول بالوس ميوتيس ومتى عاد الاعداء على اعقابهم ياخذون في لحاقهم هذه كانت طريقة الدفاع التي عزم على سلوكها ذلك القسم من السكيثة الملكيين

واما القسمان الاخران من السكيثة الملكيين فقد صار الاتفاق على ان الاكبر منهما الذي ملكهٔ ايدنثيرس ينضم الى الثالث الذي ملكهٔ تكساسيس وان كليهما ينضم الى الجيلونة والبودينة ويكون الجميع سابقين للفرس بمرحلة ويرتحلون شيئاً فشيئاً فاعلين ما صار عليهِ الاتفاق في المجلس وعلى الخصوص ان يجرّوا الاعداء راساً الى

بلاد الذين امتنعوا عن الاتحاد معهم حتى يضطروهم الى حرب الفرس ويجبروهم على حمل السلاح رغماً عنهم اذ لم يشاؤوا ان يحاربوا عن طيب خاطر . وان السكيثة المذكورين يعودون على الاثر الى بلادهم ويهاجمون العدو ايضاً اذا ظهر لهم بعد المشاورة ان هذا الراي صواب

☀ ١٢١ ☀ فلما عزم السكيثة هذا العزم تقدموا للقاء دارا وارسلوا امامهم سعاة من نخبة الخيالة وكانوا قد قدموا امامهم عجلاتهم التي كانت بمثابة بيوت نسائهم واولادهم وامروهم ان يتقدموا دائماً نحو الشمال وكانت بصحبة هذه العجلات المواشي وكانوا لا ياخذون منها الاّ مقدار ما يحتاجون اليه للمعيشة

☀ ١٢٢ ☀ وبينما العجلات تتقدم الى الشمال اكتشف السعاة الفرس على مسافة نحو ثلاثة ايام من الايستر واذ كانوا لا يبعدون عنهم الاّ مسيرة يوم واحد عسكروا في ذلك المكان واتلفوا كل غلال الارض وحالما رآهم الفرس تبعوهم في انهزامهم ثم تقدموا راساً الى قسم من اقسام السكيثة الملكيين الثلاثة وتبعوهم شرقاً الى تنايس فعبر السكيثة النهر وعبر وراءهم الفرس واستمروا في لحاقهم حتى اجتازوا بلاد السورومانة ووصلوا الى بلاد البودينة

☀ ١٢٣ ☀ ولم يقدر الفرس ان يعيثوا في شيء كل تلك المدة التي قضوها في سكيثية وبلاد السورومانة لان اهل البلاد كانوا قد اتلفوا كل ما كان في اراضيهم ولكن لما دخلوا بلاد البودينة وجدوا مدينة جيلونوس وكانت مبنية بالخشب وكانت خالية خاوية لان اهلها كانوا قد اخذوا كل ما كان فيها فاطلقوا فيها النار ثم تقدموا يقتفون اثر الاعداء واخيرًا بعد ان اجتازوا بلاد البودينة وصلوا الى بادية وراء تلك الامة ولم يجدوا هناك انساناً وكانت مسافة تلك البادية سبعة ايام وفوقها موقع بلاد الثيساجيثة التي يخرج منها اربعة انهر كبار وهي ليكوس وواروس وتنايس وسيرجيس وتصب في بالوس ميوتيس بعد ان تروي بلاد الميوتة

☀ ١٢٤ ☀ فلما وصل دارا الى تلك البادية وقف على ضفة واروس ونزل هناك بجيشه ثم امر ببناء ثمانية صروح كبيرة يبعد الواحد عن الآخر نحو ستين

استادة خربانها باقية حتى الان . وبينما هو مشتغل بهذه الاعمال دار السكيثة الذين كان يلحقهم من اعلى البلاد وعادوا الى سكيثية. واذ كانوا قد اختفوا كل الاختفاء ولم يظهروا بعد ذلك ابقى تلك الصروح غير متممة وتوجه نحو الغرب وهو متحقق ان هؤلاء السكيثة عبارة عن كل الامة وانهم نجوا من تلك الناحية واذا كان يقطع المراحل الكبيرة وصل الى سكيثية حين التقى بالفرقتين من السكيثة وحالما وجدهم شبع اثارهم لكنهم كانوا يجتهدون ان يبقوا دائمًا على مسافة مرحلة منه

﴿ ١٢٥ ﴾ فكانوا يهربون بحسب الاتفاق الذي جرى بينهم الى جهة الشعوب الذين امتنعوا عن الاتحاد معهم وكان دارا مستمرًّا في تتبعهم فدخلوا اولاً بلاد الملنخلينة فارتاعوا عندما شاهدوهم وشاهدوا الفرس . ومن هناك استجروا الفرس الى الاندروفاجة وهناك القوا الرعب والاضطراب فمضوا امامهم الى النوريدة فارتاعوا ايضًا ثم لجأوا الى بلاد الاغاثيرسة . لكن هؤلاء لما راوا جيرانهم يهربون مذعورين ارسلوا رسولاً الى السكيثة قبل ان يطأوا بلادهم لكي يمنعهم من الدخول ويتهددهم بانتشاب الحرب اذا اقبلوا . وبعد هذا الوعيد نقل الاغاثيرسة قواهم الى الحدود لكي يصدوهم عنها

فالملنخلينة والاندروفاجة والنوريدة لما راوا السكيثة والفرس قد هجموا على بلادهم لم يهتموا بدفعهم عنها بل استولى عليهم الرعب عند مشاهدتهم ونسوا توعداتهم وانهزموا في القفار الى جهة الشمال واما السكيثة فاذ منعهم الاغاثيرسة من دخول بلادهم لم يحاولوا دخولها ولكن بعد خروجهم من نوريدة دخلوا وطنهم فتبعهم الفرس الى هناك

﴿ ١٢٦ ﴾ واذ شعر دارا ان السكيثة ينهجون دائمًا منهجًا واحدًا في هربهم ارسل الى ملكهم ايدنثيرس فارسًا يقول له هكذا . يا اشقى الناس لماذا لا تزال تنهزم وانت قادر ان تقف وتحاربني اذا كنت تظن في نفسك الكفاية للثبات امامي واما اذا كنت تعلم نفسك ضعيفًا فكف عن الهرب امامي وادخل مع سيدك في المخابرة واياك ان لا تاتيه بالماء والتراب عربونًا للخضوع

﴿ ١٢٧ ﴾ فاجاب ايدنثيرس قائلاً ياملك الفرس . ها هي حالة اشغالي

ليس الخوف الذي الجأني الى الهرب والآن لست انهزم منك ولست افعل الآن الاّ ما كنت افعل في زمان السلم ولكن انا اخبرك لماذا لم احاربك في الحال فلكوننا لانخشى ان توخذ لنا مدن اذ ليس لنا مدن ولا ان يقع افساد في ارضنا لاننا لم نزرعها فليس لنا من داعٍ لنسرع الى الحرب ومع ذلك فاذا رايت ان تضطرنا حتماً الى الحرب في اقرب وقت فعندنا قبور ابائنا فامض اليها وحاول ان تخربها وحينئذٍ تعرف هل نقعد عن الحرب لحمايتها فلسنا ندخل معك في حرب ما لم يضطرنا اليها داعٍ كافٍ . وهذا القدر كفاية بخصوص الحرب واما قولك سيدي فلست اعلم لي سيداً الاّ جوبيتر احد اجدادي وفستا ملكة السكيثة وعوض الماء والتراب ارسل اليك هدايا اكثر موافقة واما انت الذي تتباهى بكونك سيدي فعليك انت ان تبكي . هذا هو جواب السكيثة الذي حمله الرسول الى دارا

۞ ١٢٨ ۞ وبمجرد ذكر الاستعباد غضب ملوك السكيثة جداً وارسلوا السكيثة الذين ملكهم سكوباسيس وبصحبتهم السور ومائة الذين كانوا يخدمون معهم ليذهبوا ويخابروا اليونان الذين عهد اليهم بالقيام على حراسة جسر الايستر واما السكيثة الذين بقوا في البلاد فعزموا ان لا يلازموا الفرس الى التجول من جهة الى اخرى بل ان يدهموهم كلما جلسوا لتناول الطعام . وبناء على ذلك ترقبوا وقت تناولهم الغداء وتمموا ما اتفقوا عليه فيما بينهم . وفي تلك المهاجمات كانت فرسان السكيثة تهزم فرسان الفرس لكن هوءلاء كانوا ينعطفون على المشاة فكانوا يحسنون المدافعة فهكذا حينما كان السكيثة يهزمون فرسان الفرس كان خوف المشاة يلزمهم ان يتقهقروا ايضاً . ثم كانوا يهجمون عليهم في الليل ايضاً

۞ ١٢٩ ۞ وامر عجيب ان نهيق الحمير ومنظر البغال ما ينفع الفرس ويضر السكيثة عند هجومهم على معسكر دارا وفي الواقع انه لا يولد في سكيثية حمير ولا بغال كما ذكرت آنفاً حتى انه لا يرى فيها شيء من ذلك في كل البلاد لسبب البرد فكانت الحمير بنهيقها ترعب فرسان السكيثة وكان يحدث غالباً ان الفرسان يكونون سائرين للهجوم لكن في اثناء ذلك اذا سمعت الخيل صوت الحمير نصبت اذانها تعجباً وتراجعت مضطربة لانها ما كانت متعودة سماع تلك الاصوات

ولا روية الحمير. لكن هذا النفع كان قليلاً

❊ ١٣٠ ❊ وشعر السكيثة باضطراب الفرس فلجأوا الى الحيلة الاتية لكي يقوهم مدة طويلة في سكيثية و يعذبوهم بشدة الفاقة في كل الاحتياجات فتركوا لهم بعض مواشيهم ورعاتها وارتحلوا الى ناحية اخرى فانقض الفرس على تلك المواشي وانتهبوها

❊ ١٣١ ❊ فتشجعوا بهذا الفوز الاول ونالوه بعد ذلك عدة مرار غير ان دارا وجد نفسه اخيرًا في اشد الاحتياج وعلم بذلك ملوك السكيثة فارسلوا اليه رسولاً ومعهُ هدايا وهي طائر وجرذ وضفدعة وخمسة اسهم فسال الفرس الرسول عن معنى هذه الهدايا فاجاب انه كلّف بتقدمتها فقط والرجوع على الاثر على ان ينصحهم ان يجتهدوا بتاويل معناها اذا كانوا اصحاب حذق

❊ ١٣٢ ❊ فعقد مجلس بهذا الشان فزعم دارا ان السكيثة يقدمون له ترابًا وماء علامة خضوعهم وكان تخمينه هذا مبناء على ان الجرذ يتولد من التراب ويقتات بالقمح كالانسان وان الضفدعة تتولد من المياه وان الطائر له علاقة كثيرة مع الفرس وان السكيثة بتقديمهم الاسهم يعنون بذلك تقديم قواهم له . هذا كان راي دارا . لكن غبرياس احد السبعة الذين خلعوا المجوسي ارتأى رايًا اخر فقال لهم ايها الفرس معنى هذه الهدايا انكم اذا لم تطيروا في الهواء كالطيور او اذا لم تختبئوا في الارض كالجرذان او اذا لم تقفزوا في المناقع كالضفادع فلستم ترون وطنكم الى الابد بل تهلكون بهذه السهام . هكذا اوّل الفرس معنى تلك الهدايا

❊ ١٣٣ ❊ والجماعة من السكيثة الذين عهدت اليهم قبلاً حراسة نواحي بالوس ميوتيس ثم ورد اليهم الامر بان يرتحلوا الى ضفاف الايستر ايكلموا اليونان فحالا وصلوا الى الجسر الذي القاه اليونان على النهر كلموهم هكذا ايها اليونان قد اتيناكم ببشارة الحرية لكن على فرض ان تريدوا سمع كلامنا فقد علمنا بالحقيقة ان دارا اقامكم على حراسة هذا الجسر ستين يومًا فقط فاذا لم يرجع في هذه المدة تكونون احرارًا بان ترحلوا الى اوطانكم فاذا اجريتم هذا الامر لا يكون له سبيل للامكم فلكونكم بقيتم هذا العدد المفروض من الايام فلماذا لا ترجعون الى

بلادكم فوعدهم اليونان انهم يفعلون ذلك فرجع السكيثة بسرعة

❊ ١٢٤ ❊ وبعد ارسال الهدايا اصطفت بقية السكيثة للحرب في وجه الفرس المشاة والفرسان كانهم على اهبة القتال ولكن بينما هم مصطفون هكذا للحرب ظهرت ارنب بين الجيشين فحالما راوها لحقوها وهم يصرخون صراخًا شديدًا فسأل دارا ما سبب هذه الضجة فلما اخبروه ان السكيثة يركضون وراء الارنب قال لجماعة من الفرس كان من عادته ان يتحدث معهم ان هوءلاء الناس يحتقروننا كثيرًا والتاويل الذي اولهُ غبرياس عن هداياهم يظهر لي الان صحيحًا ولكون رايهِ يظهر لي صوابًا اظن انهُ يلزم لنا مشورة حسنة لنخرج سالمين من هذه الورطة فاجاب غبرياس وقال يا مولاي ما كنت اعرف فقر هولاء الشعوب الا بما شاع عنهم من الاخبار ولكن منذ وصولنا قد عرفتهُ بزيادة اذ رايت باي كيفية يهزأون بنا ولذلك ارى انهُ اذا دخل الليل تضرم نارًا كبيرة في المعسكر حسب عادتنا وبعد ان نتخذ حيلة الخداع نلزم القسم من العسكر الذين هم اقل احتمالاً المشاق ان يبقوا هنا وبعد ان نربط هنا كل الحمير نرحل قبل ان يمضي السكيثة راسًا الى الايستر ليقطعوا الجسر وقبل ان يعزم اليونان العزم الذي بهِ يكون هلاكنا

❊ ١٢٥ ❊ فاتبع دارا مشورة غبرياس وحالما دخل الليل ترك في المعسكر المرضى ومعهم من لاتهمهُ هلاكهم كثيرًا وامر ايضًا بربط الحمير لكي يبقى نهيقها مسموعًا واما الرجال فابقاهم بحجة المحافظة على العسكر بينما يمضي هو ونخبة جيوشهِ ليكبس الاعداء بنفسهِ لكن الحق انهُ ابقاهم لانهم كانوا ضعفاء او مرضى فلما اقنع اولئك المساكين امر باضرام النيران ومشى بسرعة شديدة الى جهة الايستر ولما رات الحمير نفسها في مثل خلوة جعلت تنهق باشد من السابق فلما سمع السكيثة اصواتها ظنوا ان الفرس باقون في المعسكر

❊ ١٢٦ ❊ ولما طلع النهار رات الجماعة التي تركها دارا انها انخدعت فلاذوا بالسكيثة واخبروهم عن كل ما يمكن ان ينفعهم من حالتهم فللحال انضم بسرعة القسمان من السكيثة الى القسم الثالث وتبادروا وراء الفرس راسًا الى الايستر ومعهم السوروماتة والبودينة والجيلونة ولكون اعظم سواد الفرس كان من المشاة

ولم يكونوا يعرفون الطرقات لانهم لم يروا منها ما هو مطروق وكان السكيثة بعكس ذلك راكبين و يعرفون اقصر الطرق ما امكن ان يتلاقوا فوصل السكيثة الى جسر الايستر قبل الفرس بمدة طويلة واذ علموا انهم لم يصلوا قبلهم كلموا اليونان الذين كانوا في سفنهم قائلين

ايها اليونان ان الاجل الذي ضرب لكم قد انقضى وليس لكم وجه للبقاء اكثر منه فاذا كنتم قد مكثتم هنا الى الان بسبب الخوف فاقطعوا الجسر الآن وانصرفوا حالاً وافرحوا باطلاق سبيلكم واشكروا لاجل ذلك الآلهة والسكيثة واما الذي كان سابقًا سيدكم فاننا سنعامله معاملة لا يعود بعدها الى محاربة احد

❊ ١٣٧ ❊ فجرت المخابرة بهذا الشان فارتأى ملتياذس الاثيني الذي كان قائدًا و واليًا على خرسونيسة والهلسبنطس ان يتبعوا مشورة السكيثة ويطلق سبيل اليونان واما هستيوس والي ملطية فعارضهُ واظهر لهم انهم لا يحكمون في مدنهم الا لاجل دارا فاذا سقطت دولة هذا الملك يفقدون سطوتهم وانهُ هو نفسهُ لا يقدر ان يحفظ سلطتهُ في ملطية ولا الاخرون في ولاياتهم لان المدن جميعها تختار حكم الامة على الملكية . فكل الذين كانوا اولاً من راي ملتياذس عادوا حالاً الى راي هستيوس

❊ ١٣٨ ❊ فالذين كانوا من هذا الرأي كانوا اصحاب مكانة عند الملك وبين ولاة الهلسبنطس كان دفنيس الابدوسي وايبوكلوس اللمساخي وهيروفنتس الباريوني ومترودورس البروكونيسي وارستاغوراس الكيزيكي وارستون البيزنطي وولاة يونيا كانوا ستراتيس الساقصي وإياكيس الساموسي وميوداماس الفوقي وهستيوس الملطي الذي كان رأيهُ مخالفًا لراي ملتياذس وارستاغوراس الكيمي كان الرجل الوحيد العظيم في ذلك المجلس من جهة الايوليين

❊ ١٣٩ ❊ وصوب راي هستيوس وزيد عليهِ انهم يقطعون على مرمى سهم طرف الجسر من جهة سكيثية لكي يظهروا للسكيثة انهم يقصدون على نوع ما شكر صنيعهم مع انهم في الباطن غير قاصدين ذلك وايضًا خوفًا من ان السكيثة

يعبرون الايستر على الجسر رغماً عنهم وارتأوا ايضاً ان يرسلوا و يقولوا لهم انهم يقصدون بقطع طرف الجسر المتصل ببلادهم ان يرضوهم الارضاء التام . و بعد ذلك اجاب هستيوس السكيثة بلسان المجلس قائلاً ايها السكيثة ان في نصيحتكم السلامة وانكم تحثوننا في انسب الاوقات وكونكم ترشدوننا الى السبيل القويم الذي يجب ان نسلكه سنريكم اننا مستعدون لاجابتكم فنحن نقطع الجسر كما ترون ونجتهد كل الاجتهاد للرجوع الى حريتنا واما انتم فيوافق ان تمضوا وتبحثوا عن الفرس بينما نحن نشتغل في هدم الجسر وبعد ان تجدوهم تاخذون بثارنا منهم وثاركم ايضاً كما ترون موافقاً

❋ ١٤٠ ❋ فوثق السكيثة ثانية بكلام اليونان وعادوا على اعقابهم ليبحثوا عن الفرس لكنهم سلكوا طريقاً اخر فلم يصادفوهم وكان الخطا منهم لانهم اتلفوا العلف وعطلوا الينابيع من هذه الجهة ولولا هذا العيث لكان سهل عليهم ان يلتقوا بالفرس اذا ارادوا فالمنهج الذي ظنوه اوفق لهم اولاً كان حينئذٍ الواسطة لحبط مسعاهم فبحثوا عن الاعداء في اقطار سكيثية التي يوجد فيها ماء وعلف للخيل متاكدين انهم يهربون من تلك الجهة لكن الفرس سلكوا الطريق القديمة التي كانوا قد راقبوها ومع ذلك قاسوا المشقات حتى وصلوا الى المكان الذي يعبرون منه النهر. فلما وصلوا اليه ليلاً ووجدوا الجسر مقطوعاً خافوا ان يكون اليونان قد تركوهم

❋ ١٤١ ❋ وكان في جيش دارا رجل مصري جهير الصوت جداً فامره ان يقف على ضفة الايستر وينادي هستيوس الملطي فاول ما نادى المصري هيأ هستيوس السفن في الحال حتى يعبر بها العسكر واصلح الجسر

❋ ١٤٢ ❋ فبهذه الواسطة نجا الفرس والسكيثة الذين كانوا يبحثون عنهم ضلوا عنهم ثانية وبهذه المناسبة يقول السكيثة عن اليونان انهم اذا اعتبروا احراراً يكونون احقر الخلق واخسهم نفساً واذا نظر اليهم في حالة العبودية يكونون اشد العبيد تمسكاً بمواليهم واقلهم اهلية للفرار هذا هو الطعن الذي يطعنه السكيثة في اليونان

❊ ١٤٣ ❊ واجتاز دارا ثراقة و وصل الى سستوس في خرسونيسة فنزل من السفن ليمرّ الى اسيا وسمى ميغابيس الفارسي المولد قائدًا عامًا للجيوش التي ابقاها في اوروبا والكلام الذي قاله هذا الملك يومًا في حضرة كل ارباب الدولة كان فيه تشريف عظيم لهذا القائد فانه كان يومًا عازمًا ان يأكل رمانًا فاول ما كسر رمانة سالهُ اخوه اردوان اي شيء يشتهي ان يكون له بعدد حب تلك الرمانة فاجابهُ دارا انه يتمنى ان يكون عنده بعدد الحبوب رجال مثل ميغابيس وهو افضل عنده من ان تكون كل اغريقية تحت طاعتهِ . هذه هي الشهادة المشرفة التي شهدها له هذا الملك بين الفرس ولكن حينئذٍ اظهر له دلائل ثقتهِ فيهِ اذ ابقاه في اوروبا وتحت امرتهِ ثمانون الف رجل

❊ ١٤٤ ❊ و بكلمة واحدة من ميغابيس هذا جعل ذكره خالدًا بين سكان هلسبنطس . فانهُ لما كان في بيزنطية علم ان الخلكيدونيين بنوا مدينتهم قبل ان اسس البيزنطيون مدينتهم بسبع عشرة سنة وعند ذلك قال انهم كانوا حينئذٍ عميانًا بلا شك واولا ذلك لما اختاروا لمدينتهم مركزًا مكروهًا مع انهُ يوجد مركز احسن منهُ . وهذا القائد اخضع بالجيوش التي ابقاها معهُ دارا كل شعوب الهلسبنطس الذين لم يكونوا اصدقاء للماديين

❊ ١٤٥ ❊ وفي نحو ذلك الزمان حدثت غزوة عظيمة في ليبيا ساذكر سببها لكن من المناسب قبل ذلك ان اذكر بعض حوادث لازمة لتنهيدها جدًا

لما طرد البلاسجيون ذرية الارغونوط من جزيرة لمنوس وكانوا قد سبوا من برورون النساء الاثينيات اقلع نسل الارغونوط الى لقدمونية ونزلوا على جبل تايجتس واضرموا هناك نارًا . واذ راهم اللقدمونيون ارسلوا يسالونهم من هم ومن اين اتوا فاجابوا انهم مينيون وانهم سلالة اولئك الابطال الذين سافروا في السفينة المساة ارغو ونزلوا في جزيرة لمنوس وهناك تناسلوا منهم فلهذا الخبر عن اصل المينيين ارسل اللقدمونيون ثانية يسالونهم لاي مقصد قدموا بلادهم ولاي سبب اضرموا نارًا . فاجاب المينيون ان البلاسجيين طردوهم فاتوا الى ابائهم كما هو

العدل وانهم يلتمسون من اللقدمونيين ان يقبلوهم عندهم وان يجعلوا لهم نصيباً لا من ارضهم فقط بل ايضاً من مراتب الدولة وتشريفاتها . فكان راي اللقدمونيين ان يقبلوهم على شروط يعرضونها عليهم والذي اثبت عزمهم في ذلك خصوصاً هو ان التنداريوس (كستور ورولكس) كانا من جملة الغزاة الارغونوط . فقبلوا اذن المنيين واعطوهم اراضي وفرقوهم بين اسباطهم فتزوجوا حالاً و زوجوا بغيرهم النساء اللواتي اتوا بهن من لمنوس

❊ ١٤٦ ❊ وبعد زمان قصير اظهر المنيون وقاحتهم بغتةً بكونهم ارادوا المشاركة في السلطة وعملوا اعمالاً اخرى مخالفة للشرائع فعزم اللقدمونيون ان يهلكوهم و بناء عليهِ قُبض عليهم وسجنوا . والاعدام في لقدمونية يجري ليلاً ولا يكون نهاراً على الاطلاق . فحينما كانوا على وشك قتلهم طلبت نساؤهم وكنّ اسبرطيات وبنات وجهاء المدينة الاذن بدخول السجن ليكلمن ازواجهن . واذ لم يتهمن بحيلة ما اعطين الاذن فحالما دخلن خلعن ثيابهن واعطينها لرجالهنّ ولبسن ثيابهم فلما اخذ المينيون ثياب نسائهم خرجوا بموافقة هذا التنكر واذ نجوا بهذه الطريقة رجعوا الى جبل تايجيتس

❊ ١٤٧ ❊ ونحو ذلك الزمان خرج ثيراس من لقدمونية لينشئ مستعمرة وكان ابو اوتيسيون ابن تيساميس حفيد ثرسندروس وابن حفيد بولينيكوس . وكان من سلالة قدموس خال اوستينس وبروكليس وكلاهما ابناء ارستوذيموس . ولما كانا في سن الصباء اقيم في قصرهما وكيلاً للملكة ولكن لما كبرا حكما بانفسهما فحزن ثيراس بانقياده الى الطاعة بعد ان ذاق حلاوة الامر فاعلن انهُ لا يقيم في لقدمونية وانهُ يركب البحر ليلحق باقاربهِ

وكانت ذرية ممبلياريس بن فوقيلس الفينيقي نازلة في الجزيرة التي يقال لها الان ثيرا وكان اسمها سابقاً كالستي وكان قدموس بن اجينور قد نزل هذه الجزيرة وهو يفتش على اوروبة فاما لكون البلاد اعجبته او لسبب اخر ابقى

جماعة من الفينيقيين مع ممبلياريس احد اقاربه فسكنوها مدة ثمانية اجيال «١» قبل ان اتى ثيراس من لقدمونية الى هذه الجزيرة المعروفة حينئذٍ باسم كالستي

✻ ١٤٨ ✻ ورحل ثيراس من اسبرطة الى تلك الجزيرة ومعهُ جم غفير من اللقدمونيين أُخرجوا من الاسباط وما كان قصده ان يطرد منها سكانها الاولين بل ان يقيم معهم باتمّ الاتحاد . وكان اللقدمونيون لم يزالوا مصرّين على اهلاك المينيين وقد نجوا من السجن واقاموا في جبل تايجيتس . فشفع فيهم ثيراس وعهد على نفسهِ ان يخرجهم من البلاد فنالت شفاعته فركب ثلاث سفن كل منها ذات ثلاثين مجذافًا واقلع بها ومضى الى موضع ذرية ممبلياريس ولم يستصحب من المينيين الا عددًا قليلاً والآخرون الذين هم اوفر عددًا طردوا البارورياتة والكوكونة من بلادهم وانقسموا الى ست فرق وبنوا هناك ست مدن وهي لبريوم وماكستوس وفريزس وبيرغوس وابيوم ونوديوم واكثرها خربها الايليون في زماني واما جزيرة كالستي فدعيت ثيرا باسم منشئها

✻ ١٤٩ ✻ ولما ابى ابن ثيراس ان يركب الجرمعة قال ثيراس انهُ يتركهُ كالنعجة بين الذئاب وعلى ذلك سمي ذلك الشاب ابوليكوس «٢» فغلب على اسمهِ السابق . وولد لابوليكوس ولد سمي ايجيوس والايجيدة الذين هم سبط كبير في اسبرطة مسمون باسمهِ والذين منهم راوا انهم لا يعيش لهم اولاد بنوا بناء على جواب الكهانة هيكلاً لغورية لايوس واوذيبوس «٣» ومنذ ذلك الزمان لم يعودوا يفقدون اولادهم ومثل هذا الشي حدث في ثيرا الذريتهم

---

١ اكثر المترجمين يطلقون الجيل على القرن الذي هو عبارة عن مئة سنة في اصطلاح المورخين حقيقة واما الجيل فلا يصح ان يقال عن القرن بل على زمان يمضي على جماعة من الناس من حين مولدهم الى حين وفاتهم . هذا هو اصطلاح العرب الصحيح ✻ ح ✻

٢ كلمة يونانية مركبة من لفظين معناهما نعجة وذئب ✻ ل ✻

٣ الغورية في الميتولوجيا معبودات الغضب ولايوس هو ملك طيبة واوذيبوس ولدهُ كان لايوس قد انبئ ان ابنهُ يقتلهُ فاقصاه الى جبل ليهلك وهو طفل فنجا بطريقة ليس هنا محل ذكرها واتفق انهُ قتل اباه في معركة وهو لا يعرفهُ ✻ ح ✻

❊ ١٥٠ ❊ الى هنا يوافق اللقدمونيون اهل ثيرا ولكن هولاء وحدهم يذكرون ما يلي كما انا اذكره الان · ان غرينوس بن ايسانوس من سلالة ثيراس المذكور وملك جزيرة ثيرا مضى الى دلفي ليقدم ضحية من مئة حيوان وكان بصحبته كثيرون من اهل هذه الجزيرة ومن جملتهم باطوس بن بوليمنسوس من سلالة اوفيموس احد المينيين فاستشار هذا الملك الكهانة على شيء ما فاجابته الكاهنة ان يبني مدينة في ليبيا فاجاب غرينوس وقال ايها الملك ابلون اني شيخ مثخن بثقل الاعوام فكلف بهذا العمل احد هولاء الشبان الذين اتوا معي . قال هذا واشار الى باطوس . فلما رجع الثيريون الى جزيرتهم لم يلتفتوا الى جواب الكهانة لانهم لا يعلمون اين هي ليبيا ولا تجاسروا ان يرسلوا مستعمرة في مثل هذا الشك

❊ ١٥١ ❊ وبعد ذلك مضت سبع سنوات ولم يقع مطر في ثيرا فتلفت كل الاشجار من اليبس الا واحدة فاستشار اهل ثيرا الكهانة فلامتهم الكاهنة على عدم ارسالهم مستعمرة الى ليبيا كما امرتهم واذ لم يجدوا علاجاً لعلتهم ارسلوا وفداً الى كريت ليستعلموا هل احد الكريتيين او الغرباء مسافر الى ليبيا . فطاف الوفد الجزيرة واذ وصلوا الى مدينة ايتانوس تعرّفوا برجل صباغ ارجوان اسمه كوروبيوس فقال لهم انه ساقته ريح شديدة الى جزيرة بلاتية في ليبيا فاعطوه جائزة عزم بها على مرافقتهم الى ثيرا . فلم يرسلوا اولاً الا عدداً قليلاً من الاهالي ليفحصوا الامكنة وكان كوروبيوس دليلهم فلما وصلوا الى جزيرة بلاتية ابقوه هناك وجعلوا عنده كمية من الزاد تكفي بضعة اشهر وركبوا البحر واتوا بسرعة وحكوا لاهل ثيرا بشان تلك الجزيرة

❊ ١٥٢ ❊ واذ غابوا اكثر من الوقت المتفق عليه ضاقت الحال بكوروبيوس جداً لكن وصل الى بلاتية مركب من ساموس كان ذاهباً الى مصر ورئيسه اسمه كولاوس فعلم الساموسيون من كوروبيوس الحال التي هو فيها فابقوا عنده زاداً يكفي سنة واذ كانوا في شوق شديد الى بلوغ مصر اقلعوا بريح شرقية واذ لم تنقطع الريح المذكورة مروا باعمدة هرقليس ووصلوا الى ترتسوس بتدبير احد الالهة واذ كانت تلك الفرضة الى ذلك الوقت لم تطرق قط توفق لهم ان

نالوا من الفائدة في بضائعهم ما لم ينلهُ اغريقيٌّ ممن نعرف الا اذا استثنينا سوستراتس الايجيني ابن بوذاماس الذي لا يشبه بهِ احد . فافرز الساموسيون عشر وزنات كانت عشر كسبهم وعملوا منها وعاء من نحاس على شكل جام ارغولي تشاهد حولهُ رؤوس عنقاوات الواحد مقابل الاخر وجعلوه تقدمة لهيكل يونون (في ساموس) وهو محمول على ثلثة تماثيل ضخمة من النحاس طول الواحد منها سبع اذرع جاثية على ركبها . فعمل كولاوس كان اصل المحبة العظيمة التي عقدها القيروانيون والثيريون مع الساموسيين

❊ ١٥٣ ❊ ولما ترك الثيريون كوروبيوس في الجزيرة وعادوا الى ثيرا قالوا انهم شرعوا في بناء مسكن في جزيرة متصلة بليبيا فحينئذٍ عزموا ان يرسل رجال من كل النواحي وكان عددها سبعًا وتلقى القرعة بين الاخوة ويكون باطوس زعيماً لهم وملكًا . وبناء على ذلك ارسلوا الى بلاتية سفينتين الواحدة ذات خمسين مجذافًا هذه هي الكيفية التي بها يذكر الثيريون هذه القصة

❊ ١٥٤ ❊ والقيروانيون يوافقونهم في كل شيء الا في ما يختص بباطوس فانهم يذكرون الخبر على هذه الكيفية كان ايتيرخوس ملك مدينة اكسوس في كريت قد فقد امرأتهُ ولهُ منها بنت اسمها فرونيمي . وتزوج امرأة اخرى اظهرت من اعمالها حال دخولها بيتهُ انها رديئة جدًّا فانها لم تدع شيئًا مما تصورت للاساءة الى الاميرة الاعلنة ثم اتهمتها انها بذلت نفسها لرجل واتصل الامر الى ان جعلت زوجها يصدق كلامها

فلما قنع ايتيرخوس بكلام امرأتهِ عمل مع ابنتهِ افظع الاعمال . فانهُ كان في اكسوس حينئذٍ تاجر من ثيرا اسمهُ ثيميسيون فدعا بهِ هذا الملك واحسن ضيافتهُ حتى جعلهُ يعدهُ بقسم انهُ يساعدهُ في كل شيء يحتاج بهِ اليهِ . ولما اقسم لهُ سلم اليهِ ابنتهُ وقال لهُ ان ياخذها ويطرحها في البحر . فاغتاظ ثيميسيون لكونهِ الزمهُ ان يقسم ليخدع فرفض صداقة ايتيرخوس . واقلع بالاميرة ولما صار في عرض البحر ربطها بحبال ولكي يبر بقسمهِ ادلاها الى البحر ثم اخرجها واخذها الى جزيرة ثيرا

❊ ١٥٥ ❊ ...

وفي زمان معلوم اولدها ولدًا كان يفتم ويلثغ ودُعي هذا الولد باطوس على قول القيروانيين والثيريين ولكن اظن انهُ سمي باسم آخر وبعد وصولهِ الى ليبيا لقب بذلك اما لسبب الجواب الذي ورد اليهِ من كهانة دلفي واما بالنسبة الى مرتبتهِ لان باطوس معناه ملك بلغة الليبيين ولهذا السبب على ما اري اذ عرفت الكاهنة انهُ سيملك في ليبيا سمتهُ في جوابها باسم ليبي . والخلاصة انهُ لما بلغ مبلغ الرجال ذهب الى دلفي ليستشير الكهانة لاجل ما في لسانهِ من اللكنة فاجابتهُ الكاهنة قائلة . يا باطوس انت آتٍ الى هنا لاجل مسالة صوتك لكن ابلون يامرك ان تنشيء مستعمرة في ليبيا الكثيرة الحيوانات الصوفية . وذلك كانها قالت لهُ باللسان الاغريقي يا ملك انت آتٍ لاجل مسالة لسانك فاجاب باطوس وقال . ايها الملك انيت استشيرك بما في لساني من اللكنة لكنك تامرني بامور مستحيلة بارسالك اياي لا نشيء مستعمرة في ليبيا فباي جيش وباي قوة يمكنني ان اقوم بهذا العمل . فمع ان في كلامهِ حقًا لم يقدر ان يلزم الكاهنة ان تكلمهُ بخلاف ذلك . فاذ راى ان الكهانة مصرة على جوابها رحل من دلفي وعاد الى ثيرا

﴿ ١٥٦ ﴾ ولكن بعد ذلك جرت عليهِ وبلات كثيرة وعلى سائر اهل الجزيرة ايضًا واذ كانوا يجهلون سببها ارسلوا الى دلفي يستشيرون الكهانة بشان مصائبهم الحالية فاجابتهم الكاهنة ان حالهم تحسن اذا انشأوا هم وباطوس مدينة القيروان في ليبيا فلاجل هذا الجواب ارسلوا باطوس بسفينتين كل منهما ذات خمسين مجذافًا والجأت باطوس ورفاقهُ الضرورة ان يقلعوا الى ليبيا ولكنهم رجعوا الى جزيرة ثيرا فهجم عليهم الثيريون عندما ارادوا ان ينزلوا الى البرّ ولم يسمحوا لهم ان يخرجوا وامروهم ان يعودوا الى المكان الذي جاءوا منهُ فاضطروا ان يذعنوا وعادوا في طريقهم واقاموا في جزيرة متصلة بليبيا وهذه الجزيرة اسمها بلاتية كما سبق القول . ويقال بتاكيد انها كبيرة بمقدار مدينة القيروانيين الحالية

﴿ ١٥٧ ﴾ ومكث الثيريون سنتين في جزيرة بلاتية لكن لكونهم لم ينجحوا في كل شيء ابقوا فيها واحدًا منهم وارتحل الاخرون بحرًا ليمضوا الى دلفي فلما بلغوها قالوا للكاهنة انهم اقاموا في ليبيا ومع ذلك لم يجدوا حظًا احسن فقالت لهم

الكاهنة اجبني حذقك لم تكن قط في ليبيا وتدعي انك تعرف تلك البلاد اكثر مني انا الذي كنت فيها فبهذا الجواب رجع باطوس مع تبعته لان الاله لم يكن يعفيهم من المستعمرة الا ان يكونوا في نفس ليبيا فلما رجعوا الى بلاتية اخذوا الذي ابقوه منهم هناك واقاموا في ليبيا تجاه الجزيرة في ازيريس وهو موضع بهج محاط من جهتيه بتلال ظريفة تكسوها الاشجار ومن جهة اخرى بروية نهر

❋ ١٥٨ ❋ فمكثوا ست سنوات في أزيريس ولكن في السابعة وجدوا من اللزوم ان يخرجوا من هناك بشدة الحاحات الليبيين وعلى وعد منهم ان ياخذوهم الى صقع احسن . ولما اخرجهم الليبيون من ذلك المقام ساروا بهم غرباً واذ خشوا اذا مروا باجمل مواضع البلاد ان الاغارقة يشعرون بذلك عدّلوا مسيرهم اتم تعديل في مدة النهار حتى اجتازوها بهم ليلاً . وهذه البلاد الجميلة تسمى ايراسا . فلما اوصلوهم الى عين يزعمون انها مخصوصة بابلون قالوا لهم ايها الاغارقة ان مناسبة المكان تدعوكم ان تعينوا هنا منزلكم فالسماء هنا مفتوحة لتعطيكم الامطار التي تجعل اراضيكم خصبة

❋ ١٥٩ ❋ فعلى عهد باطوس المؤسس الذي استمر ملكه اربعين سنة وعهد ابنه اركيسيلاس الذي ملك ست عشرة سنة لم يجد القيروانيون انفسهم اكثر عدداً مما كانوا في اول زمان المستعمرة ولكن على عهد باطوس ملكهم الثالث الملقب بالسعيد حثت الكاهنة بكهانتها كل الاغارقة على ركوب البحر ليذهبوا الى ليبيا مع القيروانيين وقد كانوا يدعونهم ليقاسموهم بلادهم وهذا كان منطوق تلك الكهانة . الذي لا يمضي الى ليبيا الخصبة الا بعد قسمة الاراضي سيكون له يوماً داعٍ للندم . فلما مضى الاغارقة بكثرة الى القيروان استولوا على قطر عظيم واذ راى جيرانهم الليبيون وملكهم ادبكران ان القيروانيين اساءوا اليهم وسلبوا اراضيهم لجأوا الى ابرياس ملك مصر وادّوا له الطاعة فارسل ذلك الملك الى القيروان قوات عظيمة . فاصطف القيروانيون للحرب في إيراسا وقرب عين تستي وقاتلوهم وهزموهم ولم يكن المصريون قبل ذلك قد جربوا انفسهم بالحرب مع الاغارقة فاحتقروهم ولكنهم هزموا اقبح هزيمة حتى لم يرجع منهم الى مصر الا شرذمة قليلة ولهذا السبب

غضب الشعب غضبًا شديدًا على ابرياس حتى خلعوا الطاعة

❋ ١٦٠ ❋ وملك بعد باطوس ابنهُ اركيسيلاس وبعد جلوسهِ على السرير حدث اختلاف بينهُ وبين اخوتهِ لكنهم اخيرًا أُخرجوا من البلاد ومضوا الى قطر آخر من ليبيا وتشاوروا فيما بينهم في ما يفعلون فبنوا مدينة سموها برقة وهو اسمها الان وبينما كانوا مشتغلين في بنائها اثاروا الليبيين على القيروانيين فزحف اركيسيلاس على العصاة وعلى من اتبعهم من الليبيين فالليبيون الذين كانوا يخشون جانبهُ هربوا الى الليبيين الشرقيين فتبعهم اركيسيلاس وادركهم في لوكون من ليبيا فعزموا على قتالهِ فانتشبت الحرب وكان الظفر ظاهرًا من جهتهم جدًّا حتى قتلوا من القيروانيين سبعمائة رجل كماة . وبعد هذا الفشل مرض اركيسيلاس واخذ علاجًا فخنقهُ اخوهُ ليارخوس غير ان اريكسو استعانت بالحيلة واهلكت قاتل زوجها

❋ ١٦١ ❋ فخلفهُ ابنهُ باطوس وكان اعرج فلم يكن يثبت على قدميهِ وحزن القيروانيون جدًّا بما خسروا فارسلوا الى ذلفي يسالون الوحي اي نوع من الحكومة يجب ان يتخذوا ليكونوا اسعد حظًا فامرتهم الكاهنة ان يستحضروا من منتيني في اركاديا احدًا ليقيم بينهم السلم والاتفاق فابدى القيروانيون طلبهم لاهل منتيني فقدموا لهم رجلًا من احسن رجال مدينتهم اسمهُ ديمونفس فمضى معهم الى القيروان ولما علم بحالة الامور قسم القيروانيين الى ثلاثة اسباط احدهم يشمل الثيريين وجيرانهم والثاني البيلوبونيسيين والكريتيين والثالث كل لاهل الجزائر ثم ابقوا حصة باطوس قطعًا من الاراضي مع وظيفة التضحية واعيد الى الشعب سائر الامتيازات التي تمتع بها الملوك الى ذلك العهد

❋ ١٦٢ ❋ وهذه التنظيمات ثبتت في ايام باطوس ولكن في ايام ابنهِ حدثت اضطرابات عظيمة بسبب مقامات الشرف وفي الواقع ان اركيسيلاس بن باطوس الاعرج من فريتيمة اعلن انهُ لا يطيق ان شرائع ديمونفس تثبت زمانًا اطول وطلب ارجاع الامتيازات التي تمتع بها اجداده . فاحدث اركيسيلاس بهذا المعنى اضطرابًا ولكن لم ينل حزبهُ الفوز فهرب الى ساموس وامهُ فريتيمة الى سلامين في قبرص

وكان حاكم سلامين اذ ذاك اقلتون الذي وقف لذلفي مجمرة جميلة جدًا توجد في خزينة القرنثيين فلما وصلت فريتيمة الى بلاط اقلتون طلبت اليهِ جيوشًا لتعود الى القيروان هي وابنها ولكن هذا الملك اعطاها عن طيب خاطر اشياء اخرى غير الجيش فقبلت فريتيمة تلك التحف واستحسنتها جدًا لكنها قالت انهُ يكون اشرف لها ان تعطى جيشًا واذ كانت تجيب نفس الجواب عند كل هدية اعطاها اقلتون اخيرًا مغزلاً من ذهب وعرناسًا قد لُفَّ عليهِ صوف وارسل يقول لها ان النساء يُهدَين مثل هذه الهدايا ولا يعطَين جيشًا

✲ ١٦٣ ✲ وفي تلك المدة كان اركيسيلاس يلقي الامل بقسمة الاراضي فجمع في ساموس حيث كان جيشًا كثيفًا فلما تم انتظام الجيش ذهب الى دلفي ليستشير الوحي بشان رجوعه فاجابته الكاهنة ان ابلون يمنح عائلتك السيادة على القيروان في زمان اربعة اسمهم باطوس واربعة اسمهم اركيسيلاس اي مدة ثمانية اجيال ولكن ينصحك ان لا تحاول اكثر من ذلك . واما انت يا اركيسيلاس فيشير عليك ان تبقى ساكنًا متى رجعت الى وطنك فاذا وجدت اتونًا مملوءًا اوعية خزفية فاحذر ان تشويها بل ضعها في الهواء فاذا اوقدت النار في الاتون فلا تدخل المكان المحدقة بهِ المياه والاَّ هلكت انت واحسن ثيرانك

✲ ١٦٤ ✲ فرجع اركيسيلاس الى القيروان بالجيوش التي جمعها في ساموس فلما عاد اليهِ ملكهُ لم يكترث بالوحي فرفع الدعوى الى الذين ثاروا بهِ واجبروهُ على الهرب فالبعض أُخرجوا من وطنهم على ان لا يرجعوا اليهِ وآخرون قُبض عليهم وارسلوا الى قبرص ليعاقبوا بالموت ولكن الكنيذيين الذين نزلوا عندهم خلصوهم وارسلوهم الى جزيرة ثيرا . وآخرون لجأُوا الى برج كبير كان يخص رجلاً ممتازًا اسمهُ اغلوماكوس . فجمع اركيسيلاس الحطب حول البرج واضرم فيهِ النار واحرقهُ . فلما تم هذا الذنب عرف معنى النبوَّة وقد كانت منعتهُ بلسان الكاهنة ان يشوي الاوعية الخزفية التي يجدها في الاتون . فخاف ان يقتل بحسب انذار الوحي فهرب من القيروان عن طيب خاطر متوهمًا ان تلك المدينة هي المكان المحدقة بهِ المياه من كل جهة الذي حذَّرتهُ الكاهنة من الاقامة فيهِ . وكان قد

تزوج احدى قريباته وهي بنت آلازير ملك البرقيين فلجأ الى ذلك الملك ولكن البرقيين وبعض الهاربين من القيروان رأوهُ في الساحة العمومية فقتلوهُ وقتلوا معهُ حماهُ آلازير. فهكذا قضى اركيسيلاس اجلهُ وهلك لانهُ عصى الوحي بارادتهِ او بغير ارادتهِ

※ ١٦٥ ※ وبينما اركيسيلاس يسعى في برقة الى حتفهِ كانت امهُ فريتيمة في القيروان متمتعة بتشريفات ولدها ومن جملة الامتيازات انها كانت تشهد المخابرات في المجلس ولكن حالما علمت انهُ قتل في تلك المدينة هربت الى مصر لان اركيسيلاس كان قبلاً قد خدم قمبيز بن قورش خدمة بان سلم اليهِ القيروان وادّى اليهِ الجزية. فلما وصلت الى هذه البلاد التمست من ارياندأس ان ياخذ لها بالثار محتجة ان ابنها لم يقتل الاّ لانهُ كان يميل الى حزب المادبين

※ ١٦٦ ※ وكان قمبيز قد اقام ارياندأس واليًا في مصر وبعد ذلك عوقب بالقتل لانهُ اراد ان يجعل نفسهُ في مقام دارا تقريبًا وذلك انهُ كان قد علم ورأى بنفسهِ ان هذا الملك يتمنى ان يبقي اثرًا لملكهِ بعض امور لم تفعلها الملوك الاخرون. فنهج منهجهُ حتى لقي اخيرًا الجزاء الذي كان يستحقهُ

كان دارا قد ضرب نقودًا من انقى الذهب فضرب ايضًا ارياندأس والي مصر نقودًا من فضة سميت ارياندأسية وهي الى الان تحسب انها من الفضة الطاهرة الى الغاية فعلم بذلك دارا فاتهمهُ بالعصيان واماتهُ بهذه الحجة

※ ١٦٧ ※ ورقَّ ارياندأس لحال فريتيمة فاعطاها عسكرًا مؤلفًا من كل قوات مصر البرية والبحرية وكانت جيوش البرّ تحت امرة عمسيس وكان مرافيًا وجيوش البحر تحت امرة بدراس وهو باسغردي الاصل لكن قبل ان ارحلها ارسل رسولاً الى برقة ليستعلم عن الذي قتل اركيسيلاس فالبرقيون القوا على انفسهم كلهم مسئولية هذا القتل لان ذلك الملك كان قد اساء اليهم كثيرًا. فبناء على هذا الجواب ارسل ارياندأس العسكر مع فريتيمة

※ ١٦٨ ※ فهذا السبب كان الحجة التي كان يطلبها ارياندأس ليزين غزوتهُ التي قام بها على الليبيين وكان قصده على ما ارى ان يستعبدهم. وفي ليبيا

امم كثيرة مختلفة وكان القليلون منهم خاضعين للملك واكثرهم لم يكونوا يحسبون لدارا حساباً · وهذا هو الترتيب القائمة به شعوب ليبيا ابتداء من مصر فاول شعب نجدهُ هم الاديرماخيدة ولهم تقريباً عادات المصريين لكنهم يلبسون كسائر الليبيين ونساؤهم يلبسن في كل رجل حلقة من نحاس ويتركن شعرهن فاذا لذعتهن قملة ياخذنها ويعضضنها ثم يرمينها وهؤلاء القوم هم وحدهم من الليبيين الذين لهم هذه العادة وهم وحدهم ايضاً الذين يقدمون بناتهم للملك عند ما يريدون تزويجهن فالتي تعجبهُ لا ترجع الا اذا تمتع بها . وهذه الامة منتشرة من مصر الى الفرضة المساة بلونوس

❊ ١٦٩ ❊ ويتصل بالاديرماخيدة الجيليغامة وهم يسكنون البلاد التي الى جهة الغرب الى جزيرة افروديسياس وفي تلك الفسحة جزيرة بلانية حيث ارسل القيروانيون مستعمرة وازيريس التي اقاموا فيها ايضاً في البرّ وكذلك فرضة منلاس ومن هناك يبتدئ وجود الانجذان والبلاد التي ينبت فيها هذا النبت تمتد من جزيرة بلانية الى فم السيرتة وعادات هؤلاء الشعوب هي تقريباً كعادات الشعوب الاخرى

❊ ١٧٠ ❊ ويلاصق الجيليغامة الاسبيستة من جهة الغرب مواطنهم البلاد التي فوق القيروان ولكن لا ينتشرون الى البحر والسواحل البحرية يسكنها القيروانيون والعجلات التي تجرها اربعة افراس استعمالها اكثر جداً عندهم ما عند سائر الليبيين ويجتهدون ان يقتدوا بالقيروانيين في اكثر عاداتهم

❊ ١٧١ ❊ والى غربي الاسبيستة امة الاوشيسة وهم متاخمون لهم مواطنهم فوق برقة وينتشرون الى البحر قرب الاسبريدة . والقبالة يسكنون في اواسط بلاد الاوشيسة وعددهم قليل وينتشرون على سواحل البحر الى جهة توكيرة وهي مدينة في ارض برقة وعاداتهم هي نفس عادات الشعوب القاطنين فوق القيروان

❊ ١٧٢ ❊ وحدود بلاد الاوشيسة من الغرب بلاد الناسامونة وهم كثيرو العدد وفي الصيف يترك الناسامونة مواشيهم على شاطئ البحر ويصعدون

الى قطر يقال لهُ اوجيلس ليجنوا منهُ التمر في الخريف والنخل هناك كثير جدًّا ويكون غاية في الحسن وكل نخلة تحمل ثمرًا . والناسامونة يذهبون لصيد الجراد ويجففونهُ بالشمس ثم يطحنونهُ ويخلطون الدقيق بالحليب ثم يشربونهُ ومن عاداتهم ان يكون للواحد عدة نساء ويباشرهن جهارًا على طريقة المساجيتة تقريبًا بعد ان يغرزوا عصيهم في الارض ومتى كان اول تزوج الناساموني ففي اول ليلة من الزفاف تمنح العروس نفسها لكل المدعوين وكل واحد منهم يقدم لها هدية يكون قد اتى بها من بيتهِ

وهوذا طريقتهم في الحلف وممارسة العرافة يضعون يدهم على قبور الذين اشتهروا بينهم بانهم كانوا اعدل الناس واكثرهم خيرًا ويحلفون بهم . واما ممارسة العرافة فهي ان يذهبوا الى قبور اسلافهم ويصلُّون هناك ثم ينامون فاذا رأوا رؤيا في مدة نومهم يعملون بموجبها في تصرفاتهم ويعقدون بينهم عهد الذمام بان يشرب الواحد من كف الآخر فاذا لم يكن عندهم شيء من السوائل ياخذون غبارًا من الارض ويلحسونهُ

✵ ١٧٣ ✵ وجيران الناسامونة البسيلة وقد هلكوا سابقًا بالطريقة التي اذكرها كان هبوب ريح الجنوب قد نشف صهاريجهم لان كل بلادهم كانت في داخلية السيرتة وليس فيها ماء فعقدوا مجلسًا للمشاورة وعزموا عزمًا عامًّا ان يمضوا ويحاربوا ريح الجنوب . وانا اذكر قول الليبيين . فلما وصلوا الى القفار الرملية هبت تلك الريح هبوبًا شديدًا وغمرتهم بجبال من الرمال فلما هلك البسيلة استولى الناسامونة على بلادهم

✵ ١٧٤ ✵ وفوق هذه الامة الى الجنوب مواطن الغارامنطة في بلاد مملوءة من الوحوش الضارية وهم يتجنبون التجارة ومعاشرة كل الناس وليس عندهم شيء من انواع الاسلحة ولا يعرفون ايضًا ان يدافعوا عن انفسهم

✵ ١٧٥ ✵ ومواطن هذه الامة فوق الناسامونة وجارتها امة الماكة وهي الى الغرب على طول البحر ويحلقون شعرهم بحيث تبقى في قمة راسهم خصلة من الشعر ويتصلون الى ذلك بان يدعوا شعرهم ينمو في وسط الراس وبان يحلقوا ما

على جانبيهِ عند اقرب حدّ · وحينما يمضون الى الحرب ياخذون سلاحًا للدفاع من جلود النعام · ونهر سينبس ينحدر من اكة الغراقة ويخترق بلادهم ويصب في البحر · وهذه الاكة مكسوة كلها بغابة كثيفة مع ان سائر ليبيا الذي ذكرتهُ حتى الان هو بلاد لا يرى فيها شيء من الشجر · ومن هذه الاكمة الى البحر مئتا استادة

❋ ١٧٦ ❋ والجندانة مامبون الماكة يقال ان الواحدة من نسائهم تجعل حول كعب رجلها عصائب جلدية بقدر ما عرفت من الرجال فالتي تكون تلك العصائب معها اكثر من الكل تكون اكثر اعتبارًا كانها احبها عدد اكثر من الرجال

❋ ١٧٧ ❋ واللوتوفاجة يسكنون على شاطىء البحر الذي امام بلاد الجندانة وهولاء القوم لا يعيشون الا من النبق «١» وهذا الثمر هو تقريبًا في غلظ ثمر الضرو ولهُ حلاوة كحلاوة التمر واللوتوفاجة يعملون منهُ ايضًا خمرًا

❋ ١٧٨ ❋ وهم متاخمون على طول البحر للمخلية وهولاء ايضًا يقتاتون بالنبق لكن اقل من اللوتوفاجة والمخلية منتشرون الى حد تريتون وهو نهر كبير يصب في بحيرة كبيرة اسمها تريتونيس وفيها جزيرة فلا · قيل ان الوحي انبأ ان اللقدمونيين يرسلون مستعمرة الى تلك الجزيرة ويخبرون الخبر على الكيفية الآتية

❋ ١٧٩ ❋ لما بنى ياسون في حضيض جبل بيليون السفينة ارغو وادخل فيها ضحية من مئة حيوان وكرسيًا من نحاس ذا ثلاث قوائم ركب البحر واجتاز البيلوبونيسة بقصد ان يمضي الى دلفي فلما وصل الى راس ماليوس هبت ريح شمالية القتهُ في ليبيا ووجد نفسهُ في قاع بحيرة تريتونيس قبل ان يكتشف البرّ واذ لم يعرف كيف يخرج من تلك الورطة يقال ان معبود ماء ظهر لهُ وطلب الكرسيّ المثلث القوائم واعدًا اياه ان يريهُ طريقًا امينًا وينقذه من ذلك الخطر فقبل ياسون بذلك فاراه معبود الماء الطريقة التي يخرج بها من ذلك القاع ثم



١ النبق ثمر السدر والسدر اسمهُ باليونانية لوتوس ومنهُ لوتوفاجة اي آكلة النبق ❋ ح ❋

اخذ الكرسي ووضعهُ في نفس هيكلهِ وجلس فوقهُ وتنبأ لياسون وجماعتهِ بكل ما سيجري عليهم واخبره ايضًا انهُ متى اخذ الكرسي احد من سلالة الذين في السفينة ارغو يكون من الضرورة ان الاغارقة يكون لهم مئة مدينة على شواطئ بحيرة تريتونيس . وقيل ايضًا ان الليبيين المجاورين للبحيرة اذ علموا هذا الجواب من الوحي اخفوا الكرسي

❋ ١٨٠ ❋ ويلاصق الخالية الامة الاوسية وهاتان الامتان تسكنان حول بحيرة تريتونيس لكن يفصلها نهر تريتون . والخالية يدعون شعرهم ينمو في موخر راسهم والاوسية في المقدم وفي عهد كان هولاء القوم يحتفلون بهِ كل سنة اكرامًا لمينرفة تنقسم البنات الى فرقتين ويتضاربن بالعصي والحجارة ويقلن ان هذه السنة وضعها اباؤهن اكرامًا للمعبودة التي ولدت في بلادهم وهي التي نسميها مينرفة . ويسمين بالعذارى الكاذبات اللواتي يمتن من جراحهنّ ولكن قبل التوقف عن القتال يقلدن سلاحًا كاملاً على الطرز الاغريقي الفتاة التي يعترف الكل انها امتازت ويضعن ايضًا خوذة على راسها على الطرز القرنثي ويركبنها مركبة ويطفن بها حول البحيرة . ولست ادري باي صورة كانوا يسلحون سابقًا بناتهم قبل ان انشأ الاغارقة مستعمرات حولهم . على اني اظن ان ذلك كان على الطريقة المصرية ومع ذلك فرايي ان الخوذة والترس أُتي بهما من مصر الى الاغارقة . ويزعمون ان مينرفة هي بنت نبتون وجنية بحيرة تريتونيس وانها تشكت يومًا من ابيها بداعٍ ما فسلمت نفسها الى جوبيتر فتبناها . والنساء مشتركات عند هولاء القوم ولا يسكنّ مع الرجال والرجال يباشرنهن على طريقة الحيوانات والاولاد تربيهم امهاتهم فمتى كبروا ياخذونهم الى مجمع الرجال الذي يلتئم كل ثلثة اشهر فالذي يشبههُ احد الاولاد يحسب والدًا لهُ

❋ ١٨١ ❋ هذه هي الشعوب البادية الساكنة على السواحل البحرية من ليبيا . وفوقهم بالتقدم الى وسط البلاد القسم من ليبيا المملوء من الوحوش الضارية ووراءها نجد رمليٌ يمتد من طيبة مصر الى اعمدة هرقليس ويوجد في تلك البلاد الرملية من نحو عشر مراحل الى عشر مراحل من المسير قطع عظيمة من الملح على الاكام

وفي اعلى كل من هذه الاكام يرى جاريًا في وسط الملح ماء بارد عذب وحول ذلك الماء قوم هم الاخيرون من جهة البوادي وفوق ليبيا الوحشية. واول شعب يرى من جهة طيوة الامونيون على مسافة عشرة مراحل من تلك المدينة لهم هيكل وطقوس اتخذوها من هيكل جوبيتر الطيوي . والحق انه يوجد في طيوة كما قد ذكرت قبلاً تمثال لجوبيتر له راس كبش ومن جملة العيون عندهم عين يكون ماؤها فاترًا في اول النهار وباردًا في وقت فتح السوق وباردًا جدًّا وقت الظهر ولذلك يهتمون في تلك الساعة بسقي بساتينهم وكلما قرب الزوال يكون اقل برودة الى ان تغيب الشمس فيصير فاترًا ثم يسخن اكثر فاكثر الى ان يقرب نصف الليل فحينئذٍ ياخذ في الغليان حتى يزيد فاذا مضى نصف الليل يبرد قليلاً الى ان يكون الفجر . وتسمى العين عين الشمس

❊ ١٨٢ ❊ وبعد بلاد الامونيين بمسيرة عشر مراحل تجد على ذلك النجد الرملي اكمة اخرى من الملح تشبه التي في بلاد الامونيين مع نبع ماء وذلك القطر ماهول ويسمى اوجيلس والى هناك يذهب الناساموية في الخريف ليجنوا التمر

❊ ١٨٣ ❊ وعلى مسيرة عشر مراحل اخرى من اوجيلس تجد اكمة اخرى من الملح ونبع ماء وكمية وافرة من النخيل مثمرة كما في سائر الاماكن المار ذكرها وسكان هذه البلاد امة الغارامنتة وهي كثيرة العدد يطرحون فوق الملح ترابًا ثم يزرعون وليست المسافة بعيدة من هناك الى اللوتوفاجة ولكن المسافة مسيرة ثلاثين مرحلة من بلاد هؤلاء الى البلاد التي توجد فيها انواع من الثيران ترعى وهي تتقهقر في مسيرها وهذه الحيوانات ترعى على الطريقة المذكورة لان قرونها منعطفة الى الامام ولهذا السبب تمشي القهقرى حينما ترعى لانها لا تقدر ان تسير الى الامام لئلا تغرز قرونها في الارض ولا تختلف عن سائر الثيران الا بهذا ويكون جلدها اسخن وألين. وهؤلاء الغارامنتة يطاردون التروغلوديتة الحبشة ويستخدمون لذلك عجلات تجرها اربعة افراس والتروغلوديتة الحبشة هم بالحقيقة اخف واسرع من كل الشعوب التي سمعنا بذكرها . يعيشون من الحيات والاورال وغيرها من الزحافات . ويتكلمون بلغة ليس لها مشابهة في شيء بلغات سائر الشعوب .

ويظن السامع انهُ يسمع صراخ الخفافيش

❋ ١٨٤ ❋ وكذلك على مسافة عشر مراحل من الغرامنتة تجد اكمة اخرى من الملح ونبع ماء وحولها الناس ويسمون اتارنتة وهم وحدهم من اعرف من الناس ليس لهم اسماء وهم مجتمعون طائفة واحدة ويسمون اتارنتة واما الافراد فليس لهم اسماء تميز بعضهم من بعض . وهم يلعنون الشمس حينما تكون في اعلى نقطة من ارتفاعها وقوتها و يشتمونها بكل انواع الشتائم لانها تحرقهم وتحرق بلادهم

وعلى مسيرة عشر مراحل تجد اكمة اخرى من الملح وماء وحولها ناس وجبل اطلس يتصل بتلك الاكمة وهو ضيق مستدير من كل جهة اكمة شامخ جدًا حتى يستحيل على ما يقال ان ترى قمتهُ لسبب الغيوم التي لاتزال محجوبة بها شتاء وصيفًا . واهل البلاد يقولون انهُ عمود من السماء . ومن اسم هذا الجبل سموا اتلنتة ويقال انهم لا ياكلون شيئًا ما فيهِ حياة وانهم لا يرون احلامًا مطلقًا

❋ ١٨٥ ❋ اني اعرف اسماء الذين يسكنون ذلك النجد الى الاتلنتة ولكن لا اقدر ان اقول بقدر ما قلت عنهم عمن وراءهم . وهذا النجد يمتد الى اعمدة هرقليس وابعد منها ايضًا وبين كل عشر مراحل توجد معادن ملح واناس . وبيوت كل هذه الامم مبنية بقطع ملحية . وذلك انهُ لا يقع مطر مطلقًا في ذلك القسم من ليبيا . وفوق ذلك ان حيطان البيوت لكونها من ملح تنهدم بسرعة ويستخرج من تلك المعادن نوعان من الملح الواحد ابيض والآخر بلون الفرفير . وفوق ذلك النجد الرملي الى جهة الجنوب وداخلية ليبيا لا تجد الا بادية هائلة حيث لا ماء ولا حطب ولا حيوانات برّية وحيث لا يقع مطر ولا ندّى

❋ ١٨٦ ❋ وكل البلاد الممتدة من مصر الى بحيرة تريتونيس يسكنها الليبيون البدو الذين يعيشون من اللحم واللبن ولا ياكلون البقر مطلقًا وكذلك المصريون ولا يقتانون بالخنازير . ونساء القيروان لا يسمح لهن بحسب اعتقادهن ان ياكلن لحم البقر احترامًا للمعبودة ايسيس التي تُعبد في مصر . ويصمن ايضًا ويعيّدن اعيادًا حافلة اكرامًا لها . ونساء برقة ايس فقطانهن لا ياكلن لحم البقر بل يمتنعن ايضًا عن لحم الخنزير

✻ ١٨٧ ✻ والشعوب التي الى غربي بحيرة تريتونيس ليسوا بدواً وليس لهم نفس العوائد ولا يعلمون لاولادهم ما يعمل الليبيون البدو لاولادهم . فاذا بلغ اولاد الليبيين البدو الرابعة من عمرهم يحرقون عروق اعلى رؤوسهم وتارة عروق اصداغهم بصوف لم ينظف من دهنهِ . ولا اقدر ان اثبت ان كل تلك الشعوب البادية يستعملون هذه العادة لكن كثيرين منهم يستعملونها ويزعمون ان هذا العمل يمنع ان يكونوا بعد ذلك معرضين للوسخ من افراز الدماغ ويجعل صحتهم تامة والحق انهُ بين كل الشعوب التي نعرفها ليس انظف من الليبيين لكن لا اجسر ان اوكد ان ذلك ناتج عن هذا العمل واذا حصل لاولادهم ارتجاف بينما هم يحرقونهم يرشونهم ببول تيس وهو علاج خاص . ومع ذلك لست اذكر الاَّ ما يقولهُ الليبيون

✻ ١٨٨ ✻ وضحايا البدو تقدم بالطريقة الآتية يبتدئون بقطع اذن الضحية (وهذا يكون نيابة عن الباكورات) ثم يطرحونها على قمة البيت فاذا كان ذلك يبرمون رقبتها ولا يذبحون ذبيحة الا للشمس والقمر . ولكن الليبيين يقدمون ضحايا لهذين الالهين على ان الذين يقطنون شواطئ بحيرة تريتونيس يقدمون ايضاً ضحايا لمينرفة ثم لتريتون ونبتون ولكن لمينرفة خصوصاً

✻ ١٨٩ ✻ والاغارقة اتخذوا من الليبيين الملبوس والترس الخاصين بتماثيل مينرفة الاَّ ان لبس الليبيين من جلود وحافة تروسهم ليست حيّات بل قدد دقيقة من الادم وبقية اللبس لا تختلف واسم الملبوس يبين ان ثوب تماثيل مينرفة آتٍ من ليبيا . ونساء هذه البلاد يلبسن فوق ثوبهنَّ جلود معزى بلا شعر لها اهداب ومصبوغة بالاحمر . والاغارقة اتخذوا تروسهم من هذه الملابس التي هي من جلود المعزى واظن ايضاً ان الصراخ الحاد الذي يسمع من هيكل هذه المعبودة اصله من هذه البلاد وفي الواقع انها عادة مستمرّة بين الليبيات ويقمنَ بها بلطف . ومن الليبيين تعلم الاغارقة ان يقطروا في عجلاتهم اربعة افراس

✻ ١٩٠ ✻ والليبيون البدو يدفنون موتاهم كالاغارقة واستثني منهم الناسامونة فانهم يدفنونهم جالسين ومتى اسلم الواحد الروح يجعلونهُ في هذا

الوضع ويجتهدون بان لا يسلم الروح وهو ملقىً على ظهره . ومنازلهم تقبل النقل وهي مصنوعة من البرْوَق يشبكونهُ بالاَسل . هذه هي عوائد تلك الامم

✻ ١٩١ ✻ والى غربي نهر تريتون يتصل الليبيون الفلاحون بالاوسيين ولهم بيوت ويسمون مكسيين ويتركون شعرهم ينمو على الجانب الايمن من راسهم ويحلقون الجانب الايسر ويصبغون اجسادهم بالزنجفر ويقولون انهم من سلالة التروادِيين والبلاد التي يسكنونها وكذلك بقية ليبيا الغربية تكون فيها الوحوش البرّية والاحراش اكثر مما في بلاد البدو . لان القسم من ليبيا الشرقية الذي يسكنهُ البدو منخفض ورملي الى نهر تريتون لكن من عند هذا النهر الى جهة الغرب تكون البلاد التي يسكنها الفلاحون كثيرة الجبال والغابات والوحوش البرّية . وفي ذلك القسم الغربي من ليبيا تكون الحيات الكبيرة جدًّا والاسود والفيلة والدباب والاصلال والحمير ذات القرون والقرد الكلبي الراس وعديم الراس الذي تكون عيناه في صدره اذا صح قول الليبيين . وفيها ايضًا رجال ونساء وحشيون وكثير من الوحوش الضارية التي لها وجود في الحقيقة

✻ ١٩٢ ✻ وفي بلاد البدو لا يوجد شيء من هذه الحيوانات لكن يوجد غيرها كالايل الابيض الساق والمعز البرّي والثور الوحشي والحمير لا ذلك النوع من الحمير التي لها قرون لكن نوع آخر ليس لهُ قرون وفيها ايضًا الأَروَى وهي في حجم الثور وتتخذ قرون هذا الحيوان زندًا للقيثارة . وهناك ايضًا الثعلب والضبع والقنفذ والكبش الوحشي والجقل والنمر «١» وتمساح برّي طولهُ نحو ثلاث اذرع وهو يشبه الضبّ والنعامة وحيات الواحدة قرن واحد . كل هذه الانواع من الحيوانات توجد في تلك البلاد وفضلًا عنها كل الحيوانات التي توجد في غيرها ما عدا الايل والخنزير البرّي لانهُ لا يوجد في ليبيا ايائل ولا خنازير برّية وفيها

---

١ تركنا هنا اسمَي حيوانين وهما dictye و borye لم نجدهما في قاموس لغوي ولا علمي مع ان عندنا اكبر قاموس للغة الفرنسوية . ولا في كتاب بنون المطول المشهور في علم الحيوانات ✻ ح ✻

ايضاً ثلاثة انواع من الجرذان وهي ذو الرجلين والزجري وهو اسم ليبي معناه في لغتنا الاكمة والجرذ الذي هو النوع الثالث يسمى الشيهم ويتولد فضلاً عنها بين الانجدان ابن عرس وهو يشبه ابن عرس ترتسوس . هذه هي على ما قدرت ان اعرف بالابحاث المدققة انواع الحيوانات الموجودة في بلاد الليبيين البدو

﴿ ١٩٣ ﴾ والزويكة ملاصقون لليبيين المكسيين فاذا كانوا في الحرب تقود النساء العجلات

﴿ ١٩٤ ﴾ والغيزنتة مواطنهم بعد الزيكة تماماً والنحل في بلادهم يصنع كمية وافرة جداً من العسل ولكن يقال انه يعمل اكثر بكثير بواسطة صناعة الانسان والغيزنتة كلهم يصبغون اجسادهم بالزنجفر ويأكلون القرود وهذه الحيوانات كثيرة في جبالهم

﴿ ١٩٥ ﴾ وقرب هذه البلاد على ما ذكر القرطاجنيون جزيرة ضيقة جداً يقال لها كيرونيس طولها مئتا استادة ويعبر اليها من البرّ بسهولة وهي مكسوة بشجر الزيتون والكرم وفي هذه الجزيرة بحيرة تستخرج بنات البلاد من طينها شذور ذهب بريش الطير بعد ان يدهن بالزفت . ولست اعلم هل صحيح هذا الخبر فاكتفي بان اذكر ما يقال وفضلاً عن ذلك قد يمكن ان يصح هذا الخبر خصوصاً بعد ما عاينت بنفسي كيفية استخراج الزفت من بحيرة زاكنثة . وهذه الجزيرة فيها عدة بحيرات مساحة الكبرى منها سبعون قدماً من كل وجه وعمقها اورجيتان يغرزون في هذه البحيرة وتداً قد علق في طرفه غصن آس ثم يخرجون هذا الغصن وعليه الزفت رائحته كالقار ولكنه فضلاً عن ذلك احسن من زفت بارية . ويطرحون هذا الزفت في حفرة تحفر قرب البحيرة ومتى جمعوا فيها كمية كبيرة يخرجونه منها ويضعونه في اوعية . وكل الذي يقع في البحيرة يغرق تحت الارض ويظهر بعد مدة في البحر مع انه بعيد عن البحيرة نحو اربع استادات . فهكذا قد يكون ما يُذكر عن الجزيرة التي قرب ليبيا صحيحاً

﴿ ١٩٦ ﴾ ويقول القرطاجنيون ان وراء اعمدة هرقليس بلاداً ماهولة يذهبون اليها للتجارة . فاذا وصلوا اخرجوا بضائعهم من المراكب وصفوها

على طول الشاطئ ثم يدخلون مراكبهم ويدخنون دخانًا كثيرًا فيبصر اهل البلاد الدخان ويأتون الى شاطئ البحر وبعد ان يضعوا هناك الذهب ثمن البضائع يبتعدون فيخرج القرطاجنيون من مراكبهم ويفحصون كمية الذهب التي اتوا بها فاذا رأوا انها توازي قيمة بضائعهم ياخذونها وينصرفون لكن اذا كانت اقل من قيمة البضائع يرجعون الى المراكب فيستقرون فيها فيرجع الآخرون ويضيفون شيئًا اخر حتى يكتفي القرطاجنيون ولا تضرّ احدى الفئتين الاخرى مطلقًا فالقرطاجنيون لا يمسون الذهب الّا اذا صار موازيًا القيمة بضائعهم واهل البلاد لا ياخذون البضائع قبل ان ياخذ القرطاجنيون الذهب

✻ ١٩٧ ✻ هذه هي امم ليبيا التي اقدر ان اذكر اسماءها واكثرهم ما كانوا يحسبون حسابًا لملك الماديين اكثر ما يفعلون اليوم واقول ايضًا ان تلك البلاد تسكنها اربع امم ولا زيادة بحسب ما اقدر ان اعرف ومن هذه الامم الاربع اثنتان وطنيتان واثنتان اجنبيتان فالوطنيون هم الليبيون والحبشة اولئك يسكنون القسم من ليبيا الذي هو الى الشمال وهولاء القسم الذي الى الجنوب والامتان الاجنبيتان هما الفينيقيون والاغارقة

✻ ١٩٨ ✻ واما بخصوص جودة الارض فلا تستطيع ليبيا على ما يظهر لي ان تقاس باسيا ولا باوروبا واستثني منها فقط كينبس وهي بلاد مسماة باسم النهر الذي يرويها فقد يمكن ان تقاس باحسن ارض يزرع فيها القمح ولذلك لا تشبه في شيء سائر ليبيا فهي ارض سوداء ترويها عدة ينابيع ولا يخشى فيها الجدب والامطار الشديدة لا تزال ترويها ولا تعطل فيها شيئًا . وفي الواقع ان المطر يقع في ذلك القسم من ليبيا . وتغلّ هذه البلاد من الحبوب بقدر ما تغل بلاد بابل . وبلاد الافسبريدة هي ايضًا بلاد جيدة وفي السنين التي فيها تفوق بعض الاراضي غيرها في الخصب تعطي مئة ضعف واما كينبس فتعطي من الواحد نحو ثلثمائة

✻ ١٩٩ ✻ والقيروان هي اعلى بلاد من ذلك القسم من ليبيا التي اهلها بدو والغلة ثلاثة فصول حسنة جدًّا يبتدىء الحصاد والقطف على شواطئ البحر ثم يجتازون الى اواسط البلاد التي تسمى بونس ( اكام ) فيكون القمح والعنب

قد نضجا ولا يحتاجان الا الى الجنى . وبينما هم يجنون غلة اواسط البلاد يحدث نضج في الاماكن القصوى ويجيء زمن الحصاد والقطف فيكونون قد اكلوا اول الحبوب وشربوا اول الخمور حينما يجيء وقت الغلة الاخيرة . وهذه الغلال تشغل القيروانيين ثمانية اشهر من السنة . وهذا القدر كفاية عن هذه البلاد

✻ ٢٠٠ ✻ فالفرس الذين ارسلهم اريانداس الى مصر لياخذوا لفريتيمة بالثار لما وصلوا امام برقة حصروها بعد ان طلبوا منها تسليم قتلة اركيسيلاس واذ كان كل اهل برقة مذنبين في قتل هذا الملك لم يسمعوا كلامهم وفي مدة التسعة الاشهر التي استمر بها الحصار اوصل الفرس لغومة الى الاسوار وهاجموا المكان ببسالة . واكتشف لغومتهم صانع نحاس بواسطة ترس نحاس فكان يدور حول المدينة داخل الاسوار ومعهُ ترسهُ وهو يدنيه من الارض ففي الاماكن لم يكن العدو يلغم لم يكن يخرج للترس صوت بل كان يسمع منهُ صوت في الاماكن التي كانوا يشتغلون فيها فاتلف البرقيون اللغومة في تلك الاماكن وقتلوا الفرس الذين يشتغلون فيها . واما الهجمات الجهارية فعرف الاهالي ان يدفعوها

✻ ٢٠١ ✻ وكان قد مضى على حصار برقة زمن طويل وكانت الخسائر فيهِ من الجهتين لكن لم تكن من جهة الفرس اقل مما كانت من جهة البرقيين فرأى عمسيس الذي كان قائدًا لجيش البر انهُ لا يقدر ان يتغلب بالقوة الظاهرة فعزم ان يخضعهم بالحيلة وها هي الحيلة التي خطرت لهُ

امر ان يحفر في الليل خندق عريض ويضعوا عليهِ قطعًا من حطب ضعيف جدًا ستروها بالتراب بحيث صارت الارض متساوية من كل وجه سطحًا وارتفاعًا فلما طلع النهار دعا البرقيين للمفاوضة ففرحوا بهذا الخبر ورأوا احسن شيء ان ياتوا للمساواة فعقدوا عهدًا وحلفوا من الطرفين على الخندق المستور ان يحافظوا على مواد العهد ما دامت تلك الارض ثابتة في الحالة التي كانت عليها حينئذٍ . وكانت مواد العهد متضمنة ان البرقيين يؤدّون الملك جزية موافقة وان الفرس لا يباشرون عملاً جديدًا ضدّهم

فلما تم الحلف وقد وثق البرقيون بصدق العهد فتحوا كل ابوابهم وخرجوا من

المدينة وإذنوا بالدخول لمن اراد من الاعداء ان يدخلها . وفي اثناء ذلك كان الفرس قد هدموا الجسر المستور فدخلوا المدينة دفعة واحدة . وانما نقضوا الجسر حتى لا يكونوا قد نقضوا العهد الذي حلفوا على حفظهِ ما دامت الارض التي حلفوا عليها ثابتة على الحال التي كانت عليها حينئذٍ واذ ذاك لما قُوّض الجسر انتقض العهد

❋ ٢٠٣ ❋ وسلم الفرس الى فريتيمة اعظم البرقيين جريرة وللحال صلبتهم على الاسوار وقطعت اثداء نسائهم وطرزت بها الاسوار وامرت بنهب كل ما للبرقيين الا البيادة والذين لم يكن لهم اقل مشاركة في قتل ابنها فهولاء سمح لهم ان يبقوا في المدينة .

ولما استعبد الفرس بقية البرقيين ساروا راجعين الى مصر فلما وصلوا الى القيروان تركهم القيروانيون يمرون في مدينتهم بناء على وحي وبينما هم يجتازون في المدينة قال لهم بارس الذي كان قائد الجيش البحري ان ينهبوها لكن عمسبس الذي كان قائد الجيش البري لم يشأ ان يسمح بذلك وقال لهم انهم لم يرسلوا الا لاخضاع برقة . فلما اجتازوا المدينة وجعلوا معسكرهم على اكمة جوبيتر الليكي ندموا لانهم لم يستولوا عليها فعادوا على اعقابهم وحاولوا ان يدخلوها ثانية واما القيروانيون فاقاموا على معارضتهم . ومع انه لم يحضر احد للقتال اصاب الفرس خوف شديد فتراجعوا من هناك حالاً الى مسافة ستين استادة ووضعوا معسكرهم وبينما هم يعسكرون اتاهم رسول من عند اريانداس يدعوهم الى المضي فلجأوا حينئذٍ الى القيروانيين والتمسوا منهم ان يعطوهم زاداً فاعطاهم القيروانيون فعادوا في طريق مصر . ولكن كل مدة مسيرهم الى ان وصلوا الى مصر كان الليبيون لا يزالون يهاجمونهم لياخذوا ثيابهم وامتعتهم ويقتلون كل الذين كانوا يتاخرون وكل الذين كانوا يشردون عن سواد الجيش

❋ ٢٠٤ ❋ وهذا العسكر الفارسي لم يتقدم في داخلية ليبيا الى اكثر من بلاد الافسبريدة . واما البرقيون الذين استعبدهم الفرس فارسلوهم من مصر الى الملك دارا فاعطاهم اراضي في بقطريانة وضيعة صغيرة موجودة الى اليوم فسموها

برقة

﴿ ٢٠٥ ﴾ وكانت آخرة فريثيمة تعيسة فانها حالما رجعت من ليبيا الى مصر بعد ان انتقمت من البرقيين هلكت هلاكاً فظيعاً بما خرج من جسدها من الدود الكثير الذي اكلها ذلك تاييداً لصحة ان الآلهة يكرهون ويقاصون الذين يتجاوزون الحدود بافكارهم. هذا هو الانتقام الذي اجرته فريثيمة زوجة باطوس على البرقيين

تم الكتاب الرابع
وبه انتهى المجلد الاول